



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَدِيثُ النَّبِيِّ
وَحَدِيثُ الْأَنْبِيَاءِ



حَدِيثُ السَّيِّئَاتِ وَحَدِيثُ الْكِسَاءِ

دِرَاسَةٌ مَوْضُوعِيَّةٌ

فِي مَضَامِينِ حَدِيثِ الْكِسَاءِ الْيَمَانِيِّ

تَأَلَّفَ السَّيِّدُ هَادِي الْمَوْسَوِي

مَجْتَمَعَةُ الْحَسَنِيَّةِ لِلدِّرَاسَةِ
فِي الشُّرُوحِ وَالْفِكْرِ وَالثَّقَافَةِ
مَرْكَزُ البَصْرَةِ لِلبَحْثِ وَالْحَقِيقَةِ وَالنَّجْدِ
وَمَكَّةُ الْمَدِينَةِ

الطبعة الأولى
١٤٤٥ هـ - ٢٠٢٤ م



طبع برعاية
العتبة الحسينية المقدسة

العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية - مركز البصيرة للبحوث والتحقيق
الهاتف: ٩٦٤ ٣٢ ٣٢٦٤٩٩

www.imamhussain-lib.com

E-mail: info@imamhussain-lib.com

إن الأفكار والآراء المذكورة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر كاتبها،
ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر العتبة الحسينية المقدسة

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ووزارة الثقافة العراقية لسنة ٢٠٢٤ - ٩٧٤

الموسوي، هادي، - مؤلف.

حديث الساء تحت الكساء : دراسة موضوعية في مضامين حديث الكساء الهادي / تأليف السيد هادي الموسوي. - الطبعة الأولى. - كربلاء، العراق: العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، مركز البصيرة للبحوث والتحقيق والترجمة، ٢٠٢٤ / ١٤٤٥ للهجرة. ٦٤٨ صفحة + ٢٤ سم. - (العتبة الحسينية المقدسة ١٣٧٦)، (قسم الشؤون الفكرية والثقافية ٣٥٢)، (مركز البصيرة للبحوث والتحقيق والترجمة ٢٢). يتضمن هوامش، لائحة المصادر (٥٨٥-٦١٦).

١. حديث الكساء -- نقد وتفسير، ٢. أهل بيت الرسول ليهم السلام (شيعة الإمامية) -- فضائل. أ. العنوان.

BP136.9 .M87 2024

ISBN: 978-9922-655-90-1

تمت الفهرسة في شعبة نظم المعلومات التابعة لقسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة قبل النشر.

هوية الكتاب

عنوان الكتاب: حديث السماء تحت الكساء.

المؤلف: السيد هادي الموسوي.

الناشر: العتبة الحسينية المقدسة / قسم الشؤون الفكرية والثقافية /

مركز البصرة للبحوث والتحقيق والترجمة.

المطبعة: دار الوارث.

عدد النسخ: ٥٠٠.

سنة الطبع: ٢٠٢٤ م - ١٤٤٥ هـ.

الطبعة: الأولى.

مكان النشر: العراق / كربلاء المقدسة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَذْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢)

لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣)

تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (٤)

سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ (٥)

صدق الله العلي العظيم

سورة القدر، الآية: ١-٥.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:
«اللهم إن هؤلاء أهلُ بيتي و خاصتي فأذهب عنهم
الرجسَ ، و طَهِّرهم تطهيراً»

مسند أحمد بن حنبل: ٦ / ٢٩٢ .

الإهداء

إلى سيدي الإمام الرؤوف الغريب المسموم الشهيد المقتول ظلماً، المبعد عن أهله وولده وعشيرته وديار جدّه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، المدفون في بلاد غربة.

أنيس النفوس المستوحشة، ومن أصبحت بقعته رياض الجنان التي تهفو إليها الأرواح الظامئة وتؤمّها الملايين طوال أيام السنّة، ويقصده أصحاب الحوائج.

سيدي ولي نعمتي، الذي أنستني وآويتني ورعيتني، وأحاطتني عنايتك وتفضّلت عليّ بمجاورتك، فوجدت فيضك يغدقني، وبركاتك تغمرني، ونورك يهديني.

ما هذه الكلمات المسطّرة والأحرف المبعثرة إلا قطرة من بحر جودك وكرمك، فأسألك يا من وفقّنتني لهذا العمل أن تقبله منّي بأحسن القبول، وأن تشملني بمزيد عطفك وحنانك ولطفك وتشمل والديّ وولدي وأهلي ومن يعزُّ عليّ في المواطن الثلاثة عند تطاير الكتب وعند الصراط والميزان.

خادمكم المقصّر
السيد هادي الموسوي

شكر وتقدير

لكلّ من أزرني وتحمّلني وقدم إليّ خدمة صغيرة أو كبيرة على إنجاز هذا العمل المتواضع، وأخصّ بالذكر الإخوة في قسم الشؤون الفكرية والثقافية مركز البصيرة للبحوث والتحقيق والترجمة في العتبة الحسينية المقدسة الذين شجعوني على تبنيهم طباعة كتابي هذا.



مقدمة المؤلف

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

بسمك اللهم، ولك الحمدُ على أوَّل نعمة إذ خلقتنا في أحسن صورة فتفضلت، وعلى ما ألهمت فأنطقت، وعرفتنا نفسك ففطرت، وعلمتنا دينك فهديت، ووفقتنا للعمل الصالح فجازيت، وأعطيت فأجزلت، ومنحت فأغنيت، ولك الشكر على ما أكملت لنا دين الإسلام وأتممت علينا نعمتك بمعرفة نبيِّك نبيِّ الرَّحمة محمدَ صَلَّى اللهُ عليه وآله، وولاية وصيِّه أمير المؤمنين عليه السَّلام، وأولاده المعصومين عليهم السَّلام، وأمَّهم فاطمة عليها السَّلام بنت رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله.

قبل سنوات ليست بالبعيدة انقدح في خاطري القيام ببحث في حديث الكساء - هذا الحديث الشريف الذي روته سيدة النساء عليها السَّلام، وتبرك بقراءته في المحافل الإيمانيَّة - وذلك بتشجيع من أحد الفضلاء لما كنَّا معاً في ظرفٍ صعبٍ بين جدرانٍ ضيقةٍ سرعان ما فرَّجه اللهُ عنَّا ببركة هذا الحديث الشريف، حيث كنَّا نأنس بتلاوته بشكل يوميٍّ بعد صلاتي الظهر والعصر، فكانت عباراته نسيماً رحمة يسكن روعنا وينفِّس همَّنا وغمَّنا وكرِّبنا في ذلك المكان الضيق، ونجد فيه روح

الفرج، وكنا نعلم أن لا طريق للخلاص من هذا الضيق إلا باللجوء إلى الكهف الحصين وسفن النجاة، وهم آل رسول الله عليهم السلام الكرام، فكنا نتذكر صاحبة الحديث مولاتي الصديقة الشهيدة فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وما جرى عليها من ظلم وانتهاكٍ لحرمتها، وخصوصاً عندما يمرُّ علينا موقف جبرائيل واستئذانه من ربِّ العزة والجلالة ليكون مع أصحاب الكساء، ثم استئذانه مرةً أخرى من سيِّد الكائنات ليدخل معهم تحت الكساء، فكانت تهبِّج فينا الزفرات وتسبل العبرات، فسرعان ما نرى أثر التوسُّل بها سريعاً بعد كلِّ مجلس في تفريج الكرب عن مجموعة من إخواننا الذين كانوا معنا في ذلك الحال، ومنذ تلك الأيام عقدتُ العزم على الوفاء لمولاتي سيدة نساء العالمين بعمل بحثٍ في هذا الحديث المبارك.

وقد وفَّقني البارئ تعالى للوفاء بهذا البحث وهو على الشكل التالي:

الفصل الأوَّل: بحثٌ فيه عن فضل حديث الكساء، ومنتنه، وسنده، ورأي علماء الشيعة الكرام في ذلك كلّه.

والفصل الثاني: وفيه شرح عبارات ومفردات الحديث الشريف.

أما الفصل الثالث: ففيه رسالة رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الأمة مفادها: «أهل بيتي كنفسي ومنزلتهم كمنزلي فيكم».

وجاء الفصل الرابع: تحت عنوان رسالة من الله عزَّ وجلَّ إلى جميع ملائكته، بأنَّ

الغاية من خلق الموجودات (محبّة محمّد وآل محمّد صلوات الله عليهم).

ثم الفصل الخامس: وفيه رسالة من ربّ العزّة إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله: (بإجابة طلبه في أهل بيته ونزول آية التطهير في حقّهم).

والفصل السادس: رسالة من رسول الله صلّى الله عليه وآله، وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما إلى أهل العالم بأنّ (أهل البيت وشيعتهم طريق الفوز والسعادة في الدنيا والآخرة).

أما الفصل السابع: رسالة اجتماعيّة أُسرّيّة معاصرة من أهل الكساء إلى الأسرة المسلمة. وهي بصائر ودروس وآداب اجتماعيّة مستخلصة من الحديث الشريف. وجاء الفصل الثامن تحت عنوان إضاءات في علم الفلك من حديث الكساء. أما الفصل التاسع وهو الفصل الأخير فكان تحت عنوان قصص وكرامات من حديث الكساء

وقد ختمنا الكتاب بهذا الفصل على بركة سيّدة النساء فاطمة الزهراء عليها السّلام وحديثها المبارك الذي هو من الأحاديث العالية متناً وسنداً وفائدة في الولاء والثناء والافتداء بهم صلوات الله عليهم جميعاً.

كما أرجو أن يكون مفتاحاً لمن يريد البصيرة والنور والهداية ومعرفة محمّد وآله الميامين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.



الفصل الأول
أهمية حديث الكساء
ومتنه، وسنده

الفصل الأول:

أهمية حديث الكساء، ومتمته، وسنده

لا بُدَّ للباحث حين يريد الشروع في التأمل والبحث في أيِّ حديث أو رواية أن يرجع إلى علم الحديث وعلم الرجال، لمعرفة وثاقة الرواية ووثاقة الراوي، لكي يحصل له الاطمئنان بصدورها من المعصوم، وهو ما نبهته في الفصل من عدّة جهات هي:

١. أهمية حديث الكساء

ربّما يتصوّر القارئ الكريم، والسّامع لحديث الكساء بأنّه حدثٌ وحديثٌ عائليٌّ عابر، كما يفهم من طريقة مجيء النبيّ صلّى الله عليه وآله إلى بيت ابنته السيّدة فاطمة عليها السّلام، وهو في حالة ضعفٍ بدنيٍّ ويريدُ الاستراحة، حيثُ طلبَ من ابنته أن تُغطيه بالكساء اليانبيّ، فحصل اتفاقٌ بمجيء الإمام الحسن عليه السّلام وطلب الدخول مع جدّه تحت الكساء، ثمّ مجيء ودخول الإمام الحسين عليه السّلام معها، ثمّ دخل عليٌّ عليه السّلام معهم، ثمّ انضمت فاطمة (صلوات الله عليهم) تحت الكساء، ثمّ أخذ رسول الله صلّى الله عليه وآله بالدعاء لهم بالرحمة، والبركة، والظّهارة.

إلا أن المتأمل لهذا الاجتماع يجد الأمور التالية:

أولاً: إنه من أعظم الاجتماعات قداسة وبركة التي جرت على وجه الأرض لأشرف المخلوقات من أول الدنيا إلى آخرها، ثم اجتماعهم مرة أخرى تحت الكساء عند حادثة المباحلة، ولا يمكن أن يكون ذلك مصادفةً بدون تدبيرٍ غيبيٍّ من الله تعالى، وهو اللطيف الحكيم.

ثانياً: كما أن أحداثه والحوار الذي جرى بين رسول الله وأهل بيته (صلوات الله عليهم) وذكره منزلتهم من نفسه، والحوار الذي جرى بين الله عز وجل والملائكة وبيانه لمقاماتهم عنده، مما جعل جبرائيل عليه السلام يستأذنه ليهبط إلى الأرض ليتشرف ويتبرك معهم تحت الكساء، ثم حوار جبرائيل مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وحوار أمير المؤمنين عليه السلام مع رسول الله (صلوات الله عليهم)، يتبين أنه تدبير وأمر رباني لغرض إيصال رسائل للناس في غاية الأهمية، وإعلان فضائل أساسية في حق أهل الكساء بشكل واضح لا لبس فيه، حيث أنزل رب العزة آية التطهير^(١)، وهي محور هذا الحديث التاريخي.

ثالثاً: يظهر أن الغاية من تجليلهم بالكساء هو لبيان حصر هذه الفضائل في هؤلاء الكرام الخمسة فقط، ولكي يقطع الطريق على المزيفين والمحرفين الذين يحاولون تضييع أو إنكار فضائل أهل البيت عليهم السلام عبر توسعة دائرة الذين تشملهم

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

آية التطهير^(١)، حيث حاولوا إضافة آخرين يميلون إليهم بأهوائهم، ولكن رب العالمين أعلم بنفوس أولئك المبغضين لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله؛ ولذا أمره أن يقوم بهذا الفعل ليكون برهاناً عملياً متجسداً يحصر الفضائل بهؤلاء الخمسة الأطهار فقط.

رابعاً: كما يظهر أن الغاية الكبيرة من هذا العمل ونزول آية التطهير في حقهم إعلان رسمي رباني لاصطفائهم، وحصولهم على مقام العصمة، واستحقاق منصب الخلافة، والإمامة على الناس بأمر من الله تعالى.

خامساً: المتأمل لهذا الحديث الشريف يجد فيه إعجازاً لإثبات مصداقيته الذاتية، وقوة عباراته البلاغية، والتصويرية، وموافقة معانيه للعقل وللنطرة والقرآن والسنة والأصول العقديّة عند الإمامية، وتأيد كبار الفقهاء والمراجع والمحققين لصحة مضامينه، وعملهم به، والتوسل به، وتشجيعهم للمؤمنين لتلاوته يعطي مزيداً من الاطمئنان القلبي لصحة معانيه.

كما أن آثاره وبركاته على المؤمنين المتوسلين به وحصولهم على مطالبهم وحل مشكلاتهم بحسب تجربة المؤمنين في مجالسهم، يعطي مزيداً من الاطمئنان القلبي للدليل الوجداني الملموس.

ومع كل ذلك هناك مَنْ يضعف هذا الحديث ويُشكل عليه بأنه لم يرو في

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦١.

المصنفات الروائية المشهورة عندنا، بينما حديث الكساء المشهور في بيت أم سلمة متواتر ومتفق عليه بين المسلمين.

ونردُّ على هذا المستشكل ونقول له: لا يمكن التوقف عند المصادر الأساسية الصحيحة فقط، فإنَّ هؤلاء الأعلام مع شدة جهودهم التي بذلوها في جمع الأحاديث وتصحيحها، إلاَّ أنه لا يمكن حصر الروايات فيها، فهناك الكثير من الروايات المتناثرة هنا وهناك قد فاتتهم، بالإضافة إلى المصادر التي تعرَّضت للضياع والتلف حرقاً وغرقاً وتحت التراب بسبب إرهاب الأعداء المخالفين.

ولا ننسى أنَّ أئمة الجور من أعداء آل محمد عليهم السَّلام منعوا وحجَّبوها الأخبار النبوية التي تُظهر فضائل أهل البيت عليهم السَّلام، ومنعوا تدوينها، وحظروا انتشارها في الأمة، ومنعوا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حِينَ كَانَ عَلَى فِرَاشِ الْمَرَضِ، مِنْ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ وَصِيَّتَهُ الْعَاصِمَةَ لَهُمْ مِنَ الضَّلَالِ، وَقَدْ وَقَفُوا أَمَامَهُ لِكَيْ لَا يَدُونَ الْوَثِيقَةَ الْأَسَاسِيَّةَ لِضِمَانِ حَقِّ أَهْلِ الْبَيْتِ الْأَطْهَارِ تَحْتَ شِعَارِ: (حَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ)^(١)، وقام الحاكم الأول بحرق بعضها، واجتهد الثاني بأن يمنع الصحابة

(١) روى البخاري عن عبد الله بن عباس قال: لَمَّا اسْتَدَّ بِالنَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَجَعَهُ قَالَ: «أَتُونِي بِكِتَابٍ أَكْتُبُ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوْا بَعْدَهُ»، قَالَ عُمَرُ: إِنَّ النَّبِيَّ غَلَبَهُ الرَّجْعُ، وَعِنْدَنَا كِتَابُ اللَّهِ حَسْبُنَا. فَأَخْتَلَفُوا وَكَثُرَ اللَّعْطُ، قَالَ [صلى الله عليه وآله]: «قُومُوا عَنِّي، وَلَا يَبْغِي عِنْدِي التَّنَازُعُ». فَخَرَجَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: إِنَّ الرُّزِيَّةَ كُلَّ الرُّزِيَّةِ، مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَبَيْنَ كِتَابِهِ. صحيح البخاري: ح ١١٤ والحديث: صحيح.

والحَفَظَةَ لأحاديث الرسول بأن تُنشر خارج المدينة، وكان يعاقب مَنْ يتحدَّث بها،
وأما طاغية الشام فقد سَمَّر عن ساعديه بأن لا تُنشر فضيلة واحدة لأمر المؤمنين
عليه السَّلام، وكان يقتل كلَّ مَنْ تفوَّه بفضيلة واحدة.

وفي المقابل اشترى ذم الوضَّاعين فأكثرُوا من وضع الأحاديث المكذوبة في
حقِّ أعداء أهل البيت عليهم السَّلام، وقد مارسوا أسلوب الترهيب والتخويف
والإتهام بالغلُو والرفض لرواية أحاديث أهل البيت عليهم السَّلام والاعتقالات
بحقِّهم، وبحقِّ أئمَّة أهل البيت عليهم السَّلام، عدا محاصرتهم ووضعهم تحت
الرقابة ومنع اللِّقاء بشيعتهم، ممَّا اضطرهم لاستخدام التقيَّة في بثِّ رواياتهم، وقد
سار أئمَّة الجور من أسلافهم على المنهج نفسه في القمع الفكري، مع استخدام علماء
البلاط في الترويج للسَّلف وبثِّ السموم ضدَّ ما سمَّوهم بالروافض.

ولهذه الأسباب وغيرها اهتمَّ علماءنا والمحدِّثون والمصنِّفون لكتب الحديث ومن
قبلهم أئمَّة أهل البيت عليهم السَّلام بالتدقيق وغرابة التراث الروائي، بتدوين
الروايات على أسسٍ علميَّة محكمة.

فهل يحقُّ لأحد بعد ذلك اللُّوم والنقد والتجريح في التراث الروائي الذي وصل
إلينا من أمثال حديث الكساء، الذي يصدق من أوله لآخره بفضائلهم (عليهم
أفضل الصَّلاة السَّلام)؟!

ولو غضضنا النظر عن كلِّ ذلك لا نجد مبرراً للقدح في مضامين وحقائق هذا

الحديث الشريف، الموافق لمضامين الكتاب الكريم والسنة الشريفة.

٢. متن حديث الكساء البيهقي

ونقدم تبركاً نصّ حديث الكساء البيهقي كما ورد في المصادر المعتمدة له.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ، عَنِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ عَلَيْهَا السَّلَامُ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: سَمِعْتُ فَاطِمَةَ أُمًّا قَالَتْ: «دَخَلَ عَلَيَّ أَبِي رَسُولُ اللَّهِ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا فَاطِمَةُ، فَقُلْتُ: عَلَيْكَ السَّلَامُ، قَالَ: إِنِّي أَجِدُ فِي بَدَنِي ضَعْفًا، فَقُلْتُ لَهُ: أُعِيدُكَ بِاللَّهِ يَا أَبَتَاهُ مِنَ الضَّعْفِ، فَقَالَ: يَا فَاطِمَةُ، اتَّبِعِي بِالْكِسَاءِ الْبِيهَاقِيِّ فَعَطِّبِي بِهِ، فَاتَّبَعْتُهُ بِالْكِسَاءِ الْبِيهَاقِيِّ فَعَطِّبْتُهُ بِهِ وَصِرْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ وَإِذَا وَجْهُهُ يَتَلَاوَأُ كَأَنَّهُ الْبَدْرُ فِي لَيْلَةٍ تَمَامِهِ وَكَمَالِهِ.

فَمَا كَانَتْ إِلَّا سَاعَةً وَإِذَا بَوْلِدِي الْحَسَنِ قَدْ أَقْبَلَ وَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أُمَّهُ، فَقُلْتُ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا قُرَّةَ عَيْنِي وَتَمَرَةَ فُؤَادِي، فَقَالَ: يَا أُمَّهُ إِنِّي أَشْمُ عِنْدَكَ رَائِحَةً طَيِّبَةً كَأَنَّهَا رَائِحَةُ جَدِّي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَقُلْتُ: نَعَمْ، إِنَّ جَدَّكَ تَحْتَ الْكِسَاءِ، فَأَقْبَلَ الْحَسَنُ نَحْوَ الْكِسَاءِ، وَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا جَدَّاهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَأْذُنُ لِي أَنْ أَدْخُلَ مَعَكَ تَحْتَ الْكِسَاءِ؟ فَقَالَ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا وَلَدِي وَيَا صَاحِبَ حَوْضِي، قَدْ أَذِنْتُ لَكَ، فَدَخَلَ مَعَهُ تَحْتَ الْكِسَاءِ.

فَمَا كَانَتْ إِلَّا سَاعَةً، وَإِذَا بَوْلِدِي الْحَسَنِ قَدْ أَقْبَلَ وَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أُمَّهُ،

فَقُلْتُ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا قُرَّةَ عَيْنِي وَتَمَرَةَ فُؤَادِي، فَقَالَ لِي: يَا أُمَّاهُ إِنِّي أَسْمُ عِنْدَكَ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ كَأَنَّهَا رَائِحَةُ جَدِّي رَسُولِ اللَّهِ، فَقُلْتُ: نَعَمْ، إِنَّ جَدَّكَ وَأَخَاكَ تَحْتَ الْكِسَاءِ، فَدَنَا الْحُسَيْنُ نَحْوَ الْكِسَاءِ وَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا جَدَّاهُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَنْ اخْتَارَهُ اللَّهُ، أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَكُونَ مَعَكُمْ تَحْتَ الْكِسَاءِ؟ فَقَالَ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا وَلَدِي وَيَا شَافِعَ أُمَّتِي، قَدْ أَذِنْتُ لَكَ، فَدَخَلَ مَعَهَا تَحْتَ الْكِسَاءِ.

فَأَقْبَلَ عِنْدَ ذَلِكَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ، فَقُلْتُ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا أبا الْحَسَنِ وَيَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ: يَا فَاطِمَةُ إِنِّي أَسْمُ عِنْدَكَ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ كَأَنَّهَا رَائِحَةُ أَخِي وَابْنِ عَمِّي رَسُولِ اللَّهِ، فَقُلْتُ: نَعَمْ، هَا هُوَ مَعَ وَلَدِكَ تَحْتَ الْكِسَاءِ، فَأَقْبَلَ عَلِيٌّ نَحْوَ الْكِسَاءِ وَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَكُونَ مَعَكُمْ تَحْتَ الْكِسَاءِ؟ قَالَ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا أَخِي وَوَصِيِّي وَخَلِيفَتِي وَصَاحِبَ لِيوَانِي، قَدْ أَذِنْتُ لَكَ فَدَخَلَ عَلِيٌّ تَحْتَ الْكِسَاءِ.

ثُمَّ أَتَيْتُ نَحْوَ الْكِسَاءِ وَقُلْتُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَاهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَكُونَ مَعَكُمْ تَحْتَ الْكِسَاءِ؟ قَالَ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا بِنْتِي وَيَا بَضْعَتِي قَدْ أَذِنْتُ لَكَ، فَدَخَلْتُ تَحْتَ الْكِسَاءِ، فَلَمَّا اكْتَمَلْنَا جَمِيعاً تَحْتَ الْكِسَاءِ أَخَذَ أَبِي رَسُولَ اللَّهِ بِطَرَفِي الْكِسَاءِ وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ الِئْمَنَى إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي، وَخَاصَّتِي، وَحَامَتِي، لِحْمِهِمْ لِحْمِي، وَدَمُهُمْ دَمِي، يُؤَلِّئُنِي مَا يُؤَلِّئُهُمْ، وَيَحْزُنُنِي مَا يَحْزُنُهُمْ، أَنَا حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَهُمْ، وَسِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَهُمْ، وَعَدُوٌّ لِمَنْ عَادَاهُمْ، وَغِيْبٌ لِمَنْ أَحْبَبَهُمْ، إِنَّهُمْ

مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ، فَاجْعَلْ صَلَوَاتِكَ، وَبَرَكَاتِكَ، وَرَحْمَتَكَ، وَغُفْرَانَكَ، وَرِضْوَانَكَ، عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ، وَأَذْهَبْ عَنْهُمْ الرَّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً.

فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا مَلَائِكَتِي وَيَا سُكَّانَ سَمَاوَاتِي، إِنِّي مَا خَلَقْتُ سَمَاءَ مَبْنِيَّةً، وَلَا أَرْضاً مَدْحِيَّةً، وَلَا قَمَراً مُنِيراً، وَلَا شَمْساً مُضِيئَةً، وَلَا فَلَكَاً يَدُورُ، وَلَا بَحَراً يَجْرِي، وَلَا فَلَكَاً يَسْرِي، إِلَّا فِي حُبِّهِ هَؤُلَاءِ الْخَمْسَةِ الَّذِينَ هُمْ تَحْتَ الْكِسَاءِ.

فَقَالَ الْأَمِينُ جِبْرَائِيلُ: يَا رَبِّ وَمَنْ تَحْتَ الْكِسَاءِ؟

فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: هُمْ أَهْلُ بَيْتِ النَّبُوَّةِ، وَمَعِدِنُ الرِّسَالَةِ، هُمْ فَاطِمَةُ، وَأَبُوهَا، وَبَعْلُهَا، وَبَنُوهَا.

فَقَالَ جِبْرَائِيلُ: يَا رَبِّ، أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَهْبِطَ إِلَى الْأَرْضِ لِأَكُونَ مَعَهُمْ سَادِساً؟

فَقَالَ اللهُ: نَعَمْ، قَدْ أَذِنْتُ لَكَ، فَهَبْطِ الْأَمِينُ جِبْرَائِيلُ، وَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، الْعَلِيُّ الْأَعْلَى يُقْرِنُكَ السَّلَامُ وَيَخُصُّكَ بِالتَّحِيَّةِ وَالْإِكْرَامِ وَيَقُولُ لَكَ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي إِنِّي مَا خَلَقْتُ سَمَاءَ مَبْنِيَّةً، وَلَا أَرْضاً مَدْحِيَّةً، وَلَا قَمَراً مُنِيراً، وَلَا شَمْساً مُضِيئَةً، وَلَا فَلَكَاً يَدُورُ، وَلَا بَحَراً يَجْرِي، وَلَا فَلَكَاً يَسْرِي، إِلَّا لِأَجْلِكُمْ وَمَحَبَّتِكُمْ.. وَقَدْ أَذِنُ لِي أَنْ أَدْخُلَ مَعَكُمْ فَهَلْ تَأْذَنُ لِي يَا رَسُولَ اللهِ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ: عَلَيْكَ السَّلَامُ يَا أَمِينَ وَحِيَّ اللهُ، إِنَّهُ نَعَمْ قَدْ أَذِنْتُ لَكَ، فَدَخَلَ جِبْرَائِيلُ مَعَنَا تَحْتَ الْكِسَاءِ.

فَقَالَ لِأَبِي: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْحَى إِلَيْكُمْ يَقُولُ: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ (١).

فَقَالَ عَلِيُّ لِأَبِي: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي مَا لَجُلُوسِنَا هَذَا تَحْتَ الْكِسَاءِ مِنَ الْفَضْلِ عِنْدَ اللَّهِ.

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيًّا، وَاصْطَفَانِي بِالرَّسَالَةِ نَجِيًّا، مَا ذُكِرَ خَبَرْنَا هَذَا فِي مَحْفَلٍ مِنْ مَحَافِلِ أَهْلِ الْأَرْضِ، وَفِيهِ جَمْعٌ مِنْ شِيعَتِنَا وَمُحِبِّينَا، إِلَّا وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ الرَّحْمَةُ، وَخَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ، وَاسْتَغْفَرَتْ لَهُمْ إِلَى أَنْ يَتَفَرَّقُوا.

فَقَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِذَا وَاللَّهِ فُزْنَا وَفَارَزَ شِيعَتُنَا وَرَبَّ الْكَعْبَةِ.

فَقَالَ أَبِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: يَا عَلِيُّ وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيًّا وَاصْطَفَانِي بِالرَّسَالَةِ نَجِيًّا مَا ذُكِرَ خَبَرْنَا هَذَا فِي مَحْفَلٍ مِنْ مَحَافِلِ أَهْلِ الْأَرْضِ وَفِيهِ جَمْعٌ مِنْ شِيعَتِنَا وَمُحِبِّينَا، وَفِيهِمْ مَهْمُومٌ إِلَّا وَفَرَّجَ اللَّهُ هَمَّهُ، وَلَا مَغْمُومٌ إِلَّا وَكَشَفَ اللَّهُ غَمَّهُ، وَلَا طَالِبٌ حَاجَةٌ إِلَّا وَقَضَى اللَّهُ حَاجَتَهُ.

فَقَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِذَا وَاللَّهِ فُزْنَا وَسُعِدْنَا وَكَذَلِكَ شِيعَتُنَا فَارَزُوا وَسُعِدُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَرَبَّ الْكَعْبَةِ (٢).

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٢) عوالم العلوم الشيخ عبد الله البحراني، ١١: ٩٣٠-٩٣٤.

٣. الإشكالات الواردة على سند الحديث

أجمع المسلمون العامة والخاصة على صحة أصل حديث الكساء وفضل أصحابه، وبذلك يكون حجة عليهم جميعاً.. ولكنهم اختلفوا في التفاصيل، أمّا المتفق عليه عندهم بلا ريب، فهو الذي وقع في بيت أم سلمة ونزول آية التطهير في حق الخمسة، رسول الله، وعليّ، وفاطمة، والحسن، والحسين (صلوات الله عليهم).

أمّا القسم الثاني الذي وقع في بيت فاطمة عليها السلام، فقد أنكره السُّنَّة، وأمّا الشيعة فلهم رأيان في سنده، فذهب جماعة لتصحيحه، وأخرى لتضعيفه وأشكّلوا بأنّ هذا الحديث غير موجود في المجاميع الحديثية القديمة المتقنة، وقد أورده الشيخ الطريحي المولود في القرن العاشر في كتابه: (المتخب)، وتفرّد بروايته الشيخ عبد الله البحراني في القرن الحادي عشر في حاشية كتابه (العوامل)، وقالوا إنّ طريقة وصوله إليه بالوجدادة التي هي أضعف حلقات إسناد الحديث، وأنّ العلماء الذين في سند الحديث لم يرووه في كتبهم المعروفة من أمثال الكليني، وكذا السيد هاشم البحراني الذي وجد بخطه لم يروه في (تفسير البرهان)، كما أنّ أحد أفراد السند مجهول، وهو القاسم بن يحيى الجلاء، بالإضافة إلى وجود إشكالات في دلالة بعض ما ورد من عباراته، وعليه لا يمكن تصحيح هذا الحديث المتداول بهذا السند.

٤ . طرق سند الحديث

للحديث الشريف سبعة طرق نبعتها بإيجاز هنا، وهي:

الطريق الأول، ما رواه الشيخ عبد الله البحراني صاحب كتاب العوالم (القرن الحادي عشر)

قال: رأيت بخط الشيخ الجليل السيد هاشم (البحراني)، وقد أشكلوا عليه بأنه

كيف يضمن لنا أن الذي رآه هو خطُّ السيد هاشم البحراني؟

حيث قال: رأيتُ بخطَّ الشيخ الجليل السيد هاشم، عن شيخه السيد ماجد

البحراني، عن الحسن بن زين الدين الشهيد الثاني، عن شيخه المقدَّس الأردبيلي،

عن شيخه عليّ بن عبد العالي الكركي، عن الشيخ عليّ بن هلال الجزائري، عن

الشيخ أحمد بن فهد الحلّي، عن الشيخ عليّ بن الخازن الحائري، عن الشيخ ضياء

الدين عليّ بن الشهيد الأوّل، عن أبيه، عن فخر المحقّقين، عن شيخه العلامة الحلّي،

عن شيخه المحقّق، عن شيخه ابن نما الحلّي، عن شيخه محمّد بن إدريس الحلّي، عن

ابن حمزة الطوسي صاحب ثاقب المناقب، عن الشيخ الجليل محمّد بن شهر آشوب،

عن الطبرسي -صاحب الاحتجاج- عن شيخه الجليل الحسن بن محمّد بن الحسن

الطوسي، عن أبيه شيخ الطائفة، عن شيخه المفيد، عن شيخه ابن قولويه القميّ،

عن شيخه الكليني، عن عليّ بن إبراهيم، [عن أبيه إبراهيم] بن هاشم، عن أحمد بن

محمّد بن أبي نصر البزنطي، عن قاسم بن يحيى الجلاء الكوفي، عن أبي بصير، عن

أبان بن تغلب البكري، عن جابر بن يزيد الجعفي، عن جابر بن عبد الله الأنصاري،

عن فاطمة الزهراء عليها السلام بنت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ^(١).

الطريق الثاني، كما رواه الميرزا مهدي الشيرازي (القرن الرابع عشر)

وهو الذي رواه المرجعان المعاصران السيد محمد الحسيني الشيرازي، وأخوه السيد صادق الحسيني الشيرازي عن والدهما الميرزا مهدي الشيرازي، عن الشيخ عباس القمي بسنده إلى الشهيد الثاني، وهو يختلف عما رواه صاحب العوالم الشيخ عبد الله البحراني في بداية السند، ولكنه يلتقي معه عند الشهيد الثاني.

قال المرحوم السيد محمد الشيرازي: أما سند حديث الكساء فقد رواه والدي (رحمه الله) في رسالة مخطوطة له، بسند صحيح متصل الإسناد، وكل واحد منهم من الأعلام^(٢).

وقال السيد صادق الشيرازي: ومن جملة طرفي المذكورة ما أروي بها حديث الكساء الشريف، فإني أرويه عن والدي عن الشيخ عباس القمي عن الميرزا حسين النوري عن الشيخ مرتضي الأنصاري، عن المولى أحمد النراقي عن السيد بحر العلوم عن الوحيد البهبهاني، عن أبيه الشيخ محمد أكمل عن المولى محمد باقر المجلسي، عن أبيه المولى محمد تقي المجلسي، عن الشيخ البهائي، عن أبيه الشيخ حسين بن عبد الصمد، عن الشهيد الثاني، عن أحمد بن محمد بن خاتون، عن الشيخ

(١) عوالم العلوم الشيخ عبد الله البحراني، ١١: ٩٣٠-٩٣١.

(٢) من فقه الزهراء (عليها السلام)؛ السيد محمد الشيرازي، ١: ٩.

عبد العالي الكركي، عن علي بن هلال الجزائري، عن أحمد بن فهد الحلبي، عن الشيخ علي بن خازن الحائري، عن ضياء الدين علي بن الشهيد الأول، عن أبيه محمد بن مكّي العاملي، عن فخر المحققين، عن أبيه العلامة الحلبي، عن خاله المحقق الحلبي، عن ابن نما، عن محمد بن إدريس الحلبي، عن ابن حمزة الطوسي، عن محمد بن شهر آشوب، عن الطبرسي صاحب الاحتجاج، عن الحسن بن محمد بن الحسن الطوسي، عن أبيه شيخ الطائفة، عن الشيخ المفيد، عن الشيخ الصدوق، عن أبيه، عن علي بن إبراهيم (حيلولة)، وعن ابن قولويه، عن الشيخ الكليني، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه إبراهيم بن هاشم، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي، عن القاسم بن يحيى الجلاء الكوفي، عن أبي بصير، عن أبان بن تغلب، عن جابر بن يزيد الجعفي، عن جابر بن عبد الله الأنصاري (رضوان الله تعالى عليهم جميعاً) عن سيدتنا ومولاتنا الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنها قالت...^(١).

الطريق الثالث، كما نقله الشيخ الديلمي (القرن الثامن)

ما نقله أبو محمد الحسن الديلمي صاحب كتاب (إرشاد القلوب)، في كتابه: (غرر الأخبار وذُرر الآثار)، وهو أقدم كتاب نقل سند حديث الكساء، في القرن

(١) حديث كساء وآثار شگفت (باللغة الفارسية)، (حديث الكساء والآثار العجيبة): ٢٩.

الثامن الهجري، كما نقل ذلك المحقق محيي الدين الغريفي في كتابه (آية التطهير)^(١)، قال: رأيتُ النسخة الكاملة لحديث الكساء في هذا الكتاب في مكتبة شير محمد الهمداني، وقال: إن مؤسسة التحقيق في مكتبة العلامة المجلسي حصلوا على نسخة خطية من هذا الكتاب وهو قيد التحقيق.

وقال المحدث الشيخ عباس القمي في كتابه الفوائد الرضوية في هذا المورد: أبو محمد، عالم، عارف، محدث، كامل، ووجه نبيه، صاحب كتاب (إرشاد القلوب)، و(غرر الأخبار وذُرر الآثار)، و(أعلام الدين في صفات المؤمنين)، قال: حديث الكساء مشهور يُقرأ في مجالس الشيعة في ذلك العصر، ونقله الشيخ الطريحي من كتاب غرر الأخبار.

وكذلك أشار إليه الشيخ الماهر المحدث المعاصر صاحب كتاب (الكبريت الأحمر)، وقال في الروضات: كان هذا الشيخ في زمان العلامة أو الشهيد الأول أو متأخراً عنهما قليلاً، لرواية صاحب كتاب (عدة الداعي) باسم حسن بن أبي الحسن الديلمي...^(٢). ولوجود الاختلاف بين متن رواية المنتخب ورواية الديلمي يدلنا على وجود طرق أخرى مختلف للحديث^(٣).

(١) آية التطهير في الخمسة أهل الكساء، للسيد محيي الدين الموسوي الغريفي، طبع في النجف الأشرف ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م.

(٢) الفوائد الرضوية: ٩٤.

(٣) حديث كساء وآثار شگفت: ٢٠.

الطريق الرابع، كما نقله السيد المرعشي النجفي عن حسين العلويِّ الدمشقيِّ (القرن العاشر) ما ذكره آية الله العظمى السيد المرعشي النجفي في موسوعة إحقاق الحقِّ وملحقاته، بعدما نقل متن الحديث الشريف وذكر طبقات نقلة الحديث، وبعدهما أشار إلى المتن في المنتخب للطريحي، والمتن المنقول في العوالم في القرن الحادي عشر قال: من العلماء الذين نقلوا متن هذا الحديث في كتبهم هو المرحوم العلامة الجليل الديلمي صاحب (إرشاد القلوب) في كتابه (الغرر والدُرر) ما يقارب من نصفه، وآخر هو حسين العلويِّ الدمشقيِّ الحنفيِّ من أسرة نقباء الشام وقد رأيتُه بخطه^(١). وقد ذكر أيضاً في الموسوعة نفسها تحت عنوان (مدارك حديث الكساء وشأن نزول آية التطهير)، في باب (مَنْ صَرَّحَ بنزولها في حقِّهم واختصاصها بهم عليهم السَّلام، قال: ومنهم العلامة المحدث أبو محمَّد الحسين بن محمَّد بن أحمد العلويِّ الدمشقيِّ من أسرة نقباء الشام في كتاب (المناقب): رأيتُ بخطه الشريف رواية حديث الكساء وقد انتهى سنده إلى صفية بنت شيبه، وهي عن عائشة وكان الكتاب (سنة ٩٧٨ هـ)^(٢).

وقد أكَّد آية الله العظمى السيد محمَّد الشيرازي في سنده لحديث الكساء قائلاً: وكذلك نقله كلُّه الحسينُ العلويُّ الدمشقيُّ الحنفيُّ^(٣).

(١) إحقاق الحقِّ، السيد المرعشي النجفي، ٢: ٥٥٧.

(٢) إحقاق الحقِّ، ٢: ٥٢٣.

(٣) من فقه الزهراء عليها السَّلام، ١: ٥٣.

وهاتان الشهادتان من هذين العلمين لهما أهمية في دعم هذا الطريق، وبذلك يثبت أن صاحب المنتخب لم يتفرد بنقله، فهناك مَنْ هو أقدم منه وهو كتاب المناقب وصاحبه من محدثي السنة في القرن العاشر (٩٧٨هـ).

قال المرحوم آية الله السيد عباس الحسيني الكاشاني في (مصاييح الجنان) ضمن ذكره لنقله حديث الكساء المشهور: نقل المحدث الكبير السيد أبو محمد حسين بن محمد بن أحمد العلوي الدمشقي سند هذا الحديث بشكل متصل عن صفية بنت شيبه عن عائشة.

ثم قال: هذا الإشكال على هذا الحديث، وعلى بقية أحاديث وكتب الشيعة واستمراره، وإنكار الأعداء لها يحتاج إلى تأمل.

وهذا دليل آخر على مظلومية أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام على طول التاريخ، ولماذا كلما ذكرت فضائل هؤلاء العظماء يكون هناك تشكيك ومورد خدشة وقيل وقال؟!!

الطريق الخامس، نسخة خطية (من القرن الحادي عشر).

هناك نسخة خطية لهذا الحديث الشريف مع الترجمة في عام (١٠٣٣هـ) في مكتبة آية الله العظمى السيد المرعشي النجفي تحت رقم (٨٩٥٤)، وهي حسب رأي الخبراء قبل وفاة الشيخ الطريحي (٦٥ عاماً)، وهذا يستدعي التحقيق وسبباً

للقول بوجود سند غير سند الشيخ الطريحي لحديث الكساء^(١).

الطريق السادس: الشيخ الطريحي في المنتخب، (القرن الحادي عشر)

ما نقله فخر الدين الطريحي في المنتخب في القرن الحادي عشر صاحب الكتب التالية (مجمع البحرين)، و(تفسير غريب القرآن)، و(ضوابط الأسماء والرجال)، وكان في عصر العلامة المجلسي، وقد نقل عنه حديث الكساء في البحار^(٢) والعلامة البحراني في العوالم^(٣).

وقد أثنى عليه كبار علماء الشيعة، ولا يذكرونه إلا بالتجليل والتعظيم، ومن جملتهم آية الله المرعشي النجفي الذي يراه من الكبار حيث يقول عنه: العلامة جليل القدر، ثقة وثبت، فخر الدين محمد علي الطريحي الأسدي النجفي، صاحب (مجمع البحرين)^(٤).

الطريق السابع: الشيخ علي النقي الأحساني (القرن الثاني عشر)

في كتاب (نهج المحجّة في فضائل الأئمة)^(٥)، للشيخ علي النقي الأحساني في

(١) حديث كساء وأثار شگفت: ٢٤.

(٢) بحار الأنوار الشيخ المجلسي، ٤٤: ٢٤٢.

(٣) عوالم العلوم، ١٧: ١٠١-١٠٤.

(٤) ملحقات إحقاق الحق، ٢: ٥٥٧.

(٥) الذريعة، الشيخ آقا بزرك الطهراني، ٢٤: ٤٢٤.

القرن الثاني عشر، قال بعد أن نقل الحديث الشريف: (وروي حديث الكساء من طرقنا مبسوطاً مشتملاً على فضل شيعة آل محمد)، وهذا البيان يعطي الإشارة لوجود طرقٍ سنديّةٍ متعددة لهذا الحديث، وعند النظر لترجمة مقاطع هذا الحديث مع مقاطع نسخة العوالم نجد الفرق بينهما.

وتعدد مصادر الحديث الشريف في القرن الثاني عشر يكشف أنه كان معروفاً في ذلك الزمان^(١).

٥. تصحيح السند وردُّ الإشكالات

أولاً، الأعلام الذين صححوا سنده ووثقوا رواته^(٢)

صحح سند الحديث جملة من الأعلام منهم:

١- المرجع آية الله العظمى السيد محمد صادق الروحاني، قال: سند الحديث ابتداءً بصاحب العوالم (قدّس سره) وانتهاءً بالصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري (رضوان الله عليه) في غاية الاعتبار، وليس يوجد فيه من يمكن أن يُغمز في وثاقته إلا (القاسم بن يحيى)، والصحيح عندنا وثاقته لرواية البنزطي عنه، الذي

(١) حديث كساء وآثار شگفت، ٢٨.

(٢) اهتم مجموعة من العلماء والمحققين بتوثيق سند هذا الحديث والتحقيق في طرقه ورواته، ومن جملة الذين قاموا بجهد مشكور في التحقيق في وثاقه سلسلة هذا السند الشريف واحداً عن واحد هو الباحث الشيخ علي أصغر بور في كتابه المسمى: التحقيق حول سند حديث الكساء.

قد ثبت في حقه أنه لا يروي إلا عن ثقة، ومع الإغماض عن ذلك فإن صحة السند للبزنطي كافية لاعتباره، ولا حاجة للنظر في أحوال الواقعين بعده؛ لأنه أحد الذين أجمعت الطائفة على تصحيح ما صح عنهم، فسد الحديث صحيح بلا إشكال^(١).

٢- ومنهم المرجع المرحوم السيد محمد الحسيني الشيرازي في مقدمة شرح الحديث في كتابه فقه الزهراء (سلام الله عليها)، وقال: هذا السند في منتهى الجلالة ورجاله من كبار ومشاهير العلماء، أمّا القاسم بن يحيى فالصحيح عندنا تبعاً لجمع منهم صاحب الجواهر والعديد وغيره، اعتباره إذ هو من شيوخ البزنطي، والبزنطي صح أنه لا يروي إلا عن ثقة، وأمّا جابر ففيه قولان، وقد اعتبره جمع وهو الأصح، وقد نقل متن حديث الكساء أيضاً العلامة الثقة فخر الدين الطريحي الأسدي صاحب «مجمع البحرين» في كتاب «المنتخب الكبير»، وكذلك نقل ما يقرب من نصفه الديلمي صاحب «الإرشاد» في «الغرر والدرر»، وكذلك نقله كلاً الحسين العلويّ دمشقيّ الحنفيّ وكذلك آخرون، وهو من الاشتهار بحيث يغني عن تتبع السند^(٢).

ثانياً: المصنفون والعلماء الذين نقلوا الحديث

من العلماء والمحققين الذين اهتموا وعظّموا هذا الحديث ونقلوه في مصنفاتهم

(١) الموقع الإلكتروني لمكتب آية الله السيد الروحاني.

(٢) من فقه الزهراء عليها السلام، ١: ٥٣.

هم كل من:

١- الشيخ الطريحي الذي أورده في كتابه (المنتخب)، فإن العلماء وثقوه وقالوا عنه: رجل فقيه ومنتبّع ورجاليّ، وعنده طرق ومصادر لم تصل إلينا، ونقل عنه العلماء الروايات التي يوردها في مجمع البحرين التي لم ينقلها غيره.

فلا يمكن التشكيك في هذا العالم الكبير وفي نقله للحديث في منتخبه، ولا يمكن أن يغيب عنه موضوع السند، وهو رجل فقيه ومنتبّع في علم الرجال.

٢- الشيخ عبد الله البحراني الذي روى الحديث في (العوامل)، فقد ذهب العلماء بتوثيقه وقالوا عنه: من تلاميذ العلامة المجلسي، ومن مساعديه في موسوعة بحار الأنوار.

أمّا الإشكال عليه بأنّه (وجد بخط السيد أحمد الماجد) وهي أضعف حلقات الإسناد، فلا يقدر فيه؛ لكونه ذا علم وخبرة، وهو ممن يهتم بتوثيق الأخبار، فلا يمكن أن يغيب عنه هذا الأمر، ثمّ إنّ لم يتفرّد بسند الحديث، فهناك من روى الحديث قبله وهناك من العلماء من نقلوه في كتبهم، كما سنرى في العنوان القادم.

٣- المرحوم آية الله الشيخ محمّد تقّي بافقي اليزدي، من العلماء الزهاد المجاهدين، المتولد عام ١٢٩٢هـ في بافق، والمتوفى عام ١٣٦٥هـ في طهران، من تلاميذ السيّد اليزدي صاحب العروة، والآخوند الخراساني، لديه نسخ خطيّة من حديث الكساء نسخها من كتاب العوامل قبل طباعته.

٤- المرحوم المرجع السيد محمد الحسيني الشيرازي، وهو من العلماء المعاصرين والفقهاء الكبار وصاحب أكبر موسوعة فقهية في تاريخ التشيع، بلغت موسوعته ١٢٠ مجلداً، وضمن هذه الموسوعة، كتب عدّة مجلدات (من فقه الزهراء عليها السلام)، والأوّل منها قد نقل فيه سندين لهذا الحديث الشريف، الأوّل عن والده السيد مهدي الحسيني الشيرازي، والآخر سند كتاب العوالم^(١)، وقد اهتمّ بشرح الحديث وبيان الاستنباطات الفقهية والعقدية بشكل مفصّل.

٥- المرحوم المرجع آية الله المرعشي النجفي في موسوعة (إحقاق الحق وإزهاق الباطل) للشهيد قاضي نور الله الشوشتری، ضمن ملحقات التحقيق في باب مدارك حديث الكساء وشأن نزول آية التطهير، نقل فيه المتن الكامل من نسخة الشيخ محمد تقي بافقي اليزدي^(٢).

٦- المرحوم الشيخ محمد جواد الرازي والذي كان أمين عام حرم السيد عبد العظيم الحسيني، المتوفى في شهر ربي عام ١٣٤٤ هـ، نقل الحديث في كتابه (نور الآفاق)^(٣) عن نسخة الشيخ البافقي.

٧- السيد محمد الحسيني الميلاني في كتابه (قدیسة الإسلام)، ذكر الأسناد المتصلة

(١) من فقه الزهراء (عليها السلام)، ٩: ١.

(٢) إحقاق الحق وإزهاق الباطل، ٢: ٥٥٤.

(٣) ٤ طبعة طهران.

للسيدة الصديقة الزهراء (عليها السلام)، وفيه ذكر سند حديث الكساء المتصل بجابر الأنصاري عن فاطمة الزهراء عليها السلام بأربعة طرق عن مشايخهم الروائية وهم:

أ- عن طريق آية الله العظمى السيد الخوئي.

ب- عن طريق العلامة المتتبع الشيخ آقا بزرك الطهراني.

ج- عن طريق جده آية الله العظمى السيد الميلاني.

د- عن طريق آية الله العظمى السيد عبد الله الشيرازي^(١).

٨- المؤرخ الكبير المرحوم السيد عبد الرزاق الموسوي المقرّم، ذكر في كتابه (وفاة الصديقة الزهراء عليها السلام) حديث الكساء الشريف، وقال عن الطريحي: إن شيخنا الحجة المتتبع المتقن نادرة الدهر، ومفخرة العلماء الشيخ فخر الدين الطريحي النجفي أتحفنا بأبائاته في المنتخب ص ١٨٤ طبع النجف كما نزل به الوحي المبين، وتابعه العلامة الحجتان السيد آل عدنان آل شبر البحراني، والسيد محمد نجل آية الله السيد مهدي القزويني^(٢).

(١) قال: فأروي عن أستاذه الأعظم الخوئي عن مشايخه، وأروي عن الشيخ آغا بزرك الطهراني عن مشايخه، وأروي عن السيد الجدّ عن مشايخه، وأروي عن السيد عبد الله الشيرازي عن مشايخه، قدسية الإسلام، من نقل الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء عليها السلام: ١٩.

(٢) وفاة الصديقة الزهراء (عليها السلام) السيد عبد الرزاق المقرّم، ٤٤.

٩- المحقق المرحوم إسماعيل الأنصاري الزنجاني، في الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء عليها السّلام التي تحتوي على ٢٥ مجلداً، قال: متن حديث الكساء الكامل عن الشيخ البحراني بأسانيد صحيحة عن السيّد هاشم البحراني معنعناً إلى جابر بن يزيد الجعفي عن جابر بن عبد الله الأنصاري، عن فاطمة الزهراء عليها السّلام بمصادر كثيرة يقرب ثلاثين مصدراً^(١).

١٠- الشيخ محمد حسين السيستاني، روى الحديث في كتابه (الدرّة البيضاء) قال: سمعت عن السيد حسن بن السيد مرتضى اليزدي قال: روى صاحب العوالم في المجلد (٦٢)^(٢).

ثالثاً، العلماء الذين اعتنوا وعملوا به

١- آية الله الكلبيكاني

نقل بعض أقرباء آية الله الكلبيكاني حينما كان تواجهه مشكلة فإنّه يتوسل إلى الله تعالى بحديث الكساء لرفع مشكلته، وإذا جاء إليه أحد يشتكي من بعض مشاكله كان يعطيه حديث الكساء مكتوباً ويقول له: (التجى إلى الله لرفع مشكلتك بحديث الكساء)، وأيضاً حينما يأتي إليه بعض كبار مسؤولي الدولة ويبينون له أنّهم

(١) الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء (عليها السّلام)، ١٩: ٣٦٣.

(٢) الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء (عليها السّلام)، ١٩: ٤٧٤.

يواجهون مشكلة في الحرب كان يأمرهم بالتوسل به^(١).

٢ - الشيخ بهاء الديني

نقل أحد الشخصيات المهمة في الدولة، بعد أن بدأ حزب البعث الصدامي بضرب الصواريخ على مدينة قم المقدسة، وأخاف الناس آنذاك، أتيت إلى منزل الحاج رضا بهاء الديني وطلبت منه المساعدة فقال لي: حينما بدأ القصف جاء إلي بعض المؤمنين يطلبون مني المساعدة، وهم خائفون ومضطربون جداً، فبدأت بالتوسل إلى أئمة أهل البيت عليهم السلام وقلت في نفسي: إن الناس في خطر واضطراب فارتفعوا هذا الخطر والقلق عنهم حتى أشير إلي من سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام أن توسلوا إلى الله بقراءة حديث الكساء، فأمرت المؤمنين أن يقيموا في جميع المساجد مجالس ذكر خمسة آل العباء، بقراءة حديث الكساء ليكشف عنهم البلاء، فأقام الناس بعناية خاصة فارتفع عنهم قصف صدام.

والأعجب أنه نُقل من أحد طياري الطائرات الحربية الذي كان قد سقط في تلك المنطقة حينما كانوا يحققون معه قال: حينما كنا نحلّق في هذه المنطقة نرى تحتنا الماء وكأننا نسير على البحر، فكنا نقذف بالقنابل هكذا من دون أن نهدف إلى مكان معين. ولذلك كان يوصي لقضاء الحوائج ويقول: (هنالك تجارب كثيرة وصلت إلينا وبحسب الوجدان، صار لدي إحساس أن أفضل شيء لتسهيل وحلّ المشكلات

(١) حديث كساء وآثار شگفت، ٢٦٤.

المستعصية وقضاء الحوائج، الإتيان بهذه الأمور الأربعة:

(١) أن تنذر ذبيحة للفقراء.

(٢) قراءة حديث الكساء بشكل (مستمر).

(٣) دفع الصدقة.

(٤) ختم الصلوات (الصلاة على محمد وآل محمد)^(١).

٢- آية الله الشَّيْخ مهدي الحسيني الشيرازي

قال الشَّيْخ عليُّ الأبطحيُّ الموحَّد: كنت عند الشَّيْخ صادق الشيرازي فدار البحث حول حديث الكساء، فقال: كان والدي معتقداً بصحَّة سند حديث الكساء، وكان مداوماً على قراءته كلَّ يوم، فإذا لم يوفِّق لقراءته كلَّ يوم كان يقرأه في الأسبوع مرَّتين أو ثلاثاً.

وقال المرحوم الشَّيْخ محمَّد الشيرازي في كتابه من فقه الزهراء عليها السَّلام: أمَّا سند حديث الكساء فقد رواه والدي (رحمه الله) في رسالة مخطوطة له، بسند صحيح متَّصل الإسناد، وكلُّ واحد منهم من الأعلام^(٢).

(١) آية بصيرت (كتاب باللغة الفارسية)، (آية البصائر)، ٦٨.

(٢) من فقه الزهراء عليها السَّلام، ١: ٥٣.

٣- آية الله طبيب زاده

كان آية الله الحاج محمد طبيب زاده يوصي بقراءة حديث الكساء لقضاء الحوائج، حتى الذين كانت تواجههم مشاكل كبيرة وبلايا عظيمة أو كانت لديهم حاجة ملحة، كانوا يأتون إليه ويطلبون منه أن يقرأ حديث الكساء نيابة عنهم، وكان منتشرًا بين أهالي أصفهان الآثار العظيمة لحديث الكساء^(١).

٤- العلامة الطهراني صاحب كتاب الذريعة

العلامة الطهراني الذي كان له دور في حفظ وتجميع أسناد ومدارك حديث الكساء، يقول في الذريعة: (هذا الحديث الذي له شأن عظيم عند الشيعة ويتبركون به ويحفظونه عن ظهر القلب)^(٢).

٥- الشيخ فاضل القفقاзи^(٣)

قال السيد عليّ الموحد الأبطحي ذهب إلى منزل الشيخ فاضل اللنكراني في سنة ١٤٢٦ يوم ١٢ من ذي الحجة لأتحدث معه عن تحقيقاتي حول حديث الكساء، فمدحني على هذه المبادرة وقال: كان والدي مقيداً وملتزماً بقراءته في كل يوم^(٤).

(١) حديث كساء وآثار شگفت، ٢٦٧.

(٢) الذريعة، ٢٤: ٢٠٥.

(٣) هو آية الله فاضل القفقاзи والد المرجع السيد البروجردي، وله من المراتب العلمية والأخلاقية العالية.

(٤) حديث كساء وآثار شگفت، ٢٦٨.

٦- آية الله الأبطحي

كان المرحوم آية الله السيد مرتضى الموحّد الأبطحي مداوماً على قراءة زيارة عاشوراء، ودعاء العهد، ودعاء كميل، وحديث الكساء منذ شبابه، أمّا العناية الخاصّة التي كانت لديه لقراءة حديث الكساء إذا سمحت له الفرصة بالطريق أو أوقات فراغه، فيقرأه عن ظهر القلب، وبعدما توفي رآه شخص في المنام كان لديه ولد يعاني من تكلؤ واضطراب في النطق، فأمره بقراءة حديث الكساء عشرة أيام ليشفا فسُفي بركته، وكان من أخلاقه إذا راجعه أحد لبعض مشكلاته يوصيه بقراءته، أو كان يجلس معه ويقرأه له وبهذه الطريقة كان يدعو له بالشفاء^(١).

٧- سماحة السيد محمّد كاظم القزويني

كتب سباحته عن بركات حديث الكساء: (لقد جرت السيرة عند الشيعة - طوال القرون والعصور - على تلاوة حديث الكساء في المجالس والجامع والمحافل، للتبرك واستجابة الدعاء ونزول الرحمة الإلهية، وهنالك من الآثار العجيبة التي ظهرت ببركة تلاوة هذا الحديث الشريف، من شفاء المرضى وقضاء الحوائج ورفع الشدائد والمكاره)^(٢).

(١) حديث كساء وآثار شگفت، ٢٦٩.

(٢) فاطمة الزهراء (عليها السلام) من المهد إلى اللحد: ٨٣-٨٤.

٨- آية الله الحسيني الكاشاني

كتب في (مصابيح الجنان) عن موضوع حديث الكساء البيهقي، قائلاً: (حديث الكساء منقول في الكتب المعتبرة بأسناد صحيحة، وذو مرتبة عظيمة ومضامين عالية، وفيه عبارات متفرّدة يُقرأ للتبرُّك والتمنُّن وخصوصاً عند المصائب والبلايا ورفع الحوائج المتعسرة.

ومنذ القديم وإلى الآن إذا كانت لدى العلماء قضايا مهمّة يقرؤون هذا الحديث في مجالسهم قبل أن يتخذوا مواقف وقرارات مهمّة؛ لأنّ في هذا الحديث يقول: «ما دُكِرَ خَبَرْنَا هذا في مَحْفَلٍ مِنْ مَحَافِلِ أَهْلِ الْأَرْضِ وَفِيهِ جَمْعٌ مِنْ شِيَعَتِنَا وَمُحِبِّينَا... وَلَا طَالِبٌ حَاجَةٍ إِلَّا وَقَضَى اللَّهُ حَاجَتَهُ»، وكان الحديث يُقرأ أمام العلماء والمدققين والمحققين، وهذا يُعدُّ من أقوى الأدلّة على صحّته^(١).

٩- آية الله البيهقي

ضمن بحثه عن حديث الكساء بشكل مفصّل كتب ما مضمونه قائلاً: (الرواية المفصّلة المشهورة لحديث الكساء التي تُقرأ في المجالس وتقضى الحوائج بحسب التجربة، وإن لم ينقلها العلامة المجلسي في بحار الأنوار، ولا في سائر كتبه، ولا السيّد هاشم البحراني في كتاب تفسير البرهان، وسائر كتبه، ولكنها مشهورة في منتخب المراثي للشيخ الطريحي، وقد نقل الحديث قبله أبو محمّد حسب بن أبي

(١) حديث كساء وآثار شگفت، ٢٧٢.

محمد الحسن الديلمي صاحب (إرشاد القلوب)، الذي صنّفه في فصلين بشكل مفصّل، قد نقله العلامة المجلسي في كتابه بحار الأنوار في مجلد الفتن والمحن عنه، وكذا نقل كتابه الأنوار النعمانية، وأعلام الدين، وغرر الأخبار الذي فيه الحديث، وهو معاصر للشهيد الأوّل، حيث لم يكن هذا الكتاب موجوداً في دار العلامة المجلسي والبحراني؛ ولذلك لم يرويا عنه، فلا شكّ في صحّة نسبة الغرر إلى الشيخ الديلمي، وحيث لم يكن يردّ في الكتب الرجالية كروضات الجنات وغيره، لكنّ العلامة المجلسي صحّح نسبته إليه قائلاً: إنّ إرشاد القلوب وكتاب أعلام الدين وكتاب غرر الأخبار كلّها للشيخ العارف أبي محمد الحسن بن محمد الديلمي.

كما يستفاد من القرائن أيضاً أنّ الشيخ الطريحي بعد أن توصل إلى حديث الكساء نقله في الباب الثاني في المجلس الثاني، وهذا الشيخ الجليل معاصر للعلامة المجلسي، والمراد ببعض المؤمنين الذي يقول عنه العلامة المجلسي هو هذا الشيخ الجليل.

وقال المرحوم الملا محسن فيض في رسالة صلاة الجمعة: صار لي مدّة أقتدي بالشيخ فخر الدين الطريحي، وقال عنه العلامة البحراني: (كان عالماً ثقةً زاهداً، ولي منه إجازة)، فيكفي في صحّة روايتها مرسلًا^(١).

١٠- آية الله السيد كاظم اليزدي صاحب كتاب العروة الوثقى

ضمن أجوبة السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي صاحب كتاب العروة عن

(١) حديث كساء وآثار شگفت، ٢٧٣ عن الكبرى الأحمر در شرائط منبر، ٢٨٨.

صححة سند الحديث قال: أصل القضية الكسائية من المسلمات، كما نقل في أخبار كثيرة في ذيل آية التطهير، وهناك روايات كثيرة ومنها قوية بالصورة التي نقلها صاحب المنتخب، وإرسالها لا يضر بصحتها.

أما مكان هذه القصة ففيه أخبار مختلفة، ويستفاد من بعضها أنها كانت في بيت أم سلمة، وهناك خبر أنها وقعت في بيت زينب زوجة النبي صلى الله عليه وآله، وهناك خبر أنها وقعت في المسجد... وخبر المنتخب أنها وقعت في بيت فاطمة عليها السلام لا يسبب التعارض، ويمكن رفع هذا الاختلاف بأنها وقعت بشكل مكرر في أماكن متعددة قبل وبعد نزول آية التطهير.

وأما اختلاف الأخبار في خصوص نوع الكساء الذي تجمعوا تحته بأنها خيرية، أو أنها فديكة، أو كوفية، وعبر عن بعضها أنها (خبيصة سوداء)، وفي خبر المنتخب أنها يمانية، فذلك نستطيع أن نرفع الخلاف بأنها وقعت متعددة، وأحدها وقع في بيت فاطمة عليها السلام.

أما الإشكال في عدم استجابة الدعاء وهو منافٍ لمضمون آخر الخبر، والذي يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما ذكّر خبرنا هذا في محفلٍ من محافل أهل الأرض وفيه جمع من شيعتنا ومحبينا، وفيهم مهمومٌ إلا وفرّج الله همّه، ولا مغمومٌ إلا وكشف الله غمّه، ولا طالبٌ حاجةٍ إلا وقضى الله حاجته».

فيجاب عنه: بأن عدم استجابة الدعاء ربياً لعدم وجود الشرائط، أو وجود

موانع الاستجابة، وهذا الإشكال لا يختصُّ بحديث الكساء فقط، بل يرد على آيات القرآن أيضاً.

قال السيد الأبطحي: ولأهمية حديث الكساء في نظر صاحب العروة نقله في نهاية كتابه^(١).

١١ - آية الله المرعشي النجفي

كتب السيد عن حديث الكساء في حاشية كتاب (أدعية وزيارات) الذي نشرته مؤسسة الانتشارات (جاويدان) في سنة ١٣٧٠ هـ. ق: قصة حديث الكساء واجتماع أهل البيت عليهم السلام تحت الكساء ونزول آية التطهير من المسلمات عند العامة والخاصة، فليس له محل للتشكيك^(٢).

وقد نقلنا عن سماحته السند الرابع للحديث كما جاء في كتابه إحقاق الحق وتفصيل كلامه فليراجع ما تقدّم من حديث.

١٢ - آية الله السيد محمد الروحاني

نقل أحد طلابه في درس الخارج عنه قائلاً: في عقيدته أنّ حديث الكساء يمكن

(١) حديث كساء وأثار شگفت، ٢٧٥، عن كراس سؤال وجواب (فارسي) للسيد كاظم اليزدي، ٤٤٤.

(٢) إلا ما أثبتت به الأمة من هؤلاء المهرجين والخواارج من أتباع ابن عبد الوهاب وابن تيمية الذين يُنكرون أوضح الواضحات، ويُثبتون أنكر المنكرات التي تنال من رسول الله وأهل بيته الأطهار (عليهم السلام) ممّا رواه أصحاب المجاميع لديهم من الاسرائيليات وأحاديث المنافقين والدجالين.

أن نقول بصحته واعتباره من طريقين، أحدها طريق السند، وثانيها طريق المتن، كما قال ابن أبي الحديد: إن عبارات الخطبة الشقشقية تدل على صحة صدورها عن أمير المؤمنين عليه السلام^(١)، وكذلك القول في قوة متن ومضامين حديث الكساء والآثار والبركات المشاهدة من الحديث الشريف بأن نقوي صدوره من جانب المعصوم عليه السلام^(٢).

خامساً، فتاوى المراجع العظام في صحة حديث الكساء

الأول، آية الله العظمى الشيخ محمد تقي بهجت

- ١- نقل حديث الكساء في كتاب العوالم برواية وسند معتبر.
- ٢- حديث الكساء لا ضعف في مضامينه، بل إن مضامينه السامية تدل على صدوره من المعصوم، بل هو من معجزات سيدتنا الزهراء عليها السلام.
- ٣- قراءة حديث الكساء مؤثر في جميع الحالات، ولكل الحاجات وحل المشكلات المهمة بشكل إعجازي^(٣).

قال السيد الأبطحي: نقل لي بعض الأصدقاء بأن أحد المحققين الذين لا

(١) شرح ابن أبي الحديد، ١: ٢٠٥، حيث قال: أين الرضي ولغير الرضي بهذا النفس وهذا الأسلوب.

(٢) حديث كساء وآثار شگفت، ٢٧٨.

(٣) حديث كساء وآثار شگفت، ٢٨٠.

يعتقدون بأنَّ حديث الكساء صادر عن الصديقة عليها السَّلام، حدثت له مشكلة وقد حضر في مجلس الدعاء المجرب في منزل الشيخ بهجت، وقد قرأ له حديث الكساء لرفع مشكلته.

ونقل السيّد الأبطحي هذا الموقف أيضاً في أيام مرض المرجع التبريزي، عقد الشيخ بهجت مجلس دعاء من أجل شفائه في المسجد الأعظم، وقد أمر بأنَّ يقرأ حديث الكساء، ولكنَّ بعض طلبة العلم تحت تأثير رأي المخالفين حاول منع قراءة الحديث، ولما وصل الخبر للشيخ بهجت قال: إذا لم يقرأ حديث الكساء فمن الأفضل أن لا يعقد مجلس الدعاء، وتحت قاعدة لكلِّ فعل ردّة فعل أجبر أولئك على تنفيذ قرار الشيخ، وعُقد مجلس الدعاء وقُرئ حديث الكساء بحضور العلماء والمرجع والزائرين في حرم السيّدة فاطمة المعصومة عليها السَّلام^(١).

الثاني، آية الله العظمى السيّد محمّد علي الحسيني العلوي الكركاني

١- يظهر أنَّ سند حديث الكساء له اعتبار كما جاء في كتاب العوالم في المجلد

الثاني عشر.

٢- ذكر مضمون أصل واقعة الكساء في روايات مختلفة.

٣- لا إشكال في قراءة حديث الكساء، وبالأحرى أن نقول: إنَّ التوسُّل به من

المجربات في حلِّ مشكلات المؤمنين والمؤمنات، وأنَّ الله سبحانه وتعالى يشملها

(١) حديث كساء وآثار شگفت، ٢٨٠.

بالعناية واللفظ وقضاء الحوائج^(١).

الثالث، آية الله العظمى السيد صادق الشيرازي،

الحديث له سند معتبر.

ومضافاً إلى عدم ضعفه بأن تتضمن كلُّ فقرة منه مضامين لروايات متواترة بمختلف أنواعه.

ليس فيه شوائب بل يسبب القرية إليه تعالى والسعادة في الدنيا والآخرة وشفاعة الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام^(٢).

الرابع، آية الله العظمى الميرزا جواد التبريزي

أجاب الشيخ التبريزي على استفتاء حول حديث الكساء في أواخر عمره الشريف قائلاً: (حديث الكساء معروف ومجرب، والعلماء يعملون به، ونقله في الكتب لا يُبطل الصيام، ولا إشكال في إلحاقه في كتاب مفاتيح الجنان).

وقال أيضاً في محضر جمع من أساتذة الحوزة العلمية رداً عن أسئلتهم: (هنالك أحد الأفراد المعروفين الذي يظهر منه الجهد والبحث وهو صاحب مؤلفات كثيرة يقول بشكل متكرر: حديث الكساء جزء من معتقدات الشيعة الاثني عشرية،

(١) حديث كساء وآثار شگفت، ٢٨١.

(٢) المصدر نفسه.

والمنكر لذلك عليه بالاستغفار^(١) حتى يرحمه الله تعالى وينجيه في ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾^(٢)^(٣).

الخامس، آية الله العظمى السيد صادق الروحاني

١- سند حديث الكساء الكامل موجود في المجلد الثاني في شرح كتاب إحقاق الحق.

٢- لم أر عند تفحصي لمحتوى الحديث أيّ وضوح لضعفه.

٣- قراءة هذا الحديث في أيام شهر رمضان لا يبطل الصيام^(٤).

وقد وجّه جماعة إلى السيد رحمه الله أسئلة تتعلق بسند الحديث وعن بعض الشبهات المثارة في عباراته، وقد تفضّل بالجواب عن الاستفتاء، وهو منشور على موقعه الإلكتروني.

استفتاء:

في ظلّ التشكيك في سند حديث الكساء المعروف في المنتخب والعوالم، هل

(١) لعلّ مراد المتكلم من لزوم الاستغفار لأنّه يعدّ منكراً لفضائل أهل البيت التي وردت في الحديث الشريف كمقام الطهارة وكونهم نفس النبيّ وكون محبتهم علّة خلق هذا الوجود، والتي سوف نشير إليها في الفصل الثاني.

(٢) سورة الشعراء، الآيتان: ٨٨-٨٩.

(٣) حديث كساء وآثار شگفت، ٢٧٧.

(٤) المصدر نفسه: ٢٨٢.

تذهبون إلى تصحيح سنده وتوثيق رواته؟ وما رأيكم في دلالة الحديث؟ ولماذا ابتداء الله بفاطمة عليها السلام وجعلها محوراً لجبرئيل، ولم يتدئ بالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله لأنه أفضل الموجودات؟ وما سرُّ استئذان جبرئيل مرةً أخرى من النبي الأعظم صلى الله عليه وآله في الدخول تحت الكساء بعد استئذانه من الله تعالى؟

جواب:

باسمه جلّت أسماؤه:

١- سند الحديث ابتداءً بصاحب العوالم (قُدّس سرّه) وانتهاءً بالصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري (رضوان الله عليه) في غاية الاعتبار، وليس يوجد فيه مَنْ يمكن أن يُعْمَز في وثاقته إلا (القاسم بن يحيى)، والصحيح عندنا وثاقته لرواية البرنظي عنه، الذي قد ثبت في حقه أنه لا يروي إلا عن ثقة، ومع الإغماض عن ذلك فإن صحّة السند للبرنظي كافية لاعتباره، ولا حاجة للنظر في أحوال الواقعين بعده؛ لأنه أحد الذين أجمعت الطائفة على تصحيح ما صحَّ عنهم، فسند الحديث صحيح بلا إشكال^(١).

٢- مضامين الحديث الشريف عالية جداً، وما اشتمل عليه من الفضائل والكمالات لمحمّد وآله عليهم السلام، ممّا استفاضت به الأحاديث الكثيرة والمعتبرة، فلا سبيل للتشكيك في شيء من مضامينه وما دلَّ عليه.

(١) الموقع الإلكتروني للسيد صادق الروحاني.

٣- ولعلَّ النكته في الابتداء باسم الصديقه الطاهرة عليها السَّلام، هي كونها العقد الجامع بين نوري النبوة والإمامة، فإنَّ الاستفادة من روايات عالم الأنوار أنَّ النورين الشريفين كانا نوراً واحداً يتقلَّب في أصلاب الطاهرين، حتَّى انتهى إلى صلب سيِّدنا الأعظم عبد المطلب عليه السَّلام، فقَسَّمه الله تعالى إلى نصفين، أحدهما في سيِّدنا عبد الله عليه السَّلام وهو نور النبوة، والآخر في صلب مولانا أبي طالب عليه السَّلام وهو نور الإمامة، وما زالا مفترقين حتَّى التقيا مرَّةً أُخرى في الصديقه الطاهرة الزهراء (أرواحنا فداها)، فصارت ملتقى النورين، ومجمع البحرين، ومجلى المقامين؛ ولذا تمَّ الابتداء بذكرها قبل الابتداء بذكر كلِّ واحد من النورين مستقلاً؛ لكونها المحور الذي يدور النوران في محيط دائرته.

٤- ولعلَّ الوجه في تجديد طلب الإذن من النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، بعد طلبه من الله سبحانه وتعالى بالمباشرة، هو أنَّ الكينونة تحت الكساء مرتبة لم ينلها إلاَّ محمَّد وآله عليهم السَّلام، وما كان يخطر في نفس جبرئيل عليه السَّلام على عظمتهم أنَّ يفوز بالوصول إلى تلك المرتبة؛ ولذا كان يكرر الاستئذان من أجل الاستيقان بأنَّه قد وصل إليها، كما ومن المحتمل أيضاً، أنَّ يكون الإذن الإلهي معلقاً بشكلٍ طولي على إذن نبيِّه الأعظم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فلزم على جبرئيل أن يعيد الاستئذان، لكون إذن الله تعالى معلقاً على إذن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

السادس، آية الله العظمى السيد محمد الشيرازي.

يستحب رواية حديث الكساء بصورة خاصّة، وقد جرت عادة كثير من المؤمنين منذ مئات السنين على رواية هذا الحديث في المحافل والمجامع بقصد التبرك وقضاء الحوائج^(١).

يستحب جمع جمع من الشيعة لإقامة ذكر حديث الكساء كما يجتمعون لزيارة عاشوراء ودعاء كميل^(٢).

السابع، آية الله العظمى السيد محمد الشاهرودي

سُئِلَ السَّيِّدُ: هل حديث الكساء الموجود في مفاتيح الجنان صحيح السُّنَدُ أم لا؟ وهل يوجد في مضمونه غلو في أهل البيت؟

فأجاب: أمّا أصل حديث الكساء فهو متَّفَقٌ عليه بين الفريقين، وقد روي في صحاح العامّة وكتب الخاصّة.

وبعد ما أورد الأحاديث من صحاح العامّة قال: وأمّا الدعاء المعروف بحديث الكساء فلا بأس بقراءته رجاءً للمطلوبيّة والثواب وترتيب الأثر الدنيويّ والأخروي، بل نقل: أنّ صاحب العوالم بسند صحيح وليس فيه غلو، بل مضمونه وارد في روايات أهل البيت عليهم السّلام، بل حتى في روايات أهل السُّنَّة، فقد

(١) من فقه الزهراء عليها السّلام، ١: ٥٩.

(٢) من فقه الزهراء عليها السّلام، ١: ٢٦٧.

روي رواية عن أبي هريرة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَتَضَمَّنُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ آدَمَ بِالتَّوَسُّلِ بِالْخَمْسَةِ الطَّيِّبَةِ وَأَوْحَى إِلَيْهِ أَنَّهُ لَوْلَاهُمْ لَمَا خَلَقْتُكَ وَمَا خَلَقْتُ الْخَلْقَ^(١).

ثمَّ إِنَّهُ لَا يَتَنَافَى مَضْمُونُهَا مَعَ مَا وَرَدَ فِي أَحَادِيثِ السُّنَّةِ وَالشَّيْعَةِ مِنْ أَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلْمَةَ، وَكَانَتْ قِصَّةَ حَدِيثِ الْكِسَاءِ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلْمَةَ؛ لِأَنَّ الظَّاهِرَ مِنْ مَجْمُوعِ الرِّوَايَاتِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَرَادَ أَنْ يُوَكِّدَ عَلَى طَهَارَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَعِصْمَتِهِمْ فَتَكَرَّرَ نَزْوُلُ الْآيَةِ، فَمَرَّةً كَانَتْ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلْمَةَ وَأُخْرَى فِي بَيْتِ عَائِشَةَ، وَثَالِثَةً فِي بَيْتِ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ، وَلَعَلَّهَا نَزَلَتْ الْمَرَّةَ الرَّابِعَةَ، وَالْخَامِسَةَ، كُلُّ ذَلِكَ لِتَسْجِيلِ الْعِصْمَةِ وَالتَّأْكِيدِ عَلَيْهَا؛ وَلِذَا نَرَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ يَأْتِي صَبَاحاً كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بَيْتِ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ وَيَقُولُ: «الصَّلَاةُ الصَّلَاةُ» إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً^(٢)، إِلَى سِتَّةِ أَشْهُرٍ، وَكَانَ غَرَضُهُ تَثْبِيتَ هَذَا الْمَطْلَبِ وَالتَّأْكِيدِ عَلَيْهِ كَمَا لَا يَخْفَى^(٣).

الثامن، آية الله العظمى الشيخ لطف الله الصالحي الكلبيكاني

س: ما رأيكم في سند حديث الكساء الذي يُقرأ بين عموم الناس؟

ج: أصل اجتماع تلك الأنوار الخمسة الطيبة والشخصيات الكبيرة تحت الكساء

(١) الغدير للشيخ الأميني، ٢: ٣٠٠.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٣) حديث كساء وآثار شگفت، ٢٨٧.

ونزول آية التطهير في حقهم من الأمور المسلّمة والقطعيّة حسب الروايات المتكررة، ومن جملتها هذه الرواية المشهورة التي تقرأ والمنقولة بسند من عوالم العلوم.. وعلى كلّ حال قراءة الرواية بذلك اللفظ لا إشكال فيه ولا يعتبر من مصاديق الكذب على الله ورسوله، ونفيه جزماً لا وجه له، بل هو من مصاديق ذكر فضائل رسول الله وأهل بيته (صلوات الله عليهم أجمعين) والمواظبة عليه راجح ٢٨ من شهر محرّم الحرام (١٤٢٩هـ) (١).

التاسع، آية الله العظمى الشيخ حسين الوحيد الخراساني

وجّه إليه مجموعة من المقلّدين والمريدين سؤالاً يتعلّق بهذا الحديث الشريف:
آية الله العظمى الشيخ وحيد الخراساني (مُدَّ ظُلُّهُ)، بعد التحيات الوافرة، نعزيكم بشهادة الصديقة الكبرى فاطمة عليها السّلام، مع العذر إذا ترون من الصّلاح أن تعطون رأيكم في حديث الكساء المنقول في كتاب المنتخب، وكتاب العوالم للمرحوم البحراني، والذي كان مشهوراً منذ قديم الزمان بين الفقهاء والعلماء والصالحين وأهل الدعاء، (خاصّة سيد الفقهاء المرحوم الحاج سيد محمّد كاظم اليزدي أعلى الله مقامه)، وآثاره وبركاته مشاهدة ومجربة.

الجواب: بسمه تعالى، صدور أصل حديث الكساء ودلالته من أهل بيت العصمة غير قابل للإنكار، وقراءته بتلك الكيفيّة المذكورة في بعض كتب الحديث

(١) حديث كساء وآثار شگفت، ٢٩٠.

رجاء من مصاديق أخبار مَنْ بلغ، وهناك أيضاً كم سند له قوي، ١٦ جمادى الأولى
١٤٣٢ هـ^(١).

العاشر: آية الله العظمى الشيخ محمد السند

سؤال: ما رأيكم شيخنا الجليل بحديث الكساء؟

الجواب:

١- أصل حديث الكساء متواتر بين الفريقين وهذه بعض الطرق في التفسير
المنسوب للإمام العسكري عليه السلام وفي مناقب ابن شهر آشوب:

أ- التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ص ٣٧٦
في ذيل قوله تعالى في سورة البقرة الآية ٨٧ قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى
الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ
أَفَكُلَّمَا جَاءَكَ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِّقُوا كَذِبْتُمْ وَفَرِّقُوا
تَقْتُلُونَ﴾، وَأَمَّا تَأْيِيدُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِرُوحِ الْقُدُسِ، فَإِنَّ جَبْرَائِيلَ
هُوَ الَّذِي لَمَّا حَضَرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهُوَ قَدْ اشْتَمَلَ بِعِبَائِهِ الْقَطَوَانِيَّةَ
عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى عَيْلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالْحُسَيْنَ وَالْحَسَنَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ
أَهْلِي، أَنَا حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَهُمْ، وَسِلْمٌ لِمَنْ سَأَلَهُمْ، مُحِبٌّ لِمَنْ أَحَبَّهُمْ، وَمُبْغِضٌ لِمَنْ

(١) حديث كساء وآثار شگفت، ٢٩٥.

أَبْغَضَهُمْ، فَكُنْ لِي حَارِبَهُمْ حَرْبًا، وَلِيْنَ سَالِمَهُمْ سَلَامًا، وَلِيْنَ أَحَبَّهُمْ مُحِبًّا، وَلِيْنَ أَبْغَضَهُمْ مُبْغِضًا فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: «قَدْ أَجَبْتُكَ إِلَى ذَلِكَ يَا مُحَمَّدُ».

فَرَفَعَتْ أُمَّ سَلَمَةَ جَانِبَ الْعِبَاءَةِ لِتَدْخُلَ، فَجَذَبَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَقَالَ: لَسْتَ هُنَاكَ وَإِنْ كُنْتَ فِي خَيْرٍ وَإِلَى خَيْرٍ.

وَجَاءَ جَبْرِئِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُتَدَبِّرًا وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ اجْعَلْنِي مِنْكُمْ! قَالَ: أَنْتَ مِنَّا.

قَالَ: أَفَأَرْفَعُ الْعِبَاءَةَ وَأَدْخُلُ مَعَكُمْ؟ قَالَ: بَلَى.. فَدَخَلَ فِي الْعِبَاءَةِ، ثُمَّ خَرَجَ وَصَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ إِلَى الْمَلَكُوتِ الْأَعْلَى، وَقَدْ تَضَاعَفَ حُسْنُهُ وَبَهَاؤُهُ.

وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: قَدْ رَجَعْتَ بِجَهَالٍ خِلَافَ مَا ذَهَبْتَ بِهِ مِنْ عِنْدِنَا! قَالَ: وَكَيْفَ لَا أَكُونُ كَذَلِكَ وَقَدْ شَرَّفْتُ - بِأَنْ جُعِلْتُ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ! قَالَتِ الْأَمْلاكُ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ - وَالْحُجُبِ وَالْكَرْسِيِّ وَالْعَرْشِ: حَقُّ لَكَ هَذَا الشَّرْفُ أَنْ تَكُونَ كَمَا قُلْتَ».

ب- وقال للحبيب: «لَوْلَاكَ لَمَا خَلَقْتُ الْأَفْلَاكَ»، مناقب آل أبي طالب عليهم السلام (لابن شهر آشوب)، ج ١، ص ٢١٨، خلق الجليل العالم لأجل الحبيب.

ج- التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري عليه السلام، ص ٤٥٨:

«ثُمَّ دَعَا بِعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالحَسَنِ وَالحُسَيْنِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَعَمَّتُهُمْ، «فَعَمَّتُهُمْ»،

«فغطاهم» بعباءته القبطوانية، ثم قال: هؤلاء خمسة لا سادس لهم من البشر. ثم قال: أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم. قالت أم سلمة: ورفعت جانب العباءة لتدخل، فكفها رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: لست هناك - وإن كنت في خير وإلى خير. فانقطع عنها طمع البشر.

وكان جبرئيل معهم، فقال: يا رسول الله وأنا سادسكم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

نعم أنت سادسنا. فارتقى السماوات، وقد كساه الله من زيادة الأنوار ما كادت الملائكة لا تبيته - حتى قال: يخ يخ من مبلي أنا جبرئيل سادس محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وذلك ما فضل الله به جبرئيل على سائر الملائكة - في الأرضين والسماوات».

د- التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري عليه السلام ص ١٢١: وقال فيه: «سلمان من أهل البيت»، فقرنه بجبرئيل الذي قال له يوم العباءة [لما] قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: وأنا منكم فقال: «وأنت منّا»، حتى ارتقى جبرئيل إلى الملكوت الأعلى يفتخر على أهله [و] يقول: من مبلي يخ يخ، وأنا من أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله».

وظاهر الرواية أن المفاد النبوي مشتهر بين أصحابه صلى الله عليه وآله؛ لأن الكلام هو لرأس المنافقين مما سمعه عن النبي صلى الله عليه وآله.

٢- وتعددت طرقه بين الفريقين لأنَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَقَدَ هَذَا الْمَجْلِسَ تَحْتَ الْكِسَاءِ فِي مَوَاطِنَ عَدِيدَةٍ يَوْمَ الْمَبَاهِلَةِ، وَفِي خَيْرٍ، وَفِي بَيْتِ أُمِّ سَلْمَةَ، وَفِي بَيْتِ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ وَغَيْرَهَا مِنَ الْأَمَاكِنِ وَالْأَزْمَانِ.

٣- إِنَّ مَفَادَ جُمْلِ الْحَدِيثِ كُلِّهَا مَطَابِقَةٌ لِمَفَادِ رَوَايَاتِ مُسْتَفِيضَةٍ مَطَابِقَةٌ لِأَصُولِ الْمَذْهَبِ.

٤- مَتْنُ الْحَدِيثِ الْمَتَدَاوِلِ عِلَاوَةً عَلَى مَا ذَكَرَ مِنْ سِنْدِ صَاحِبِ عَوَالِمِ الْعَوَالِمِ، فَإِنَّهُ عُثِرَ آخِرًا كَمَا نَشَرَ أَحَدُ الْفَضْلَاءِ رَوَابِطَ نَسْخِ صُورِ كَتَبٍ عَلَى الْإِنْتَرْنَتِ مِنْ مَصَادِرٍ وَنَسْخِ خَطِيَّةٍ، حَيْثُ رُوِيَ فِيهَا قَرِيبٌ مِنْ مَتْنِهِ فِي مَخْطُوطَاتٍ لِعَلِيٍّ الشَّيْبَةِ الْإِمَامِيَّةِ مَطَابِقَةٌ لِحَدِيثِ الْكِسَاءِ الْمَفْصَّلِ.

أ- إِحْدَاهَا مِنَ الْمَخْطُوطَةِ تَعُودُ إِلَى الْقَرْنِ التَّاسِعِ أَوْ الْعَاشِرِ الْهَجْرِيِّ بِحَسَبِ خَبْرَاءِ الْمَخْطُوطَاتِ، مَصْدَرُهَا مِنْ بِلَادِ الْيَمَنِ، مَحْفُوظَةٌ فِي مَكْتَبَةِ بَرْنَسْتُونِ فِي أَمْرِيكََا.

ب- وَنَسْخَةٌ ثَانِيَةٌ فِي الْفَاتِيكَانِ، نَسْخَةٌ خَزَانَةُ مَكْتَبَةِ الْفَاتِيكَانِ، صُورَتَهَا فِي مَرْكَزِ الْمَلِكِ فَيَصِلُ فِي مَدِينَةِ الرِّيَاضِ، خَزَانَةُ التَّرَاثِ، وَالْكِتَابُ مِنْ أَبْنَاءِ الْعَامَّةِ، وَالرَّوَايَةُ فِيهَا مَطَابِقَةٌ لِحَدِيثِ الْكِسَاءِ الْمَفْصَّلِ، وَتَخْتَلِفُ أَلْفَاظُهَا قَلِيلًا عَنِ رَوَايَةِ الشَّيْبَةِ الْإِمَامِيَّةِ، وَلَكِنَّ الْمَضْمُونِ وَاحِدٌ.

ج- وَثَالِثَةٌ فِي مَكْتَبَةِ الْأَحْقَافِ فِي الْيَمَنِ، يَنْتَظَرُ وَصُولَهَا.

٦- صححة مضامينه

صححة مضامين الحديث تُعني عن البحث عن سنده، فعند التأمل في الحديث الشريف نجد أنَّ جميع مضامين فقراته موافقة لما جاء في تراثنا الروائي، وهذا ما سوف نجده في طيات البحث.

وقد أكد كثير من الأعلام المعاصرين صححة مضامين الحديث المبارك كما قرأنا في الأسطر السابقة ومن جملتهم الشيخ بهجت، قال: (حديث الكساء لا ضعف في مضامينه، بل إنَّ مضامينه السامية تدلُّ على صدوره من المعصوم، بل هو من معجزات سيدتنا الزهراء عليها السَّلام)^(١).

وقال المرجع السيد صادق الشيرازي: (ومضافاً إلى عدم ضعفه بأنَّه تنضمَّن كلُّ فقرة منه مضامين لروايات متواترة بمختلف أنواعه)^(٢).

٧- دلالة حديث الكساء

كما هو معلوم أنَّ المتَّفَق عليه من الفريقين في حديث الكساء أمور:

١- الاتفاق على أصل حادثة الكساء بين المسلمين سواء قلنا بتعدد وقوع حديث

الكساء أم لا.

(١) حديث كساء وآثار شگفت، ٢٨٠.

(٢) المصدر نفسه، ٢٨١.

٢- وانفقوا أيضاً على أن آية التطهير نزلت في واقعة الكساء في حق الخمسة من أهل البيت عليهم السلام، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله كسا أهل بيته فقط ولم يدخل غيرهم تحت الكساء.

٣- وكذلك اتفقوا على أن الواقعة حدثت في بيت أم سلمة، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يدعها تدخل معهم تحت الكساء وقال لها: «أنت على خير، وإلى خير».

٤- وأخير الاتفاق على أن الغاية من هذه الحادثة ونزول آية التطهير لتثبيت فضيلة الطهارة من الرجس، وهذه هي الدلالة المتفق عليها بين الفريقين. ومن المعلوم أن كل الوقائع المروية في حديث الكساء سواء اتفق على صحته صدورها أم لا، فهي تنفق على ثبوت أصل الدلالة والغاية من الحدوث. وأما المختلف عليه فهي أمور:

واختلف الفريقان في تفصيل دلالته وفي توسعة الأفراد الداخلين في آية التطهير التي هي غاية حادثة الكساء، حيث ذهب علماء السنة للقول: إن آية التطهير ثبتت لأهل البيت فضيلة الطهارة ولا تثبت لهم العصمة، ثم قالوا بتوسعة الآية لتشمل نساء النبي صلى الله عليه وآله، يقولون بأن طبيعة الحال هي أن الزوجات من أهل بيت الرجل.

ولكن علماء الشيعة يقولون بحصر آية التطهير في الخمسة فقط، ولا يشمل الزوجات للأدلة الكثيرة، ولكن حكمها يشمل بقية الأئمة التسعة من ولد الحسين عليهم السلام، ليصبحوا أربعة عشر معصوماً بالعصمة التامة والطهارة، كما دلت عليهم نصوص الكتاب والسنة.

ويرى الشيعة أن النبي صلى الله عليه وآله مَيَّز هؤلاء الخمسة فقط دون غيرهم وأخرج منهم زوجته، ثم دعا الله أن يطهرهم فنزلت الآية تقول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(١).

فمن وجهة نظر الشيعة طهر الله أهل الكساء وشهد لهم بالطهارة المطلقة وهي تُرادف العصمة التامة.

ومما تمسك به الشيعة لحصر مصاديق أهل البيت، هو فعل النبي صلى الله عليه وآله بعد نزول الآية، حيث كان يمرُّ بباب فاطمة عليها السلام ستة أو تسعة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر ويقول: «يا أهل البيت، الصلوا، الصلاة، يا أهل البيت: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾»^(٢)، وهذا ممَّا اتفق عليه الشيعة والسنة.

رغم اتفاق السنة في شمول أهل البيت زوجات النبي صلى الله عليه وآله، لكن

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

اختلفوا هل هذه الفقرة من الآية تشمل جميع أهل البيت، أو تختص بأصحاب الكساء، فأكثرُ المفسرين على أنَّها نزلت في عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السَّلام) لتذكير ضمير (عنكم) وما بعده^(١).

أمَّا حديث الكساء البيهقي الفاطمي والذي نحن بصدد بحثه وإن اختلف في صدوره، إلا أنَّ دلالاته تتفق مع دلالة حديث أم سلمة، وأنَّ المضمون الرئيسي هو إبلاغ المسلمين بأنَّ منزلة أهل البيت عليهم السَّلام في مقام الطهارة والعصمة كمنزلة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى، وأنَّهم مصطفون لولاية الأُمَّة كولاية رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

٨- تعدد الواقعة ونزول آية التطهير

هل هذا الحديث الذي وقع في بيت فاطمة عليها السَّلام يتعارض مع الحديث المشهور في بيت أم سلمة؟ في الجواب عن هذا الإشكال نقول:

نقلت لنا النصوص الشريفة أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قام بتجليل أهل بيته عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السَّلام وهو معهم بالكساء في مواقف وأماكن وأزمان متعددة، ليُظهر للعالم فضائلهم ومقاماتهم عند الله عزَّ وجلَّ، فقد جاء في الروايات من طريق العامَّة عدَّة أماكن، وعن طريق أهل البيت عليهم السَّلام عدَّة مواقف وهي:

(١) يأتي تفصيل ذلك عند البحث عن آية التطهير في الفصل الثالث.

الأول: في بيت أم سلمة^(١)، والذي رواه أكثر من ثلاثين راوياً.

الثاني: عند خروجه لمباهلة نصارى نجران^(٢)، الذي رواه أمير المؤمنين وأولاده المعصومون عليهم السلام.

الثالث: في بيت علي وفاطمة (عليهما السلام) عند استلقائهم للنوم، المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام^(٣).

(١) وهو الحديث المشهور المجمع عليه بين طوائف المسلمين الذي وقع في بيت أم سلمة زوج الرسول (صلى الله عليه وآله)، والذي روي من ثلاثين طريقاً وما يقارب سبعين حديثاً، لما نزلت آية التطهير، فطلب رسول الله علياً وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) وغطى أهل بيته بالكساء وتلا الآية المباركة. وسيأتي البحث مفصلاً في محله.

(٢) حيث جليل أهل بيته علياً وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) بالكساء عند خروجه لمباهلة نصارى نجران في الواقعة المعروفة، فقد روى الشيخ الصدوق عن الإمام موسى بن جعفر عليها السلام أنه أجاب هارون في مجلسه عن سؤاله كيف صرتم من أبناء رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ فقلت: «أزِيدُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟»، قَالَ هَاتِ، قُلْتُ: «قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَمَنْ حَاجَبْتِ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَانَا وَأَبْنَاكُمْ وَنِسَانَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾، وَلَمْ يَدْعُ أَحَدٌ أَنَّهُ أَدْخَلَ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) تَحْتَ الْكِسَاءِ عِنْدَ الْمَبَاهِلَةِ لِلنَّصَارَى إِلَّا عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَفَاطِمَةُ وَالحَسَنُ وَالحُسَيْنُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فَكَانَ تَأْوِيلُ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿أَبْنَانَا﴾ الحَسَنُ وَالحُسَيْنُ ﴿وَنِسَانَنَا﴾ فَاطِمَةُ ﴿وَأَنْفُسَنَا﴾ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (عليهم السلام)، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ١: ٨٥.

(٣) روى الشيخ الصدوق في الخصال بسنده عن أمير المؤمنين (عليه السلام): «وَأَمَّا الشُّعُونَ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) نَامَ وَتَوَمَّنِي وَرَوَّجَتْنِي فَاطِمَةُ وَابْنَتِي الحَسَنُ وَالحُسَيْنُ وَأَلْقَى عَلَيْنَا عَبَاءَةً قَطَوَاتِيَّةً، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيْنَا: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ النَّبِيِّ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، وَقَالَ جَبْرِئِيلُ (عليه السلام): أَنَا مِنْكُمْ يَا مُحَمَّدُ، فَكَانَ سَادِسْنَا جَبْرِئِيلَ (عليه السلام). الخصال، ٢: ٥٨٠.

الرابع: في بيت سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السَّلَام، المروي عن جابر بن عبد الله الأنصاري عن فاطمة الزهراء عليها السَّلَام^(١).

وأما التي عن طريق العامة فهي كالتالي:

الأول: في بيت أم سلمة، روى عنها الفريقان روايات عديدة، وهذا الحديث هو المشهور المتفق عليه بين الفريقين وإن اختلفوا في التوصيفات والجزئيات^(٢).

الثاني: في بيت صفية، عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب^(٣).

(١) وهو الحديث المشهور عند الشيعة الذي رواه جابر الأنصاري عن فاطمة سيدة نساء العالمين عليها السَّلَام، والذي نحن بصدد بحثه مفصلاً في هذا الكتاب.

(٢) عن وائلة بن الأسقع قال: أتيت علياً فلم أجده، فقالت لي فاطمة: انطلق إلى رسول الله يدعوه، فجاء مع رسول الله فدخلنا ودخلت معها فدعا رسول الله الحسن والحسين فأقعد كلاهما على فخذه وأدنى فاطمة من حجره وزوجها ثم لفَّ عليهم ثوباً وقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ النَّبِيِّ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، ثم قال: «هؤلاء أهل بيتي اللهم أهل بيتي أحق». راجع شواهد التنزيل: ٢: ٥٦: ٧٠٧، جامع البيان ١٢: ١١: ٢١٧٣٩ وسنن الترمذي ٥: أبواب المناقب: ٣٢٨، كفاية الطالب ٢، تفسير الطبري ٢٢: ٨، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢: ٤٨٥.

(٣) عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب أنه قال: لما نظر رسول الله إلى الرحمة هابطة قال: «ادعوا لي ادعوا لي» فقالت صفية: «من يا رسول الله؟» قال: «أهل بيتي علياً وفاطمة والحسن والحسين»، فجاء بهم، فألقى عليهم النبي كساءه ثم رفع يديه ثم قال: «اللهم هؤلاء آلي، فصل على محمد وآل محمد»، وأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ النَّبِيِّ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، مستدرک الصحيحين ٣: ١٤٧.

الثالث: في بيت عائشة، بروايتها^(١).

الرابع: المكان غير محدد، برواية أبي بكر^(٢).

الخامس: في بيت زينب زوجة النبي صلى الله عليه وآله^(٣).

(١) عن عائشة أنها قالت: خرج رسول الله غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله ثم قال: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾، صحيح مسلم، ٤، باب فضائل أهل البيت (عليهم السلام)، والمستدرک للحاکم النیسابوری والمستدرک علی الصحیحین للذهبي، ٣ باب مناقب أهل بيت الرسول، ٩: ١٤٧، والدرر المشور، ٦: ٦٠٥؛ ومسند أحمد ٦: ١٦٢ ولكن يد الحيانة بترت الحديث فيه من بعد كلمة «مرجل» فجاء الحديث ناقص المعنى!!، مصنف ابن أبي شيبة، ٧: ٥٠١، ب ١٨، ح ٣٩، وسنن الكبرى للبيهقي، ٢ باب بيان أهل بيته الذين هم آله، ١٤٣.

(٢) عن زيد بن يثيع قال: سمعت أبا بكر يقول: رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال - وقد خيم خيمة وهو متكئ على قوس عربيّة وفي الخيمة علي وفاطمة والحسن والحسين - عليهم السلام: «أنا سلم لمن سالم أهل الخيمة حرب لمن حاربهم، ولي لمن والاهم، لا يجههم إلا سعيد الجذ طيب الموليد، ولا يغيضهم إلا شقي الجذ رديء الولادة». فقال رجل: يا زيد أنت سمعت من أبي بكر هذا؟ قال: إي ورب الكعبة. رواه الخوارزمي في المناقب، ٢١١ وفي مقتل الحسين، ١: ٤ عن العلامة الزمخشري عن علي بن مردك الرازي عن أبي سعد السمان، ورواه الحموي في فرائد السمطين، ٢: ٣٩، ح ٣٧٣ بطريقتين عن الخوارزمي.

(٣) عن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر الطيار، عن أبيه قال: لما نظر النبي (صلى الله عليه وآله) إلى جبرئيل هابطاً من السماء - قال: «من يدعو لي من يدعو لي»، فقالت زينب: أنا يا رسول الله. فقال: «اذعي لي علياً وفاطمة وحسناً، فجعل حسناً عن يميني وحسيناً عن يساره وعلياً وفاطمة تحاهمهم، ثم عشاهم بكساء خيري» - وقال: «اللهم إن لكل نبي أهلاً، وإن هؤلاء أهلي» - فأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ الآية - فقالت زينب: يا رسول الله ألا أدخل معكم؟ قال: «مكأنك فإنك على خير إن شاء الله». شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، ٢: ٨٤.

السادس: في بيت الصديقة فاطمة عليها السلام بعدة طرق، ومنها رواية عطية^(١)،
ومنها رواية ربعي بن جراش^(٢)، ومنها رواية وائلة الأسقع^(٣).

(١) عن عطية قال: دخل النبي (صلّى الله عليه وآله) على فاطمة وهي تعصد عصيدة فجلس حتى بلغت وعندها الحسن والحسين، فقال النبي (صلّى الله عليه وآله): «أرسلوا إلى علي»، فجاء وأكلوا ثم اجتر بساطاً كانوا عليه فجللهم به، ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»، فسمعت أم سلمة فقالت: يا رسول الله وأنا معهم؟! فقال: «إنك على خير». أخرجه أبو موسى باب العين والفاء أسد الغابة، ٣: ٤١٣. أقول: هذه الرواية مع اختصارها ولكنها قريبة من مضمون رواية جابر عن فاطمة (عليها السلام).

(٢) أخبرنا أبو الحسن الجار قال: أخبرنا أبو الحسن الصفار، قال: حدثنا قنم قال: حدثنا عسان بن الربيع قال: حدثنا عبيد بن طفيل أبو سيدان، قال: حدثنا ربعي بن جراش عن فاطمة ابنة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أنها أتت النبي (صلّى الله عليه وآله) فبسط لها ثوباً - فأجلسها عليه ثم جاء ابنها حسن فأجلسه معها، ثم جاء حسين فأجلسه معها ثم جاء علي فأجلسه معهم - ثم ضمّ عليهم الثوب ثم قال: «اللهم هؤلاء مني وأنا منهم - اللهم ارض عنهم كما أراهم راضين». [و] حدثني أبو عمرو اللخيان قال: أخبرنا أبو بكر الشيباني قال: أخبرنا عبد الله الشريقي قال: حدثنا محمد بن يحيى قال: حدثنا أبو نعيم قال: حدثنا عبيد بن طفيل قال: سمعت ربعي بن جراش قال: بلغني أن علياً دخل على النبي (صلّى الله عليه وآله) فأخذ النبي شملة ط [بجسامها] ففقدتها - ففقد علي فاطمة وحسن وحسين فأخذهم جميعاً ط [بمجاميعها] ففقد - أو فقدتها - فقال: «اللهم هؤلاء مني وأنا منهم - فأرض عنهم كما أراهم راضين». شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، ٢: ٨٤. والحديثان رواهما أيضاً السيد أبو المعالي محمد بن محمد بن زيد العلوي المتوفى سنة (٤٧٨) في المجلس (١٣) من كتاب عيون الأخبار - الورق ٤١ - ب - قال أخبرنا أبو علي بن شاذان، أبانا أبو سهل بن زياد القطان، حدثنا محمد بن غالب، حدثنا عسان بن الربيع. ورواهما أيضاً الطبراني في كتاب الأوسط، كما في باب مناقب أهل البيت من تجمّع الروايد: ج ٩ ص ١٦٩، قال: ورجاله رجال الصحيح غير عبيد بن طفيل وهو ثقة كنيته أبو سيدان.

(٣) قال السيوطي في الدر المنثور، ١٥: ٤، وأخرج ابن أبي شيبة، وأحمد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن

ولعلّ هناك روايات تعبر عن مواقف أخرى لم أقف عليها، وقد قام (صلّى الله عليه وآله) بتجليل أمير المؤمنين عليه السّلام لوحده بالكساء أيضاً في مواقف مهمّة.

ربّما يقال: ما الغاية من تعدد واقعة حديث الكساء وتعدد آية التطهير؟

وهل يوجد مسوغ شرعيّ في تعدد وقائع في قضية واحدة أو تعدد نزول الآية

الواحدة؟ وهل حدث ذلك في تاريخ التشريع؟

هذا مورد بحث عند الشيعة والسنة، ففي كتاب (الإتقان في علوم القرآن) لجلال

السيوطي ذكر قسماً من الآيات النازلة أكثر من مرّة.

وعلى الرغم من اتّفاق السنة على صحّة حديث الكساء في بيت أمّ سلمة إلا أنّه

تعددت رواياتهم وأقوالهم في وقائع وأماكن حديث الكساء أكثر من الشيعة.

وهناك من حاول الجمع بين المرويّات باحتمال تعدد الوقوع مثل المحبّ الطبري

أبي حاتم، والطبراني، والحاكم، وصحّحه، والبيهقي في سننه عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه،

قال: جاء رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى فاطمة عليها السّلام -، ومعه الحسن والحسين وعليّ

عليهم السّلام -، حتّى دخل فأدنى عليّاً وفاطمة وأجلسهما بين يديه، وأجلس حسناً وحسيناً

كلّ واحد منها على فخذه، ثمّ لفّ عليهم ثوباً ثمّ تلا هذه الآية: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ

الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ . وقال: «اللهمّ هؤلاء أهل بيتي، اللهمّ أذهب عنهم الرّجس وطهرهم

تطهيراً». الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور، المجلد، ١٢: ٤١، نشر مركز هجر للبحوث والدراسات

العربية والإسلامية. وراجع المصادر التالية: صحيح مسلم، ٤: ٢٢٩، نشر دار الخیر دمشق،

التفسير الكبير للفخر الرازي، ٨: ٨٥، سنن الترمذي، ٥: ٣٥١، نشر دار إحياء التراث العربي

بيروت، المستدرک علی الصحیحین، ٣: ١٤٨، نشر دار الفكر بيروت.

وابن حجر الهيتمي، وهناك من أخذ بأحد الأقوال معتمداً إلى القرائن.

وقد ثبت عندهم وعندنا أنَّ حديث الثقلين: قاله رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي مواطن متعددة: «إِنِّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إنْ تمسَّكتم بهما لن تضلُّوا...»^(١).

وقد ثبت أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: «من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه»^(٢)، أكثر من مرَّة، وإن اشتهرت قضية غدِير خم.

وكذلك حديث: «أنت منِّي بمنزلة هارون من موسى»^(٣)، وهو موجود في مصادر أهل السُّنَّة في أكثر من خمسة عشر موطناً.

فإذا ثبت ذلك، فلا نستبعد تعدد وقوع حديث الكساء وتعدد نزول آية التطهير أكثر من مرَّة، وبذلك يرتفع الإشكال الوارد على هذا الحديث، بأنَّه يتعارض مع ما أجمع عليه المسلمون بأنَّ حديث الكساء وقع في بيت أمِّ سلمة، ونزلت حينها آية التطهير، لعدم المنع في التشريع من تكرار نزول الآيات بحسب المناسبات وتكرار صدور الأحاديث من رسول الله وأهل بيته (صلوات الله عليهم) في قضية واحدة. وعليه فإنَّ حديث الكساء الذي وقع في بيت فاطمة عليها السَّلَام لا يتعارض

(١) كتاب سليم بن قيس الهلالي، ٢: ٦٤٧.

(٢) تفسير القمي، ١: ١٧٤.

(٣) كتاب سليم، ٢: ٥٦٩.

مع الحديث الصحيح المشهور في بيت أم سلمة، فلو رويت الوقائع كلها في زمان واحد، وفي مكان واحد مع اختلاف الحاضرين في الكساء، أو اختلاف الآية النازلة فيهم، أو كل واحدة تنفي الأخرى لأمكن القول بالتعارض.

وهناك قاعدة عند علماء أصول الفقه مفادها: (أن لا تعارض في المثبتات)، فووق حادثين في مكانين مختلفين في مضمون واحد لا توجبان التعارض، طالما لا يوجد تكاذب وتهافت، فكلنا الحادثتين تصبآن في الوادي نفسه، وكل واحدة تقوي الأخرى.

كما أن تعدد الوقوع ربما للتأكيد بعد التأكيد لأهمية القضية، ولتثبيت قاعدة دينية كطهارة وعصمة أهل البيت عليهم السلام في أذهان المسلمين.

وربما يتعدد الوقوع لغاية رفع الشك عند البعض وإقامة الحجّة عليهم، ولكون شهادتهم معتبرة عند من يتبعونهم.

ولعل الأمر يتعلق بتثبيت قلب النبي صلى الله عليه وآله وتقوية قلبه، أو مواساته في أهل بيته لما يقع عليهم من الظلم، وهذا ثابت في آيات القرآن وكذا في السنة^(١).

(١) هذه الرواية واحدة من النماذج: فعن سعيد بن المسيّب عن ابن عباس قال: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان جالسا ذات يوم وعنده علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) فقال: «اللهم إنك تعلم أن هؤلاء أهل بيتي وأكرم الناس علي، فأحب من أحبهم وأبغض من أبغضهم، ووال من والاهم وعاد من عاداهم، وأعين من أعانهم، واجعلهم مطهرين من كل رجس، مغضوبين من كل ذنب، وأبدنهم بروح القدس منك»، ثم قال (صلى الله عليه وآله): «يا علي أنت

وقد يكون لتقوية قلوب المحبين الذين يُظلمون ويُضطهدون في طريق أهل البيت عليهم السَّلام.

وهذا الاحتمال يقوِّيه ما ورد في فقرات الحديث وطريقة خطاب النبي (صلى الله عليه وآله) المعبر عن الألم والمواساة «اللهم هؤلاء أهل بيتي.. يؤلمني ما يؤلمهم ويحزنني ما يحزنهم.. أنا حرب لمن حاربهم».

وكذا ما ورد في ذيل الحديث الشريف في سؤال أمير المؤمنين عليه السَّلام: «ما

إِنَّمَا أُمْنِي وَخَلِيفَتِي عَلَيْهَا بَعْدِي، وَأَنْتَ قَائِدُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْجَنَّةِ، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى ابْنَتِي فَاطِمَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى نَجِيبٍ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِهَا سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ وَعَنْ بَسَارِهَا سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ وَبَيْنَ يَدَيْهَا سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، وَخَلْفَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، تَقُودُ مُؤْمِنَاتٍ أُمْنِي إِلَى الْجَنَّةِ، فَأَكْبَرُ امْرَأَةً صَلَّتْ فِي النَّوْمِ وَاللَّيْلَةِ خَمْسَ صَلَوَاتٍ وَصَامَتْ شَهْرَ رَمَضَانَ وَحَجَّتْ بَيْتَ اللَّهِ الْحَرَامَ، وَزَكَتْ مَالَهَا وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا وَوَالَّتْ عَلَيَّأَ بَعْدِي، دَخَلَتْ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ ابْنَتِي فَاطِمَةَ، وَإِنَّهَا لَسَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَهِيَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ عَالَمِيهَا؟ فَقَالَ (صلى الله عليه وآله): «ذَلِكَ لِرَبِّمَ بِنْتِ عِمْرَانَ، فَأَمَّا ابْنَتِي فَاطِمَةَ فَهِيَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَإِنَّهَا لَتَقُومُ فِي مِحْرَابِهَا قَبْلَهُمْ عَلَيْهَا سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ، وَيُنَادُونَهَا بِمَا نَادَتْ بِهِ الْمَلَائِكَةُ مَرْيَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا فَاطِمَةُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ»، ثُمَّ انْتَفَتْ إِلَى عَلِيٍّ (عليه السَّلام) فَقَالَ: «يَا عَلِيُّ إِنَّ فَاطِمَةَ بَضْعَةٌ مِنِّي وَهِيَ نُورٌ عَيْنِي وَتَمْرَةٌ فُوَادِي، يَسُوءُنِي مَا سَاءَهَا وَيَسُرُّنِي مَا سَرَّهَا، وَإِنَّهَا أَوْلُ مَنْ يَلْحَقُنِي مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَأَحْسِنْ إِلَيْهَا بَعْدِي، وَأَمَّا الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ فَهُمَا ابْنَايَ وَرَبِّحَاتَايَ، وَهُمَا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَلْيُكْرِمَا عَلَيَّكَ كَمَا تَكْرِمَانِي وَبَصْرَكَ»، ثُمَّ رَفَعَ (صلى الله عليه وآله) يَدَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أُشْهِدُكَ أَنِّي مُحِبٌّ لِمَنْ أَحَبَّهُمْ وَمُبْغِضٌ لِمَنْ أَبْغَضَهُمْ، وَسَلِّمْ لِمَنْ سَلَّمَ وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَهُمْ وَعَدُوٌّ لِمَنْ عَادَاهُمْ وَوَلِيٌّ لِمَنْ وَالَاهُمْ»، (الأمالي للصدوق)، ٤٨٧.

لجلوسنا هذا من الفضل عند الله؟».

ثمَّ جواب النبيِّ (صلى الله عليه وآله) الذي يعطي فيه بشارة وتقوية لقلوب أهل بيته وشيعتهم: «ما ذَكَرَ خَبَرْنَا هَذَا فِي مَحْفَلٍ مِنْ مَحَافِلِ أَهْلِ الْأَرْضِ وَفِيهِ جَمْعٌ مِنْ شِيعَتِنَا وَمُحِبِّينَا، وَفِيهِمْ مَهْمُومٌ إِلَّا وَفَرَجَ اللَّهُ هَمَّهُ...».

ثمَّ تأكيد أمير المؤمنين عليه السَّلام: «إِذَا وَاللَّهِ فَرَجْنَا وَسَعَدْنَا، وَكَذَلِكَ شِيعَتُنَا فَارَزُوا وَسَعَدُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ»^(١).

ويعزَّز هذه الاحتمالات مجيء رسول الله صلى الله عليه وآله كلَّ يوم عند أوقات الصَّلَاة إلى بيت فاطمة عليها السَّلام، وهو يتلو آية التطهير لمُدَّة لا تقل عن ستة أشهر على رواية العامَّة، وأمَّا روايات أهل البيت إلى آخر عمره الشريف أو تسعة أشهر.

وما يقوِّي هذه الاحتمالات أيضاً هو تعدد الرواة الذين شهدوا الواقعة بأنفسهم، فكلُّ واحد يروي بكيفيَّة معينة وفي مكان معين أو اختلاف نوعيَّة الكساء.

فتارةً يكون الراوي هي أمُّ سلمة، ولها وصف خاص في ترتيب مجيء النبيِّ وأهل بيته (صلوات الله عليهم)، وتارةً يكون الراوي وائلة بن الأسقع الذي روى كيفيَّة معينة في مجيء الخمسة إلى بيت أمِّ سلمة ولفَّ عليهم ثوبه، وتارةً أخرى يكون الراوي جعفر بن أبي طالب بأنَّ الحديث وقع في بيت صفيَّة أو بيت زينب.

(١) عوالم العلوم للبحراني، ١١: ٩٣٤.

وتارة رابعة تروي عائشة أنه خرج صباحاً وعليه مرط مرجل من شعر أسود، ولم تحدد المكان الذي تمت فيه الحادثة، وكأنتها تشير إلى بيتها، ولعل مرادها في بيت أم سلمة، ولكنها لم ترد أن تصرّح بشكل واضح لحاجة في نفس يعقوب.

وتارة يكون الراوي أبا بكر ويصف بشكل خاص، ولم يحدد المكان.

ولعل تسمية الكساء البياني وبيان نوعيته من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله عندما قال لفاطمة عليها السلام: «إيتيني بالكساء البياني»، للتفريق بينه وبين الكساء الخيري الذي كسا به أهل بيته في بيت أم سلمة، وهو غير الكساء الآخر الذي كسا به النبي صلى الله عليه وآله أهل بيته مرة أخرى في بيت فاطمة عليها السلام عند اسلتقائهم للنوم، والذي سماه أمير المؤمنين عليه السلام عباءة قطوانية^(١)، وهو غير الكساء الذي كسا به النبي صلى الله عليه وآله أهل بيته عند نزول آية المباهلة كما يبدو، حيث لم يحدد نوعه^(٢)، وأمّا الكساء الذي ذكرته عائشة فهو: (مرط مرجل من شعر أسود)^(٣)، وهو غير ما ذكره أبو بكر بأن النبي صلى الله عليه وآله: (خيم خيمة)^(٤)، على أهل بيته.

فظهر أن تعدد نوع الكساء وصفته واختلاف أماكن تجليل النبي صلى الله عليه وآله

(١) الخصال للصدوق، ٢: ٥٨٠.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ١: ٨٥.

(٣) صحيح مسلم، ٤: ١٨٣، باب فضائل أهل البيت.

(٤) رواية الخوارزمي عن زيد بن يسع.

وآله لأهل بيته عليهم السَّلام يدلل على تعدد وقوع حادثة الكساء، وعندئذ لا تعارض في البين، فيمكن القول: إنَّ أصل الحادثة وأوَّل نزولِ لآية التطهير نزلت في بيت أمِّ سلمة كما صرَّحت في الروايات المروية عنها^(١)، من الفريقين ثمَّ تكرر نزولها أيضاً في بيت فاطمة عليها السَّلام للأسباب التي أشرنا إليها.

وهذا ما أكد عليه آية الله العظمى السَّيد محمَّد الشاهرودي في جواب له عن سؤال وجَّه إليه حول حديث الكساء: (ثمَّ إنَّه لا يتنافى مضمونها مع ما ورد في أحاديث السُّنَّة والشيعة، من أنَّ الآية نزلت في بيت أمِّ سلمة، وكانت قصة حديث الكساء في بيت أمِّ سلمة؛ لأنَّ الظاهر من مجموع الروايات أنَّ الله تعالى أراد أن يؤكِّد على طهارة أهل البيت عليهم السَّلام وعصمتهم، فتكرر نزول الآية، فمرة كانت في بيت أمِّ سلمة، وأخرى في بيت عائشة، وثالثة في بيت فاطمة عليها السَّلام، ولعلَّها نزلت المرَّة الرابعة، والخامسة، كلُّ ذلك لتسجيل العصمة والتأكيد عليها؛ ولذا نرى أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ يَأْتِي صَبَاحاً كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بَيْتِ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ وَيَقُولُ: «الصَّلَاةُ الصَّلَاةُ» ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، إلى ستة أشهر، وكان غرضه تثبيت هذا المطلب والتأكيد عليه كما لا يخفى^(٢).

(١) مسند أحمد بن حنبل، ٦: ٢٩٦، ح ١٠٧، تفسير جامع البيان، ١٢: ١٠، ح ٢١٧٣٠.

(٢) حديث كساء وآثار شگفت، ٢٨٧.

وهذا ما أكدّه صاحب العروة الوثقى أيضاً في معرض جوابه عن إشكالية تعارض حديث الكساء الفاطمي مع حديث الكساء لأُمّ سلمة، حيث قال: (أمّا مكان هذه القصة ففيه أخبار مختلفة، ويستفاد من بعضها أنّها كانت في بيت أمّ سلمة، وهناك خبر أنّها وقعت في بيت زينب زوجة النبي صلى الله عليه وآله، وهناك خبر أنّها وقعت في المسجد، وخبر المنتخب أنّها وقعت في بيت فاطمة عليها السلام لا يسبب التعارض، ويمكن رفع هذا الاختلاف بأنّها وقعت بشكل مكرر في أماكن متعددة، قبل وبعد نزول آية التطهير.

وأما اختلاف الأخبار في خصوص نوع الكساء الذي تجمعوا تحته بأنه خيربي، أو أنه فدكي، أو كوفي، وعبر عن بعضها أنّها (خبيصة سوداء)، وفي خبر المنتخب أنّه بياني، فكذلك نستطيع أن نرفع الخلاف بأنّها وقعت متعددة، وأحدها وقع في بيت فاطمة عليها السلام^(١).

٩- الآثار والبركات من هذا الحديث

من الأمور القرينية لتقوية هذا الحديث هي الكرامات والبركات الواقعية، وقضاء حوائج المؤمنين المتوسلين به وشفاء المرضى وأهل الكروب والغموم، وهذا أمر وجداني غير مخفي على النصف العارف، فلولا ما يجده المؤمنون من الآثار العجيبة من بركات هذا الحديث لما صار شائعاً في محافلهم ومجالسهم، وقد

(١) حديث كساء وآثار شُغفت: ٢٧٥، عن كرامس سؤال وجواب (فارسي) للسيد كاظم اليزدي، ٤٤٤.

جرت سيرة العلماء والخطباء والمتدنيين الاهتمام بقراءته وحضور محافل حديث الكساء والحث على قراءته^(١)، وقد نقلنا في الفصل الرابع مجموعة من القصص المعبرة عن ذلك.

١٠ - زمان الوقوع

يبدو أن وقائع حديث الكساء حدثت في أواخر عمر النبي صلى الله عليه وآله بحسب القرائن، أي ما بعد السنة السابعة حتى العاشرة من الهجرة، وأنه يمكن الفرض أن واقعة حديث الكساء ظلت تتكرر خلال ثلاث سنوات على الأقل. فإذا قلنا: إن أول واقعة له حدثت في بيت أم سلمة فلا بُدَّ أن يكون بعد السنة السابعة، لما ذكر في الروايات أن الكساء خيربي ولعله من غنائم خيبر، وخير فتحت في السنة السابعة، وما يؤيد ذلك أن من الرواة لحديث الكساء جعفر بن أبي طالب، والذي كان حاضراً في خيبر، وقد بقي في المدينة من بعد عودته من الحبشة حتى شهادته في السنة الثامنة في أول جمادى الأولى في غزوة مؤتة.

(١) آية الله السيد علي أبطحي الموحد في أيام تأليفه لكتابه حديث الكساء التقى بمجموعة من العلماء فنقل عنهم ما يشير لذلك، فعندما التقى بالمرجع الشيخ فاضل لنكراني قال له: كان والدي (آية الله فاضل قفقازي) يعتقد كثيراً بحديث الكساء وكان مواظباً على قراءته كل يوم، حديث كساء وآثار شگفت، ٢٨٣. ونقل عن المرجع سيد صادق الشيرازي أيضاً عن والده آية الله سيد مهدي الحسيني الشيرازي أنه كان مواظباً على قراءة الحديث في كل يوم، وإذا لم يوفق كل يوم أحياناً يقرأ مرتين أو ثلاث مرات في الأسبوع على الأقل، المصدر، ٢٦٥.

ويبدو أن واقعة الكساء ظلت تتعدد إلى حين شهادة النبي صلى الله عليه وآله في السنة العاشرة، والتي نزلت فيها آية المبالغة، والتي كسا فيها رسول الله أهل بيته (صلوات الله عليهم أجمعين)، وقد ذكرت الروايات أنه بعد نزول آية التطهير في بيت أم سلمة ظل رسول الله صلى الله عليه وآله يقرأها كل يوم إلى آخر عمره^(١)، عند بيت علي وفاطمة (عليهما السلام)، وبعضها تسعة أشهر^(٢)، وأقل الروايات ذكرت ثمانية أشهر^(٣).

(١) خطب الإمام الحسن (عليه السلام) في مجلس معاوية في حديث طويل: «ثُمَّ مَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بَعْدَ ذَلِكَ بِنَيْتِهِ عُمُرَهُ حَتَّى قَبِضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، بَأْتِينَا فِي كُلِّ يَوْمٍ عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ، فَيَقُولُ: الصَّلَاةُ يَرْحَمُكُمْ اللَّهُ ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾»، أمالي ابن الشيخ، ١٠-١٤.

(٢) عَنْ أَبِي دَاوُدَ عَنْ أَبِي الْحَمْرَاءِ قَالَ: أَقَمْتُ بِالْمَدِينَةِ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ كَيَوْمٍ وَاحِدٍ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يَجِيءُ كُلَّ غَدَاةٍ فَيَقُومُ عَلَى بَابِ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) فَيَقُولُ: «الصَّلَاةُ يَرْحَمُكُمْ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا».

(٣) وَقَالَ ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي الْحَدِيثِ (٣١٥) مِنْ تَرْجَمَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ٨٩ مِنْ تَارِيخِ دِمَشْقَ: أَخْبَرَنَا أَبُو غَالِبِ بْنِ النَّبَاءِ، أَنبَأَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ التَّرِيمِيِّ، أَنبَأَنَا مُوسَى بْنُ عَيْسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الشَّرَاحِ، أَنبَأَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سُلَيْمَانَ، أَنبَأَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ شَادَانَ، أَنبَأَنَا الْكِرْمَانِيُّ بْنُ عَمْرٍو، أَنبَأَنَا سَالِمُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ أَبُو حَمَادٍ، أَنبَأَنَا عَطِيَّةُ الْعَوْفِيُّ: عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: حِينَ نَزَلَتْ: ﴿ وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ كَانَ يَجِيءُ نَبِيَّ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إِلَى بَابِ عَلِيٍّ صَلَاةَ الْغَدَاةِ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ [و] يَقُولُ: «الصَّلَاةُ يَرْحَمُكُمْ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا»، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، ١: ٤٩٧.

وأما وقت الحادثة في بيت أم سلمة، فقد ذكرت أم سلمة أنه كان وقت الغداة^(١)، وكذلك رواية عائشة^(٢)، ولعله كان في أيام الشتاء بقرينة أن العباءة من شعر أسود،

(١) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ يَغْنِي ابْنُ بَهْرَامٍ قَالَ: حَدَّثَنِي شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ قَالَ: سَمِعْتُ أُمَّ سَلَمَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) حِينَ جَاءَ نَعْمَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ (عَلَيْهِمَا السَّلَام) لَعَنَتْ أَهْلَ الْعِرَاقِ فَقَالَتْ: قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، غَرَّوهُ وَأَذَلُّوهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ، فَإِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَقَدْ جَاءَتْهُ فَاطِمَةُ عِدَاةَ بِرُمَةِ قَدْ صَنَعَتْ لَهَا فِيهَا عَصِيدَةٌ تَحْمِلُهَا فِي طَبَقٍ لَهَا فَوَضَعَتْهَا تَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لَهَا: «أَيْنَ ابْنُ عَمَلِكَ؟»، فَقَالَتْ: «هُوَ فِي الْبَيْتِ»، قَالَ: «أَذْهَبِي فَأَذِيعِيهِ وَابْتِنِي بِابْنَيْهِ»، قَالَتْ: فَجَاءَتْ تَقُوذُ بِابْنَيْهَا كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِيَدَيْهَا وَعَلَى يَمِينِي فِي الْبُرْهَانِ حَتَّى دَخَلُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، فَأَجْلَسَهَا فِي حَجْرِهِ وَجَلَسَ عَلَيَّ عَلَى يَمِينِهِ وَجَلَسَتْ فَاطِمَةُ عَلَى يَسَارِهِ، قَالَتْ أُمَّ سَلَمَةَ: فَاجْتَذَبَ مِنْ تَحْتِي كِسَاءَ خَيْرِي تَأْكَانَ بِسَاطِئَنَا عَلَى الْمَنَامَةِ فِي الْمَدِينَةِ، فَلَقَّعَهُ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) عَلَيْهِمْ جَمِيعاً فَأَخَذَ بِشِمَالِهِ طَرَفِي الْكِسَاءِ وَالْوَرَى بِيَدِهِ الْيُمْنَى إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي أَذْهَبَ عَنْهُمْ الرُّجَسَ وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيراً، اللَّهُمَّ أَهْلِي أَذْهَبَ عَنْهُمْ الرُّجَسَ وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيراً، اللَّهُمَّ أَهْلُ بَيْتِي أَذْهَبَ عَنْهُمْ الرُّجَسَ وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيراً؟»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَسْتُ مِنْ أَهْلِكَ؟ قَالَ: «بَلَى فَادْخُلِي فِي الْكِسَاءِ»، قَالَتْ: فَدَخَلْتُ فِي الْكِسَاءِ بَعْدَ مَا قَضَى دُعَاءَهُ لِابْنِ عَمْرِو عَلِيٍّ وَابْنَيْهِ وَابْنَتَيْهِ فَاطِمَةَ (عَلَيْهِمُ السَّلَام). مسند أحمد، ١: ٣٣٠.

(٢) عن عائشة أنها قالت: خرج رسول الله غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: «﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾»، صحيح مسلم، ٤ باب فضائل أهل البيت عليهم السلام، والمستدرك للحاكم النيسابوري، والمستدرك على الصحيحين للذهبي، ٣- باب مناقب أهل بيت الرسول، ٩: ١٤٧، الدر المنثور، ٦: ٦٠٥؛ وانظر: مسند أحمد، ٦: ١٦٢، ولكن يد الخيانة بترت الحديث فيه من بعد كلمة «مرحل» فجاء الحديث ناقص المعنى!، مصنف ابن أبي شيبة، ٧: ٥٠١، ب ١٨، ح ٣٩، والسنن الكبرى للبيهقي ٢- باب بيان أهل بيته الذين هم آله: ١٤٣. صحيح مسلم، ٤: باب فضائل أهل البيت عليهم السلام، والمستدرك للحاكم النيسابوري والمستدرك على الصحيحين للذهبي ٣ باب مناقب أهل بيت الرسول، ٩: ١٤٧، الدر المنثور، ٦: ٦٠٥.

أما الذي وقع في بيت فاطمة عليها السلام برواية أمير المؤمنين عليه السلام فلعله كان ليلاً بقرينة قوله: «نَامَ وَنَوَّمَنِي وَزَوَّجَتِي فَاطِمَةَ وَابْنِي الْحُسَيْنَ وَالْحُسَيْنُ وَالْحُسَيْنُ عَلَيْنَا عِبَاءَةٌ قَطَوَانِيَّةٌ»^(١).

وأما الذي وقع مرة أخرى في بيت فاطمة برواية جابر عنها عليها السلام، لم يتضح لي زمانه بالدقة ولا يومه، ولكن حسب القرائن التي ذكرناها قد وقع ما بعد السنة السابعة حتى العاشرة، وخصوصاً أن السنوات الأخيرة كان رسول الله صلى الله عليه وآله كثيراً ما يجلس مع أهل بيته ليواسيهم فيما يصيبهم من الأذى من بعده.

(١) الخصال، ٢: ٥٨٠.



الفصل الثاني

شرح عبارات ومفردات الحديث المبارك

الفصل الثاني: شرح عبارات ومفردات الحديث المبارك^(١)

متن الحديث.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ، عَنِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قَالَ: سَمِعْتُ فَاطِمَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: «دَخَلَ عَلَيَّ أَبِي رَسُولُ اللَّهِ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا فَاطِمَةُ، فَقُلْتُ: عَلَيْكَ السَّلَامُ، قَالَ: إِنِّي أَجِدُ فِي بَدَنِي ضَعْفًا، فَقُلْتُ لَهُ: أَعِيدُكَ يَا اللَّهُ يَا أَبْتَاهُ مِنَ الضَّعْفِ، فَقَالَ: يَا فَاطِمَةُ، اتَّبِينِي بِالْكِسَاءِ الْبَيَاضِ فَعَطِّبِي بِهِ، فَأَتَيْتُهُ بِالْكِسَاءِ الْبَيَاضِ فَعَطَّيْتُهُ بِهِ وَصِرْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ وَإِذَا وَجْهُهُ يَتَلَأَلُ كَأَنَّهُ الْبَدْرُ فِي لَيْلَةٍ تَمَامِهِ وَكَمَالِهِ.

فَمَا كَانَتْ إِلَّا سَاعَةً وَإِذَا بَوَلَدِي الْحَسَنِ قَدْ أَقْبَلَ وَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أُمَّاهُ فَقُلْتُ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا قُرَّةَ عَيْنِي وَتَمْرَةَ فُؤَادِي، فَقَالَ: يَا أُمَّاهُ إِنِّي أَشْمُ عِنْدَكَ رَائِحَةَ طَيِّبَةٍ كَأَنَّهَا رَائِحَةُ جَدِّي رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، فَقُلْتُ: نَعَمْ، إِنَّ جَدَّكَ تَحْتَ الْكِسَاءِ، فَأَقْبَلَ الْحَسَنُ نَحْوَ الْكِسَاءِ، وَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا جَدَّاهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَ تَأْذُنُ لِي أَنْ أَدْخُلَ مَعَكَ تَحْتَ الْكِسَاءِ؟ فَقَالَ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا وَلَدِي وَيَا صَاحِبَ حَوْضِي، قَدْ أَذِنْتُ لَكَ، فَدَخَلَ مَعَهُ تَحْتَ الْكِسَاءِ.

(١) في هذا الفصل نقوم بشرح موجز لعبارات الحديث المبارك رعاية للاختصار بقدر الإمكان، ولن نشرح العبارات المتكررة، وكذلك العبارات التي تم شرحها في سائر الفصول بحسب موضوعها.

فَمَا كَانَتْ إِلَّا سَاعَةً وَإِذَا بَوْلِدِي الْحُسَيْنِ قَدْ أَقْبَلَ وَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أُمَّهُ، فَقُلْتُ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا قُرَّةَ عَيْنِي وَتَمَرَةَ فُؤَادِي، فَقَالَ لِي: يَا أُمَّهُ إِنِّي أَشْمُ عِنْدَكَ رَائِحَةَ طَيِّبَةٍ كَأَنَّهَا رَائِحَةُ جَدِّي رَسُولِ اللَّهِ، فَقُلْتُ: نَعَمْ، إِنَّ جَدَّكَ وَأَخَاكَ تَحْتَ الْكِسَاءِ، فَذَنَا الْحُسَيْنُ نَحْوَ الْكِسَاءِ وَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا جَدَّاهُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَنْ اخْتَارَهُ اللَّهُ، أَتَأْذُنُ لِي أَنْ أَكُونَ مَعَكُمْ تَحْتَ الْكِسَاءِ؟ فَقَالَ: قَدْ أَذِنْتُ لَكَ، فَدَخَلَ مَعَهَا تَحْتَ الْكِسَاءِ.

فَأَقْبَلَ عِنْدَ ذَلِكَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ، فَقُلْتُ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا أبا الْحَسَنِ وَيَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ: يَا فَاطِمَةُ إِنِّي أَشْمُ عِنْدَكَ رَائِحَةَ طَيِّبَةٍ كَأَنَّهَا رَائِحَةُ أَخِي وَابْنِ عَمِّي رَسُولِ اللَّهِ، فَقُلْتُ: نَعَمْ، هَا هُوَ مَعَ وَلَدِكَ تَحْتَ الْكِسَاءِ، فَأَقْبَلَ عَلِيٌّ نَحْوَ الْكِسَاءِ وَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَأْذُنُ لِي أَنْ أَكُونَ مَعَكُمْ تَحْتَ الْكِسَاءِ؟ قَالَ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا أَخِي وَوَصِيِّي وَخَلِيفَتِي وَصَاحِبَ لِيوَانِي، قَدْ أَذِنْتُ لَكَ فَدَخَلَ عَلِيٌّ تَحْتَ الْكِسَاءِ.

ثُمَّ أَتَيْتُ نَحْوَ الْكِسَاءِ وَقُلْتُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبْتَاهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَأْذُنُ لِي أَنْ أَكُونَ مَعَكُمْ تَحْتَ الْكِسَاءِ؟ قَالَ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا بِنْتِي وَيَا بَضْعَتِي قَدْ أَذِنْتُ لَكَ، فَدَخَلْتُ تَحْتَ الْكِسَاءِ، فَلَمَّا اكْتَمَلْنَا جَمِيعاً تَحْتَ الْكِسَاءِ أَخَذَ أَبِي رَسُولَ اللَّهِ بِطَرْفِي الْكِسَاءِ، وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ الْيَمْنَى إِلَى السَّمَاءِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي، وَخَاصَّتِي، وَحَامَّتِي، لَحْمُهُمْ لَحْمِي، وَدَمُهُمْ دَمِي، يُؤَلِّمُنِي مَا يُؤَلِّمُهُمْ، وَيَجْزُنُنِي مَا يَجْزُنُهُمْ، أَنَا

حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَهُمْ، وَسَلِّمْ لِمَنْ سَالَمَهُمْ، وَعَدُوٌّ لِمَنْ عَادَاهُمْ، وَمُحِبٌّ لِمَنْ أَحَبَّهُمْ، إِنَّهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ، فَاجْعَلْ صَلَوَاتِكَ، وَبَرَكَاتِكَ، وَرَحْمَتَكَ، وَعُفْرَانِكَ، وَرِضْوَانِكَ، عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ، وَأَذْهِبْ عَنْهُمْ الرَّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً.

فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا مَلَأْتُكَ بِي وَيَا سُكَّانَ سَمَاوَاتِي، إِنِّي مَا خَلَقْتُ سَمَاءً مَبْنِيَّةً، وَلَا أَرْضاً مَدْحِيَّةً، وَلَا قَمَراً مُنيراً، وَلَا شَمْساً مُضِيئَةً، وَلَا فَلَكَاً يَدُورُ، وَلَا بَحَراً يَجْرِي، وَلَا فَلَكَاً يَسْرِي، إِلَّا فِي مَحَبَّةٍ هُوَ لِأَيِّ الْخَمْسَةِ الَّذِينَ هُمْ تَحْتَ الْكِسَاءِ.

فَقَالَ الْأَمِينُ جِبْرَائِيلُ: يَا رَبِّ وَمَنْ تَحْتَ الْكِسَاءِ؟

فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: هُمْ أَهْلُ بَيْتِ النَّبُوَّةِ، وَمَعْدِنُ الرِّسَالَةِ، هُمْ فَاطِمَةُ، وَأَبُوهَا، وَبَعْلُهَا، وَبَنُوهَا.

فَقَالَ جِبْرَائِيلُ: يَا رَبِّ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَهْبِطَ إِلَى الْأَرْضِ لِأَكُونَ مَعَهُمْ سَادِساً؟

فَقَالَ اللهُ: نَعَمْ، قَدْ أَذِنْتُ لَكَ، فَهَبْطِ الْأَمِينُ جِبْرَائِيلُ، وَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، الْعَيْلِيُّ الْأَعْلَى يُقْرِئُكَ السَّلَامَ وَيُخْصُّكَ بِالتَّحِيَّةِ وَالْإِكْرَامِ وَيَقُولُ لَكَ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي إِنِّي مَا خَلَقْتُ سَمَاءً مَبْنِيَّةً، وَلَا أَرْضاً مَدْحِيَّةً، وَلَا قَمَراً مُنيراً، وَلَا شَمْساً مُضِيئَةً، وَلَا فَلَكَاً يَدُورُ، وَلَا بَحَراً يَجْرِي، وَلَا فَلَكَاً يَسْرِي إِلَّا لِأَجْلِكُمْ وَمَحَبَّتِكُمْ.. وَقَدْ أَذِنَ لِي أَنْ أَدْخُلَ مَعَكُمْ، فَهَلْ تَأْذَنُ لِي يَا رَسُولَ اللهِ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ: عَلَيْكَ السَّلَامُ يَا أَمِينَ وَحَيِّ اللهُ، إِنَّهُ نَعَمْ قَدْ أَذِنْتُ لَكَ، فَدَخَلَ

جبرائيل معنا تحت الكساء.

فَقَالَ لِأَبِي: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْحَى إِلَيْكُمْ يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(١).

فَقَالَ عَلِيُّ لِأَبِي: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي مَا لُجُوسِنَا هَذَا تَحْتَ الْكِسَاءِ مِنَ الْفَضْلِ عِنْدَ اللَّهِ؟

فَقَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيًّا، وَاصْطَفَانِي بِالرِّسَالَةِ نَجِيًّا، مَا ذُكِرَ خَبْرُنَا هَذَا فِي مَحْفَلٍ مِنْ مَحَافِلِ أَهْلِ الْأَرْضِ، وَفِيهِ جَمْعٌ مِنْ شِيعَتِنَا وَمُحِبِّينَا، إِلَّا وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ، وَاسْتَغْفَرَتْ لَهُمْ إِلَى أَنْ يَنْتَفِرُوا.

فَقَالَ عَلِيُّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): إِذَا وَاللَّهِ فُرْنَا وَفَارَ شِيعَتُنَا وَرَبَّ الْكَعْبَةِ.

فَقَالَ أَبِي رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): يَا عَلِيُّ وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيًّا وَاصْطَفَانِي بِالرِّسَالَةِ نَجِيًّا، مَا ذُكِرَ خَبْرُنَا هَذَا فِي مَحْفَلٍ مِنْ مَحَافِلِ أَهْلِ الْأَرْضِ وَفِيهِ جَمْعٌ مِنْ شِيعَتِنَا وَمُحِبِّينَا، وَفِيهِمْ مَهْمُومٌ إِلَّا وَقَرَّحَ اللَّهُ هَمَّهُ، وَلَا مَغْمُومٌ إِلَّا وَكَشَفَ اللَّهُ عَمَّهُ، وَلَا طَالِبٌ حَاجَةٌ إِلَّا وَقَضَى اللَّهُ حَاجَتَهُ.

فَقَالَ عَلِيُّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): إِذَا وَاللَّهِ فُرْنَا وَسُعِدْنَا، وَكَذَلِكَ شِيعَتُنَا فَارُوا وَسُعِدُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَرَبَّ الْكَعْبَةِ^(٢).

(١) سورة الأحزاب: ٣٣

(٢) عوالم العلوم الشيخ عبد الله البحراني، ١١: ٩٣٠-٩٣٤.

شرح الحديث المبارك

لماذا سُمِّيَ بحديث الكساء البيهقي؟

وكي يتضح الجواب لا بُدَّ من البحث في مفرداته:

١ - معنى الحديث.

الحديث: نقيض القديم^(١) - وهو - الجديد من الأشياء - والخبر يأتي على القليل والكثير، والجمع: أحاديث^(٢).

وعليه فالحديث هو الكلام الجديد الحادث الذي يُتحدَّثُ به ويُنقل بالصوت غالباً، ولكنَّه في الاصطلاح يعمُّ الحديث من المعصوم لفظاً وكتابةً وإملاءً وإجازةً، وتقريراً.

وهل هناك فرق بين مصطلح الحديث والخبر والأثر؟

هناك من حاول أن يفرِّق بين هذه المفردات، فقال: إنَّ الحديث هو خصوص الكلام الصادر من المعصوم، والخبر، والأثر هو الكلام الصادر من غير المعصوم.

ولكنَّ أغلب المحدثين من الفريقين لا يفرِّقون بين هذه المصطلحات، فيرونها مترادفة، فتارةً يقول الراوي: حدَّثني الصادق عليه السَّلام، أو قال لي رسول الله

(١) لسان العرب، ٢: ١٣١.

(٢) المصدر نفسه: ١٣٢.

صلى الله عليه وآله، أو سمعته يقول، وتارة يقول المصنف: جاء في الخبر عن الباقر عليه السلام، وتارة يقول: جاء في الأثر، ولعل اصطلاح الحديث أكثر استعمالاً وشيوعاً وأقوى وقعاً على الراوي والسَّامع.

أما طرق تحميل الحديث ووصوله للراوي من المعصوم فهي عديدة:

١- السَّمْع: وهو الإصغاء لحديث المتحدث، وقد استعمل مصطلحاً مع إضافة حفظ الحديث، استظهاراً أو كتابة، ويريدون به سماع التلميذ من الشيخ^(١).

والسَّمْع إمَّا من المعصوم مباشرة أو عبر شيوخ الرواية، وهذه الطريقة من أقوى طرق حمل الحديث وأكثرها شيوعاً؛ فلذا نجد هذه العبارات - (سمعته يقول)، أو (سمعت منه)، أو (حدَّثني)، أو يقال سمع له، وإليه، وسمع لحديثه، وإلى حديثه، أو (قال لي)، أو (ذكر لي)، أو بصيغة الجمع (حدَّثنا) إذا كانوا جماعة، وهذا نجده كثيراً من الرواة في إسناد الأحاديث.

ويكون هذا على طريقتين:

أ- الإملاء: منه عليه السلام أو شيخ الرواية، والراوي يكتب بخط يده، ويقال في المصطلح: أملى الشيخ على التلميذ حديثه، بمعنى قال له، فكتبه عنه.

ب- التحديث: وهو أن يحدث الشيخ والتلميذ يسمع منه.

(١) أصول الحديث - عبد الهادي الفضلي، ٢٢٥.

٢ - القراءة: وهو أن يقرأ التلميذ الحديث الذي يرويه الشيخ على الشيخ نفسه، أو أن يقرأه شخص آخر، والتلميذ يسمع، ثم يقره الشيخ بصحة ما قرئ عليه، وتسمى هذه الطريقة (بالعرض) أيضاً.

٣ - المناولة: وهي أن يعطي الشيخ تلميذه كتابه الذي يريد أن يرويه عنه ويجيزه في الرواية عنه.

٤ - الكتابة: وهو أن يكتب المعصوم أو شيخ الرواية حديثه بخطه ويعطيه أو يرسله لمن يريد روايته عنه.

٥ - المراسلة: إما من الإمام مباشرة يرسل من يريد إيصال له من خواصه ونوابه، أو تبدأ المراسلة من الراوي أو السائل يكتب للإمام السؤال والإمام يجيبه كتابة على سؤاله.

٦ - الإجازة: وهي إجازة الشيخ تلميذه بالرواية عنه شفويّاً أو تحريراً.

٧ - الوصية: وهي أن يوصي الراوي عند سفره أو موته لشخص بأن يروي عنه كتابه في الحديث، أو كتاباً آخر من مروياته.

الوجادة: وهي أن يجد الراوي الحديث مكتوباً في مصنف منسوباً لأحد الرواة من سماع، ولا إجازة ومناولة^(١).

(١) أقول راجع أصول الحديث، من ٢٢٥-٢٢٧.

وهذا الحديث المعروف بحديث الكساء البيهقي من الأحاديث العالية في الوثيقة، والذي رواه جابر الأنصاري عن فاطمة (عليها السلام) مباشرة، حيث قال: (سمعت فاطمة أنها قالت...)، مما يظهر أنه الراوي المخصوص لكونه من الأصحاب الأجلاء المخلصين لأهل البيت (عليهم السلام) المخصوصين الذين يترددون على بيت الوحي ويسمع منهم ويروي عنهم كثيراً.

٢- معنى الكساء،

وقد عُرف في قواميس اللغة بعدة مترادفات (الباس، الثوب، الرداء، الغطاء، الملاعة، الإزار، العباءة، البردة، اللفاع، الدثار).

والأصل فيه: جاء في تاج العروس: والكساء بالكسر ممدوداً وهو اسم موضوع يُقال كساءً وكساناً وكساوان، والنسبة إليه كسائي وكساوي^(١). وفي القاموس: ثوب من صوف وأيضاً العباءة تسمى كساء.

وعن بعض أساتذة الحوزة: الثوب الكبير يجعل على الكتفين ويلقى أحد أطرافه على المنكب المقابل وهو الآن عبارة عن العباءة^(٢).

وعلى كل فهو نوع من القماش الكبير وغالباً ما يكون غليظاً، يستفاد منه لعدة أغراض إتماً على الكتفين كعباءة، أو وطاء للجلوس والنوم عليه، أو غطاء وحاف

(١) تاج العروس من جواهر القاموس، ٢٠: ١٢٦.

(٢) الاصطلاحات الفقهية في الرسائل العملية، ١: ١٧٨.

عند النوم وما شابه ذلك.

٣- معنى اليماني،

نسبة لليمن، وهل تخصيص النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْكَسَاءِ الْيَمَانِيِّ لِعِنَايَةٍ
خاصة فيه؟

أولاً: لعلَّ تخصيصه من قبل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِمَا تَمَيَّزَ بِهِ مِنْ سَعَةِ حَجْمِهِ
وحسن سماكته، ليناسب برودة تلك الليلة الشاتئة، كما أشارت إليه بعض الروايات،
وقد كانت اليمن آنذاك معروفة بجودة صناعة الألبسة المميزة ومنها الكساء.

ثانياً: أو لعلَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَرَادَ أَنْ يَخْصَّ الْكَسَاءَ الْيَمَانِيَّ، إِشَارَةً
منه لما يكنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ مَحَبَّةٍ لِلْيَمَنِ وَأَهْلِهَا، فَقَدْ وَرَدَ عَنْهُ مَدْحُ رِجَالِ
اليمن ويصف الإيَّان باليماني والحكمة باليمنية، فقد روى جابر الأنصاري عن أبي
جعفر عليه السَّلام: «رِجَالُ أَهْلِ الْيَمَنِ، أَفْضَلُ الْإِيَّانِ يَمَانِيٍّ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ»^(١)، وَوَلَوْ
لَا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ»^(٢).

ثالثاً: ولعلَّ تخصيصه بالكساء اليماني لغاية أهم من ذلك، بقصد تمييز هذا الحديث
الفاطمي الذي وقع في بيتها عليها السَّلام عن الذي وقع في بيت أم سلمة، وعن

(١) في النهاية: الإيَّان يمان، الحكمة يمانية، إنما قال عليه السَّلام ذلك لأنَّ الإيَّان بدأ من مكة وهي من
تهامة وتهامة من أرض اليمن، ولهذا يقال: الكعبة اليمانية. الكافي، ٨: ٧٠، ح ٢٧.

(٢) الكافي، ٨: ٧٠، ح ٢٧.

بقية وقائع حديث الكساء المتعددة، فقد اشتهر حديث الكساء في بيت أم سلمة (بالكساء الخيبري)، نسبة لحصن خيبر الذي كان يتحصَّن به اليهود في أطراف المدينة، ويبدو أنَّ الكساء الذي كان عند أم سلمة من صنع اليهود الخيبريين، بينما الذي عند فاطمة من اليمن، وهناك كساء قطواني مصدره الكوفة وهو الكساء الذي كسا به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَهْلُ بَيْتِهِ فِي بَيْتِ فَاطِمَةَ مَرَّةً أُخْرَى، وقد أشرنا إليه في الفصل الثالث، كما ورد اسم القطيفة، وورد اسم.

فاتَّضح أنَّ الغاية من تخصصيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْكَسَاءِ الْيَمَانِيِّ لِأَجْلِ تَمْيِيزِهِ عَنْ بَقِيَّةِ الْوَقَائِعِ الَّتِي حَدَّثَتْ فِي أَمَاكِنٍ مُتَعَدِّدَةٍ لِهَذَا الْحَدِيثِ الْمُبَارَكِ، وَاللَّهُ الْعَالِمُ.

٤ - مركزيَّة الكساء اليماني.

لم يكن من المصادفة أن يكون هناك تركيز في رواية فاطمة عليها السَّلَام على محورِيَّة عنوان (الكساء)، إلَّا لغاية، وهي إبراز واقعة حديث الكساء اليماني على أنَّها قضيَّة (وحي من السماء) وقعت تحت الكساء، فهي من نوع تسمية الحوادث بأسمائها؛ لتكون الشهرة للاسم الذي يعبر عن المضمون والرسالة من ورائه، وهو إعلان من الوحي بفضائل عظيمة الشأن لأهل البيت عليهم، كما هي حادثة المباهلة أو واقعة آية المودَّة، أو حادثة ليلة المبيت، أو واقعة حديث الراية في خيبر، وكذا واقعة الغدير التي تُظهر فضائل أمير المؤمنين عليه السَّلَام.

ولذا نلاحظ أنَّ كلمة الكساء تكررت (٢١ مرة) في الحديث المبارك، من كلِّ

المعنيين في هذا الحدث المهم، بدءاً من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، حيث طلب من ابنته خصوص الكساء اليماني، ثُمَّ تَدَثَّرَ بِهِ مَعَ أَهْلِ بَيْتِهِ، ثُمَّ رَوَتْ فَاطِمَةُ الْخَاتَمَةَ بِتَمَامِهَا وَكَرَّرَتْ هَذَا اللَّفْظَ فِي تَفْصِيلِ الْوَاقِعَةِ، ثُمَّ مَرُوراً بِالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَعَلِيِّ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَقَدْ ذَكَرَ رَبُّ الْعِزَّةِ وَالْجَلَالَةِ اسْمَ الْكِسَاءِ لِمَلَأَتْكَتَهُ، وَجِبْرَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَذَلِكَ، وَقَدْ وَصَفَتِ الصَّدِيقَةَ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهَا بِدَقَّةِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي اسْتَفِيدَتْ فِي التَّعَامُلِ مَعَ الْكِسَاءِ مِثْلَ (اتَّبِنِي بِالْكِسَاءِ الْيَمَانِي - فَأَقْبَلْ نَحْوَ الْكِسَاءِ - وَدَنَا نَحْوَ الْكِسَاءِ - ثُمَّ أَتَيْتْ نَحْوَ الْكِسَاءِ - وَدَخَلَ مَعَهُ تَحْتَ الْكِسَاءِ - وَدَخَلَ مَعَنَا تَحْتَ الْكِسَاءِ - أَدْخَلَ مَعَكُمْ تَحْتَ الْكِسَاءِ).

وَمِمَّا يَعِزُّزُ وَحَيَانِيَّةَ قَضِيَّةِ الْكِسَاءِ أَنَّ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، اسْتَأْذَنَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالدَّخُولِ تَحْتَ الْكِسَاءِ، وَاسْتَأْذَنَ جِبْرَائِيلُ مِنَ اللَّهِ عِزًّا وَجَلًّا أَوْلًا، ثُمَّ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

وَكَأَنَّ ذَلِكَ يُؤَكِّدُ أَنَّ قَضِيَّةَ الْكِسَاءِ لَيْسَتْ حَدِيثًا عَابِرًا، بَلْ هِيَ قَضِيَّةٌ ذَاتُ أَهْمِيَّةٍ بِالْغَةِ، بِحَيْثُ يُمَهَّدُ لَهَا بِهَذَا الْأُسْلُوبِ وَالِدَّخُولِ التَّدْرِيجِيَّ وَاحِدًا بَعْدَ الْآخَرِ مَعَ الْإِذْنِ بِالدَّخُولِ.

شرح عبارات الحديث:

الأولى، (قال جابر، سمعت فاطمة أنها قالت)،

١- جابر بن عبد الله الأنصاري رضوان الله تعالى عليه،

أ- من هو جابر الأنصاري وما هي أهمية روايته لحديث الكساء الفاطمي؟

اسمه ونسبه

جابر بن عبد الله الأنصاري هو: أبو عبدالله، جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم كعب، بن سلمة الأنصاري الخزرجي، وهو من أعلام القرن الأول الهجري، ومن أصحاب النبي صلى الله عليه وآله^(١)، صحابي ابن صحابي، شهد بدرًا^(٢)، وأمه نسيبة بنت عقبة بن عدي بن عدي بن سنان بن ناي بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم كعب بن سلمة^(٣)، وكان من الطبقة الأولى في طبقات المفسرين لأبي الخير.

وعاصر الإمام أمير المؤمنين عليه بن أبي طالب والإمام الحسن بن علي المجتبي والإمام الحسين الشهيد والإمام زين العابدين عليهم السلام^(٤).

(١) أنظر: معجم رجال الحديث، ٤: ٣٣٠، برقم ٢٠٢٦.

(٢) أنظر: أسد الغابة، ابن الأثير، ١: ٤٩٢، برقم ٦٤٧.

(٣) أنظر: الفوائد الرجالية، ٢: ١٣٥.

(٤) أنظر: رجال الكشي، ١: ١٨٢، ح ٧٨.

الفوائد الرجالية لبحر العلوم ج ٢ / ص ١٣٥.

وهو من شيعة أمير المؤمنين عليه السَّلام، قال العلامة في رجاله: قال الفضل بن شاذان: جابر بن عبد الله الأنصاري (رضي الله عنه) من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السَّلام، وقال أبو العباس بن عقدة - عند ذكره - إنَّه منقطع إلى أهل البيت عليهم السَّلام^(١).

وذكر ذلك الكشي في رجاله^(٢) في ترجمة أبي أيوب الأنصاري.

وهو الراوي لصحيفة فاطمة عليها السَّلام التي فيها النص على إمامة الأئمة الاثني عشر (عليهم السَّلام)، وهو أوَّل من شدَّ الرحال من المدينة لزيارة قبر الحسين عليه السَّلام، ووصل إلى قبره في اليوم العشرين من شهر صفر سنة قتل الحسين (عليه السَّلام)^(٣).

وذكره الشيخ الطوسي (رحمه الله) في (رجال طبعه النجف) من البدرين وعده تارة - من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله)-^(٤)، وثانية - من أصحاب عليِّ عليه السَّلام-^(٥)، وثالثة - من أصحاب الحسن عليه السَّلام-^(٦)، ورابعة

(١) انظر: رجال العلامة: ٣٥.

(٢) انظر: رجال الكشي: ٤٠، ترجمة أبي أيوب الأنصاري.

(٣) انظر: رجال الكشي: ٤٠، ترجمة أبي أيوب الأنصاري.

(٤) انظر: رجال الطوسي: ١٢، برقم ٢.

(٥) انظر: رجال الطوسي: ٣٧، برقم ٣.

(٦) انظر: رجال الطوسي: ٦٦، برقم ١.

- من أصحاب الحسين عليه السلام -^(١)، وخامسة - من أصحاب علي بن الحسين عليه السلام -^(٢)، وسادسة - من أصحاب الباقر عليه السلام -^(٣)، ويستعرض الأردبيلي (رحمه الله) في كتابه^(٤) جماعة ممن يروي عن جابر.

ولجابر (رضوان الله عليه) روايات كثيرة حفلت بها الكتب الأربعة للأخبار وغيرها من عامة كتب الحديث.

وروى الكشي في ترجمة يحيى ابن أم الطويل بسنده: (عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ارتدَّ الناس بعد قتل الحسين إلا ثلاثة: أبو خالد الكابلي، ويحيى ابن أم الطويل، وجبير بن مطعم، ثم إنَّ الناس لحقوا وكثروا»).

وروى يونس عن حمزة بن محمد الطيار: مثله وزاد فيه: وجابر بن عبد الله الأنصاري).

ثم ذكر الكشي: أنَّ الحجاج قتل يحيى بن أم الطويل، لأنَّه طلب منه لعن علي (عليه السلام) فامتنع - ثمَّ قال -: وأما جابر بن عبد الله الأنصاري فكان رجلاً من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلم يتعرَّض له، وكان شيخاً قد أسنَّ^(٥).

(١) انظر: رجال الطوسي: ٧٢، برقم ١.

(٢) انظر: رجال الطوسي: ٨٥، برقم ١.

(٣) انظر: رجال الطوسي: ١١١، برقم ١.

(٤) انظر: جامع الرواة، ١: ١٤٣-١٤٤.

(٥) انظر: رجال الكشي: ١١٣، طبعة النجف.

وهو المخصوص برواية هذا الحديث - حديث الكساء - المبارك، وهو من الرجال الثقات الأتقياء المجاهدين الأوفياء المخلصين لأهل البيت عليهم السلام، ومن الذين كانوا يترددون على بيت النبي صلى الله عليه وآله وبيت فاطمة عليها السلام.

٢- جوانب من حياة جابر الأنصاري الشريفة

شهد بدرًا وثمانية عشرة غزوة مع النبي (صلى الله عليه وآله)، وشهد حرب صفين مع الإمام علي (عليه السلام)، وكان من شرطة الخميس في الكوفة.

وكان من السابقين الأولين الذين رجعوا إلى الإمام علي (عليه السلام)^(١).

وقد أدرك الإمام الباقر (عليه السلام)، إلا أنه توفي قبل إمامته، وله من المكانة بحيث إن الإمام الباقر (عليه السلام) يروي عنه، حيث قال: «حدثني جابر عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ولم يكذب جابر أن ابن الأخ يقاسم الجد»^(٢).

وعدّ من الثلة القليلة التي تعرف تأويل الآية الشريفة: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾^(٣)، أي أنه كان يؤمن بالرجعة، فإن من النادر أن يعتقد أحد بالرجعة في القرن الأول الهجري.

(١) انظر: رجال الكشي، ١: ١٨٢، ح ٧٨.

(٢) الكافي: ٧: ١١٣، ح ٣.

(٣) سورة القصص: ٨٥.

٣- من أقوال الأنمة (عليهم السلام) فيه،

أ- قال الإمام الصادق (عليه السلام): «إن جابر بن عبد الله الأنصاري كان آخر من بقي من أصحاب رسول الله، وكان رجلاً منقطعاً إلينا أهل البيت»^(١).

ب- قال محمد بن مسلم و زرارة: سألتنا أبا جعفر (عليه السلام) عن أحاديث فرواها عن جابر، فقلنا: ما لنا وجابر؟ فقال: «بلغ من إيمان جابر أنه كان يقرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾»^(٢).

٤- من أقوال العلماء فيه،

أ- قال الشيخ ابن داود الحلبي: «عظيم الشأن»^(٣).

ب- قال الشيخ حسن الجبعي العاملي: «تكاثرت الرواية في مدحه، وما رأيت ما يخالفها»^(٤).

ج- قال السيد التفرشي: «وأورد الكشي في مدحه روايات كثيرة، تدل على علو مرتبته، وحسن عقيدته، وانقطاعه إلى أهل البيت (عليهم السلام)»^(٥).

(١) الكافي، ١: ٤٦٩، ح ١.

(٢) رجال الجشي، ١: ٢٣٤، ح ٩١.

(٣) رجال ابن داود: ٦٠، برقم ٢٨٨.

(٤) التحرير الطاووسي: ١١٦، رقم ٨٣.

(٥) نقد الرجال، ١: ٣٢٣، برقم ٨٨٤.

د- قال الشيخ محيي الدين المامقاني: «انفقت كلمات الخاصة والعامّة على توثيق المترجم وتجليله وتعظيمه، فهو صحابيّ جليل، ثقة نبيل، ولم نقف على غمزر فيه، مع أنه كان من المعلنين والمجاهرين بالولاء لأهل البيت (عليهم السّلام)، والناشرين لفضائلهم»^(١).

٥- حبه لأهل البيت (عليهم السّلام):

كان (رضي الله عنه) منقطعاً إلى أهل البيت (عليهم السّلام)، ثابتاً على حبّهم، عن أبي الزبير قال: «رأيت جابراً متوكئاً على عصاه وهو يدور في سكك المدينة ومجالسهم وهو يقول: عليّ خير البشر، فمن أبى فقد كفر، يا معشر الأنصار، أدبوا أولادكم على حبّ عليّ، فمن أبى فلينظر في شأن أمّه»^(٢).

وهو أوّل من زار قبر الإمام الحسين (عليه السّلام) في أيام أربعينته، وبكى عليه كثيراً.

٦- لقاءه بالإمام الباقر (عليه السّلام):

كان (رضي الله عنه) يتلهّف للقاء الإمام الباقر (عليه السّلام) لرواية سمعها عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، حيث كان يجلس في مسجد النبيّ (صلّى الله عليه وآله) وينادي: يا باقر العلم! يا باقر العلم! فكان أهل المدينة يقولون: جابر يهجر،

(١) تنقيح المقال، ١٤: ٧٦، برقم ٣٥٦٥.

(٢) رجال الكشي، ١: ٢٣٦، ح ٩٣.

فكان يقول: لا والله ما أهجرت، ولكنني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «إنك ستدرك رجلاً مني، اسمه اسمي، وشماله شمالي، يقر العلم بقرأ»، فذاك الذي دعاني إلى ما أقول.

قال: فبينما جابر يتردد يوماً في بعض طرق المدينة، إذ مرَّ بطريق في ذلك الطريق كتاب فيه: محمد بن علي، فلما نظر إليه قال: يا غلام! أقبل! أقبل، ثم قال له: أدبر! فأدبر، ثم قال: شمائل رسول الله (صلى الله عليه وآله)، والذي نفسي بيده؛ يا غلام ما اسمك؟ قال: «اسمي محمد بن علي بن الحسين»، فأقبل عليه يقبل رأسه ويقول: بأبي أنت وأمي، أبوك رسول الله يقرئك السلام^(١).

٧- روايته للحديث،

يعتبر من رواة الحديث في القرن الأول الهجري، فقد روى أحاديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، والإمام علي (عليه السلام)، وفاطمة الزهراء (عليها السلام)، كما روى عنه الإمام الباقر (عليه السلام).

٨- وفاته

توفي (رضي الله عنه) عام ٧٨ للهجرة بالمدينة المنورة.

(١) الكافي، ١: ٤٦٩، ح ٢.

٩- جلالة جابر ووثاقته

وقد بلغ من جلالة الراوي للحديث - جاب بن عبدالله الأنصاري رضوان الله تعالى عليه - ووثاقته أن سيدة نساء العالمين فاطمة عليها السلام خصته بحديث اللوح الذي فيه أسماء الأئمة عليهم وهو من الأحاديث الصحيحة الجليلة؛ وأن الإمام الباقر أخذه من جابر وطابقه مع النسخة التي عنده من آبائه عليهم السلام^(١).

فَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَالِمٍ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «قَالَ أَبِي لِجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً فَمَتَى يَخْفُ عَلَيْكَ أَنْ أَخْلُوَ بِكَ فَأَسْأَلُكَ عَنْهَا»، فَقَالَ لَهُ جَابِرٌ: أَيُّ الْأَوْقَاتِ أَحَبِّتَهُ، فَخَلَا بِهِ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ، فَقَالَ لَهُ: «يَا جَابِرُ أَخْبِرْنِي عَنِ اللَّوْحِ الَّذِي رَأَيْتَهُ فِي يَدِ أُمِّي فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَمَا أَخْبَرْتَنِي بِهِ أُمِّي أَنَّهُ فِي ذَلِكَ اللَّوْحِ مَكْتُوبٌ»، فَقَالَ جَابِرٌ: أَشْهَدُ بِاللَّهِ أَنِّي دَخَلْتُ عَلَى أُمِّكَ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ فِي حَيَاةِ رَسُولِ

(١) ينظر: ١ - كلمة أبي أعم من والدي، لأن الوالد هو المباشر فقط، والأب يشمل المباشر وغيره كالجدة والعم، ولكن كلمة (الأب) لها وقع في القلب، وأحب إلى الولد (القائل) وإلى الأب (السامع)، كما أنها تعطي دلالة تفضل الأب بالرعاية والتربية والتغذية.

٢ - لا شك أنها تقصد ما اختارته من كلمة، مع أنه وصف عرقي بين كل الناس، ولكنها عندما تنسب نفسها لأبيها يختلف عن سائر الناس، لأن أباهما أشرف الكائنات، وهو يعطي لكلامها وقع أعظم في نفس السامع، وهو تكبير للأمة بأنني بنت (محمد) صلى الله عليه وآله الذي تعظمونه في نفوسكم، وهو ما أشارت له في مبتدأ خطبتها في المسجد للصحابة عند ما قالت: «أعلموا أنني فاطمة وأبي محمد».

٣ - ذكرها أباهما برسول الله هو تعظيم وحفظ لمقامه عند الله تعالى وفي نفسها وعند الأمة.

الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَهَنَيْتُهَا بِوِلَادَةِ الْحُسَيْنِ، وَرَأَيْتُ فِي يَدَيْهَا لَوْحًا أَخْضَرَ ظَنَنْتُ أَنَّهُ مِنْ زُمْرِدٍ، وَرَأَيْتُ فِيهِ كِتَابًا أَيْضًا شَبَهَ لَوْنَ الشَّمْسِ، فَقُلْتُ لَهَا: يَا أَبِي وَأُمِّي يَا بِنْتَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، مَا هَذَا اللَّوْحُ؟ فَقَالَتْ: «هَذَا لَوْحٌ أَهْدَاهُ اللهُ إِلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فِيهِ اسْمُ أَبِي، وَاسْمُ بَعِي، وَاسْمُ ابْنِي، وَاسْمُ الْأَوْصِيَاءِ مِنْ وُلْدِي، وَأَعْطَانِيهِ أَبِي لِيُشِيرَنِي بِذَلِكَ»، قَالَ جَابِرٌ: فَأَعْطَنِيهِ أُمَّكَ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ فَقَرَأْتَهُ وَاسْتَنْسَخْتُهُ، فَقَالَ لَهُ أَبِي: «فَهَلْ لَكَ يَا جَابِرُ أَنْ تَعْرِضَهُ عَلَيَّ؟»، قَالَ: نَعَمْ، فَمَسَى مَعَهُ أَبِي إِلَى مَنْزِلِ جَابِرٍ، فَأَخْرَجَ صَحِيفَةً مِنْ رِقِّ، فَقَالَ: «يَا جَابِرُ انظُرْ فِي كِتَابِكَ لِأَقْرَأَ أَنَا عَلَيْكَ»، فَنَظَرَ جَابِرٌ فِي نُسْخَةِ فَقَرَأَهُ أَبِي، فَمَا خَالَفَ حَرْفٌ حَرْفًا، فَقَالَ جَابِرٌ: فَأَشْهَدُ بِاللَّهِ أَنِّي هَكَذَا رَأَيْتُهُ فِي اللَّوْحِ مَكْتُوبًا، «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، هَذَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ، لِمُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ وَنُورِهِ وَسَفِيرِهِ وَحِجَابِهِ وَدَلِيلِهِ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ مِنْ عِنْدِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، عَظَّمَ يَا مُحَمَّدُ أَسْمَائِي وَاشْكُرْ نِعْمَائِي وَلَا تَجْحَدْ آيَاتِي، إِنِّي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا قَاصِمُ الْجَبَّارِينَ، وَمُدْبِلُ الْمُظْلُومِينَ، وَدَيَّانُ الدِّينِ، إِنِّي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، فَمَنْ رَجَا عَيْرَ فَضْلِي أَوْ خَافَ غَيْرَ عَذْلِي عَذْبَتُهُ عَذَابًا لَا أَعْدْبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، فَيَأْتِي فَاعْبُدْ وَعَلَيَّ فَتَوَكَّلْ، إِنِّي لَمْ أَبْعَثْ نَبِيًّا فَأَكْمَلْتُ أَيَّامَهُ وَانْقَضَتْ مُدَّتُهُ إِلَّا جَعَلْتُ لَهُ وَصِيًّا، وَإِنِّي فَضَّلْتُكَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَفَضَّلْتُ وَصِيَّكَ عَلَى الْأَوْصِيَاءِ وَأَكْرَمْتُكَ بِشِبْلِيكَ وَسِبْطِيكَ حَسَنٍ وَحُسَيْنٍ، فَجَعَلْتُ حَسَنًا مَعْدِنَ عِلْمِي بَعْدَ انْقِضَاءِ مُدَّةِ أَبِيهِ، وَجَعَلْتُ حُسَيْنًا خَازِنَ وَحْيِي وَأَكْرَمْتُهُ بِالشَّهَادَةِ، وَخَتَمْتُ لَهُ بِالسَّعَادَةِ، فَهُوَ أَفْضَلُ مَنْ اسْتَشْهَدَ وَأَرْفَعُ الشُّهَدَاءِ

دَرَجَةً، جَعَلْتُ كَلِمَتِي النَّامَةَ مَعَهُ وَحُجَّتِي الْبَالِغَةَ عِنْدَهُ، بِعِزَّتِهِ أُتِيبُ وَأَعَايِبُ،
 أَوْلَهُمْ عَلَيَّ سَيِّدُ الْعَابِدِينَ وَرَزِينُ أَوْلِيَائِي الْمَاضِينَ، وَابْنُهُ شَبَهُ جَدِّهِ الْمُحْمُودِ مُحَمَّدَ الْبَاقِرِ
 عِلْمِي وَالْمُعَدِّنُ لِحُكْمَتِي، سَيِّهْلِكَ الْمُرْتَابُونَ فِي جَعْفَرٍ، الرَّادُّ عَلَيْهِ كَالرَّادِّ عَلَيَّ، حَقُّ
 الْقَوْلِ مِنِّي لِأَكْرَمَنْ مَنَوَى جَعْفَرٍ وَلَا سُرْنَهُ فِي أَشْيَاعِهِ وَأَنْصَارِهِ وَأَوْلِيَائِهِ، أُتِيحَتْ
 بَعْدَهُ مُوسَى فِتْنَةً عَمِيَاءَ حِنْدِسٍ لِأَنَّ حَيْطَ قَرْضِي لَا يَنْقَطِعُ وَحُجَّتِي لَا تَخْفَى، وَأَنَّ
 أَوْلِيَائِي يُسْقُونَ بِالْكَأْسِ الْأَوْفَى، مَنْ جَحَدَ وَاحِدًا مِنْهُمْ فَقَدْ جَحَدَ نِعْمَتِي، وَمَنْ
 عَبَّرَ آيَةً مِنْ كِتَابِي فَقَدْ افْتَرَى عَلَيَّ، وَنِيلَ لِلْمُفْتَرِينَ الْجَاحِدِينَ عِنْدَ انْقِضَاءِ مُدَّةِ مُوسَى
 عَبْدِي وَحَبِيبِي وَخَيْرِي فِي عَلِيٍّ وَلِيِّي وَنَاصِرِي، وَمَنْ أَضْعُ عَلَيْهِ أَعْبَاءَ النُّبُوَّةِ وَأَمْتَجَنَّهُ
 بِالِاضْطِلَاعِ بِهَا، يَقْتُلُهُ عِفْرِيَّتُ مُسْتَكْبِرٌ يُدْفَنُ فِي الْمَدِينَةِ الَّتِي بَنَاهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ،
 إِلَى جَنْبِ شَرِّ خَلْقِي حَقُّ الْقَوْلِ مِنِّي لِأَسْرَنَهُ بِمُحَمَّدِ ابْنِهِ وَخَلِيفَتِهِ مِنْ بَعْدِهِ وَوَارِثِ
 عِلْمِهِ، فَهُوَ مَعْدِنُ عِلْمِي وَمَوْضِعُ سِرِّي وَحُجَّتِي عَلَى خَلْقِي، لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ بِهِ إِلَّا
 جَعَلْتُ الْجَنَّةَ مَثْوَاهُ وَشَفَعْتُهُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ كُلُّهُمْ قَدْ اسْتَوْجَبُوا النَّارَ، وَأَخْتِمُ
 بِالسَّعَادَةِ لِابْنِهِ عَلِيٍّ وَلِيِّي وَنَاصِرِي وَالشَّاهِدِ فِي خَلْقِي وَأَمِينِي عَلَى وَحْيِي، أَخْرَجَ مِنْهُ
 الدَّاعِيَ إِلَى سَبِيلِي وَالْحَازِنَ لِعِلْمِي الْحَسَنَ، وَأَكْمَلُ ذَلِكَ بِابْنِهِ م ح م د رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ،
 عَلَيْهِ كَمَا لَمْ يُسَى وَبِهَاءِ عَيْسَى وَصَبْرُ أَيُّوبَ، فَيَذَلُّ أَوْلِيَائِي فِي زَمَانِهِ، وَتُنْهَادِي
 رُءُوسَهُمْ كَمَا تُنْهَادِي رُءُوسَ التُّرُكِ وَالْدَّيْلَمِ، فَيَقْتُلُونَ وَيُحْرِقُونَ وَيَكُونُونَ خَائِفِينَ
 مَرْعُوبِينَ وَجَلِينَ، تُصْبَغُ الْأَرْضُ بِدِمَائِهِمْ، وَيَفْشُو الْوَيْلُ وَالرَّنَّةُ فِي نِسَائِهِمْ، أَوْلِيَاكَ
 أَوْلِيَائِي حَقًّا، بِهِمْ أَدْفَعُ كُلَّ فِتْنَةٍ عَمِيَاءَ حِنْدِسٍ، وَبِهِمْ أَكْشِفُ الزَّلَازِلَ وَأَدْفَعُ الْأَصَارَ

وَالْأَغْلَالَ، أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ»، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَالِمٍ: قَالَ أَبُو بَصِيرٍ: لَوْ لَمْ تَسْمَعْ فِي ذَهْرِكَ إِلَّا هَذَا الْحَدِيثَ لَكَفَاكَ فَصْنُهُ إِلَّا عَنْ أَهْلِهِ.

خصوصية جابر

ولما كان من الرواة الثقات الخواص، والأتباع المخلصين لأهل البيت عليهم السلام، فقد خصته سيدة النساء عليها السلام برواية هذا الحديث المبارك عنها، ويبدو أنه لم يشاركه في ذلك الحضور بين يديها غيره حيث قال: (سمعت) بصيغة المفرد، وقد ذكر علماء هذا الفن أن السماع من الرواي هو أقوى وأبرز طرق تحمّل الحديث. وأمّا موضوع صحّة سند هذا الحديث، وكيفية وصوله إلينا من جابر، فقد تمّت مناقشته في الفصل الأوّل.

فهذا جمع بين مكانة أبيها منها عاطفياً وما يريده منها أبيها ومقامه عند الله.

الثانية، قال جابر، (سمعت فاطمة أنها قالت...).

أهمية رواية فاطمة عليها السلام

ما أهمية رواية فاطمة عليها السلام لحديث الكساء، قول جابر: (سمعت فاطمة أنها قالت...)?

أولاً: لا يخفى على أحد من هي فاطمة عليها السلام، ولا يخفى موقعها في البيت النبوي، ولا ميزانها عند الله عز وجل ورسوله وأهل بيته صلوات الله عليهم، وموقعها وميزانها في منظومة الإسلام، فهي بنت الوحي والنبوة، وهي خامسة أهل الكساء، وسيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وسيدة نساء أهل الجنة، وهي الطاهرة، المعصومة، المحدثّة، العليمة، والحجّة على العالمين، كأبيها وبعلمها وبنيتها في قولها وفعلها وتقريرها.

ولذلك فرض على الأنبياء والمرسلين والملائكة والمكلفين الإقرار بمعرفتها وولايتها ومحبتها وطاعتها، ومن دون ذلك لا يقبل عمل أحد، ولا تشمل شفاعتها يوم المحشر، ولا يشم رائحة الجنة.

ثانياً: لما أعطى الله لها هذا المقام الرفيع يجعل كلامها حجّة على العالمين وروايتها لهذا الحديث المبارك في غاية الوثاقة والصحة سنداً ومضموناً.

ثالثاً: بالإضافة إلى كونها راوية الحديث، كذلك هي شاهدة لوقائعه وتفصيله التي وقعت في بيتها، وهي جزء منه، بل هي محوره.

رابعاً: لا عجب في كونها شاهدة وراوية للحديث عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، لكنَّ العجب أنَّها تروي عن جبرائيل، بل عن الله مباشرة وبلا واسطة! في الفقرة التالية: «فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا مَلَائِكَتِي وَيَا سُكَّانَ سَمَاوَاتِي، إِنِّي مَا خَلَقْتُ سَمَاءً مَبْنِيَّةً، وَلَا أَرْضاً مَدْحِيَّةً، وَلَا قَمَراً مُنِيراً، وَلَا شَمْساً مُضِيئَةً، وَلَا فَلْكَاً يَدُورُ، وَلَا بَحَراً يَجْرِي، وَلَا فَلْكَاً يَسْرِي، إِلَّا فِي مَحَبَّةٍ هُوَ لِأَيِّ الْخَمْسَةِ الَّذِينَ هُمْ تَحْتَ الْكِسَاءِ.

فَقَالَ الْأَمِينُ جِبْرَائِيلُ: يَا رَبِّ وَمَنْ تَحْتَ الْكِسَاءِ؟

فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: هُمُ أَهْلُ بَيْتِ النَّبُوَّةِ، وَمَعْدِنُ الرَّسَالَةِ، هُمُ فَاطِمَةُ، وَأَبُوهَا، وَبَعْلُهَا، وَبَنُوهَا.

فَقَالَ جِبْرَائِيلُ: يَا رَبِّ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَهِيْطَ إِلَى الْأَرْضِ لِأَكُوْنَ مَعَهُمْ سَادِساً؟

فَقَالَ اللهُ: نَعَمْ، قَدْ أُذِنْتُ لَكَ، فَهَبْطِ الْأَمِينُ جِبْرَائِيلُ، وَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، الْعَلِيُّ الْأَعْلَى يُقْرِنُكَ السَّلَامَ وَيُخْصُكَ بِالتَّحِيَّةِ وَالْإِكْرَامِ وَيَقُولُ لَكَ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي إِنِّي مَا خَلَقْتُ سَمَاءً مَبْنِيَّةً، وَلَا أَرْضاً مَدْحِيَّةً، وَلَا قَمَراً مُنِيراً، وَلَا شَمْساً مُضِيئَةً، وَلَا فَلْكَاً يَدُورُ، وَلَا بَحَراً يَجْرِي، وَلَا فَلْكَاً يَسْرِي إِلَّا لِأَجْلِكُمْ وَمَحَبَّتِكُمْ.. وَقَدْ أُذِنَ لِي أَنْ أَدْخَلَ مَعَكُمْ، فَهَلْ تَأْذَنُ لِي يَا رَسُولَ اللهِ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ: عَلَيْكَ السَّلَامُ يَا أَمِينَ وَحِيَّ اللهُ، إِنَّهُ نَعَمْ قَدْ أُذِنْتُ لَكَ، فَدَخَلَ جِبْرَائِيلُ مَعَنَا تَحْتَ الْكِسَاءِ.

فَقَالَ لِأَبِي: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْحَى إِلَيْكُمْ يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

وبذلك تكون شريكة في متن الحديث مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وهي شريكة في أغلب فقرات الحديث، وهي التي وصفت وقائعه من بداية دخول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى بَيْتِهَا، وكيفية مجيء أولادها وبعلمها، وكيفية دعاء أبيها، والمحاورات التي وقعت بين بنيتها وأبيها من جهة، وبينها وبين الحسن والحسين وعليٍّ عليهم السَّلَام، وبين الله عَزَّ وَجَلَّ وملائكته، وبين عليٍّ ورسول الله، وبين جبرائيل ورسول الله صلوات الله عليهم.

قولها عليه السلام: «دَخَلَ عَلِيٌّ أَبِي رَسُولُ اللَّهِ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ».

أ- (دخل عليٌّ)، أي: زارني ولقيني.

ب- (أبي رسول الله)، لماذا قالت أبي، ثم ذكرت مقامه؟

وهذه الافتتاحية منها للحديث المبارك يذكرنا بموقفها من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وموقف رسول الله منها عندما نزلت آية: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ﴾.

ففي المناقب عن الْقَاضِي أَبُو مُحَمَّدٍ الْكَرْخِيُّ فِي كِتَابِهِ عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَام، قَالَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ: «لَمَّا نَزَلَتْ ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾، هَبْتُ رَسُولَ اللَّهِ أَنْ أَقُولَ لَهُ يَا أَبَتِ، فَكُنْتُ أَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ،

فَأَعْرَضَ عَنِّي مَرَّةً وَاثْنَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ: يَا فَاطِمَةُ، إِنَّهَا لَمْ تَنْزِلْ فِيكَ وَلَا فِي أَهْلِكَ وَلَا فِي نَسْلِكَ، أَنْتِ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ، إِنَّمَا نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الْجَفَاءِ وَالْغِلْظَةِ مِنْ قُرَيْشٍ أَصْحَابِ الْبَذَخِ^(١) وَالْكِبْرِ، قُولِي يَا أَبَتِ فَإِنَّهَا أَحْيَا لِلْقَلْبِ وَأَرْضِي لِلرَّبِّ^(٢).

فهذا جمع بين مكانة أبيها منها عاطفياً وما يريد من أبيها ومقامه عند الله.

الثالثة، (فَقَالَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا فَاطِمَةُ، فَقُلْتُ، عَلَيْكَ السَّلَامُ)

أ- معنى (السلام)،

وقد جمع ابن منظور في لسان العرب معاني السَّلام واشتقاقاته: والتَّسْلِيمُ: مشتق من السَّلام اسم الله تعالى لسلامته من العيب والنقص، وقيل: معناه أَنَّ اللَّهَ مُطَّلِعٌ عَلَيْكُمْ فَلَا تَغْفُلُوا، وقيل: معناه اسم السَّلامِ عَلَيْكَ، إِذْ كَانَ اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى يُذَكَّرُ عَلَى الْأَعْمَالِ تَوْقِعًا لِاجْتِمَاعِ مَعَانِي الْخَيْرَاتِ فِيهِ، وَانْتِفَاءِ عَوَارِضِ الْفَسَادِ عَنْهُ، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ السَّلَامُ جَمْعَ سَلَامَةٍ. وَالسَّلَامُ: التَّحِيَّةُ، الْمَصْدَرُ.

وَالسَّلَامُ فِي الْأَصْلِ: السَّلَامَةُ، يُقَالُ: سَلِمَ يَسْلَمُ سَلَامًا وَسَلَامَةً، وَمِنْهُ قِيلَ لِلجَنَّةِ: دَارُ السَّلَامِ * لِأَنَّهَا دَارُ السَّلَامَةِ مِنَ الْآفَاتِ. وَالسَّلْمُ: الْإِسْلَامُ. وَالسَّلْمُ: الْاسْتِخْذَاءُ وَالانْقِيَادُ وَالِاسْتِسْلَامُ^(٣).

(١) البذخ: التكبر.

(٢) حلية الأبرار، ١: ١٩٠.

(٣) لسان العرب، ١٢: ٢٩٥.

وَالسَّلَامُ، بالتحريك: السَّلَفُ . المصدر، السَّلْمُ: شجر من العِصَاة وورقها القَرَطُ الذي يُذْبَعُ به الأديم . المصدر^(١).

وفي مجمع البحرين: وَفِي الدُّعَاءِ «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ»، أي: أنت المُسَلِّمُ أولياءك والمُسَلَّمُ عليهم، أي منك بدأ السَّلَامُ وإليك عوده في حالتي الإيجاد والإعدام. واختلفت الأقاويل في معنى «السَّلَامُ عليك»، فمن قائل: معناه (الدعاء) أي سَلِمْتَ من المكاره، ومن قائل: معناه (اسمُ السَّلَامِ عليك)، ومن قائل معناه: (اسم الله عليك)، أي أنت في حفظه، كما يقال: (الله معك)، وإذا قلت: (السَّلَامُ علينا) و(السَّلَامُ على الأموات)، فلا وجه لكون المراد به الإعلام بالسَّلَامَةِ، بل الوجه أن يقال: هو دعاء بالسَّلَامَةِ لصاحبه من آفات الدنيا، ومن عذاب الآخرة وضعه الشارع موضع التحيَّة والبشرى بالسَّلَامَةِ.

ثمَّ إِنَّهُ اختار لفظ (السَّلَام) وجعله تحيَّة لما فيه من المعاني، أو لأنه مطابق للسَّلَامِ الذي هو اسم من أسماء الله تعالى تيمناً وتبركاً، وكان يحيى به قبل الإسلام، ويحيى بغيره، بل كان السَّلَامُ أقل، وغيره أكثر وأغلب، فلما جاء الإسلام اقتصروا عليه ومنعوا ما سواه من تحايا الجاهلية، وإيراده على صيغة التعريف أزين لفظاً، وأبلغ معنى. وأشدَّ ساعات ابن آدم ثلاثة: يوم يولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً.

وقد سَلَّمَ عيسى عليه السَّلَام على نفسه، فقال ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ

(١) لسان العرب: ٢٩٠-٢٩١.

أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿١﴾ ووادي السَّلام: اسم موضع في ظهر الكوفة يقرب من النجف. وفي الخبرِ (قُلْتُ أَيْنَ وَاوِي السَّلامِ؟ قَالَ: ظَهْرُ الكُوفَةِ). وفي الحديثِ (إِنَّهَا لِبُقْعَةٍ مِنْ جَنَّةِ عَدْنِ) (٢).

الخلاصة

أَنَّ السَّلام سواء كان اشتقاقه من اسم الله تعالى وهو مصدر كلِّ خير، أو من الإسلام وهو التسليم والخضوع، أو من الأمن والسَّلامة، فقد صار شعاراً بين المسلمين، وتحيّة يجي بها المسلم أخاه المسلم، ويدعو له بالأمان والسَّلامة من كلِّ آفة وبليّة في الدنيا والآخرة.

ب- استحباب السَّلام،

والسَّلام ابتداءً من الآداب والسُّنن المستحبة المؤكدة في شريعة الإسلام (٣)، وأما ردُّ السَّلام فهو واجب حتى في حال الصَّلاة الواجبة (٤)، وقد حثَّ الإسلام عليه

(١) سورة مريم، الآية: ٣٣.

(٢) مجمع البحرين، ٦: ٨٧-٨٨.

(٣) عن السكوني عن أبي عبد الله عليه السَّلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: السَّلام تطوع والردُّ فريضة»، وسائل الشيعة، ١٢: ٥٨، برقم ١٥٦٣٩-٣.

(٤) المجلسي: (ويدل على وجوب ردِّ السَّلام في حال الصَّلاة الآية لعمومها)، بحار الأنوار (طبعة بيروت)، ٨١: ٢٧٧.

وأمر أن لا يجاب المتكلم قبل السلام^(١)، ومدح من يبدأ به فأعطى له ثواباً أكثر من ثواب المجيب^(٢).

ولمّا كان رسول الله صلّى الله عليه وآله هو أكمل البشر وسيدهم والمشرّع والأسوة للمسلمين، فقد بدأ بالسلام على ابنته الصديقة فاطمة عليها السلام.

ج- السلام على فاطمة،

(يستحبُّ السلام على فاطمة صلوات الله عليها، حيث قال صلّى الله عليه وآله: «السلام عليك»، وقد دلّ عليه بعض الأحاديث^(٣)، ولا فرق في ذلك (فيها وفي سائر المعصومين عليهم السلام)، بين حيّهم وميتّهم، فهم حاضرّون ناظرون

(١) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه»، قال وقال عليه السلام: «لا تدع إلى طعامك أحداً حتى يسلم». وسائل الشيعة، ١٢: ٥٧، برقم ١٥٦٣٦-٦.

(٢) قال أبو عبد الله عليه السلام: «البادي بالسلام أولى بالله ورسوله صلى الله عليه وآله». وعن عليّ عليه السلام قال: «للسلام سبعون حسنة، تسع وستون للمبتدئ وواحد للراد»، جامع الأخبار (للسعيري): ٨٩.

(٣) وَعَنْ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ التُّوفَيْلِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَبَدَأْتَنِي بِالسَّلَامِ وَقَالَتْ: «قَالَ أَبِي وَهُوَ ذَا حَسِيٍّ: إِنَّ مَنْ سَلَّمَ عَلَيَّ وَعَلَيْكَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَلَهُ الْجَنَّةُ»، قَالَ: فَقُلْتُ لَهَا: هَذَا فِي حَيَاتِيهِ وَحَيَاتِكَ أَوْ بَعْدَ مَوْتِهِ وَمَوْتِكَ؟ قَالَتْ: «فِي حَيَاتِنَا وَبَعْدَ مَوْتِنَا».

﴿ أَحْيَاءُ عِنْدَكَ يُرْزَقُونَ ﴾ (١)(٢)

الرابعة ، قال ، إني أجدي بدني ضعفاً ، فقلت له ، أعيذك بالله يا ابتاه من الضعف ،

أ- معنى الضعف لغة ،

ضَعْفٌ يَضَعُفُ ضَعْفًا وَضُعْفًا. والضَّعْفُ: خلاف القوة. ويقال: الضَّعْفُ في العقل والرأي، والضَّعْفُ في الجسد. ويقال: هما لغتان جائزتان في كلِّ وجه. ويقال: كلِّما فتحت بالكلام فتحت بالضَّعْفِ . تقول: رأيت به (٣) ضَعْفًا. وإنَّ به ضَعْفًا، فإذا رفعت أو خفضت فالضم أحسن، تقول: به ضَعْفٌ شديد. وفعل ذلك من ضَعْفٍ شديد (٤).

وعليه فالضعف قد يكون وهناً، أو مرضاً، أو هزالاً أو فقد القوَّة والنشاط. ولما كان الرسول قيِّد الضعف في بدنه فلا يمكن انصرافه في النفس والإرادة والعقل، لأنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْزَهُ عَنْ هَذِهِ الْأُمُورِ، ولعلَّ ضعفه من مرض، أو ناشئ من الإرهاق، بسبب زهده وقلة التغذية، وكثرة النشاط والجهد الذي يبذله في العبادة جُلَّ الليل، ورعاية المسلمين في النهار بالعلم وتدبير شؤونهم.

(١) سورة آل عمران: ١٩٦.

(٢) من فقه الزهراء عليها السلام، ١: ٦٨.

(٣) سقطت (به) من ط.

(٤) العين، ١: ٢٨١.

ولا ريب أن الحالة الطبيعية للمريض أو من يصاب بالضعف يلجأ إلى أحب الناس إليه ويشكو حالته، ويطلب منه العون والرعاية كي يزول عنه التعب.

ب- هل يحسن أن يشكو المؤمن حالته للغير؟

اعلم أنه قد وردت طائفة من الروايات تنهى عن ذلك كما في رواية رِفَاعَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: «أَرْبَعٌ فِي التَّوْرَةِ وَإِلَى جَنْبِهَا أَرْبَعٌ، مَنْ أَصْبَحَ عَلَى الدُّنْيَا حَزِينًا فَقَدْ أَصْبَحَ عَلَى رَبِّهِ سَاحِطًا، وَمَنْ أَصْبَحَ يَشْكُو مُصِيبَةً نَزَلَتْ بِهِ فَيَتَمَتَّعُ بِهَا يَشْكُو رَبَّهُ»^(١).

وطائفة أخرى تقيد هذا الإطلاق بالجواز، إذا كانت الشكاية للمؤمن كما في رواية يُونُسَ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: «أَيُّهَا مُؤْمِنُ شَكَا حَاجَتَهُ وَضُرَّهُ إِلَى كَافِرٍ أَوْ يُخَالِفُهُ عَلَى دِينِهِ فَإِنَّهَا شَكَا [الله] إِلَى عَدُوٍّ مِنْ أَعْدَاءِ اللهِ، وَأَيُّهَا مُؤْمِنُ شَكَا حَاجَتَهُ وَضُرَّهُ وَحَالَهُ إِلَى مُؤْمِنٍ مِثْلِهِ كَانَتْ شَكْوَاهُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ»^(٢).

ج- ما معنى الاستعاذة بالله؟

الْعَوْدُ: الالتجاء إلى الغير والتعلق به. يقال: عَادَ فلان بفلان، ومنه قوله تعالى: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾^(٣)، ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ

(١) بحار الأنوار (طبعة بيروت)، ١٣: ٣٤٨، ح ٣٥.

(٢) التمهيد: ٦١، عنه في البحار، ٧٢: ٣٢٧، ح ١٠، والمستدرک، ١: ٨٢، ح ٢.

(٣) سورة البقرة: ٦٧.

تَرْجُمُونَ ﴿١﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ﴾ ﴿٢﴾، ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ﴾ ﴿٣﴾. وَأَعَدَّتُهُ بِاللَّهِ
أَعِيذُهُ.

قال: ﴿إِنِّي أَعِيذُهَا بِكَ﴾ ﴿٤﴾، وقوله: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾ ﴿٥﴾، أي: نلتجئ إليه
ونستنصر به أن نفعل ذلك، فإن ذلك سوء نتحاشى من تعاطيه ﴿٦﴾.

من ذلك يتضح أن مراد فاطمة عليها «أعيزك بالله يا أبتاه من الضعف» هو طلب
اللجوء إلى الله تعالى بالدعاء إليه وطلب العون منه تعالى لرفع الضعف عن أبيها.

والدعاء إلى الله بذاته راجح بل مستحب في كل حال بغض النظر عن الدافع
والسبب، ولا شك أن الله يسمع الداعين من عباده ويعطيهم حوائجهم - بحسب
المصلحة - وخصوصاً عند الانكسار والاضطرار، وكيف إذا كان الداعي هي
سيدة نساء العالمين، والمدعو له هو سيد الكائنات، فإن الإجابة تتحقق بإذن الله
تعالى، وهذا ما يظهر من تغير حالة النبي صلى الله عليه وآله واستعادة قوته ونشاطه
وتهلل وجهه وقيامه بجمع أهله للقيام ببرنامج الحديث المبارك واستعداده لنزول

(١) سورة الدخان: ٢٠.

(٢) سورة الفلق: ١.

(٣) سورة مريم: ١٨.

(٤) سورة آل عمران: ٣٦.

(٥) سورة يوسف: ٧٩.

(٦) مفردات ألفاظ القرآن: ٥٩٥.

الوحي عليه.

الخامسة: التغطية بالكساء اليماني

«فَقَالَ: يَا فَاطِمَةُ، اثْنَيْبِنِي بِالْكِسَاءِ الْيَمَانِيِّ فَغَطَّيْنِي بِهِ، فَأَتَيْتُهُ بِالْكِسَاءِ الْيَمَانِيِّ فَغَطَّيْتُهُ بِهِ وَصِرْتُ أَنْظَرُ إِلَيْهِ وَإِذَا وَجْهُهُ يَتَلَأَلُ كَأَنَّهُ الْبَدْرُ فِي لَيْلَةٍ تَمَامِهِ وَكَمَالِهِ»

١- لماذا يطلب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْعُونَ مِنْ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ؟

طلبه صلى الله عليه وآله يدل على أمور:

الأول: عندما يطلب النبي الأعظم وهو سيد الكائنات العون - وهو في حالة الضعف - من ابنته فيناديها: «يا فاطمة اثنيبي بالكساء»، يرشدنا بجواز طلب العبد إلى شخص مثله العون والمساعدة عند الحاجة، ولا يعد ذلك لجوءاً لغير الله، وهذا أمر عرفي، جارٍ في سيرة العقلاء، وجرّ عند سيد العقلاء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

الثاني: عندما يطلب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هذه الخدمة من ابنته أن تأتيه بالكساء وتغطيه به هو طلب سيد الكائنات، ومن له الولاية على جميع الخلائق، ولذلك بادرت فاطمة عليها السلام بقضاء حاجته بشكل فوري، وهو لا يحتاج أن يأمر ابنته بعنوان الولاية، لأنّ مقامه ومنزله مقدّرة عند ابنته العارفة المتفهمّة المتحنّنة المبادرة لخدمة أبيها، وإنّما ذكرنا هذا الأمر (دفع دخل) لو خطر في بال أحد

أن أمر الغير وطلب الحاجة منه غير راجح.

الثالث: أمر الغير بقضاء الحاجة لا إشكال فيه وخصوصاً إذا كان الأمر من الأبوين وهما بحاجة إلى ذلك، بل على الأولاد المبادرة للقيام بالخدمة قبل طلبهما، وتعاليم الإسلام تحثُّ على خدمة الأبوين والإحسان إليهما، وإطاعتها، وتعتبرها من الفروض الشرعية المستحبة، وقد تكون واجبة في بعض الموارد.

ب- لماذا يلجأ المريض وصاحب الضعف للتغطية؟

يقول أصحاب الاختصاص الصحي: إنَّما يلجأ المريض والمصاب بالضعف أو الهبوط للتغطية بالغطاء الدافئ لشعوره بالبرد وانخفاض درجة الحرارة في جسمه، ولذلك يقوم المعني بالمريض لتغطيته أو إعطائه سوائل دافئة، وربما يلجأ الأطباء لوضع الأوكسجين الدافئ أو التزريق بالمغذيات الدافئة، لأنَّ القلب والجهاز العصبي والأعضاء الأخرى لا تستطيع العمل بشكل طبيعي؛ ولذا نجد النائم يحتاج التغطية بسبب أنَّ جهازه العصبي والتنفسي صار أقلَّ نشاطاً، وأكثر سكوناً، وانخفاضاً في ضغط الدم، والنوم تحت الغطاء يعمل توازن في درجة الحرارة، ويبعث على الراحة.

نعم هذا ما كان يحتاجه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله من الناحية البدنية الظاهرية وهو أمرٌ طبيعيٌّ لكثرة ما يبذله من نشاط طوال الليل والنهار في العبادة وخدمة المسلمين وإدارة شؤونهم، وكثرة ما يُصاب بالمرض.

ولكن مجيئه إلى بيت فاطمة عليها السَّلَام أبعد من هذا الأمر الظاهري كما يظهر من مجريات سياق الحديث.

ج- استحباب النظر لوجه الأب،

يستحب النظر إلى وجه الأب، بل إدامة النظر إليه والإكثار منه لما ورد في الروايات الدالة على استحباب النظر إلى وجه الأبوين خصوصاً إذا كان الأب كرسول صلي الله عليه وآله^(١).

فقد روى العلامة المجلسي عن بسنده عن علي بن موسى الرضا عليه السَّلَام عن أبيه عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: «النَّظَرُ فِي ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ عِبَادَةً، النَّظَرُ فِي وَجْهِ الْوَالِدَيْنِ، وَفِي الْمُصْحَفِ، وَفِي الْبَحْرِ»^(٢).

د- وجه النبي صلى الله عليه وآله كالبدريّة تمامه وكماله،

وصفت الزهراء عليها السَّلَام وجه أبيها بعد أن نظرت إليه: «وَإِذَا وَجَّهَهُ يَتَلَأَأُ كَأَنَّهُ الْبَدْرُ فِي لَيْلَةٍ تَمَامِهِ وَكَمَالِهِ».

وهذا الوصف منها عليها السَّلَام أكَّده جميع من شاهدوه، ونقل عنهم، فقد روى الصدوق في خبر طويل بسنده عن ابن عباس أن يهودياً سأل أمير المؤمنين عليه السَّلَام عن صفة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ الْيَهُودِيُّ لَهُ: يَا

(١) من فقه الزهراء، ١: ٧٨.

(٢) بحار الأنوار، ١٠: ٣٦٨، ح ١٠.

انْفَرَقَتْ عَقِيْقَتُهُ فَرَقًا، وَإِلَّا فَلَا يُجَاوِزُ شَعْرُهُ شَحْمَةً أُذُنَيْهِ إِذَا هُوَ وَفَرُهُ، أَزْهَرَ اللَّوْنِ
وَإِسْعَ الْجَبِيْنِ، أَرْجَ الْحَوَاجِبِ ^(١) سَوَابِعٍ فِي عَيْرِ قَرْنٍ بَيْنَهُمَا، عِرْقٌ يُدْرُهُ الْغَضَبُ، أَقْنَى
الْعِرْنَيْنِ، لَهُ نُورٌ يَعْלוهُ يَحْسَبُهُ مَنْ لَمْ يَتَأَمَّلْهُ أَشْمًا، كَثَّ اللَّحْيَةِ سَهْلَ الْخَدَّيْنِ، ضَلِيْعَ
الْفَمِ أَشْنَبَ - مُفْلَجَ الْأَسْنَانِ دَقِيْقَ الْمُسْرَبَةِ، كَانَ عُنُقُهُ جِيْدًا دُمِيَّةً فِي صَفَاءِ الْفِيْضَةِ ^(٢).

قال الشيخ المفيد في شرح أحوال المسلمين عندما فروا في حنين: قَالُوا فَنَظَرَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى النَّاسِ بَعْضٍ وَجْهَهُ فِي الظُّلْمَاءِ فَأَضَاءَ كَأَنَّهُ الْقَمَرُ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ^(٣).
عَنْ بِلَالِ بْنِ حَمَّامَةَ قَالَ: طَلَعَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ذَاتَ يَوْمٍ وَوَجْهُهُ
مَشْرِقُ كِدَارَةِ الْقَمَرِ فَقَامَ [إِلَيْهِ] ^(٤) عَبْدُ الرَّحْمَنِ ^(٥) بْنُ عَوْفٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا
هَذَا النُّورُ؟ فَقَالَ: «بِشَارَةِ أَتْتَنِي مِنْ [عِنْدِ] ^(٦) رَبِّي فِي أَحْيِي وَابْنِ عَمِّي وَ ^(٧) ابْنَتِي» ^(٨).

(١) زج حاجبه: أي رق في طول فهو أرح.

(٢) معاني الأخبار: ٨٠.

(٣) الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، ١: ١٤٢.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من بدأ بالكلام قبل السلام فلا
تحيوه»، قال: وقال عليه السلام: «لا تدع إلى طعامك أحداً حتى يسلم». وسائل الشيعة، ١٢:
٥٧، برقم ١٥٦٣٦-٦.

(٤) من نسخة «ب».

(٥) كذا في جميع المصادر والنسخ. وفي البحار: عبد الله.

(٦) من بعض المصادر.

(٧) أضاف في نسخة «ب»: زوج.

(٨) مائة منقبة من مناقب أمير المؤمنين والأئمة: ١٦٦، برقم ٩٢.

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: أَوَّلُ شَيْءٍ عَلِمْتُ مِنْ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [أَنِّي] قَدِمْتُ مَكَّةَ فِي عُمُومَةٍ لِي، فَأُرْسِدُنَا إِلَى الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَانْتَهَيْتَنَا إِلَيْهِ وَهُوَ جَالِسٌ إِلَى رَمَزٍ، فَجَلَسْنَا إِلَيْهِ، فَبَيْنَا نَحْنُ عِنْدَهُ إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْ بَابِ الصَّفَا أَيْبُضُ تَعْلُوهُ حُمْرَةٌ، لَهُ وَفَرَةٌ جَعْدٌ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ، أَشْمٌ أَقْنَا أَدْلَفُ، بَرَأَقُ الشَّنَايَا أَدْعَجُ الْعَيْنَيْنِ، كَثُّ اللَّحْيَةِ، دَقِيقُ الْمُسْرِبَةِ، شَيْنُ الْكُفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ، عَلَيْهِ ثَوْبَانِ أَيْبِضَانِ، كَأَنَّهُ الْقَمَرُ لَيْلَةَ الْبَدْرِ^(١).

وَإِذَا بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَيْنَ عُمُومَتِهِ كَأَنَّهُ بَدْرٌ تَجَلَّى مِنَ الْعَمَامِ، وَالنُّورُ يُشْرِقُ مِنْ غَرَّتِهِ، وَالضِّيَاءُ يَسْطَعُ مِنْ وَجْهِهِ، كَأَنَّهُ قَمَرٌ بَيْنَ النُّجُومِ، قَدْ سَطَعَ نُورِهِ وَضِيَاؤُهُ وَبَهَاؤُهُ، وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ بَيْضَاءُ وَقَدْ أَرْخَى لَهَا ذَوَائِبَ وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ أَرْجَوَانِيَّةٌ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ بِيَانِيَّةٌ، وَقَدْ تَدَلَّتْ عَذَابَاتُهَا وَحَشِيَّتْ بِالمِسْكِ، فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَيْهِ وَقَدْ رَاعَهُمْ جَمَالُهُ وَقَدَّهُ وَاعْتَدَالَهُ، وَأَدْهَشَهُمْ نُورُهُ وَضِيَاؤُهُ وَتَعَجَّبُوا مِنْهُ فَأَفْرَجُوا لَهُ وَقَامُوا إِجْلَالًا وَإِعْظَامًا^(٢).

عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِذَا سَرَّهُ الْأَمْرُ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ كَأَنَّهُ دَارَةُ الْقَمَرِ^(٣).

(١) شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، ٢: ٣٠١، برقم ٩٣٧.

(٢) الأنوار في مولد النبي صلى الله عليه وآله: ٢٣٦.

(٣) مكارم الأخلاق: ١٩.

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِذَا رُئِيَ فِي اللَّيْلَةِ الظُّلْمَاءِ رُئِيَ لَهُ نُورٌ كَأَنَّهُ شِقَّةُ قَمَرٍ»^(١).

عَنْ ثَابِتِ بْنِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ أَزْهَرَ اللَّوْنِ كَانَ لَوْنُهُ اللَّوْلُو»^(٢).

(أم معبد) وصفت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمَّا نَزَلَ عِنْدَهَا فِي خِيَمَتِهَا فِي الصَّحْرَاءِ فَقَالَتْ لِرُجُلَيْهَا أَكْثَمُ بْنُ أَبِي الْجَوْنِ الْخَزَاعِمِيِّ: رَأَيْتَ رَجُلًا ظَاهِرًا الْوَضَاءَةَ أَبْلَجَ الْوَجْهَ... وَسِيمًا قَسِيمًا، فِي عَيْنَيْهِ دَعِجٌ، وَأَشْفَارُهُ وَطْفٌ، وَعُنُقُهُ سَطْعٌ، وَحَيْتُهُ كَثَائَةٌ، أَزْجُ أَقْرَنَ.. أَجْمَلُ النَّاسِ وَأَبْهَامُ مَنْ بَعِيدٍ، وَأَجْلَاهُمْ وَأَحْسَنُهُمْ مَنْ قَرِيبٍ، حَلَوُ الْمَنْطِقِ، مَهَابٌ مَقْبُولٌ، غَصْنٌ بَيْنَ غَصْنَيْنِ، فَهُوَ أَنْظَرُ الثَّلَاثَةِ مَنْظَرًا، وَأَحْسَنُهُمْ قَدْرًا^(٣).

ما هي صفة البدر؟

يبدأ القمر في بداية الشهر ربيعاً قليلاً الإضاءة فيكبر ويكتمل في منتصفه في ثلاث ليالٍ، الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، ثم يتقلص حجمه ونوره كلما تقدم في آخره، وتسمى هذه الليالي بالليالي البيض لاكتمال دائرة

(١) مكارم الأخلاق: ٢٤.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) بلاغات النساء: ٦٦.

القمر، فيشتدُّ نوره وضوؤه ووضوحه، ويكتمل عندما نرى وجهه المقابل للشمس بشكل كامل، وبذلك يكون بدرًا في هذه المدَّة، ويشتدُّ كماله وضوؤه في لحظة واحدة، يعرفه أهل الاختصاص.

الفرق بين التمام والكمال

جاء في كتاب (الكليات) أنَّ التمام يقابل النقصان في الأصل، والكمال يطابق نقصان الوصف بعد تمام الأصل.

ومن ذلك يعلم وصف الزهراء عليها السَّلام لأبيها سيد الخلائق (كأنَّه البدر في ليلة تمامه وكماله)، أي أنَّه تامٌّ في نوره الوضوء غير ناقص، وفيه كمال الحسن والجمال.

ما هي غاية الزهراء عليها السَّلام من وصف أبيها؟

ويبدو أنَّ توصيف الزهراء عليها السَّلام لأبيها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَيْسَ مِنْ بَابِ تَوْصِيفٍ لِمَا هُوَ وَاضِحٌ وَإِنَّمَا لَغَرَضٍ:

١- إمَّا مِنْ بَابِ ذِكْرِ فَضِيلَةِ جَمَالِهِ وَحَسَنِهِ وَالتَّحْدِيثِ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ الظَّاهِرَةِ الْبَيِّنَةِ.

٢- أَوْ مِنْ بَابِ إِظْهَارِ سُرُورِهَا وَإِنْشِرَاحِهَا بِالنَّظَرِ لِأَبِيهَا وَقَرَّةِ عَيْنِهَا الَّذِي هُوَ عِبَادَتَانِ؛ عِبَادَةُ النَّظَرِ لَوَجْهِ الْأَبِ، وَعِبَادَةُ النَّظَرِ لَوَجْهِ رَسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

٣- أَوْ أَنَّهُ وَصَفَ مِنْهَا لِتَبَدُّلِ حَالَتِهِ مِنَ الضَّعْفِ وَالتَّعَبِ إِلَى حَالَةِ الْإِنْبَسَاطِ وَالسُّرُورِ، وَتَلَاؤُ نُورِ وَجْهِهِ كَالْقَمَرِ فِي ضَوْئِهِ وَجَمَالِهِ وَإِكْتِمَالِهِ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي

حدث، فقد تغيّرت حالته لما أنس برؤية ابنته فاطمة عليها السّلام، وعظفت عليه وغطّته بالرداء البياني، ودعت له بالشفاء، وهذا يبيّن لمن تأمّل لسيرته العطرة مع ابنته التي كان يحبّها حباً جمّاً، وكان لا يكاد يفارقها، ويتعامل معها بالاحترام والتقدير الشديدين، ويحسبها كأُمّه كما نقل أنّه كان يقول لها: (أُمُّ أَبِيهَا)^(١).

السادسة، (فَمَا كَانَتْ إِلَّا سَاعَةً وَإِذَا بُوئِدِي الْحَسَنِ قَدْ أَقْبَلَ)،

١ - معنى الساعة (فَمَا كَانَتْ إِلَّا سَاعَةً).

(والظاهر أنّ المراد بـ(الساعة): القطعة من الزمان، لا الساعات المستوية أو المعوجة الفلكيّة، وإن أُطلق عليها جميعاً، للانصراف)^(٢).

ويؤيد ذلك أنّ العرف يُطلق على الفترة الزمنية غير الدقيّة بالساعة أو باللحظة أو الدقيقة أو ما شابه ذلك.

نعم كان تقسيم الساعات إلى أربع وعشرين ساعة، اثنتا عشرة ساعة بالليل واثنتا عشرة ساعة بالنهار، معروف عند القدماء من العرب، وربما أخذوها من المصريين واليونانيين القدماء، وكانت الساعة تقسم بحسب امتداد واختلاف ساعات النهار وساعات الليل في الصيف والشتاء، ولكنّ التقسيم ليس بدقّة هذا اليوم.

(١) المناقب، ٣: ٣٥٧.

(٢) فقه الزهراء عليها السلام، ١: ٨٧-٨٨.

٢ - الفرق بين الولد والابن (وإذا بولدي)،

كُلُّ من تربيته فهو (ابن) لك، سواء كان من صلبك أم لم يكن من صلبك، أمَّا (الولد) فيطلق على الابن الصلبي حصراً، ولذلك نجد القرآن في آيات الموارث يحدد الابن الوارث بصيغة الولد فيقول: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾، ويقول: ﴿إِنْ كَانَ لَهُ وُلْدٌ﴾^(١)، والولد هنا الذكر والأنثى على حد سواء^(٢). وجاء في الفروق اللغوية: الفرق بين الابن والولد: الأوَّل للذكر، والثاني يقع على الذكر والأنثى. والنسل والذرية يقع على الجميع^(٣).

ولذلك قالت مولانا فاطمة للحسن (ولدي) ولم تقل ابني.

٣ - معنى (قد أقبل)،

فعل رباعي لازم، متعد بحرف، مهموز، وهو من الأفعال المبنية للمعلوم الماضي الغائب، بمعنى جاء، قدم، أتى.

(١) سورة النساء: ١١.

(٢) موقع الكفيل.

(٣) الفروق اللغوية، ١٣: ٣٤.

٤- ترتيب مجيء أهل البيت إلى المنزل ودخولهم تحت الكساء،

فهل كان ترتيب الدخول بهذه الطريقة مسألة طبيعية أم هي مرسومة من الغيب؟^(١).
لا نستبعد أنه كان مقدرًا ومهندساً من الغيب، ويؤيد ذلك أن نسق جريان
حديث الكساء من أوله إلى آخره إيصال رسائل ربانية بيّنة للأمة، وسوف يتضح
في الفصول القادمة.

السابعة: دخول الإمام الحسن عليه السلام،

(وَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أُمَّاهُ، فَقُلْتُ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا قُرَّةَ عَيْنِي وَتَمَرَةَ فُؤَادِي).

١- السلام قبل الكلام. (السلام عليك يا أُمَّاهُ)،

والتسليم مستحب عند دخول البيت وعند ملاقاته الآخرين، ولا ريب أنه يزداد

(١) (وليس توأيمهم عليهم السلام في المجيء بعيداً مع قطع النظر عن الجانب الغيبي ومعرفتهم مسبقاً
بالأمر فإن بيت الزهراء عليها السلام كان له بابان، باب إلى المسجد ولم يغلقه الرسول صلى الله
عليه وآله حيث سدّ الأبواب بأمر الله سبحانه إلا بابها، وباب إلى الشارع، وكان هؤلاء الأطهار
عليهم السلام غالباً في المسجد أو حواليه.

سوف يأتي بحث هذا العنوان مفصلاً في الفصل السابع في الرسالة الاجتماعية الأسرية.
ويدل على وجود البابين أنهم أحرقوا باب دارها (عليها الصلاة والسلام) الذي كان إلى الخارج لا
الذي كان إلى المسجد، وسحبوا علياً (عليه الصلاة والسلام) من ذلك الباب إلى المسجد لا من
الباب الذي كان في المسجد.

وقد كانت (سلام الله عليها) تبكي، فتسمع من في المسجد، ثم رأوا أنّ بكاءها يفضحهم على تفصيل
مذكور في التواريخ فقه الزهراء، ١: ٨٧-٨٨.

استحباباً إذا كان على الأبوين، إذ تجتمع فيه عناوين البر والإحسان وإظهار المحبة والشفقة والتقدير واحترام الوالدين.

والإمام الحسن عليه السلام وإن كان طفلاً في ذلك الزمان، ولكنه إمام معصوم عالم متصف بالخلق الرفيع في فعله قبل أقواله، وهكذا بقيت المعصومين من أهل البيت عليهم السلام إذا بدأ بالسلام قبل الكلام.

ب- مخاطبة الأم (يا أمّاه)،

(يستحب خطاب الأم بكلمة (يا أمّاه) أو ما شابه مما يُعَدُّ احتراماً) (١).

وهذا النوع من الخطاب للأمّ أحياناً لقلبها ويزيدها سروراً وبمهجة لقلبها، ويدخل في باب الطاعة والعبادة لله تعالى، كما أمر في كتابه المجيد: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (٢).

ج- استقبال فاطمة لولدها الحسن عليهم السلام.

استقبلت فاطمة ولده الإمام الحسن عليهما السلام) عبر الأمور التالية:

١- رَدَّ السَّلَامَ عَلَىٰ وَلَدِهَا الْحَسَنِ، (فَقُلْتُ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ) (٣).

(١) من فقه الزهراء، ١: ٩٠.

(٢) سورة الإسراء: ٢٣.

(٣) قد مرّ بحث معنى السلام في الصفحات السابقة، وهناك بحث مفصل في الفصل السابع في هذا الشأن.

٢- (يا قُرَّةَ عَيْنِي).

ما معنى قرة العين وشمرة الفؤاد؟

قُرَّةُ الْعَيْنِ: برودتها وانقطاع بكائها ورؤيتها ما كانت مشتاقة إليه. والقُرُّ بالضم: ضدُّ الحرِّ، والعرب تزعم أن دمع الباكي من شدَّة السرور باردة، ودمع الباكي من الحزن حارة، فقُرَّةُ العين كناية عن الفرح والسرور والظفر بالمطلوب، يقال قَرَّتْ عَيْنُهُ تَقَرُّ بِالْكَسْرِ وَالْفَتْحِ قَرَّةً بِالْفَتْحِ وَالضَّمِّ، ومثله في حَدِيثِ الدُّعَاءِ (أَقَرَّ اللَّهُ عَيْنَكَ).

أي بَرَّدَ اللهُ دمعَتَكَ، وقيل معنى أَقَرَّ اللهُ عَيْنَكَ: أَنَامَهَا، من قَرَّ إِذَا سَكَنَ، وقيل معنى أَقَرَّ اللهُ عَيْنَكَ بَلَغَكَ أَمْنِيَّتَكَ حَتَّى تَرْضَى نَفْسَكَ وَتَسْكُنَ عَيْنَكَ، وحاصل الكَلِّ الدُّعَاءُ لَهُ بِمَا يَسْرُهُ وَلَا يَسُوؤُهُ^(١).

(ووجه هذه الكلمة أَنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي فَقَدَ شَيْئاً أَوْ خَافَ مَحْذُوراً تَأْخُذُ عَيْنُهُ فِي النَّظَرِ هُنَا وَهَنًا وَبِدُونِ اسْتِقْرَارٍ، فَإِذَا وَجَدَهُ أَوْ أَمِنَ اسْتَقَرَّتْ عَيْنُهُ، وَفَاقَدَ الْوَلَدَ شَارِدَةً عَيْنُهُ، فَإِذَا جَاءَهُ الْوَلَدُ اسْتَقَرَّتْ، فَ (قُرَّةُ عَيْنِي) مِنَ الْقَرَارِ وَالِاسْتِقْرَارِ)^(٢).

(١) مجمع البحرين، ٣: ٤٥٦.

(٢) من فقه الزهراء: ٩٦.

٣- (وَمَثَرَةُ فُوَادِي) (١).

مَثَرَةٌ: اسم، والجمع: مَثَرَات، ومَثَر، ومَثَرًا، ومَثَرٌ، والمَثَرَةُ: واحدة المَثَر وهو حمل الشجرة (٢).

هذا هو الأصل ولكن إذا أضيف إلى شيء فهو استعمال مجازي يدل على نتيجة ذلك الشيء، فإذا أضيف للمال فتكون الثمرة الزيادة والنماء، وإذا أضيف لجهد الإنسان وعمله يكون المعنى النتائج والآثار.

وحيث إن الصديقة سلام الله عليها شبّهت الحسن المجتبي بثمره فوادها، فهو يعني خلاصة وجودها وكيانها، لأن فواد الإنسان مركز حياته وشعوره، وكأنها تريد القول إن ولديها الحسن والحسين هما ثمرة حياتها كما وكيفاً، وبها تستمر حياتها وعطاؤها وجهودها وذريتها.

وهذا المعنى لا يقف عند الجانب المادي باستمرار الذرية فحسب، ولكن ثمرة هو استمرار الدين بالإمامة من نسلها.

وهذا الأسلوب من التشبيه جارٍ في كلماتهم وموافق لكثير من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله كما في هذا الحديث: عَنْ أَبِي أَمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

(١) ثمرة فوادِي، وكأنه بمناسبة أن الشجرة كما تتزين بالثمرة كذلك يتزين الإنسان بالولد، ويمكن أن تكون المناسبة غير ذلك.

(٢) معجم المعاني الجامع.

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْأَنْبِيَاءَ مِنْ شَجَرٍ شَتَّى وَخَلَقَنِي وَعَلِيًّا مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ، فَأَنَا أَضْلُهَا وَعَلِيٌّ فَرَعُهَا وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ ثِمَارُهَا وَأَشْيَاعُنَا أَوْرَاقُهَا، فَمَنْ تَعَلَّقَ بِغُضُنِّ مِنْ أَغْصَانِهَا نَجَا، وَمَنْ زَاغَ هَوَى، وَلَوْ أَنَّ عَابِدًا عَبَدَ اللَّهَ أَلْفَ عَامٍ ثُمَّ أَلْفَ عَامٍ، ثُمَّ أَلْفَ عَامٍ ثُمَّ لَمْ يُدْرِكْ مَحَبَّتَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ أَكْبَهُ اللَّهُ عَلَى مَنْخَرِنِهِ فِي النَّارِ، ثُمَّ تَلَا: ﴿قُلْ لَا أَسْتَلْكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾»^(١).

وهو موافق لما صدر عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ متواتراً بهذا المضمون «إِنَّهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ».

ضرورة جلب القلوب بإظهار المحبة

من هذه الفقرة نستنتج ضرورة إظهار المحبة للأولاد والأقرباء والتودد إليهم بالكلام الطيب الذي يجلب قلوبهم.

(يستحب إظهار الأمِّ المحبَّة لأولادها، كما في قولها عليها السَّلَام: «يا قرَّة عيني وثمره فؤادي».

وهذا ليس خاصاً بالأمِّ، بل كذلك حال الأب، والأولاد بالنسبة إلى الأبوين، وهكذا سائر الأقرباء، فإنَّ إظهار المحبَّة نوع من الإجلال والاحترام، وهكذا حال إظهار المحبَّة بالنسبة إلى سائر المؤمنين.

(١) شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، ١: ٥٥٣.

وكما يمكن إظهار المحبة بالكلام، كذلك يمكن بالكتابة والإشارة، والفرق بين المودّة) و(المحبّة) إذا اجتمعا أنّ (المودّة) هي الظاهرة و(المحبّة) هي القلبية، أمّا إذا اختلفا فكلٌّ يشمل الآخر^(١).

الثامنة: محاوراة الإمام الحسن مع الزهراء عليهما السلام

فَقَالَ: يَا أُمَّهُ إِنِّي أَشُمُّ عِنْدَكَ رَائِحَةً طَيِّبَةً كَأَنَّهَا رَائِحَةُ جَدِّي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ).

سؤال الحسن عن جده رسول الله وجواب فاطمة صلوات الله وسلمه عليهم أجمعين،

أ- ما هي الرائحة الخاصة برسول الله صلى الله عليه وآله؟

فهل كان يستخدم عطراً معيناً؟

ربما يفهم من سؤال كل من الحسن والحسين وأمير المؤمنين من فاطمة عليهم السلام، عن الرائحة الطيبة الفواحة في منزلهم، أنّها رائحة رسول الله صلى الله عليه وآله، وبأنه كان يستفيد من عطر مميز لديه حتى صار مشهوراً به، ولكن عند التأمل في سؤالهم وجواب فاطمة عليهم السلام يتبين أنّ الرائحة التي كان يتميز بها النبي رائحة ذاتية تصدر من عرقه الشريف، وقرينة سياق سؤالهم عن رائحة تشبه رائحة جدّهما صلى الله عليه وآله وجواب فاطمة عليها السلام: «فَقُلْتُ: نَعَمْ، إِنَّ جَدَّكَ

(١) من فقه الزهراء: ٩٦.

تَحْتَ الْكِسَاءِ»، وكذلك أجابت أمير المؤمنين عليه السَّلَام بالطريقة نفسها، وكانَّ السؤال عن نفس النبيَّ وجواها عن ذات النبيَّ (أَنَّ جَدَّكَ تَحْتَ الْكِسَاءِ).

فيتبين أَنَّ سؤالهم كان للاطمئنان والتأكد من وجوده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بعد إجماعهم بالاستدلال على وجوده من رائحته المميزة.

وقد اشتهر عند أهل بيته وزوجاته وأصحابه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّ رِيحَهُ كَانَتْ مِمِيزَةً طَيِّبَةً زَاكِيَةً يَفُوحُ مِنْهُ رَائِحَةُ الْوَرْدِ^(١)، وكانوا يستدلون على مروره في طريق من رائحته الفواحة^(٢)، وقد كان أمير المؤمنين عليه السَّلَام يقول: «وَيَمْسُنِي جَسَدُهُ وَيَشْمَنِي عَرْفُهُ»^(٣)، أي رائحته الزكيَّة.

ب- مصدر رائحته الزكيَّة ونوعه:

ما ذاك إِلَّا من طيب روحه الزكيَّة وبدنه الشريف الذي خلقه الله من طينة مكنونة من تحت عرشه، ويظهر من بعض الأخبار أَنَّ رَائِحَةَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْصِيَاءِ بِشَكْلِ عَامٍ

(١) وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: مَا سَمِعْتُ رَائِحَةَ قَطْ مِسْكَةٍ وَلَا عَنْبَرَةَ أَطْيَبَ مِنْ رَائِحَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَلَا مِسْسَتْ شَيْئًا قَطْ حَزْرَةً وَلَا حَرِيرَةَ الْبَيْنِ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ. وَقَالَ أَنَسٌ: كُنَّا نَعْرِفُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِذَا أَقْبَلَ بِطَيْبِ رِيحِهِ. بحار الأنوار (طبعة بيروت بيروت)، ١٦: ١٩٢.

(٢) ذَكَرَ الْبُخَارِيُّ فِي تَارِيخِهِ الْكَبِيرِ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَمُرُّ فِي طَرِيقِ قَتَبَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا عَرَفَ أَنَّهُ سَلَكَهُ مِنْ طَيْبِهِ. بحار الأنوار (طبعة بيروت)، ١٦: ١٩٢.

(٣) نهج البلاغة (الخطبة القاصعة).

هي رائحة السفرجل كما في بعض الأخبار^(١)، أمّا الرائحة الخاصة برسول الله صلى الله عليه وآله هي رائحة الورد الأبيض والأحمر^(٢)، ويظهر من بعض الأحاديث أنّ

(١) قال الصادق عليه السلام: «رَائِحَةُ السَّفْرَجَلِ رَائِحَةُ الْأَنْبِيَاءِ». وقال أيضاً: «رَائِحَةُ الْأَنْبِيَاءِ رَائِحَةُ السَّفْرَجَلِ، وَرَائِحَةُ الْحُورِ الْعَيْنِ الْأَسْ، وَرَائِحَةُ الْمَلَائِكَةِ الْوَرْدُ، وَمَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا أَوْجَدَ مِنْهُ رِيحَ السَّفْرَجَلِ»، مكارم الأخلاق: ١٧٢.

(٢) علل الشرائع، عن أبيه عن محمد العطار عن الصفار ولم يحفظ إسناده، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لَمَّا أُسْرِيَ بِي إِلَى السَّمَاءِ سَقَطَ مِنْ عَرْقِي مِنْهُ الْوَرْدُ فَوَقَعَ فِي الْبَحْرِ فَذَهَبَ السَّمَكُ لِيَأْخُذَهَا وَذَهَبَ الدُّغْمُوسُ لِيَأْخُذَهَا، فَقَالَتِ السَّمَكَةُ: هِيَ لِي، وَقَالَ الدُّغْمُوسُ: هِيَ لِي، فَبَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِمَا مَلَكًا يَحْكُمُ بَيْنَهُمَا، فَجَعَلَ يَضْفَعُهَا لِلسَّمَكَةِ وَجَعَلَ يَضْفَعُهَا لِلدُّغْمُوسِ»، ثم قال أبي رضوان الله عليه وتري أوزاق الورد تحت جلناره وهي خمسة اثنان منها على صفة السمك واثنان منها على صفة الدغموص وواحدة منها يَضْفَعُهَا عَلَى صِفَةِ السَّمَكِ وَيَضْفَعُهَا عَلَى صِفَةِ الدُّغْمُوسِ. علل الشرائع، ٢: ٢٨٩، وجلنار معرب جلنار ورد الرمان، والمراد هنا الغلاف الذي ينشق عن الورد.

مكارم الأخلاق من كتاب طب الأئمة عن الحسن بن المنذر يرفعه قال: لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى السَّمَاءِ حَزَبَتِ الْأَرْضُ لِفَقْدِهِ وَأَنْبَتَتِ الْكَبَرَّ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى الْأَرْضِ فَرَحَتْ وَأَنْبَتَتِ الْوَرْدَ فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْمَرَ رَائِحَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَلْيَسْمَرَ الْوَرْدَ. الكبر - محرمة - شجر الأصف أو هو أصل، قيل هو لغة عبرية.

في حديث آخر لما عرج بالنبي صلى الله عليه وآله عرق فتقطر عرقه إلى الأرض فأنبثت من العرق الورد الأحمر، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْمَرَ رَائِحَتِي فَلْيَسْمَرَ الْوَرْدَ الْأَحْمَرَ».

عن الفردوسي عن أنس بن مالك قال: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «الْوَرْدُ الْأَبْيَضُ خُلِقَ مِنْ عَرْقِي لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ، وَالْوَرْدُ الْأَحْمَرُ خُلِقَ مِنْ جَبْرَيْلَ، وَالْوَرْدُ الْأَصْفَرُ مِنْ بَرَاقِ». بحار الأنوار (طبعة بيروت)، ٧٣: ١٤٧.

مصدر رائحته الطيبة من عرقه الشريف^(١).

ج- الطيب والعطر من أخلاقه صلى الله عليه وآله ومن سنن الأنبياء،

على الرغم من أن رائحة رسول الله صلى الله عليه وآله هي ذاتية، إلا أنه كان يحب الطيب ويكثر منه بأنواعه، وقد روي عن أنس بن مالك عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «حَبَبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ النَّسَاءُ وَالطَّيْبُ وَجُعِلَ قُرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»^(٢).

وكان يحث المؤمنين على التطيب، وخصوصاً في يوم الجمعة، وقد روى الشيخ الكليني طائفة من الأخبار الدالة على ذلك:

عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي نَصْرِ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرُّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «الطَّيْبُ مِنْ أَخْلَاقِ الْأَنْبِيَاءِ»^(٣).

(١) وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي زَوَّجْتُ ابْنَتِي وَإِنِّي أَحِبُّ أَنْ تُعِينَنِي بِشَيْءٍ، فَقَالَ: «مَا عِنْدَنَا شَيْءٌ وَلَكِنْ إِذَا كَانَ غَدًا فَتَعَالَ وَجِئْتِي بِقَارُورَةٍ وَاسِعَةٍ الرَّأْسِ وَعُودِ شَجَرٍ، وَآيَةٌ ابْنِي وَبَيْنَكَ أَلَى أَحْيُفُ النَّبَاتِ»، فَأَتَاهُ بِقَارُورَةٍ وَاسِعَةٍ الرَّأْسِ وَعُودِ شَجَرٍ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَسْلُتُ الْعَرَقَ مِنْ ذِرَاعَيْهِ حَتَّى امْتَلَأَتِ الْقَارُورَةُ فَقَالَ: «خُذْهَا وَأْمُرْ ابْنَتَكَ إِذَا أَرَادَتْ أَنْ تَطِيبَ أَنْ تَغْمِسَ الْعُودَ فِي الْقَارُورَةِ وَتَطِيبَ بِهَا، وَكَانَتْ إِذَا تَطِيبَتْ سَمَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ ذَلِكَ الطَّيْبَ فَسَمُّوا بَيْتَ الْمُتَطَيِّبِينَ.

(٢) الحصال، ١: ١٦٥.

(٣) الكافي (طبعة الإسلامية)، ٦: ٥١٢، ح ١.

عَنْ يُونُسَ بْنِ يَعْقُوبَ عَنْ أَبِي أَسَامَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «الْعِطْرُ مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ»^(١).

عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى عَنْ طَلْحَةَ بْنِ زَيْدٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «ثَلَاثٌ أُعْطِيَهُنَّ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، الْعِطْرُ وَالْأَزْوَاجُ وَالسُّوَاكُ»^(٢).

عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ يَاسِرٍ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: قَالَ لِي حَبِيبِي جَبْرِئِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: تَطِيبُ يَوْمًا وَيَوْمًا لَا، وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ لَا بَدَّ مِنْهُ، وَلَا تَتْرُكْ لَهُ»^(٣).

عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ يَزِيدَ رَفَعَهُ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «قَالَ عُمَانُ بْنُ مَطْعُونٍ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: قَدْ أَرَدْتُ أَنْ أَدْعَ الطِّيبَ وَأَشْيَاءَ ذَكَرَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: لَا تَدْعِ الطِّيبَ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَسْتَنْشِقُ رِيحَ الطِّيبِ مِنَ الْمُؤْمِنِ، فَلَا تَدْعِ الطِّيبَ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ»^(٤)..

عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «الطِّيبُ فِي الشَّارِبِ مِنْ أَخْلَاقِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَكَرَامَةٌ لِلْكَاتِبِينَ»^(٥).

(١) الكافي، ٦: ٥١٢، ح ٢.

(٢) المصدر نفسه، ح ٩.

(٣) المصدر نفسه، ح ١٢.

(٤) المصدر نفسه، ح ١٤.

(٥) المصدر نفسه، ح ١٨.

مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْخُثَعَمِيِّ عَنْ إِسْحَاقِ الطَّوِيلِ الْعَطَّارِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يُنْفِقُ فِي الطَّيِّبِ أَكْثَرَ مِمَّا يُنْفِقُ فِي الطَّعَامِ».

التاسعة: انضمام الحسن مع جدّه عليهما السلام

«فَأَقْبَلَ الْحَسَنُ نَحْوَ الْكِسَاءِ، وَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا جَدَّاهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَدْخُلَ مَعَكَ تَحْتَ الْكِسَاءِ، فَقَالَ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا وَلَدِي وَيَا صَاحِبَ حَوْضِي، قَدْ أَذِنْتُ لَكَ، فَدَخَلَ مَعَهُ تَحْتَ الْكِسَاءِ».

انضمام الحسن مع جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله تحت الكساء فيه عدّة أمور:

١- إقبال الحسن نحو جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله:

(فَأَقْبَلَ الْحَسَنُ نَحْوَ الْكِسَاءِ).

(يستحب الإقبال والتوجه نحو العظيم، والوفود إليه، كما صنع الحسن والحسين وعلي وفاطمة عليهم السلام)، فإنّ العظيم يُزار ولا يزور^(١).

٢- بالابتداء بالسّلام على جدّه، (وَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ):

وهو أمرٌ مستحب من الشخص الداخل إلى المنزل، وكذلك الماشي على الجالس ومن الصغير على الكبير وتكراره كذلك.

(١) من فقه الزهراء: ١٠٤.

٣- النداء له بلفظ (يا جداه).

وهو كسابقته في الحديث عن القول يا أماء أحيى للقلب، وكذلك يا والداه ويا أخاه فإنه يزيد في القرب والمحبة والعطف.

٤- ذكر مقام جدّه عند الله (يا رَسُولَ اللهِ).

مع أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يُحِبُّ أَنْ يناديه أهله بالمقام الشخصي وهو أحيى لقلبه الشريف، ولكنّ الحسن المجتبي - رغم صغره - عارف بمقام جدّه عند الله سبحانه وتعالى^(١).

٥- الاستئذان بالدخول معه تحت الكساء «أَتَأذَنُ لِي أَنْ أَدْخُلَ مَعَكَ تَحْتَ الْكِسَاءِ».

(يستحب وقد يجب الاستئذان من العظيم للحضور بمحضره، كما استأذنوا عليهم السّلام من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ).

فإنّه مستحب إذا كان في مكان مباح ونحوه، وواجب إذا كان المكان خاصاً بالعظيم على نحو أكد، فإنّه يجب الاستئذان حين الدخول في مكان الغير فكيف بها إذا كان عظيماً.

وربما يقال: إنّ جمع الواجب والمستحب كالصلاة الواجبة في المسجد ممّا يوجب

التأكد، كما ذكروا في الواجبات المصادفة للمستحبات، وبالعكس^(٢).

(١) تعرضنا لهذا الموضوع في الصفحات السابقة عند فقرة (دَخَلَ عَلَيَّ أَبِي رَسُولَ اللهِ).

(٢) من فقه الزهراء: ١٠٧.

٦- جواب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِلْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

تمثلُ بأمور:

أ- رَدَّ السَّلَامَ (فَقَالَ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ).

ب- (يَا وَلَدِي).

(يستحب إظهار الجدَّ عطفه ومحَبَّته وعنايته بأسباطه، كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: يَا وَلَدِي وَيَا صَاحِبَ حَوْضِي)^(١).

ج- (وَيَا صَاحِبَ حَوْضِي).

(ولا يخفى أنَّه لا منافاة بين أن يكون الحوض للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي الْمَحْشَرِ، وَبَيْنَ أَنْ يَكُونَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ السَّاقِي، وَبَيْنَ أَنْ يَكُونَ الْحَسَنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ صَاحِبَهُ، إِذْ قَدْ تَكُونُ لِلشَّيْءِ الْوَاحِدِ إِضَافَاتٌ وَنَسَبٌ مُتَعَدِّدَةٌ، وَقَدْ تَخْتَلِفُ الْأَحْكَامُ بِالِاعْتِبَارَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ، فَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَنْحَ الْحَوْضِ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَجَعَلَ السَّاقِي الْعَامَ عَلَيْهِ عَلِيًّا (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ)، وَجَعَلَ الْحَسَنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ صَاحِبَهُ، بِمَعْنَى اخْتِصَاصِهِ بِهِ بَعْدَ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ طَوْلِيًّا، كَمَا أَنَّ الْعَبْدَ مَمْلُوكًا لِسَيِّدِهِ فِي طَوْلِ مَلِكِيَّةِ اللهِ تَعَالَى لَهُ.

كما أنَّ الظاهر أنَّهم جميعاً (عليهم أفضل الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ) يسقون الناس من ذلك الحوض)^(٢).

(١) من فقه الزهراء: ١١٢.

(٢) المصدر نفسه: ١١٣.

د- الإذن له بالدخول معه تحت الكساء «قَدْ أَذِنْتُ لَكَ، فَدَخَلَ مَعَهُ تَحْتَ الْكِسَاءِ».

العاشرة، (السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَنْ اخْتَارَهُ اللَّهُ).

ماذا يعنى (اختاره الله)؟

وأليس أن الله اختار كل شيء ووضع في موضعه المناسب، ومن ذلك اختياره محمداً صلى الله عليه وآله، وتفضيله على جميع خلقه، فجعله سيد أنبيائه ورسوله، وخاتمهم؟ وهل للمخلوق دخل في هذا الاختيار والتفضيل ومنهم نبي الله صلى الله عليه وآله؟ الجواب: لا شك أن البارئ عز وجل له ابتداء التفضل والاختيار والدوام في ذلك، وأن المخلوق ليس له دخل ولا فضل، وإنما هو عطاء محض من الله تعالى، ولكنه أيضاً متصف بصفة العدل يعطي ويفضل بعضهم على بعض بموازين العدل على عباده، فإذا استجاب العبد وعرف الله منه الصدق والدوام زاده فضلاً بعد فضل.

فالعبد له حق الاختيار والمسارة في الخير والسبق إليه والدوام والاستقامة عليه. وعلى هذا الأساس يعطي الله لخيرته من خلقه التفضيل والكمالات والسيادة على خلقه، لسابق لعلمه بأن محمداً صلى الله عليه وآله هو أسرع الخلق وأسرع الأنبياء إجابة لربه في الإيثار والطاعة، فاستحق بذلك أن يكون هو سيد أنبيائه ورسوله^(١).

(١) روى الكليني في الكافي عن صالح بن سهل عن أبي عبد الله عليه السلام أن بعض قرشي قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: بأي شيء سبقت الأنبياء وأنت بعثت آخرهم وخاتمهم؟ قال صلى الله عليه وآله: «إني كنت أول من آمن بربي، وأول من أجاب حين أخذ الله ميثاق النبين وأشهدهم»

الحادية عشرة، (وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا وَدِي وَيَا شَافِعَ أُمَّتِي).

ما وجه الجمع بين كون مقام الشفاعة لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَفِي الْوَقْتِ
نفسه للحسين عليه السَّلَامُ أيضاً؟

ماذا يعني أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ لَوْلَدِهِ الْحُسَيْنِ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهَا
«يَا شَافِعَ أُمَّتِي»؟ وأليس مقام الشفاعة أعطاه الله لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؟!!

إضافة إلى ما تقدّم في شرح فقرة (يا صاحب حوضي) نقول: لا ريب أَنَّ
رسول الله له مقام الشفاعة الكبرى يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ
يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾^(١)، فجميع الخلق محتاجون لشفاعته بما فيهم

على أنفسهم، أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا: بَلَى، فَكُنْتُ أَنَا أَوَّلَ نَبِيٍّ قَالَ بَلَى، فَسَبَّحْتَهُمُ بِالْإِقْرَارِ بِاللَّهِ. الكافي
(طبعة الإسلامية)، ١: ٤٤١، ح ٦.

(١) سورة الضحى: ٥.

(٢) حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الثَّقَفِيُّ [حَدَّثَنَا] الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبِ الْمُقْرِي، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ
بْنِ أَسَدِ الْمُؤَصِّلِ [قَالَ] حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْمُرَادِيِّ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَاصِمٍ، حَدَّثَنَا حَرْبُ بْنُ
شَرِيحِ الْبُرَّازِ، حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ: «حَدَّثَنِي عَمِّي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنَفِيَّةِ، عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ
بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أَشْفَعُ لِأُمَّتِي حَتَّى يُنَادِيَ رَبِّي -
رَضِيَتْ يَا مُحَمَّدُ!!! فَأَقُولُ: رَبِّ رَضِيَتْ». ثُمَّ قَالَ: «إِنَّكُمْ مَعْتَرِ أَهْلَ الْعِرَاقِ تَقُولُونَ: إِنَّ أَرْجَى آيَةٍ
فِي الْقُرْآنِ ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْطَعُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ « قُلْتُ: إِنَّا لَنَقُولُ ذَلِكَ.
قَالَ: «وَلَكِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ، نَقُولُ: إِنَّ أَرْجَى آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ [قَوْلُهُ تَعَالَى]: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ
فَتَرْضَى﴾ وَهِيَ الشَّفَاعَةُ». شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، ٢: ٤٤٧، ح ١١١٢، وح ١١١٤.
وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ فِي تَفْسِيرِهِ: حَدَّثَنِي عَبَّادُ بْنُ يَعْقُوبَ [قَالَ: حَدَّثَنَا] الْحَكَمُ بْنُ ظَهْرِبَرِّ،

الأنبياء، ولا ينافي أن يكون لأهل بيته المقام نفسه، فجميعهم مشتركون في الفضائل والمقامات الربانية الدنيوية والأخروية، كما ثبت في محله، وقد بحثنا هذا الموضوع في الفصل الثالث مفصلاً.

وقد يكون الاشتراك بنحو مجموعي بالتساوي فكلهم يشفعون لمن يستحق الشفاعة^(١)، وقد يكون بشكل اختصاصي، فكل معصوم يشفع لفئة من الناس^(٢)، ونظام الاختصاص جارٍ في تقسيم الوحي لأدوارهم، مع أنهم كلهم واجدون لهذه المقامات، وقد يكون تقسيم الشفاعة لكل إمام بشيعته في زمانه وهو أمر وارد جداً، فقد جاء في القرآن ما يؤيد ذلك في قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ

عَنِ الشُّدِيِّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ زَكَتَكَ فَتَرْضَى﴾ قَالَ: رِضَاءُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنْ لَا يَدْخُلَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ النَّارَ. شواهد التنزيل، ٢: ٤٤٧، ح ١١١٣.

(١) روي في المناقب عن أبي عبد الله عليه السلام ﴿وَيُشْرُ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، قَالَ: «شَفَاعَةُ النَّبِيِّ، وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدْقِ، شَفَاعَةُ عَلِيٍّ، أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ، شَفَاعَةُ الْأَئِمَّةِ». المناقب، ٢: ١٦٥. وروي أيضاً عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «إِنَّ لِأَشْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَشْفَعُ، وَيَشْفَعُ عَلِيٌّ فَيَشْفَعُ، وَيَشْفَعُ أَهْلُ بَيْتِي فَيَشْفَعُونَ... الْحَبْرَةَ». المناقب، ٢: ١٦٥.

(٢) فقد روى العلامة المجلسي مرسلًا عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ قَالَ لَابْنَتِهِ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ: «يَا فَاطِمَةُ إِنَّ نِسَاءً أَتْنِي يَبْكُونَ عَلَى نِسَاءِ أَهْلِ بَيْتِي، وَرِجَالُهُمْ يَبْكُونَ عَلَى رِجَالِ أَهْلِ بَيْتِي، وَيُجَدِّدُونَ الْعَزَاءَ جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ، فَإِذَا كَانَ الْقِيَامَةُ تُشْفِعِينَ أُنْتِ لِلنِّسَاءِ، وَأَنَا أَشْفَعُ لِلرِّجَالِ، وَكُلُّ مَنْ بَكَى مِنْهُمْ عَلَى مُصَابِ الْحُسَيْنِ أَخَذْنَا بِيَدِهِ وَأَدْخَلْنَاهُ الْجَنَّةَ، يَا فَاطِمَةُ كُلُّ عَيْنٍ بَاكِئَةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا عَيْنُ بَكَتْ عَلَى مُصَابِ الْحُسَيْنِ، فَإِنَّهَا صَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ بِنَعِيمِ الْجَنَّةِ». بحار الأنوار (طبعة بيروت)، ٤٤: ٢٩٣، ح ٣٧.

بِإِمَامِهِمْ ﴿١﴾ (٢)

شفاة الحسين عليه السلام

أما كون الحسين هو صاحب الشفاة فإن الله أعطى للحسين خصوصية في هذا المقام لما قدم كل ما يملك الله تعالى في حياته فأعطاه الله الملك العظيم في تلك العوالم، ولذا تميزت شفاة من بين المعصومين في نوعيتها وفي سعتها وسرعتها، حيث ورد في رواياتهم أنه سبب في الشفاة لزواره وللمدنيين من شيعته (٣).

وورد أنه سبب في الشفاة في منازل عالم البرزخ (٤)، كما ورد بشكل مستفيض في

(١) سورة الإسراء: ٧٠.

(٢) سعيد عن حماد بن عيسى عن ربعي بن عبد الله عن الفضيل بن يسار [سيار] عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَجِيءُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي فِرْقَةٍ وَعَلِيٌّ فِي فِرْقَةٍ، وَالْحُسَيْنُ فِي فِرْقَةٍ وَالْحُسَيْنُ فِي فِرْقَةٍ، وَكُلُّ مَنْ مَاتَ بَيْنَ ظَهْرَانِي قَوْمٌ جَاءُوا مَعَهُ»، تفسير القمي، ٢: ٢٣.

(٣) عن عبد الله بن يحيى النكاهلي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِي كَرَامَةِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَفِي شَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَلْيَكُنْ لِلْحُسَيْنِ زَائِرًا، يَتَأَلَّ مِنَ اللَّهِ الْفَضْلَ وَالْكَرَامَةَ [أَفْضَلَ الْكَرَامَةِ] وَحُسْنَ الثَّوَابِ، وَلَا يَسْأَلُهُ عَنْ ذَنْبٍ عَمِلَهُ فِي حَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَوْ كَانَتْ ذُنُوبُهُ عَدَدَ رَمْلِ عَالِجٍ وَجِبَالِ بَهَامَةَ وَرَيْدِ الْبَحْرِ...»، كامل الزيارات: ١٥٣، ح ٦.

(٤) عن أبيان بن تغلب قال قال أبو عبد الله عليه السلام: «هَبْطُ أَرْبَعَةِ آلَافٍ مَلَكٍ يُرِيدُونَ الْقِتَالَ مَعَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَمْ يُؤَدِّنْ لَهُمْ فِي الْقِتَالِ فَرَجَعُوا فِي الْإِسْتِثْنَانِ فَهَبَطُوا وَقَدْ قُتِلَ الْحُسَيْنُ عَ قَتْلِهِمْ عِنْدَ قَبْرِهِ سُعْتُ غُبْرٌ يَكُونُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، رَيْسُهُمْ مَلَكٌ يُقَالُ لَهُ مَنْصُورٌ، فَلَا يَزُورُهُ زَائِرٌ»

كونه شفيع لزواره والباكين عليه^(١).

إِلَّا اسْتَقْبَلُوهُ وَلَا يُودِعُهُ مُودِعٌ إِلَّا شَبِعُوهُ وَلَا يَمْرُضُ مَرِيضٌ إِلَّا عَادُوهُ، وَلَا يَمُوتُ إِلَّا صَلَّوْا عَلَيَّ جَنَازَتِهِ وَاسْتَغْفَرُوا لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَكُلُّ هَؤُلَاءِ فِي الْأَرْضِ يَنْتَظِرُونَ قِيَامَ الْقَائِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ. كامل الزيارات: ١٩٢، ح ٨.

وَعَنْ صَفْوَانَ الْجَمَّالِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي حَدِيثٍ لَهُ طَوِيلٍ، قُلْتُ: قَمَا لِمَنْ قُتِلَ عِنْدَهُ - يَعْني عِنْدَ قَبْرِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ - جَازَ عَلَيْهِ السُّلْطَانُ فَقَتَلَهُ؟ قَالَ: «أَوَّلُ قَطْرَةٍ مِنْ دَمِهِ يُغْفَرُ لَهُ بِهَا كُلُّ حَاطِيَةٍ، وَتُغَسَّلُ طَيْبَتُهُ الَّتِي خُلِقَ مِنْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى يَخْلُصَ كَمَا خَلَصَتِ الْأَنْبِيَاءُ الْمُخْلِصِينَ [الْمُخْلِصُونَ]، وَيَذْهَبَ عَنْهَا مَا كَانَ خَالَطَهَا مِنْ أَدْنَسِ طِينِ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالْفَسَادِ، وَيُغَسَّلُ قَلْبُهُ وَيُسْرَحُ وَيُسَالَى إِيَّانَا فَيَلْقَى اللَّهَ وَهُوَ مُخْلَصٌ مِنْ كُلِّ مَا يُخَالِطُهُ الْأَبْدَانُ وَالْقُلُوبُ، وَيُكْتَبُ لَهُ شَفَاعَةٌ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ وَالْفَلْبِ مِنْ إِخْوَانِهِ، وَتَتَوَلَّى الصَّلَاةَ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ مَعَ جَبْرَائِيلَ وَمَلَائِكِ الْمَوْتِ، وَتُؤْتَى بِكَفَّيْنِهِ وَخَنُوطِهِ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُوسَعُ قَبْرُهُ وَيُوضَعُ لَهُ مَصَابِيحُ فِي قَبْرِهِ، وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنَ الْجَنَّةِ، وَتَأْتِيهِ الْمَلَائِكَةُ بِطَرَفٍ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُرْفَعُ بَعْدَ ثَمَانِيَةِ عَشَرَ يَوْمًا إِلَى حَظِيرَةِ الْقُدْسِ، فَلَا يَزَالُ فِيهَا مَعَ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ حَتَّى تُصَيِّبَهُ النَّفْخَةُ الَّتِي لَا تَبْقَى شَيْئًا، فَإِذَا كَانَتِ النَّفْخَةُ الثَّانِيَةَ وَخَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ كَانَ أَوَّلَ مَنْ يُصَافِحُهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْأَوْصِيَاءِ، وَيُسْرَعُ وَهُوَ يَقُولُونَ لَهُ: الزَّمْنَا، وَيُقِيمُونَهُ عَلَى الْحَوْضِ فَيَسْرُبُ مِنْهُ وَيَسْقِي مِنْ أَحَبِّ». كامل الزيارات: ١٦٦، ح ٣.

(١) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُكَيْرٍ قَالَ: حَجَجْتُ مَعَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ، فَقَالَ: «يَا بَنُ بَكَيْرٍ مَا أَعْظَمَ مَسَائِلِكَ، إِنَّ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ أَبِيهِ وَأُمِّهِ وَأَخِيهِ فِي مَنْزِلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَمَعَهُ بُرْزُقُونَ وَيُجْعَبُونَ وَإِنَّهُ لَعَنَ بَيْنَ الْعَرْشِ مُتَعَلِّقٌ بِهِ يَقُولُ: يَا رَبِّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، وَإِنَّهُ لَيَنْظُرُ إِلَى رُؤَايِهِ، وَإِنَّهُ أَعْرَفَ بِهِمْ وَيَأْسَأْتِهِمْ وَأَسَاءَ آبَائِهِمْ وَمَا فِي رِحَالِهِمْ مِنْ أَحَدِهِمْ بَوْلِدِهِ، وَإِنَّهُ لَيَنْظُرُ إِلَى مَنْ يَنْكِيهِ فَيَسْتَغْفِرُ لَهُ، وَيَسْأَلُ آبَاءَ الْإِسْتِغْفَارِ لَهُ وَيَقُولُ أَيُّهَا الْبَاكِي لَوْ عَلِمْتَ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ لَفَرِحْتَ أَكْثَرَ بِمَا حَزَنْتَ، وَإِنَّهُ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَحَاطِيَةٍ». كامل الزيارات: ١٠٣، ح ٧.

الثانية عشرة، (فَأَقْبَلَ عِنْدَ ذَلِكَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ).

أهمية التكنية وغاياتها وأثارها.

أ- الكنية من العادات الاجتماعية القديمة الجميلة عند بعض الشعوب وخصوصاً عند العرب، وقد رسخها الإسلام وجعلها من الشُّنن الأكيدة، وقد أفتى الفقهاء باستحبابها، ففي شرح هذا الحديث المبارك قال السيد الشيرازي: (تستحب التكنية، كما يستحب احترام الناس بذكر كُنَاهُمْ، كما قالت سلام الله عليها: «أبو الحسن»)^(١).

ب- من غاياتها:

- ١- التكريم والتعظيم وخصوصاً لأهل الفضل والسيادة، كما هو الحال لأمرير المؤمنين عليه السَّلام حيث كني (بأبي الحسن)، (أبي تراب)^(٢).
- ٢- تارة تستعمل الكنية للتمييز بين الأسماء المتشابهة.
- ٣- وتارة للتستر والخفاء.
- ٤- وتارة للتفاؤل لأنَّ يعيش ويصير له ولد اسمه ذلك.

(١) من فقه الزهراء، ١: ١٣٥.

(٢) وكناه رسول الله صلَّى الله عليه وآله أبا تراب حينما وجدته نائماً في تراب قد سقط عنه رداؤه وأصاب التراب جسده، فجاء حتى جلس عند رأسه وأيقظه، وجعل يمسح التراب عن ظهره ويقول له: «اجلس إنَّما أنت أبو تراب». شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ١: ١١.

٥- أو اشتهار الشخص بخصلة معينة فيكنى بها.

٦- ولعل التكنية بالأولاد الذين ولدوهم هي الأصل كما هو في كنية أمير المؤمنين (بأبي الحسن).

وبعض الأحيان تصبح الشهرة للكنية أكثر من الاسم الذي يُعرف به الشخص كما هو الحال (أبي طالب) الذي هو (عمران)، (عبد مناف).

ج - لها فوائد وآثار مفيدة ومن أهمها بث روح المحبة والتقارب والاحترام بين الناس، وتميز الأسماء إذا كانت متشابهة.

معنى اسم (علي).

أصل تسميته من الله تعالى حيث اشتق له اسماً من أسمائه وهو (العلي)، فسماه في كتابه المجيد ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ ، فقد جاء في تفسير القمي: وقوله: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ يعني أمير المؤمنين عليه السلام مكتوب في الحمد في قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قال أبو عبد الله عليه السلام: «هو أمير المؤمنين عليه السلام»^(١).

وما رواه محمد بن العباس (رحمه الله) عن أحمد بن إدريس عن عبد الله بن محمد عن عيسى عن موسى بن القاسم عن محمد بن علي بن جعفر قال: سمعت الرضا

(١) تفسير القمي، ٢: ٢٨١.

عليه السّلام يقول: «قال أبي عليه السّلام، وقد تلا هذه الآية ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ﴾ قال: هو عليّ بن أبي طالب عليه السّلام»^(١).

عن حمّاد عن أبي عبد الله عليه السّلام في قوله: ﴿الصُّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ﴾، قال: «هو أمير المؤمنين عليه السّلام ومعرفته، والدليل على أنّه أمير المؤمنين قوله: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ﴾»^(٢)، وهو أمير المؤمنين عليه السّلام في أمّ الكتاب»^(٣).

وقد أكّد رسول الله صلّى الله عليه وآله هذا المقام لعليّ عليه السّلام، فعن أنس بن مالك، قال: سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقول: «كنت أنا وعليّ عن يمين العرش نسبح الله قبل أن يخلق آدم بألفي عام، فلما خلق آدم جعلنا في صلبه، ثمّ نقلنا من صلب إلى صلب في أصلاب الطاهرين وأرحام المطهرات، حتى انتهينا إلى صلب عبد المطلب، فقسّمنا قسّمين: فجعل في عبد الله نصفاً، وفي أبي طالب نصفاً، وجعل النبوّة والرسالة فيّ، وجعل الوصيّة والقضيّة في عليّ، ثمّ اختار لنا اسمين اشتقّهما من أسمائه، فالله المحمود وأنا محمّد، والله العليّ وهذا عليّ، فأنا للنبوّة والرسالة، وعليّ للوصيّة والقضيّة»^(٤).

(١) الغارات، ٢: ٨٩٤.

(٢) سورة الزخرف: ٤.

(٣) تفسير القمي، ١: ٢٩.

(٤) بحار الأنوار (طبعة بيروت)، ٣٥: ٣١، ح ٢٨.

ويؤيد هذا المعنى ما جاء في اللغة في تفسير (علي) وأصله من علا، يعلو، ففي لسان العرب: عَلُو كُلُّ شَيْءٍ وَعَلَوُهُ وَعَلَوْتُهُ وَعَلَاوَتُهُ وَعَالِيَتُهُ: أَرْفَعُهُ... وَالْعَالِيُّ: الرَّفِيعُ... وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الْعَالِيُّ الْمُتَعَالِيُّ الْعَالِيُّ الْأَعْلَى ذُو الْعُلَا وَالْعَلَاءِ وَالْمَعَالِي، تَعَالَى عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عَلُوًّا كَبِيرًا، وَهُوَ الْأَعْلَى سَبْحَانَهُ بِمَعْنَى الْعَالِي، وَتَفْسِيرُ تَعَالَى جَلَّ وَنَبَا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، فَهُوَ أَعْظَمُ وَأَجَلُّ وَأَعْلَى مِمَّا يُشْنَى عَلَيْهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: وَتَفْسِيرُ هَذِهِ الصِّفَاتِ لِلَّهِ سَبْحَانَهُ يَقْرُبُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ، فَالْعَالِيُّ الشَّرِيفُ فَعِيلٌ مِنْ عَلَا يَعْلُو، وَهُوَ بِمَعْنَى الْعَالِي، وَهُوَ الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ شَيْءٌ...

وَالْعُلُوُّ: الْعَظْمَةُ وَالتَّجَبُّرُ وَرَجُلٌ عَلِيٌّ أَي شَرِيفٌ^(١)

وفي أسماؤه تعالى العليُّ والمتعالِي، فالعليُّ الذي ليس فوقه شيء في المرتبة، وبناء فعيل بمعنى فاعل من علا يعلو، والمتعالِي الذي جَلَّ عن كُلِّ وَصْفٍ وَهُوَ مُتَفَاعِلٌ مِنَ الْعَلُو، وَقَدْ يَكُونُ بِمَعْنَى الْعَالِي^(٢).

وَالْعَلَايَةُ: كُلُّ مَوْضِعٍ مُرْتَفِعٍ رُئِيَ فِيهِ مَعْنَى الْعَلُو، كَالْعَالِي كَطَبِي، وَالْعَالِيُّ كَغَنِيٍّ: الصُّلْبُ الشَّدِيدُ الْقَوِيُّ، وَبِهِ سُمِّيَ الرَّجُلُ عَلِيًّا، فَهُوَ مِنَ الشَّدَةِ وَالْقُوَّةِ، وَيَكُونُ أَيْضًا مِنَ الرَّفْعَةِ وَالشَّرْفِ، وَأَفْضَلُ مَنْ سُمِّيَ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، -عَلَيْهِ السَّلَامُ-^(٣).

(١) لسان العرب، ١٥: ٨٣-٨٦.

(٢) مجمع البحرين، ١: ٣٠٣.

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس، ١٩: ٦٩٥.

الخلاصة

والخلاصة أنَّ اسم عليٍّ مشتق من اسم الله تعالى العليُّ المتعالي الذي ليس فوقه شيء في المرتبة، والذي جُلَّ عن الوصف لعلَّوه ورفعته، ولذلك عليٌّ هو الرفيع في صفاته والشريف القوي الذي لا يدانيه أحد.

وهذا المقام هو عطاء من الله سبحانه لعليٍّ عليه السَّلام في الاسم والصفات.

معنى (أمير المؤمنين)

قال الخنصبي: وألقابه أمير المؤمنين، وهو اللقب الأعظم الذي خصَّه الله به وحده، ولم يسمَّ به أحد قبله ولا يسمَّى به أحد بعده إلا كان مأفوناً في عقله ومأبوناً في ذاته، وأمير النحل والنحل هم المؤمنون^(١).

هذا اللقب العظيم من أهم ألقابه الكريمة الذي خصَّه الله عزَّ وجلَّ ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؛ وذلك لأنَّ مقامه كبير لا يعرفه إلا هو ونبيُّه، فقد روى العلامة محمَّد تقي المجلسي، قال: وروي بطرق متكررة أنَّه قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لعليٍّ بن أبي طالب عليه السَّلام: «يا عليُّ لا يعرف الله تعالى إلا أنا وأنت، ولا يعرفني إلا الله وأنت، ولا يعرفك إلا الله وأنا»^(٢).

وهنا نبيِّن بعض المقامات التي ظهرت لنا في معنى أمير المؤمنين ومجالاتها ومصاديقها:

(١) الهداية الكبرى: ٩٣.

(٢) روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه (طبعة القديمة)، ١٣: ٢٧٣.

المقام الأول، المعلم للمؤمنين

عن جابر بن يزيد عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك لم سمي أمير المؤمنين عليه السلام أمير المؤمنين؟ قال: «لأنه يميزهم العلم، أما سمعت كتاب الله عزَّ وجلَّ ونمير أهلنا»^(١).

قال العلامة المجلسي في معني (يميرهم) الثالث: أن يكون المعنى أن أمراء الدنيا إنما يسمون أميراً لكونهم متكلفين لميرة الخلق وما يحتاجون إليه في معاشهم بزعمهم، وأما أمير المؤمنين عليه السلام فأمارته لأمر أعظم من ذلك؛ لأنه يميزهم ما هو سبب لحياتهم الأبدية، وقوتهم الروحانية، وإن شارك سائر الأمراء في الميرة الجسمانية، فعبر عليه السلام عن هذا المعنى بلفظ مناسب في الحرف للفظ الأمير وهذا أظهر الوجوه^(٢).

المقام الثاني، الرئاسة والسيادة للمؤمنين

قال ابن أبي الحديد قال عليه السلام: «أنا يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الفجار». [قال معني ذلك أن المؤمنين يتبعونني والفجار يتبعون المال كما تتبع النحل يعسوبها وهو رئيسها]، هذه كلمة قالها رسول الله صلى الله عليه وآله بلفظين مختلفين، تارة أنت يعسوب الدين، وتارة أنت يعسوب المؤمنين، والكل راجع إلى معنى واحد، كأنه جعله رئيس المؤمنين وسيدهم، أو جعل الدين يتبعه ويقفو أثره حيث سلك،

(١) سورة يوسف: ٦٥. ماره يميزه وأماره: أطعمه وأتاه بالموثنة.

(٢) مرآة العقول، ٤: ٣٧٠، ح ٤.

كما يتبع النحل اليعسوب، وهذا نحو قوله: «وأدرِ الحقُّ معه كيف دار»^(١).

وقال أيضاً: قال الرضي رحمه الله تعالى: يعسوب الدين السيد العظيم المالك
لأمور الناس^(٢).

المقام الثالث، أمير الشيعة في الجنة

عن محمد بن صدقة عن موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن الحسين بن علي عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله تعالى لما خلق جنة عدن قال لها: تزيني فتزينت، ثم ماست^(٣)، فقال لها: قري فوعزتي وجلالي ما خلقتك إلا للمؤمنين، فطوبى لك وطوبى لسكانك، ثم قال: يا علي أنت أمير المؤمنين وشيعتك المؤمنون، والذي بعثني بالحق نبياً يا علي ما خلقت جنة عدن إلا لك ولشيعتك»^(٤).

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه سئل عن قول الله عز وجل: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٥).

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ١٩: ٢٢٣-٢٢٤.

(٢) المصدر نفسه: ١٠٤.

(٣) أي تبخترت.

(٤) التحصين لأسرار ما زاد من كتاب اليقين: ٥٤٧، ح ٩.

(٥) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

قال: سألت قوم النبي صلى الله عليه وآله: فيمن نزلت هذه الآية يا نبي الله؟

قال [صلى الله عليه وآله]: «إذا كان يوم القيامة عقد لواء من نور أبيض، فإذا نادى ليقم سيد المؤمنين ومعه الذين آمنوا، فقد بعث محمد صلى الله عليه وآله، فيقوم علي بن أبي طالب عليه السلام، فيعطى اللواء من النور الأبيض بيده تحته جميع السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، لا يخلطهم غيرهم، حتى يجلس على منبر من نور رب العزة، ويعرض الجميع عليه رجلاً رجلاً، فيعطى أجره ونوره، فإذا أتى على آخرهم قيل لهم: قد عرفتم صفيكم^(١) ومنازلكم من الجنة، إن ربكم يقول لكم: عندي مغفرة وأجر عظيم يعني الجنة، فيقوم علي عليه السلام والقوم تحت لوائه معهم حتى يدخل بهم الجنة، ثم يرجع إلى منبره فلا يزال يُعرض عليه جميع المؤمنين فيأخذ نصيبه منهم إلى الجنة وينزل أقواماً إلى النار، فذاك قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾^(٢)، يعني للسابقين الأولين والمؤمنين وأهل الولاية، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾^(٣)، يعني بالولاية بحق علي، وحق علي الواجب على العالمين^(٤).

(١) في البحار: «صفتكم».

(٢) إشارة إلى الآية ١٩ من سورة الحديد.

(٣) سورة المائدة، الآية: ١٠.

(٤) التحصين لأسرار ما زاد من كتاب اليقين: ٥٥٧، ح ١٦، رواه في البحار، ٣٦: ٧٠، عن العلامة في كشف الحق، ١: ٩٩، وعن المناقب، ٢: ٤٢٣، وعن أمالي الطوسي: ٢٤٠، ورواه في إحقاق الحق، ٣: ٤٧٣ عن شواهد التنزيل للحسكاني.

المقام الرابع، حول العرش

عن الحسن بن علي بن فضال عمَّن أخبره عن أبي عبد الله عليه السَّلام قال: «مسطور حول العرش بخط جليل: لا إله إلا الله، محمَّد رسول الله، عليُّ أمير المؤمنين»^(١).

المقام الخامس، ولايته وإمامته ووصايته على الناس من بعد رسول الله

أبو حمزة سمعت أبا بصير يسأل أبا عبد الله عليه السَّلام: كم عرج رسول الله صلى الله عليه وآله مرة؟^(٢)، قال: فقال: «مرتين، فأوقفه جبرئيل موقفاً فقال له ميكائيل: يا محمَّد لقد وقفت موقفاً ما وقفه نبي ولا ملك مقرب، ثم قال عن الله جلَّ جلاله: إِنَّهُ قَالَ: يَا مُحَمَّد، فَقَالَ: لِيَبِّكَ رَبِّي، فَقَالَ: مَنْ لَأُمَّتِكَ بَعْدَكَ؟ فَقَالَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ أَعْلَم، فَقَالَ: عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَسَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ، وَقَائِدُ الْغُرِّ الْمُحْجَلِينَ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ مَا جَاءَتْ وَلَايَةُ عَلِيٍّ مِنَ الْأَرْضِ، وَلَكِنْ جَاءَتْ مِنَ اللَّهِ مَشَافَهَةً»^(٣).

عبد الله بن الفضل الهاشمي عن الصادق جعفر بن محمَّد عن أبيه عن آبائه عليهم السَّلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يوم غدير خم أفضل أيام أُمَّتي، وهو اليوم الذي أمرني الله تعالى بنصب أخي علي بن أبي طالب علماً لأُمَّتي بهتدون به من بعدي، وهو اليوم الذي أكمل الله فيه الدين وأنتم على أُمَّتي فيه النعمة، ورضي

(١) التحصين لأسرار ما زاد من كتاب اليقين: ٥٤٨، ح ١٠.

(٢) أي كم مرة عرج رسول الله صلى الله عليه وآله.

(٣) التحصين لأسرار ما زاد من كتاب اليقين: ٥٤٩، ح ١١، تمام الحديث في أصول الكافي، ١: ٤٤٢،

رواه عنه في البحار، ١٨: ٣٠٦، ح ١٣.

لهم الإسلام ديناً».

ثم قال صلى الله عليه وآله: «معاشر الناس، إنَّ عليَّ بنَ أبي طالبٍ مِنِّي وأنا منه، عليٌّ خُلِقَ مِن طيبتِي، وهو إمام الخلق بعدي، بيِّن لهم ما اختلفوا فيه من سنتي، وهو أمير المؤمنين، وقائد الغرِّ المحجلين، ويعسوب الدين، وخير الوصيين، وزوج سيدة نساء العالمين، وأبو الأئمة المهديين»^(١).

المقام السادس، عند الصراط

عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إذا كان يوم القيامة أمر الله ملكين يقعدان على الصراط، فلا يجوز أحد إلا براءة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ومن لا يكون معه براءة أمير المؤمنين أكبه الله على شجرة في النار، وذلك قوله تعالى: ﴿وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْتُولُونَ﴾»^(٢).

قال: فقلت: بأبي وأمي يا رسول الله، ما معنى براءة أمير المؤمنين؟ قال: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله، أمير المؤمنين وصي رسول الله صلى الله عليه وآله»^(٣).

(١) التحصين لأسرار ما زاد من كتاب اليقين: ٥٥٠، ح ١٢.

(٢) سورة الصافات، الآية: ٢٤.

(٣) التحصين لأسرار ما زاد من كتاب اليقين: ٥٥٨، ح ١٧. انظر البحار، ٣٦: ٧٢، عن كنز الكراچكي، ٣٩: ٢٠٨، عن بشارة المصطفى: ١٤٧، و١٧٧، ورواه في فضائل الخمسة، ٢: ٣٢، عن تاريخ بغداد، ١٠: ٣٥٦، نقلاً عن أبي بكر عند موته، وأيضاً رواه في فضائل الخمسة، ٣: ١٠٤، عن الرياض النضرة للطبري، ٢: ١٧٢، و١٧٧.

المقام السابع: الولاية له في عالم الميثاق

عن بكير قال: قال أبو جعفر عليه السَّلام: «إنَّ الله إذا أخذ ميثاق شيعتنا بالولاية لنا وهم ذرّ يوم أخذ الميثاق على الذرّ بالإقرار له بالربوبية، ولمحمّد صلى الله عليه وآله بالنبوة، وعرض الله على محمّد وآله السَّلام أئمنه الطيبين وهم أظلة، قال: وخلقهم من الطينة التي خلق منها آدم، قال: وخلق أرواح شيعتنا قبل أبدانهم بالفي عام، وعرض عليهم وعرفهم رسول الله صلى الله عليه وآله [و] علياً ونحن نعرفهم في لحن القول»^(١).

عن زرارة قال: قلت لأبي جعفر عليه السَّلام: رأيت حين أخذ الله الميثاق على الذرّ في صلب آدم فعرضهم على نفسه، كانت معاينة منهم له؟ قال: «نعم يا زرارة وهم ذر بين يديه، وأخذ عليهم بذلك (ذلك) الميثاق بالربوبية [له] ولمحمّد صلى الله عليه وآله بالنبوة، ثمّ كفّل لهم بالأرزاق وأنساهم رؤيته وأثبت في قلوبهم معرفته، فلا بدّ من أن يخرج الله إلى الدنيا كلّ من أخذ عليه الميثاق، فمن جحد ممّا أخذ عليه الميثاق لمحمّد صلى الله عليه وآله لم ينفعه إقراره لربّه بالميثاق، ومن لم يجحد ميثاق محمّد صلى الله عليه وآله نفعه الميثاق لربّه»^(٢).

المقام الثامن: يوم أخذ الله ميثاق الأنبياء والخلق أجمعين لتصرفه عند كركته

عن فيض بن أبي شيبه قال: سمعت أبا عبد الله عليه السَّلام يقول وتلا هذه الآية

(١) تفسير العياشي، ١: ١٨١، ح ٧٤، البحار، ٣: ٧٠، البرهان، ١: ٢٩٥.

(٢) تفسير العياشي، ١: ١٨١، ح ٧٥، البحار، ٣: ٧٠، البرهان، ١: ٢٩٥.

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ﴾ إلى آخر الآية، قال: «لتؤمنن برسول الله ولتنصرنَّ أمير المؤمنين عليه السَّلام»، قلت: ولتنصرنَّ أمير المؤمنين؟ قال: «نعم من آدم فهلمَّ جرَّاء، ولا يبعث الله نبياً ولا رسولاً إلا رده إلى الدنيا حتى يقاتل بين يدي أمير المؤمنين عليه السَّلام»^(١).

عن سلام بن المستنير عن أبي عبد الله عليه السَّلام قال: «لقد تسمَّوا باسم ما سمَّى الله به أحداً - إلا عليَّ بن أبي طالب، وما جاء تأويله»، قلت: جعلت فداك متى يجيء تأويله؟ قال: «إذا جاء جمع الله أمامه النبيين والمؤمنين حتى ينصروه، وهو قول الله ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾»، فيومئذ يدفع راية رسول الله صلى الله عليه وآله اللواء إلى عليَّ بن أبي طالب فيكون أمير الخلائق كلَّهم أجمعين، يكون الخلائق كلَّهم تحت لوائه، ويكون هو أميرهم، فهذا تأويله»^(٢).

وبيان مقامات هذا اللقب العظيم أكثر من ذلك ولكن أشرنا لأهمَّها بما يسع المقام.

(١) بحار الأنوار، ١٣: ٢١٠، البرهان في تفسير القرآن، ١: ٢٩٥، تفسير العياشي، ١: ١٨١، ح ٧٦.

(٢) تفسير العياشي، ١: ١٨١، ح ٧٧، البحار، ١٣: ٢١٧، البرهان، ١: ٢٩٥.

استحباب السّلام على الزوجة

(يستحب السّلام على الزوجة واحترامها، كما قال عليّ عليه السّلام: «السّلام عليك يا بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله»، وقد يجب احترامها، كلّ في مورده. ولا يخفى أنّ سيرة الرسول صلّى الله عليه وآله وعليّ والحسن والحسين والأئمة الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين)، كانت قائمة على احترام المرأة احتراماً لائقاً بكرامتها ومكانتها الإنسانيّة والإسلاميّة)^(١).

احترام الزوج

(يستحب وقد يجب كلّ في مورده احترام الزوج، ومن مصاديق ذلك ذكر كنيته ولقبه. فإنّه كما يجب على الرجل احترام المرأة، كذلك يجب على المرأة احترام الزوج، حيث إنّ بينهما علاقة الصداقة والمحبة والمودّة إلى جوار علاقة الزوجيّة، بل قبلها قبلية معنوية لا زمانية كما هو واضح.

فإنّ الحياة الزوجية في منظار الإسلام تعني^(٢): تعاون شخصين لبناء حياة مشتركة سعيدة، روحياً وجسماً واقتصادياً وسياسياً واجتماعياً وتربوياً وغير ذلك لهما أولاً، ثمّ للأولاد ثانياً، وللأسرة ثالثاً)^(٣).

(١) من فقه الزهراء، ١: ١٤٢.

(٢) يراجع (الفقه: الآداب والسنن)، وكتاب العشرة من (بحار الأنوار)، و(وسائل الشيعة) وغيرها.

(٣) من فقه الزهراء، ١: ١٤٣.

منزلة أمير المؤمنين من رسول الله صلوات الله عليهما

الثالثة عشرة ، قال ، وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا أَخِي وَوَصِيِّي وَخَلِيفَتِي وَصَاحِبَ لَوَائِي ،

ونظير هذا ما رواه الصدوق عليه الرحمة عن المفضل بن عمر عن أبي عبد الله الصادق عن أبيه عن جدّه عليهم السَّلَام قال: «عن أمّ سلمة عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - في حديث طويل - : يا أمّ سلمة اسمعي واشهدي، هذا عليُّ بن أبي طالب عليه السَّلَام أخي في الدنيا وأخي في الآخرة، يا أمّ سلمة اسمعي واشهدي هذا عليُّ بن أبي طالب وزير في الدنيا ووزير في الآخرة، يا أمّ سلمة اسمعي واشهدي هذا عليُّ بن أبي طالب حامل لوائي في الدنيا وحامل لوائي غداً في القيامة، يا أمّ سلمة اسمعي واشهدي هذا عليُّ بن أبي طالب وصي وخليفتي من بعدي»^(١).

الرابطه بين عليّ عليه السَّلَام ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هي صناعة ربانيّة أصيلة وثيقة متجذرة منحدره من عالم الأنوار والأرواح، والطينة من نور واحد وروح واحدة وطينة واحدة، مروراً بعوالم الأصلاب والأرحام ثمّ في عالم الدنيا شركاء في الرسالة والولاية الإلهيّة والتشريع والتبليغ، ثمّ هم شركاء في ساحة القضاء والعدل الإلهي في المعاد، فهي تفوق العلاقة النسبيّة والكسيّة والمادّيّة الدنيويّة، وقد اختصر عزّ وجلّ العلاقة في كلمة واحدة ﴿أنفسنا﴾ جمعت كلّ فضائل ومناقب أمير المؤمنين ومنزلته من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

(١) الأمالي (للصدوق): ٣٨١، ح ١٠.

وها هنا نورد بعض تلك الفضائل التي تصبُّ في هذا المجرى التي ذكرها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، عندما استأذن عليُّ عليه السَّلَامُ ليدخل معه تحت الكساء، ممَّا يؤكدُ أنَّ هذا الاجتماع كان بتخطيطٍ وتدبيرٍ ربانيٍّ وليس تدبيراً عائلياً عابراً.

١- (يا أخي).

لا شكَّ أنَّ هذه الأخوة ليست أخوةً نسبيةً فهو ابن عمِّه كما ذكر عليُّ عليه السَّلَامُ عند سؤاله لفاطمة عليها السَّلَامُ.

الرابعة عشرة، كأنها راحةٌ أخي وابن عمي رسول الله،

وإنما ذكر ذلك (لدفع توهم الغافل: إنَّ علياً عليه السَّلَامُ أخٌ لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في النسب، بمعنى كونهما من أب وأمٍّ أو أحدهما، فهو يفيد أنَّ قوله عليه السَّلَامُ (أخي) إنَّما هو للإشارة إلى منتهى درجة الأخوة في الله تعالى، ولوثيقة الرابطة الروحية والمعنوية بينهما، وهذا من أكبر فضائل الإمام أمير المؤمنين عليه السَّلَامُ)^(١).

والأخوة بينهما بأمر الله تعالى لوجود التكافؤ والرابطة الربانية بينهما، حيث أشار إليها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مرات عديدة أمام الصحابة، فعن عطية العوفي عن مخدوج بن زيد الذهلي أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أخى

(١) من فقه الزهراء، ١: ١٤٤.

بين المسلمين، ثم قال: «يا علي (أنت أخي)، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي»^(١).

وهو ما شار إليه القرآن في المائدة مع هارون: ﴿وَجَعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْتَدُّ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي﴾^(٢).

وقد صرح رسول الله صلى الله عليه وآله بهذه المنزلة والفضيلة لعلي عليه السلام أمام الصحابة في مواطن عديدة؛ ليرسخ هذا المفهوم لدى المسلمين؛ وذلك لأن المنافقين والمبغضين كانوا يحاولون طمس فضائله، ومنها هذه الفضيلة، فكان صلوات الله عليه يستفيد من كل مناسبة وحادثة لإشهار فضائله أمامهم، ومن تلك الوقائع واقعة غزوة تبوك حينما عاب المنافقون على أمير المؤمنين عندما خلفه رسول الله خليفة له في المدينة.

عن يعقوب بن حازم عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (عليهما السلام) قال: «خرج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى غزاة تبوك وخلف أمير المؤمنين عليه السلام وسائر من بها، فتكلم الناس فيه، وقالوا ما بال عليّ مقدّم في كل غزوات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد أخره عن هذه الغزوة بالمدينة، وما هذا إلا اجتزاء عن عليّ، وبغضاً له لثلاث يشهد فضل هذه الواقعة، فخرج إليه أمير

(١) الأمالي (للصدوق): ٣٢٤، ح ١٣.

(٢) سورة طه، الآيات: ٢٩-٣٢.

المؤمنين حتى وافى معسكر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: فذاك أبي وأُمِّي يا عليُّ، ما الذي جاء بك؟ قال: إنَّ الناس يقولون إنَّك ما خلَّفْتَنِي بالمدينة إلَّا من بغضك لي، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ليس الأمر كما يقولون يا عليُّ، كيف وقد أمرني الله بخبرني مشافهة حيث أُسري بي إليه أمرني أن أواخيك وأزوجك بفاطمة بنتي سيدة نساء العالمين في الأرض، بعد أن زوجك الله في السماء، وأمرني أن أعلمك جميع علمي ولا أتركك، وأن أتركك ولا أجفوك، وأدنيك ولا أقصيك، وأن أصلك ولا أقطعك وأن أرضيك ولا أسخطك، وأنت أخي وأنا أخوك في الدنيا والآخرة»^(١).

ومنها ما رواه سعد بن أبي وقاص، قال سليم بن قيس: لقيت سعد بن أبي وقاص وقلت له: إنِّي سمعت علياً عليه السَّلام يقول: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: اتقوا فتنة الأخينس»^(٢)، اتقوا فتنة سعد، فإنَّه يدعو إلى خذلان الحقِّ وأهله.

فقال سعد: اللهم إنِّي أعوذ بك أن أبغض علياً أو يبغضني، أو أقاتل علياً أو يقاتلني، أو أعادي علياً أو يعاديني، إنَّ علياً كانت له خصال لم تكن لأحد من الناس مثلها... وأخى^(٣) رسول الله صلى الله عليه وآله بين كلِّ رجلين من أصحابه،

(١) الهداية الكبرى: ٦٤، ح ١٨.

(٢) «ح» خ ل: الأخنس، بمعنى المتأخر والمنحى.

(٣) هذه الفقرة في الفضائل هكذا: ويوم أخى رسول الله صلى الله عليه وآله بين الصحابة كل رجل مع صاحبه وبقي هو فأخاه من نفسه وقال له: «أنت أخي وأنا أخوك في الدنيا والآخرة».

فقال عليه السلام له: «آخيت بين كل رجلين من أصحابك وتركتني»، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنت أخي وأنا أخوك في الدنيا والآخرة»^(١).

ومع كل تلك التأكيدات منه صلوات الله عليه حاول خصومه نفي هذه الفضيلة التي أعلنها وشهرها النبي صلى الله عليه وآله أمام الجميع عندما قال قائلهم: (وأما أخو رسوله فلا) عندما أخذ مكتوفاً للمسجد ليُجبر على بيعه أبي بكر، فقد جاء في كتاب الإمامة والسياسة:

قال: وبقي عمر ومعه قوم، فأخرجوا علياً فمضوا به إلى أبي بكر، فقالوا له: بايع، فقال: «إن أنا لم أفعل فمه؟» قالوا: إذا - والله الذي لا إله إلا هو - نضرب عنقك، فقال: «إذا تقتلون عبد الله وأخا رسوله»، قال عمر: أمّا عبد الله فنعم، وأمّا أخو رسوله فلا، وأبو بكر ساكت لا يتكلم، فقال له عمر: ألا تأمر فيه بأمرك؟! فقال: لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جنبه، فلحق بقبر رسول الله صلى الله عليه وآله يصيح ويبيكي وينادي: «يا ابن أمّ إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني»^{(٢)(٣)}.

(١) كتاب سليم بن قيس الهلالي، ٢: ٨٨٨، ح ١-٥٥.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٠.

(٣) الإمامة والسياسة، ١: ٣٠.

٢- (وَوَصِيٍّ).

معنى الوصي لغة: قال بن منظور: أَوْصَى الرَّجُلَ وَوَصَّاهُ: عَهَدَ إِلَيْهِ^(١).

وقال الطريحي: و (الْوَصِيَّةُ) فَعِيلَةٌ مِنْ وَصَى يَصِي: إِذَا أَوْصَلَ الشَّيْءُ بغيره، لَأَنَّ الْمُوصِيَّ يُوَصِّلُ تَصْرِفَهُ بَعْدَ الْمَوْتِ بِمَا قَبْلَهُ، وَفِي الشَّرْعِ هِيَ تَمْلِكُ الْعَيْنَ أَوْ الْمَنْفَعَةَ بَعْدَ الْوَفَاةِ أَوْ جَعَلَهَا فِي جِهَةِ مَبَاحَةٍ. وَأَوْصِيْتُ لَهُ بِشَيْءٍ وَأَوْصِيْتُ إِلَيْهِ: إِذَا جَعَلْتَهُ وَصِيَّكَ، وَالاسْمُ (الْوَصِيَّةُ) بِالْكَسْرِ وَالْفَتْحِ، وَهِيَ اسْتِنَابَةُ الْمُوصِيِّ غَيْرِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ فِي التَّصْرِيفِ فِيمَا كَانَ لَهُ التَّصْرِيفُ فِيهِ مِنْ إِخْرَاجِ حَقِّهِ وَاسْتِيفَانِهِ أَوْ وِلَايَةِ عُلَى طِفْلٍ أَوْ مَجْنُونٍ يَمْلِكُ الْوِلَايَةَ عَلَيْهِ. وَأَوْصِيَاءُ الْأَنْبِيَاءِ - كَمَا جَاءَتْ بِهِ الرَّوَايَةُ - هُوَ شَيْثُ بَنِ آدَمَ وَصِيُّ آدَمَ، وَسَامُ بَنِ نُوحَ وَصِيُّ نُوحَ، وَيُوحَنَّا بَنِ حَنَّا بَنِ عَمِّ هُودَ وَصِيُّ هُودَ، وَإِسْحَاقُ بَنِ إِبْرَاهِيمَ وَصِيُّ إِبْرَاهِيمَ وَيُوشَعَ بَنِ نُونٍ وَصِيُّ مُوسَى، وَشَمْعُونُ بَنِ حَمُونَ الصَّفَا عَمِّ مَرْيَمَ وَصِيُّ عَيْسَى، وَعَلِيٌّ وَصِيُّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ^(٢).

فتبين أنَّ الوصي هو من يكون متصلاً بمن قبله في أمره ومن يعهد إليه الأمر من بعده وينيب إليه.

ووصي النبي هو نائبه والقائم مقامه من بعده في تنفيذ ما أمره، وهذا المقام هو جعلُ الهيِّ، وهو تلو النبي في حياته، فيكون هو الوزير والمعاون والشريك والنائب

(١) لسان العرب، ١٥: ٣٩٤.

(٢) مجمع البحرين، ١٠: ٤٤٠.

له في غيابه في حياته والقائم مقامه بعد موته.

ومنصب الوصاية لعلي عليه السلام من الله ورسوله، لا أحد يقدر على إنكاره لوضوحه كالشمس الطالعة في وسط النهار - وحتى الغاصبين لمقامه في الخلافة لم يستطيعوا ادعاء مقام الوصاية.

وكتب الحديث مشحونة بذكر هذا المقام بما يفوق التواتر والاستفاضة.

٣- (وخليفتي).

معنى الخليفة لغة: مقام الخلافة جعل وتنصيب رباني وإمامة إلهية في الأرض على العباد من قبل الله ومن قبل الخليفة الإلهي السابق سواء كان نبياً أم إماماً، لا من قبل عامة الناس أو خاصتهم ولا باختيارهم، واقتراحهم، ولا هو بأكثرية المقترعين والناخبين؛ وإنما هو جعلٌ بنص من الله ورسوله، وهذه هي النظرية الامامية في الخلافة والإمامة، وهي نظرية قرآنية محكمة نص عليها القرآن في عدة آيات^(١).

وخلافة أمير المؤمنين لرسول الله صلوات الله عليهما ترتكز على قاعدة قرآنية صلبة، حيث قرنها رسول الله بخلافة هارون لموسى، بحيث يُحرس كل من تسول

(١) قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾، البقرة ١٢٤. ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾: ١٢.

له نفسه إنكار هذا المقام المبين.

ويكفي لعليّ هذا المقام الذي أعلنه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي مَلَأَ الْمُسْلِمِينَ
عِدَّةً مَرَاتٍ فَأَجْمَعُ الْمُسْلِمُونَ عَلَى صِحَّتِهِ: «أَنْتَ مَنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ
لَا نَبِيَّ بَعْدِي».

أبو عوانة، بإسناده، عن عمرو بن ميمون، عن عبد الله بن عباس (في حديث
الرواية)، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
إِلَى تَبُوكَ، وَاسْتَخْلَفَهُ عَلَى الْمَدِينَةِ وَعَلَى أَهْلِهِ، فَبَكَى، وَقَالَ: «أَخْرَجَ مَعَكَ يَا رَسُولَ
الله»، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مَنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ
مِنْ مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَأَنْتَ وَزِيرِي وَخَلِيفَتِي فِي قَوْمِي كَمَا كَانَ هَارُونَ
وَزِيرَ مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَخَلِيفَتَهُ فِي قَوْمِهِ»^(١).

فعن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِعَلِيٍّ فِي
غَزْوَةِ تَبُوكَ: «اخْلُفْنِي فِي أَهْلِي». فَقَالَ عَلِيٌّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): «يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّي أَكْرَهُ أَنْ
تَقُولَ الْعَرَبُ: خَذَلَ ابْنَ عَمِّهِ وَتَخَلَّفَ عَنْهُ»، فَقَالَ: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مَنِّي بِمَنْزِلَةِ
هَارُونَ مِنْ مُوسَى؟»، قَالَ: بَلَى. قَالَ: «فَاخْلُفْنِي»^(٢).

(١) شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار عليهم السلام، ٢: ٢٠٩، ح ٥٤١ حديث الرواية.

(٢) فضائل أمير المؤمنين عليه السلام: ٥٧، ح ٥٣، ترجمة الإمام عليّ عليه السلام من تاريخ دمشق،

١: ٣٧١، برقم ٤١٦، قال: أخبرنا أبو القاسم ابن السمرقندي، أنبأنا عاصم بن الحسن بن محمد،

أنبأنا أبو عمر بن مهدي، أنبأنا أبو العباس بن عقدة.

٤ - (صاحب لوائي).

هذا المقام هو مقام اصطفائي رباني وتنصيب من النبي صلى الله عليه وآله ليكون له الوزير والمعاون والنائب الذي يشدد به الأزر في الأمور التنفيذية والعسكرية، وهذا هو الذي طلبه موسى عليه السلام من ربه، ليجعل له هارون أخاه وزيراً ﴿وَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴾ * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿^(١)

وصاحب اللواء في الجيش سابقاً هو القائد العسكري، وفي المفهوم الحديث هو قائد الأركان.

وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام هو الأمير وحامل لواء رسول الله صلى الله عليه وآله في كل حروبه، وفي الآخرة هو كذلك حامل لواء الحمد عند دخول الجنة، ومن المعلوم أن حامل اللواء هو المتقدم على من معه.

عن سديف عن جابر عن أبي عبد الله عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «يا علي أنت صاحب حوضي ووارث علمي، وحامل لوائي»^(٢).

روى الشيخ الصدوق بسنده عن ياسر الخادم قال: حدثنا علي بن موسى الرضا عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن

(١) سورة طه، الآية: ٢٩-٣٢.

(٢) إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، ٣: ١٣٧، ح ٥٦٧.

عليّ، عن أبيه عليّ بن الحسين عن أبيه الحسين بن عليّ، عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: يا عليّ إنّني سألت ربّي عزّ وجلّ فيك خمس خصال فأعطاني، أمّا أولها فإني سألته أن تنشق الأرض عني ونفض [أنفض] التراب عن رأسي وأنت معي فأعطاني، وأمّا الثانية فإني سألته أن يقضي عند كفة الميزان وأنت معي فأعطاني، وأمّا الثالثة فسألت ربّي عزّ وجلّ أن يجعلك حامل لوائي^(١)، وهو لواء الله الأكبر، عليه مكتوب المفلحون هم الفائزون بالجنة فأعطاني»^(٢).

عن أبي ذر، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله، قال: «... قد أعطاني فيه ثلاثاً في الدنيا وثلاثاً في الآخرة، أعطاني في الدنيا، فإنه صاحب لوائي، وهو يوارى عورتي، وإنه صاحب مجلس القضاء من بعدي، فأنا لا أخشى عليه أن يموت في حياتي، وأمّا التي أعطاني به في الآخرة، فإنه صاحب لوائي - لواء الحمد - يقدمني به إلى الجنة، وهو عون لي على مفاتيح خزائن الجنة، وإنه صاحب حوضي يوم القيامة»^(٣).

المستملي، عن محمد بن الفضل الصاعدي، عن أحمد بن الحسين البيهقي، عن مع[٨٣٢]، روى الجويني في فرائد السمطين ١ / ٢٢٨ الحديث ١٧٨، عن أبي

(١) شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار عليهم السّلام، ج ٢، ص ٤٦٤، «يوم القيامة وهو لواء الحمد». اللواء بكسر اللام: علم، الأتوية جمع.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السّلام، ١: ٢٧٨.

(٣) شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار عليهم السّلام، ٢: ٤٦٤.

حازم، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «أَعْطَانِي رَبِّي عِزًّا وَجَلًّا فِي عَلِيِّ خِصَالًا فِي الدُّنْيَا وَخِصَالًا فِي الْآخِرَةِ، أَعْطَانِي بِهِ فِي الدُّنْيَا أَنَّهُ صَاحِبُ لُؤَائِي عِنْدَ كُلِّ شِدَّةٍ وَكَرْيَمَةٌ»^(١).

ابن أبي صفية عن سعيد بن علاقة عن أبي سعيد عقيبا عن سيد الشهداء الحسين بن علي بن أبي طالب، عن سيد الأوصياء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام قال: «قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: يَا عَلِيُّ أَنْتَ أَخِي وَأَنَا أَخُوكَ، أَنَا الْمُصْطَفَى لِلنَّبُوَّةِ وَأَنْتَ الْمُجْتَنَبِيُّ لِلْإِمَامَةِ، وَأَنَا صَاحِبُ التَّنْزِيلِ وَأَنْتَ صَاحِبُ التَّوْبِيلِ، وَأَنَا وَأَنْتَ أَبَوَا هَذِهِ الْأُمَّةِ، يَا عَلِيُّ أَنْتَ وَصِيٌّ وَخَلِيفَتِي وَوَزِيرِي وَوَارِثِي وَأَبُو وَلَدِي، شِيعَتِكَ شِيعَتِي وَأَنْصَارِكَ أَنْصَارِي وَأَوْلِيَاؤُكَ أَوْلِيَائِي وَأَعْدَاؤُكَ أَعْدَائِي، يَا عَلِيُّ أَنْتَ صَاحِبِي عَلَى الْخَوْضِ غَدَاً وَأَنْتَ صَاحِبِي فِي الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ، وَأَنْتَ صَاحِبُ لُؤَائِي فِي الْآخِرَةِ كَمَا أَنْتَ صَاحِبُ لُؤَائِي فِي الدُّنْيَا»^(٢)، وَسَأَلْتَهُ أَنْ يُجْعَلَهُ حَامِلَ لُؤَائِي فَأَعْطَانِي، وَهُوَ اللَّوَاءُ الْأَعْظَمُ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ (الْمَفْلُحُونَ الْفَائِزُونَ إِلَى الْجَنَّةِ)، وَسَأَلْتَهُ أَنْ يُجْعَلَهُ قَائِدَ أُمَّتِي إِلَى الْجَنَّةِ فَأَعْطَانِي»^(٣).

عن ابن عباس قال: كانت راية رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَعَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْمَوَاقِفِ كُلِّهَا، يَوْمَ بَدْرٍ وَيَوْمَ أُحُدٍ وَيَوْمَ حَنْزَلٍ وَيَوْمَ الْأَحْزَابِ وَيَوْمَ فَتْحِ

(١) فرائد السمطين، ١: ٢٢٨، ح ١٧٨.

(٢) شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار عليهم السلام، ج ٢، ص: ٥٩٧.

(٣) المصدر نفسه.

مَكَّة، وكانت راية الأنصار مع سعد بن عبادَة في المواطن كُلِّها، ويوم فتح مَكَّة،
وراية المهاجرين مع عليٍّ عليه السَّلَام^(١).

منزلة فاطمة عليها السَّلَام من رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله

الخامسة عشرة: «وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا بِنْتِي وَيَا بَضْعَتِي».

لماذا قال النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله «يَا بِنْتِي وَيَا بَضْعَتِي»؟

لعلَّه أراد أن يبيِّن الفرق بين مقام البنت الرحي الطبعي كسائر الناس والتي
تورث صفاته الظاهريَّة والأمور الماديَّة، وبين مقامها كبضعة النبوة التي تورث
صفاته المعنويَّة والروحيَّة والعلميَّة والخلقيَّة والمقامات الاصطفائيَّة.

معنى البضعة لغة: «وَفِي الْحَدِيثِ الْمَشْهُورِ «فَاطِمَةٌ بَضْعَةٌ مِنِّي»، بفتح الباء، أي أنَّها
جزءٌ مِنِّي كما أنَّ القطعة من اللَّحْم جزءٌ من اللحم^(٢).

في الحديث: «فَاطِمَةٌ بَضْعَةٌ مِنِّي»، من ذلك، وقد تكسر، أي أنَّها جزءٌ مِنِّي كما أنَّ
القِطْعَةَ من اللحم^(٣).

هذا في اللغة، وأما السُّنَّة فقد فصَّلت هذا المعنى بشكل أوضح، فقد روي عن

(١) شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار عليهم السَّلَام، ج ٢، ص: ٥٩٧.

(٢) مجمع البحرين، ٤: ٣٠٠.

(٣) لسان العرب، ٨: ١٢.

مجاهد أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَدْ قَالَ وَهُوَ آخِذٌ بِبَدَنِ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ: «مَنْ عَرَفَ هَذِهِ فَقَدْ عَرَفَهَا، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْهَا فَهِيَ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَهِيَ بَضْعَةٌ مِنِّي، وَهِيَ قَلْبِي وَرُوحِي الَّتِي بَيْنَ جَنْبِي، فَمَنْ آذَاهَا فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللهُ»^(١).

فَقَدْ رَوَى الزَّمْخَشَرِيُّ وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عِنَادًا لِأَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَهُوَ الثِّقَةُ الْمَأْمُونُ عِنْدَ الْجُمْهُورِ، قَالَ بِإِسْنَادِهِ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «فَاطِمَةُ مَهْجَةٌ قَلْبِي، إِنَّمَا فَاطِمَةُ شَجْنَةٌ مِنِّي، يَقْبِضُنِي مَا يَقْبِضُهَا، وَيَسْطِنِي مَا يَسْطِئُهَا»^(٢).
عَنِ الْمُسَوِّدِ بْنِ مَخْرَمَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: «إِنَّ فَاطِمَةَ لِمَضْغَةٌ، أَوْ بَضْعَةٌ مِنِّي»^(٣).

أَمَّا الْيَصْرُوقِيُّ فَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ الْمَذْكُورِ فِي الْبَابِ السَّابِقِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «يَا عَلِيُّ، إِنَّ فَاطِمَةَ بَضْعَةٌ مِنِّي، وَهِيَ نُورُ عَيْنِي، وَثَمْرَةٌ فُؤَادِي، يَسُوؤُنِي مَا سَاءَ هَا، وَيَسْرُنِي مَا سَرَّهَا»^(٤).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ فَاطِمَةَ شَجْنَةٌ مِنِّي، يُوذِبُنِي مَا آذَاهَا، وَيَسْرُنِي مَا سَرَّهَا، وَإِنَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَيَغْضِبُ لَغَضْبِ

(١) كشف الغمّة في معرفة الأئمة (طبعة القديمة)، ١: ٤٦٦.

(٢) مناقب آل أبي طالب عليهم السّلام (لابن شهر آشوب)، ٣: ٣٣٢.

(٣) خصائص النسائي: ١٢١، و١٢٢، وآل محمد: ح ٦٣٢.

(٤) الأمالي (للصدوق): ٤٨٧، ح ٧٣.

فاطمة، ويرضى لرضاها»^(١).

عن مجاهد قال: خرج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَقَدْ أَخَذَ بِيَدِ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ وَقَالَ: «مَنْ عَرَفَ هَذِهِ فَقَدْ عَرَفَهَا، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْهَا فَهِيَ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَهِيَ بَضْعَةٌ مِنِّي، وَهِيَ قَلْبِي الَّذِي بَيْنَ جَنْبِي، فَمَنْ آذَاهَا فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللهُ»^(٢).

عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «إِنَّ فَاطِمَةَ شَعْرَةٌ مِنِّي، فَمَنْ آذَى شَعْرَةَ مِنِّي فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللهُ، وَمَنْ آذَى اللهُ لَعَنَهُ اللهُ»^(٣) ملء السماوات والأرض»^(٤).

القاضي أبو محمد الكرخي في كتابه عن الصادق عليه السلام: «قالت فاطمة لما نزلت: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾، هبت رسول

(١) عوالم العلوم والمعارف - مستدرك سيدة النساء، ١١-١: ١٤٥، ح ١٩، معاني الأخبار: ٣٠٣، ح ٢، عنه البحار، ٤٣: ٢٦، ح ٢٦.

(٢) عوالم العلوم والمعارف - مستدرك سيدة النساء ١١-١: ١٤٥: ٢٠ - كتاب المحتضر للحسن بن سليمان: من «تفسير الثعلبي» (بإسناده) ١٣٣، عنه البحار: ٤٣ / ٨٠ و ص ٥٤ عن كشف الغمة: ١ / ٤٦٧. مصباح الأنوار: ٢٢٥ (مخطوط)، والفصول المهمة ١٢٨، ونور الأبصار: ٥٢.

(٣) أمالي الصدوق، «اللهم العن من ظلمها، وعاقب من غضبها وأذل من أذنتها، وخلد في نارك من ضرب جنبيها حتى ألفت ولدها». و ص ١٩٧ ح ٢... «لعن الله من يبغضها».

(٤) عوالم العلوم - مستدرك سيدة النساء إلى الإمام الجواد عليها السلام، ١١ - ١: ١٤٩: ٢١، كشف الغمة ١ / ٤٦٧، عنه البحار: ٤٣ / ٥٤.

الله أَنْ أقول له: يا أبت، فكنت أقول يا رسول الله، فأعرض عني مرةً واثنين أو ثلاثاً، ثمَّ أقبل عليّ فقال: يا فاطمة إنَّها لم تنزل فيك ولا في أهلِكَ ولا في نسلِكَ، أنتِ منِّي وأنا منك، إنَّها نزلت في أهل الجفاء والغلظة من قريش أصحاب البذخ^(١) والكبر، قولي يا أبت فإنَّها أحيا للقلب وأرضى للربِّ^(٢).

فأتضح ممَّا سبق في معنى البضعة في اللغة والسُّنَّة بأنَّها تارة تكون مادّيَّة، ويعبرُ عنها (مضغة منِّي، أو شجنة منِّي، أو شعرة منِّي)، وتارة تكون معنويَّة بلفظ (منِّي، نفسي، قلبي، روعي، مهجتي، ثمرة فؤادي، نور عيني).

فالنبيُّ الأعظم صلَّى الله عليه وآله لا يبالغ ولا يحابي ابنته عندما يعبرُ عنها بلفظ (بضعتي، وقلبي، وروحي، ونفسي)، ولا هو من باب التشبيه والكناية، ولكنَّها صورة حقيقيَّة طبق الأصل من شخصه الكريم، فقد ورثت من صفات بدنه الشريف وروحه الطاهرة ومن علمه وشاركته في مقاماته الاصفائيَّة في آية الطهارة، وآية المودَّة، والطاعة، والولاية، وآية الخمس والصَّلَاة، فكانت نسخة عن روح النبوة، فكما كان ينزل على قلبه علم التنزيل، فقد كان قلبها محلاً للتأويل، ومحطَّة لتحديث الملائكة، وحاملة لمصحفها الشريف.

وكانت تحكي شوائله وخلقه الذي قال عنه العزيز الحكيم ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ

(١) البذخ: التكبر.

(٢) مناقب آل أبي طالب عليهم السَّلَام (لابن شهر آشوب)، ٣: ٣٢٠.

عَظِيمٍ»^(١)، وهي تمثل رحمته التي قال عنها: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢).
 وأما في الأحكام فهي شريكته صلى عليه وآله، فكما كان قلبه محلاً وميزاناً لرضى
 الله تعالى وغضبه، كذلك بالمقام نفسه، حتى اشتهر قوله صلى الله عليه وآله: «فاطمة
 بضعة مني، من آذاها فقد آذاني، يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها، وهي سيدة
 نساء العالمين».

ما هو أهمية اجتماع الخمسة تحت الكساء والغاية منه؟

السادسة عشرة: اكتمال العدد تحت الكساء

قالت عليها السلام: «فَلَمَّا اكْتَمَلْنَا جَمِيعاً تَحْتَ الْكِسَاءِ أَخَذَ أَبِي رَسُولُ اللَّهِ بِطَرَفِي
 الْكِسَاءِ وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ الْيُمْنَى إِلَى السَّمَاءِ».

تكمُن أهمية اكتمال هذا الاجتماع الخماسي النوراني المقدس لكونهم أفضل خلق
 الله تعالى على وجه الأرض، منذ خلق الله آدم إلى يوم القيامة، كما أنه يبرهن على
 أن أهل بيت النبي صلوات الله عليهم هم بمنزلته في مقام الوجاهة عند الله تعالى،
 وإجابة دعائهم ونزول آية التطهير بحقهم جميعاً، وهو مقام العصمة الكبرى،
 وتصريح النبي صلى الله عليه وآله أنهم كنفسه «إِنَّهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ»، وهم الذين

(١) سورة القلم، الآية: ٤.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

اجتمعوا أيضاً في يوم المباهلة العظيم في مقام الاحتجاج، والذين بهم أظهر الحق على نصارى نجران، كما أنهم شركاء في مقامات الاصطفاء ما عدا النبوة.

ومما يؤيد أنهم في مقام واحد ما يفهم من لفظ «اكتملنا جميعاً»، فالإكمال إمّا من حيث الكمّ العددي أو الكيف الوصفي، والذي يظهر من قرائن الحديث هو إكمال العدد الخمسة (أهل الكساء)، وباجتماعهم تمت الغاية من هذا العدد المطلوب تحققه، وهذا يعني لو لم يتمّ العدد كان ناقصاً من حيث الكمّ المطلوب، وأمّا من حيث إكمال الوصف فقد تحقق اجتماع أفضل الخلق تحت الكساء استعداداً لإجابة ربّ العالمين دعاء النبي صلى الله عليه وآله بحقّهم، ونزول فيض الرحمة عليهم، وتويجهم بأية التطهير، وهي العصمة التامة التي لم تتحقق لأحد من الأنبياء والمرسلين والصديقين السابقين.

ما هي طلبات النبي صلى الله عليه وآله من هذا الاجتماع وهل تحققت؟

السابعة عشرة، دعاء النبي صلى الله عليه وآله

قال عليها السلام: «وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي، وَخَاصَّتِي، وَحَامَّتِي، لَحْمُهُمْ لَحْمِي، وَدَمُهُمْ دَمِي، يُؤَلِّمُنِي مَا يُؤَلِّمُهُمْ، وَيَجْزُنُنِي مَا يَجْزُنُهُمْ، أَنَا حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَهُمْ، وَسَلْمٌ لِمَنْ سَالَمَهُمْ، وَعَدُوٌّ لِمَنْ عَادَاهُمْ، وَوَجِبٌّ لِمَنْ أَحَبَّهُمْ، إِنَّهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ، فَاجْعَلْ صَلَوَاتِكَ، وَبَرَكَاتِكَ، وَرَحْمَتَكَ، وَغُفْرَانَكَ، وَرِضْوَانَكَ، عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ، وَأَذِيبْ عَنْهُمْ الرَّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً».

الطلبات واضحة في النصّ وقد تحققت بشكل تامّ وأجاب الله دعوته وزاده الله تعالى فوق ما أراد، كما سنعرفه في البحوث القادمة بشكل مفصل.

وفي هذا المقام نشير لبعض المفردات المتفرقة التي لم ترد في البحوث المذكورة.

١- الأخذ بطرفي الكساء واليما باليد

لماذا أخذ النبي صلى الله عليه وآله بطرفي الكساء وأومأ بيده اليمنى إلى السماء؟
لعلّ الغاية من أخذ الكساء من الطرفين ليكون أشدّ دلالة على حصرية آية التطهير لهؤلاء الخمسة فقط.

وأما رفع اليد للسماء عند الدعاء، لعله:

أولاً: لجهة أنّ الرحمة الإلهية تنزل من الأعلى كما ينزل ماء المطر الذي هو من أسباب الرزق، وهو لا يعارض أنّ الله تعالى في كلّ مكان، وهو أقرب للإنسان من جبل الوريد، وقد جرت سيرة الأنبياء والأولياء بذلك، وأمروا الناس ببسط اليد ورفعها نحو السماء.

وقد سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن ذلك، كما جاء في رواية أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «حدّثني أبي عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: أمير المؤمنين عليه السلام: إذا فرغ أحدكم من الصلاة فليرفع يديه إلى السماء ولينصب في الدعاء، فقال ابن سبأ: يا أمير المؤمنين، أليس الله في كلّ مكان؟ قال:

بلى، قال: فلم يرفع يديه إلى السماء؟ فقال: أو ما تقرأ: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾^(١)، فمن أين يطلب الرزق إلا من موضع الرزق، وموضع الرزق وما وعد الله السماء^(٢).

وعن هشام بن الحكم في حديث الزنديق الذي أتى أبا عبد الله عليه السلام، قال السائل: فما الفرق بين أن ترفعوا أيديكم إلى السماء وبين أن تخفضوها نحو الأرض؟ قال أبو عبد الله عليه السلام: «ذلك في علميه وإحاطته وقدرته سواء، ولكن عزة وجل أمر أوليائه وعبادته يرفع أيديهم إلى السماء نحو العرش؛ لأنه جعله معدن الرزق، فثبتنا ما ثبته القرآن والأخبار عن الرسول صلى الله عليه وآله حين قال: ارفعوا أيديكم إلى الله عز وجل»^(٣).

ثانياً: أو لعل العلو يشير لجهة السماء وهو من السمو والرفعة.

(فالسما هي الارتفاع والعلو، فمعنى ذلك أنه تعالى عالٍ في قدرته، عزيز في سلطانه، لا يُبلغ ولا يُدرِك. ويقال: سما فلان يسمو سمواً، إذا ارتفع شأنه علا أمره، قال الله تعالى: ﴿أَمِئْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ

(١) سورة الذاريات، الآية: ٣٢.

(٢) علل الشرائع، ٢: ٣٤٤، و٥٠، ح ١.

(٣) توحيد الصدوق: ٢٤٨.

تَمُورُ (١٦) أَمْ أَمِئْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ﴿١﴾؛ فأخبر بقدرته وسلطانه وعلو شأنه ونفاذ أمره (٢).

ثالثاً: تعبير عن حالة التضرع والخضوع والمسألة إلى الله تعالى، وهو من أجل وأعلى مظاهر التأدب بالعبودية لربِّ الأرباب تعالى، فإنَّ العبد المحتاج الضعيف الفقير يمدُّ يده يستمطر من سيده الكريم النوال والعطاء، وهو على حالات عدَّة فصلتها روايات العترة الطاهرة:

١ - الاستكانة (الخضوع).

حسنة محمد بن مسلم قال: سألت أبا جعفر عليه السَّلام عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَمَا اسْتَكَانُوا لِربِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ (٣)، فقال: الاستكانة هو الخضوع، والتضرُّع هو رفع اليدين والتضرع بهما (٤).

والآية في سورة المؤمنين هكذا: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاصِبُونَ (٧٤) وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلْجُوفِ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ

(١) سورة الملك، الآية: ١٧.

(٢) أمالي المرتضى، ٢: ١٦٨.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٧٦.

(٤) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، ١٢: ٤٤، ح ٢.

(٧٥) وَلَقَدْ أَخَذْنَا هُم بِالْعَذَابِ ﴿١﴾، قال في مجمع البيان: معناه إِنَّا أَخَذْنَا هؤُلاءِ الكفار بالجدب وضيق الرزق والقتل بالسيف ﴿فَمَا اسْتَكَّأَنُوا لِرَبِّهِمْ﴾، أي ما تواضعوا وما انقادوا ﴿وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾، أي وما يرغبون إلى الله في الدعاء، وقال أبو عبد الله عليه السَّلام الاستكانة في الدعاء والتضرُّع رفع اليد في الصَّلَاة، انتهى^(٢).

وجاء في صحيحته أيضاً بهذا التفصيل، والتبتل تحرك السبابة اليسرى ترفعها في السماء رسلاً وتضعها^(٣).

٢- الضراعة.

ففي حسنة محمد بن مسلم: والتضرُّع هو رفع اليدين والتضرع بهما^(٤).

وفي الصحيحة عنه أيضاً: والتضرُّع تحرك السبابة اليمنى يمينا^(٥).

٣- حالة الرغبة.

وفي صحيحة محمد بن مسلم عن الصادق عليه السَّلام قال: «الرغبة تبسط

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ٧٤-٧٦.

(٢) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، ١٢: ٤٤، ح ٢.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه: ٤٦، ح ٤.

يديك وتظهر باطنهما»^(١).

٤- الرهبة.

والرهبة تبسط يديك وتظهر ظهرهما^(٢).

٥- الابتهاال.

والابتهاال تبسط يديك وذراعيك إلى السماء والابتهاال حين ترى أسباب البكاء^(٣).

٦- الاستعاذة.

ففي صحيحة محمد بن مسلم وزرارة قالوا: قلنا لأبي عبد الله عليه السلام: كيف المسألة إلى الله تبارك وتعالى؟ قال: «تبسط كفيك»، قلنا: كيف الاستعاذة؟ قال: «تفضي بكفيك والتبتل الإيباء بالإصبع»^(٤).

قال العلامة المجلسي: والظاهر أن المراد بالتعوذ التحرز من شر الأعداي، ويمكن تعميمه بحيث يشمل شر الأعداي الباطنة أيضاً من النفس والشيطان، بل من العقوبات الأخروية والدينية، وهي حالة غاية الاضطرار، فإن من رأى حجراً

(١) المصدر نفسه: ٤٦، ح ٤.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، ١٢: ٤٦، ح ٧.

أو سيفاً أو سناناً أو شبهها يترس بيديه هكذا لدفعها عن كرائم بدنه^(١).

ثالثاً: أو لعلّه لشرفيّة العلو ولو مجازاً، فقد جرت سيرة الشارع وعرف العقلاء التعبير عن السمو والرفعة والخلق الشريف بالعلو، وعن الخلق الدنيء بالهبوط والتسافل، وهذا واضح في لغة الوحي، فقد خاطب الله آدم وحواء وإبليس بالخروج من جنّة الدنيا، والتي هي في جهة العلو في السماء على ما يظهر: ﴿ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾^(٢) ... ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ﴾^(٣).

ب- مفردات طلبات النبي صلى الله عليه وآله :

﴿ فَاجْعَلْ صَلَوَاتِكَ، وَبَرَكَاتِكَ، وَرَحْمَتِكَ، وَغُفْرَانِكَ، وَرِضْوَانِكَ، عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ ﴾.

١ - (صلواتك).

والصلاة في اللغة على معان:

الأول، الرحمة: و(منها) قوله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ

وَرَحْمَةٌ ﴾^(٤)، أي ترحم^(٥).

(١) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، ١٢: ٤٦، ح ٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٣٨.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٧٥.

(٥) مجمع البحرين، ١: ٢٦٦.

ويؤيد هذا المعنى ما جاء في الرواية عن ابن أبي حمزة عن أبيه قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(١)، فقال: «الصَّلَاةُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ رَحْمَةٌ، وَمِنَ الْمَلَائِكَةِ تَزْكِيَةٌ، وَمِنَ النَّاسِ دَعَاءٌ، وَأَمَّا قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ فَإِنَّهُ يَعْنِي التَّسْلِيمَ لَهُ فِيمَا وَرَدَ عَنْهُ»، قال: فقلت له: فكيف نصلي على محمد وآله؟ قال: «تقولون صلوات الله وصلوات ملائكته وأنبيائه ورسله وجميع خلقه على محمد وآل محمد، والسلام عليه وعليهم ورحمة الله وبركاته»، قال: فقلت: فيما ثواب من صلى على النبي وآله بهذه الصَّلَاة؟ قال: «الخروج من الذنوب والله كهيبته يوم ولدته أمته»^(٢).

الثاني، وجاءت الصَّلَاةُ بمعنى التعظيم: قيل ومنه «اللهم صلِّ على محمد وآل محمد»، أي عظمه في الدنيا بإعلاء ذكره وإظهار دعوته وإبقاء شريعته، وفي الآخرة بتشفيعه في أمته وتضعيف أجره ومثوبته^(٣).

قال بعض الأفاضل: (الصَّلَاةُ) وإن كانت بمعنى الرحمة، لكنَّ المراد بها هنا الاعتناء بإظهار شرفه ورفع شأنه، ومن هنا قال بعضهم: تشریف الله محمدًا (صلَّى

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

(٢) مجمع البحرين، ١: ٢٦٦.

(٣) المصدر نفسه: ٢٦٧.

الله عليه وآله بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ أبلغ من تشریف آدم بالسَّجود^(١).

الثالث، العطف والحنان: والمراد بالصلوات: العطف والحنان؛ ولذا يسمَّى أحد المتسابقين بالمصلِّي، فإنَّ الإنسان يعطف إلى نحو الله سبحانه وتعالى في صلواته^(٢)، والله سبحانه وملائكته يعطفون على الإنسان في صلواتها عليه.

ومن الواضح أنَّ عطف الله سبحانه وتعالى هو إنزال فضله ولطفه. قال الشاعر^(٣):

صَلَّتْ عَلَى جِسْمِ الْحُسَيْنِ سَيُوفِهِمْ فَعَدَا لِسَاجِدَةِ الظُّبَى مَحْرَابًا^(٤)

ولعلَّ قوله: «فاجعل صلواتك» جاء بالجمع ولم يقل: (صلاتك) كان من جهة اختلاف أنحاء العطف، كالعطف المعنوي والعطف المادي، والعطف في الدنيا والعطف في الآخرة، إلى غير ذلك^(٥).

(١) مجمع البحرين، ١: ٢٦٦.

(٢) فالصلاة لله بمعنى العطف والميل نحوه تبارك وتعالى.

(٣) السيد رضا الموسوي الهندي (١٢٩٠-١٣٦٢ هـ).

(٤) أي: نزلت على جسمه عليه السَّلام وعطفت نحوه.

(٥) من فقه الزهراء عليها السَّلام، ١: ١٩١.

٢- (وَبَرَكَاتِكَ).

ذكر الطريحي في معنى البركة وجوهاً عدة:

أ- (الثبات على الخير): قوله ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ أي ثبت الخير عنده وفي خزائنه.

ب- (العلو) قيل تَبَارَكَ أَي علا.

ت- (التعظيم والاتساع)، ويقال تَبَارَكَ وتَعْظَم واتسعت رحمته وكثرت نعمته، تفاعل من البركة، ولا يجيء من هذا خاصة الفعل المضارع.

ث- (الطهارة) ويقال تَبَارَكَ اللهُ: تَقَدَّسَ. والقدس: الطهارة.

ج- قوله: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ قال المفسر وهذا أعني القرآن، أنزلناه: من السماء إلى الأرض مباركاً. وإنما سماه مُبَارَكاً لأنه ممدوح، كل من تمسك به نال الفوز، ولأن قراءته خير والعمل به خير وفيه علم الأولين والآخرين، وفيه مغفرة للذنوب وفيه الحلال والحرام.

ح- (الزيادة) وقيل البركة: الزيادة والقرآن مُبَارَكٌ لما فيه من زيادة البيان على الكتب السماوية، لأنه ناسخ لا يرد عليه نسخ، فبقاؤه إلى آخر التكليف.

خ- (النفعة) قَوْلُهُ: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ قَالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَعْنِي نَفَاعاً».

وَفِي الدُّعَاءِ «وَأَنْزِلْ عَلَيَّ مِنْ بَرَكَاتِكَ».

د- (الخير) أي من خيرك وكرمك. سمى إيصال البركات إلى العباد إنزالاً على جهة الاستعارة تشبيهاً للعلو والسفل اللذين من جهة الرتبة بالعلو والسفل الحقيقيين.

وَفِي الدُّعَاءِ «وَبَارِكْ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ».

ذ- (الثبات والدوام)، أي أثبت له وأدم ما أعطيته من التشريف والكرامة، من بَرَكَ البَعِيرُ: ناخ في موضعه فلزمه. وَبَارَكَ اللهُ عَلَيْهِ وفيه بمعنى جعل فيه البركة^(١).

٣- (وَرَحْمَتِكَ).

في معنى الرحمة لغة:

(الوجه الأول: مشتق من أسماء الله)، قال العلامة المجلسي: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾: اسمان مشتقان من الرَّحْمَةِ، وَرَحْمَةُ اللهِ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^(٢).

(الوجه الثاني: البر) قال أيضاً: ويقال: ما أقرب رُحْمَ فلان إذا كان ذا مَرَحْمَةٍ وِبرٍ، وقوله عز وجل: ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾، أي أبر بالوالدين من القتل الذي قتله

(١) مجمع البحرين، ٥: ٢٥٨.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٦٤.

الخضر عليه السَّلام، [وكان الأبوان مسلمين والابن كان كافراً فولد لهما بعد بنت فولدت نبياً].

(الوجه الثالث: العطف).

وقال: والمَرْحَمَةُ: الرَّحْمَةُ، [تقول: رَحِمْتُهُ أَرْحَمُهُ رَحْمَةً وَمَرْحَمَةً، وَتَرَحَّمْتُ عَلَيْهِ، أَي قَلْتُ: رَحْمَةً لِلَّهِ عَلَيْهِ، وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾^(١) أَي أَوْصَى بَعْضُهُمْ بَعْضاً بِرَحْمَةِ الضَّعِيفِ وَالتَّعَطُّفِ عَلَيْهِ^(٢)].

٤- (وَعُفْرَانُكَ).

رضي: الرِّضَا، مقصورٌ: ضِدُّ السَّخَطِ. وفي حديث الدعاء: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَيَّ نَفْسِكَ».

وفي رواية: بدأ بالمعافاة ثم بالرِّضَا. وثنية الرِّضَا رِضْوَانٍ وَرِضْيَانٍ^(٣).

غفر: الغُفُورُ الغَفَّارُ، جَلَّ ثَنَاهُ، وَهُمَا مِنْ أُنْبِيَاءِ الْمُبَالِغَةِ وَمَعْنَاهُمَا السَّاتِرُ لِذُنُوبِ عِبَادِهِ الْمُتَجَاوِزِ عَنْ خَطَايَاهُمْ وَذُنُوبِهِمْ. يقال: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا مَغْفِرَةً وَغُفْرَانًا، وَإِنَّكَ أَنْتَ الْغُفُورُ الْغَفَّارُ يَا أَهْلَ الْمَغْفِرَةِ. وَأَصْلُ الْغُفْرِ التَّغْطِيَةُ وَالسِّرُّ. غَفَرَ اللَّهُ

(١) سورة البلد، الآية: ١٧.

(٢) بحار الأنوار، ٤: ١٩٥.

(٣) لسان العرب، ١٤: ٣٢٣.

ذنبه أي سترها، والغفر: الغفران^(١).

٥- (وَرِضْوَانِكَ).

قوله تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾^(٢)، الرِّضْوَانُ من الله ضدَّ السَّخَطِ، وقيل: هو المدح على الطاعة والثناء، و(الرَّضَى) مثله، فَرَضَى الله ثوابه وسخطه عقابه، من غير شيء يتداخله فيهيجه من حال إلى حال، لأنَّ ذلك من صفات المخلوقين.

و(الرِّضْوَانُ) بكسر الراء وضمها: أعلى مراتب الرضا. و«بلغ بي رِضْوَانَكَ» أي أبلغني منتهى رضاك. وقوله: «حتى تَرْضَى وبعد الرِّضَا» قيل: هو كناية عن دخول الجنة، ويمكن أن يكون كناية عن كمال الحمد، أو أنني لا أقطع شكري لك بعد حصول رضاك^(٣).

٦- «عَلِيٍّ وَعَلَيْهِمْ».

علة تخصيصهم عليهم السَّلام بالدعاء هنا قد يكون السبب في قوله صلى الله عليه وآله: (عنهم) دون (عني وعنهم)، مع أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى صَلَوَاتِ اللهِ وَبَرَكَاتِهِ وَرَحْمَتِهِ وَ...، قال: «عَلِيٍّ وَعَلَيْهِمْ» الإشارة إلى أسبقية اتصافه

(١) لسان العرب، ٥: ٢٥.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٥.

(٣) مجمع البحرين، ١: ١٨٨.

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْعَصْمَةِ وَلَوْ رَتَبَةً^(١).

وربما يكون السبب: إرادة تلاوة شبه الآية الشريفة والتي لا يبعد أن يراد بها الأعم.

ومن المحتمل أن يكون وجه عدم ذكر نفسه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَذَكَرَهُمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَنَّهُمْ مَحَلُّ تَوْهُمٍ وَتَشْكِيكِ بَعْضِ الْأُمَّةِ دُونَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، حَيْثُ إِنَّ كَثِيرًا مِمَّنْ لَا يَشْكُ فِي عَصْمَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَشْكُكَ فِي عَصْمَتِهِمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.. إذ لا يعرف الجميع أن أهل البيت عليهم السَّلَامُ معصومون إلا من كلفته (صلوات الله وسلامه عليه)، فكان ذلك مدعاةً للتركيز عليهم^(٢).

علة خلق الموجودات

الثامنة عشرة: «فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا مَلَائِكَتِي وَيَا سُكَّانَ سَمَاوَاتِي،

ويبدو أنه من حِكْمِ جمعهم تحت الكساء إظهار فضيلتهم ومنزلتهم عند الله تعالى، كما صرَّح بها لجبرائيل بأن هؤلاء الخمسة هم علة لإيجاد هذه المخلوقات وهذا ما سوف نستدلُّ عليه من النصوص الشريفة في الفصول القادمة، وههنا

(١) ومن فوائد ذلك: كون هذا الطلب والدعاء صادراً عن المعصوم عليه السَّلَامُ الذي لا ينطق ولا يصمت ولا يتحرك إلا بأمره سبحانه وإذنه، فيكون أقوى في الدلالة على عصمتهم عليهم السَّلَامُ طلباً واستجابة.

(٢) من فقه الزهراء، ١: ١٩٦.

نتعرض لشرح المفردات:

(فَقَالَ اللَّهُ).

- ما معنى قول الله؟

(يجب الاعتقاد بأن الله تعالى متكلم بالمعنى الصحيح لذلك، وقد ثبت في علم الكلام أن الله سبحانه وتعالى لا يتكلم كتكلمنا بفم وشبهه، لاستحالة ذلك في حقه؛ لأنه تعالى ليس بجسم، ولا هواء هناك، إلى غير ذلك من شرائط الكلام المعهود المفقودة في ساحته المقدسة.

بل يراد بالقول: إمّا خلق الصوت كما التزموا بذلك في قوله سبحانه: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾^(١).

وإمّا إيجاد علامة دالة على ذلك في اللوح بسبب القلم، وقد روى الصدوق رحمه الله أن (اللوحة والقلم ملكان)^(٢) أو ما أشبه ذلك.

وقد ألمعنا سابقاً إلى أن القول في اللغة العربية يطلق على اللفظ وعلى الفعل^(٣)؛

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٤.

(٢) الاعتقادات في دين الإمامية للشيخ الصدوق: ٢٢، باب ١٢.

(٣) ولو فرض كون هذا الإطلاق مجازياً للتبادر، ولعدم الالتزام بالوضع التعيني اللاحق فإنه لا يُدّ منه ما هنا بعد تعدد الحقيقة كما لا يخفى.

ولذا يقولون: (قال بيده كذا)، فيما لو أشار بيده، و(قال برأسه كذا)^(١).

- من أخبر الزهراء عليها السلام عن قول الله عز وجل؟

فهل سمعت من أبيها صلى الله عليه وآله أم هي سمعت مباشرة من الله تعالى من دون واسطة؟

يظهر من كلامها أنها علمت مباشرة بلا واسطة من أبيها، حيث قالت: «فقال الله...» فهي راوية الحديث وشاهدة لتفاصيل أحداثه!

يقال هذا مخالف لما اتفق عليه الإمامية أن نزول الوحي خاص برسول الله صلى الله عليه وآله؟

ويجاب عن ذلك بأمور:

أ- لا شك أن وحي القرآن خاص برسول الله صلى الله عليه وآله، فهو خاتم الأنبياء والمرسلين، وأهل بيته ليسوا أنبياء، ولكنهم أوصياءه بالحق، وقد أفاض الله عليهم من علوم الغيب الشيء الكثير.

ب- رغم أنهم ليسوا أنبياء ولا ينزل عليهم الوحي الذي ينزل على رسول الله صلى الله عليه وآله، ولكنهم شركاؤه في مقام العلم، فكل ما عنده من العلوم يعطيه

(١) من فقه الزهراء عليها السلام، ١: ٢٠٢.

أوصيائه من أهل بيته عليهم السَّلام^(١)، وكذا الصديقة فاطمة عليها السَّلام، وهم ورثته في علمه، ممَّا يكشف أنَّ مقامهم في العلم عند الله واحد، ولكنَّ قناة الوحي مختصَّة به صَلَّى اللهُ عليه وآله.

ت- وممَّا يُستفاد منه في القرينة على ما ذكرناه أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله عندما ينزل عليه الوحي يقيم جلساءه إلَّا أهل بيته، وكان يقول لعليٍّ عليه السَّلام: «يا عليُّ إنَّك تسمع ما أسمع وترى ما أرى، إلَّا أنَّك لست بنبيٍّ»، فقال أمير المؤمنين عليه السَّلام: «ما لنا من خير فمَنك يا رسول الله»^(٢).

ولكنَّ هناك روايات معتبرة نفت الرؤية والمعانية، كما في رواية الشيخ الكليني في صفة الإمام.

عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السَّلام عن قول الله عزَّ وجلَّ:

(١) عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السَّلام يقول: «نزل جبرئيل على محمد صَلَّى اللهُ عليه وآله برمانتين من الجنة، فلقبه عليٌّ عليه السَّلام فقال: ما هاتان الرمانتان اللتان في يدك؟ فقال: أمَّا هذه فالنبوة ليس لك فيها نصيب، وأمَّا هذه فالعلم، ثمَّ فلقها رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله بنصفين، فأعطاه نصفها وأخذ رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله نصفها، ثمَّ قال: أنت شريك في وأنا شريك فيه، قال: فلم يعلم والله رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله حرفاً ممَّا علَّمه الله عزَّ وجلَّ إلَّا وقد علَّمه علياً، ثمَّ انتهى العلم إلينا»، ثمَّ وضع يده على صدره. الكافي (طبعة الإسلامية)، ١: ٢٦٤، ح ٣.

(٢) عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية، ٤: ١٢٢.

﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ ما الرسول وما النبي؟ فقال عليه السّلام: «النبيُّ الذي يرى في منامه ويسمع الصوت ولا يعاين الملك، والرسول الذي يسمع الصوت ويرى في المنام ويعاين الملك»، قلت: الإمام ما منزلته؟ قال: «يسمع الصوت ولا يرى ولا يعاين الملك»، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ ولا محدث^(١).

ث- ومع ذلك فإن الله سبحانه وتعالى زوّدهم بقناة اتصال بعلوم الغيب لا تنقطع عنهم أبداً، ليست بأقل من قناة جبرائيل، بل هي أعظم منه وهي مع جميع الأنبياء والأوصياء منذ ولادتهم حتى مماتهم، وهي قناة روح القدس الذي به يؤيدهم، ويسددهم، ويعصمهم، ويعلمهم كل ما يحتاجون إليه^(٢)، وعندهم قناة أخرى

(١) قوله: «ولا محدث» هي قراءة أهل البيت عليهم السّلام وهو بفتح الدال المشددة (في). الكافي (طبعة الإسلامية)، ١: ١٧٦.

(٢) عن المفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: سألته عن علم الإمام بما في أقطار الأرض وهو في بيته مرخى عليه ستره، فقال عليه السّلام: «يا مفضل، إن الله تبارك وتعالى جعل في النبيّ صلّى الله عليه وآله خمسة أرواح، روح الحياة فيه دبّ ودرج، وروح القوّة فيه نهض وجاهد، وروح الشهوة فيه أكل وشرب وأتى النساء من الحلال، وروح الإيثار فيه آمن وعدل، وروح القدس فيه حمل النبوة، فإذا قبض النبيّ صلّى الله عليه وآله انتقل روح القدس فصار إلى الإمام، وروح القدس لا ينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يزهو، والأربعة الأرواح تنام وتغفل وتزهو وتلهو، وروح القدس كان يرى به»، الكافي، ١: ٢٧٢.

وهي قناة التحديث والإلهام من الملائكة^(١)، وقناة أخرى تربطهم بعلوم الغيب، وهي برج من نور يقيمه الله لهم يرون ما في المشرق والمغرب ويرون أعمال العباد^(٢). إذا عرفنا هذه المقدمات فلا نستغرب أن الزهراء عليها السلام تروي خبر الكساء بلا واسطة؛ لأنها صديقة، وهي أعظم من مريم التي كانت تحدثها الملائكة^(٣)، كما أنها تشترك مع أهل البيت في مقام العلم، علاوة على ذلك أن لها قناة خاصة من الملائكة بالتحديث معها، ويشهد على ذلك مصحفها المعروف بمصحف فاطمة^(٤).

(١) كما في رواية زرارة السابقة بهذا اللفظ (ولا يحدث). وعن علي السائي عن أبي الحسن الأول موسى عليه السلام قال: «بلغ علمنا على ثلاثة وجوه، ماضٍ وغابر وحادث، فأما الماضي فمفسر، وأما الغابر فمزبور، وأما الحادث فحذف في القلوب ونقر في الأسماع، وهو أفضل علمنا ولا نبي بعد نبينا». الكافي (طبعة الإسلامية)، ١: ٢٦٤، ح ١.

(٢) عن محمد بن مروان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الإمام يسمع الصوت في بطن أمه، فإذا بلغ أربعة أشهر كتب على عضده الأيمن ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾، فإذا وضعته سطح له نور ما بين السماء والأرض، فإذا درج رُفِعَ له عمود من نور يرى به ما بين المشرق والمغرب»، بصائر الدرجات في فضائل آل محمد صلى الله عليهم، ج ١، ص: ٤٣٥.

(٣) ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾، سورة آل عمران، الآية: ٤٢.

(٤) عن حماد بن عثمان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «تظهر الزنادقة في سنة ثمانية وعشرين ومائة، وذلك لأنني نظرت في مصحف فاطمة»، قال: فقلت: وما مصحف فاطمة عليها السلام؟ فقال: «إن الله تبارك وتعالى لما قبض نبيه صلى الله عليه وآله دخل على فاطمة من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلا الله عز وجل، فأرسل إليها ملكاً يسأل عنها غمها ويحدثها، فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال لها: إذا أحسست بذلك فسمعت الصوت فتولي لي، فأعلمته فجعل يكتب كلها سمع، حتى أثبت من ذلك مصحفاً»، قال: ثم قال: «أما إنه ليس فيه من الحلال والحرام، ولكن فيه علم ما يكون». بصائر الدرجات، ١: ١٥٧.

٢- معنى (عَزَّ وَجَلَّ).

(وحيث إنَّ الله سبحانه وتعالى متفرد ليس كمثله شيء، ورفيع وقوي وغالب، فهو العزيز الأوحده؛ ولذا قال سبحانه: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ﴾^(١)، لوضوح أنَّ كلَّ عِزَّةٍ في الكون فمن فضل الله تعالى حتى العِزَّةُ الظاهرية لمن لا يستحق العِزَّةَ الحقيقيَّة كالملوك الجبابرة.

ومعنى (جَلَّ): أنَّه عظيم عن إدراك الإنسان له بالعين أو بالظن أو بالوهم وشبه ذلك، إذ من الواضح أنَّ ذلك من المحال، إذ لا يمكن استيعاب الإنسان المحدود لغير المحدود وهو الله سبحانه وتعالى، فلا يعقل أنَّ يستوعب المتناهي اللا متناهي^(٢).

٣- «يا مَلَائِكِي وَيَا سُكَّانَ سَمَاوَاتِي».

ما هو الفرق بين الملائكة وسكان السماء؟

معنى الملائكة: الملائكة في اللغة: قال الطريحي: والمَلَكُ من المَلَائِكَةِ واحد وجمع.. وأصله مَأَلَكَ فقدم اللام وأُخِّرَ الهمزة، ووزنه مفعَل من الألوكة وهي الرسالة، ثمَّ تركت الهمزة لكثرة الاستعمال، فقيل: مَلَك، فلَمَّا جمعه ردُّوه إلى أصله، فقالوا: مَلَائِكُ فزيدت التاء للمبالغة أو لتأنيث الجمع.. وعن ابن كيسان هو فَعَال من

(١) سورة فاطر، الآية: ١٠.

(٢) من فقه الزهراء، ١: ٢٠٥.

المَلَك، وعن أبي عبيدة مفعول من لَأَكَّ إذا أرسل) (١).

(ولا يبعد أن يكون المراد بالملائكة كلُّ الملائكة لا الرسل منهم فحسب، وإن كان لفظ (المَلَك) مشتقاً من (الألوكة) التي هي الرسالة، لكن ذلك بحسب الأصل، ثم غلب استعماله على كلِّ ملائكة الله سبحانه وتعالى ممن ليسوا من جنس الإنس أو الجن، فاللفظ من باب (العَلَم بالغلبة)، فتأمل.

وقد بصير علماً بالغلبة مضافاً أو مصحوباً أل كالعقبة (٢)

سكان السماء

وهذا (٣) قد يكون من باب عطف الخاص على العام، باعتبار أن سكان السماوات منهم لهم خصوصية خاصة.

ولا يصحُّ أن يكون «سكان سماواتي» بمنزلة عطف بيان له (الملائكة) من باب عطف المساوق على المساوي لعدم انحصار الملائكة بسكان السماوات إلا أن يقال: إنَّ كلَّ الكون مقابل الآخرة سماوات؛ لأنَّ الأرض أيضاً كوكب في السماء.

ومن الممكن أن يكون من باب عطف المبين إذا كان المراد بسكان السماوات سائر من سكن السماوات من المخلوقات غير الملائكة؛ لأنَّ لله سبحانه وتعالى

(١) مجمع البحرين للطبري، ٥: ٢٩٢.

(٢) ألفية ابن مالك.

(٣) أي قوله: «ويا سكان سماواتي».

مخلوقات كثيرة جداً لا نعرفها حتى بالاسم فكيف بالكُنه أو الصفة والخصوصية، فإذا كانت علومنا بالنسبة إلى الإنسان والنبات والحيوان محدودة جداً حتى أنّها لا تبلغ جزءاً من ألف مليون من الواقع، فكيف بما هو غائب عن حواسنا؟.

وقد ذكر العلماء أنّ ما اكتشفوه من أنواع الموجودات في الكرة الأرضية قد بلغ الثلاثين مليون قسماً، وهذا هو مبلغهم من العلم وأغلبه بنحو الإجمال الشديد، أمّا ما لم يطلعوا عليه فلعلّه أضعاف أضعاف ذلك خصوصاً ممّا في البحار ممّا لا يخفى كثرة، وقد ورد في الدعاء: «يا من في البحار عجائبه»^(١)، وكذلك في عالم الجراثيم وشبهها.

وربما كانت هناك عوالم أخرى على أرضنا في أبعاد أخرى أو لا نعلم عنها أيّ شيء إطلاقاً، أو لا يمكن لنا معرفتها أبداً إلا بحواس أخرى أو شرائط مجهولة، فإذا كان هذا حال الأرض فما حال السماوات ومجاهيلها والتي قال عنها تعالى: ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾^{(٢)(٣)}.

(١) البلد الأمين، ٤٠٧، دعاء الجوشن الكبير.

(٢) سورة الذاريات: ٤٧.

(٣) من فقه الزهراء، ١: ٢٠٦ - ٢٠٧.



الفصل الثالث

رسالة رسول الله صلى الله عليه وآله

إلى الأمة:

«أهل بيتي كنفسي ومنزلتي»

الفصل الثالث: رسالة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى الْأُمَّةِ

توطئة

في هذا الفصل، والفصول اللاحقة، نتعرَّض لأهم الدَّلالات والرسائل التي تعدُّ عصارة وروح هذا الحديث الشريف، والذي يريد الله تعالى إبلاغها وإعلانها صراحةً للأُمَّة الإسلامية، بل للعالم أجمع.

وأول رسالة أعلنها الرسول الأعظم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِلْأُمَّةِ: «اللَّهُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي، وَخَاصَّتِي، وَحَامَّتِي، لَحْمُهُمْ لَحْمِي، وَدَمُهُمْ دَمِي، يُؤَلِّمُنِي مَا يُؤَلِّمُهُمْ، وَيَحْزُنُنِي مَا يَحْزُنُهُمْ، أَنَا حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَهُمْ، وَسَلَامٌ لِمَنْ سَالَمَهُمْ، وَعَدُوٌّ لِمَنْ عَادَاهُمْ، وَمُحِبٌّ لِمَنْ أَحَبَّهُمْ، إِنَّهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ»^(١).

قال آية الله السَّيِّد مُحَمَّدُ الشَّيرَازِي في معرض شرحه لهذه العبارة: فقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ «اللَّهُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي، وَخَاصَّتِي، وَحَامَّتِي، لَحْمُهُمْ لَحْمِي، وَدَمُهُمْ دَمِي، يُؤَلِّمُنِي مَا يُؤَلِّمُهُمْ، وَيَحْزُنُنِي مَا يَحْزُنُهُمْ، أَنَا حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَهُمْ، وَسَلَامٌ لِمَنْ سَالَمَهُمْ، وَعَدُوٌّ لِمَنْ عَادَاهُمْ، وَمُحِبٌّ لِمَنْ أَحَبَّهُمْ، إِنَّهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ» جملة جامعة لمعاني المفردات السابقة، وشدة الارتباط والقرب بينه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وبين أهل بيته عليهم السَّلَام، أوضح من الشمس في القرب المادِّي النسبي والقرب الروحي والمعنوي والفكري... والقرب في المنشأ لأنَّ كلَّهم عليهم السَّلَام من نور واحد؛ ولذا قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «تَخْلُقُ

(١) عوالم العلوم، ١١: ٩٣٣.

الله الناس من أشجار شتى، وخلقني وأنت [يا عليُّ] من شجرة واحدة»^(١).

ومن هنا يتضح ما يريد النبي صلى الله عليه وآله إبلاغه للأمة: أنني وأهل بيتي مصطفون من الله تعالى في درجة متساوية، ومتحدون ومشركون في منظومة واحدة متكاملة، لمشروع شجرة النبوة والرسالة، أعدّه الله سبحانه وتعالى منذ عالم الأنوار والأرواح، فخلقنا نفساً واحدة (نوراً وروحاً وطينةً، ولحمًا ودمًا، وعظاماً وقلبًا، وسلماً وحرماً، وفضلاً ودينًا وعلماً...)، ثم اصطفانا في عالم الدنيا أئمة وخلفاء على الخلائق، ثم أعطانا الملك العظيم وعودة الناس إلينا وحسابهم علينا في عالم المعاد، وهو يعني أننا شركاء في هذا المشروع الرباني الواحد المتكامل الأبعاد ومقسّم الأدوار في جميع العوالم والنشآت، أعدّه الله جلّ وعزّ لإظهار دينه وإعلاء كلمته، وجميعنا في الفضل عنده بمنزلة واحدة، ولكن لكل واحد منا خصوصية وفضل يختص به من رب العالمين تخصصاً من تلك المنازل كالنبوة، وهذا ما سوف يتضح من خلال شرح وتفصيل هذه العبارة من الحديث الشريف.

وقبل الشروع في شرح العبارة نأتي بالشواهد المؤيدة لهذه العبارة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة لسدّ الطريق على من يظن أن هذه العبارة انفرد بها حديث الكساء.

(١) بحار الأنوار، ١٥: ١٩، ب ١، ح ٣٠.

الشواهد المؤيدة لمضمون «إِنَّهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ»

الأول، القرآن الكريم

الف - آية المباهلة أكبر شاهد على النفس الواحدة

ويشهد على صدق عبارة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ «إِنَّهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ» القرآن المجيد في آية المباهلة قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(١)، حيث سَمَّى أمير المؤمنين عليه السَّلام بـ(أَنْفُسَنَا)، أي نفس رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ^(٢)، وسَمَّى الحسن والحسين عليهما السَّلام بـ(أَبْنَاءَنَا)، وسَمَّى الزهراء عليها السَّلام بـ(نِسَاءَنَا)، وهذه الآية من أوضح آيات التشريف والانتفاء لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

وقد تطرَّق لهذا الأمر المهم الإمام الرضا عليه السَّلام عندما سأله المأمون في مجلسه عن أكبر فضيلة لأمر المؤمنين عليه السَّلام، فقد روى الشيخ المفيد، قال: قَالَ الْمَأْمُونُ يَوْمًا لِلرُّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَخْبِرْنِي بِأَكْبَرِ فَضِيلَةٍ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَدُلُّ عَلَيْهَا الْقُرْآنُ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ الرُّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فَضِيلَتُهُ فِي الْمُبَاهَلَةِ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦١.

(٢) وسيأتي البحث في الآية المباركة في هذا الفصل.

أبنانا وأبنائكُم ونسائنا ونسائِكُم وأنفُسنا وأنفُسِكُم ثم نبتهل فتجعل لعنت الله على الكاذبين»^(١)، فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله الحسين (عليها السلام) فكانا ابنيهِ، ودعا فاطمة عليها السلام، فكانت في هذا الموضع نساءهُ، ودعا أمير المؤمنين عليه السلام فكان نفسه بحكم الله عز وجل، وقد ثبت أنه ليس أحد من خلق الله سبحانه أجل من رسول الله صلى الله عليه وآله وأفضل، فوجب أن لا يكون أحد أفضل من نفس رسول الله صلى الله عليه وآله بحكم الله عز وجل.

قال فقال له المأمون: أليس قد ذكر الله الأبناء بلفظ الجمع وإنما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله ابنيهِ خاصة، وذكر النساء بلفظ الجمع وإنما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله ابنته وحدها، فلم لا جاز أن يذكر الدعاء لمن هو نفسه ويكون المراد نفسه في الحقيقة دون غيره، فلا يكون لأمر المؤمنين عليه السلام ما ذكرت من الفضل؟

قال: فقال له الرضا عليه السلام: «ليس بصحيح ما ذكرت يا أمير المؤمنين؛ وذلك أن الداعي إنما يكون داعياً لغيره كما يكون الأمر أميراً لغيره، ولا يصح أن يكون داعياً لنفسه في الحقيقة كما لا يكون أميراً لها في الحقيقة، وإذا لم يدع رسول الله صلى الله عليه وآله رجلاً في المباهلة إلا أمير المؤمنين عليه السلام، فقد ثبت أنه نفسه التي عنها الله تعالى في كتابه وجعل حكمه ذلك في تنزيله».

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦١.

قَالَ: فَقَالَ الْمُأْمُونُ: إِذَا وَرَدَ الْجَوَابُ سَقَطَ السُّؤَالُ^(١).

ويظهر من آية المباهلة وبيان الإمام الرضا عليه السَّلام نتائج في غاية الأهمية لمن تأملها جيداً:

١- إنَّ هذه الآية المباركة هي أكبر فضيلة له عليه السَّلام بنص الإمام؛ لكونها جامعة ومركزاً لكل فضائله وحاكمة عليها؛ لأنَّها حكمت بأنَّه نفس رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، أي نفس مقامه وفضله.

٢- لما كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هو أفضل المخلوقات وأشرفها وأعلاها وأكملها وسيدها، فيكون لأمر المؤمنين عليه السَّلام هذه المقامات العالية نفسها، الذي لا يسبقه سابق ولا يلحقه لاحق.

وعليه تكون المعادلة المنطقية في الحديث الشريف، أنَّ الله عزَّ وجلَّ طلب من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أن يدعو للمباهلة (أنفسنا) فلا تنطبق هذه الدعوة إلاَّ لعليٍّ عليه السَّلام؛ وذلك لأنَّ الإنسان لا يجوز أن يدعو نفسه ويأمرها وينهاها ويجوز لغيرها، ولما كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ دعا أمير المؤمنين عليه السَّلام ولم يدع رجلاً غيره، فثبت أنَّه نفسه بحكم الله.

٣- النتيجة: إنَّ كلَّ فضيلة تثبت لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تثبت بالضرورة لعليٍّ عليه السَّلام، فهما أفضل الخلائق لكونهما نفساً واحدة بحكم القرآن، إلاَّ ما

(١) الفصول المختارة، للشيخ المفيد، ١٣٨.

خرج بالدليل كالنبوة.

ولا يبعد أن مقام (أنفسنا) شامل للخمسة من أهل الكساء الذين نزلت فيهم الآية وإن لم تصرح بها لفظاً، ولكن قرينة سياق الآية يدعم هذا الظهور حيث أمرت رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقرنهم بنفسه ومنزله ومقامه عند الله تعالى، (أبناءنا - نساءنا) في هذا الموقف المصيري الخطير على رسالة الإسلام وهو يتضمن شهادة (لأصحاب الكساء) بالعصمة الكبرى، والمقام الرفيع عند الله ورسوله لما وضعهم هذا الموضع الخطير، فاعتبرت شهادتهم وحجيتهم على صحة الإسلام وبطلان عقيدة النصارى في عيسى عليه السلام قوياً فاصلاً إلى يوم القيامة، وكانت نتيجته اعتراف الخصم ببطلان دعوته وتحقيق النصر المبين للإسلام على النصارى إلى يوم القيامة.

وكون المقصود من لفظ (نساءنا) هي ابنته فاطمة عليها السلام، و(أبناءنا) الحسن والحسين عليهما السلام وهم منه بلا شك لا يصرفهم بأنهم نفسه في المقام والرتبة بقرينة عباراته المستفيضة «إني مني وأنا منهم» بشكل عام أو بلفظ خاص «علي مني وأنا منه»^(١)، أو «حسين مني وأنا منه»^(٢)، أو قوله لفاطمة عليها السلام «أنت مني وأنا منك»^(٣)، وعبارات قريبة من ذلك.

(١) شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار عليهم السلام، ١: ٩٥، ح ٩.

(٢) كامل الزيارات، ٥٣، ح ١٤.

(٣) كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، النص، ٣٥٤.

فَاتَّضَحَ أَنَّ الْمُرَادَ مِنْ (أَبْنَاؤَنَا وَنِسَاءَنَا وَأَنْفُسَنَا) لَا يَقْتَصِرُ عَلَى بُعْدِ وَحْدَةِ الْخَلْقَةِ النُّورِيَّةِ وَالرُّوحِ وَالْبَدَنِ، وَالِانْتِهَاءِ النَّسَبِيِّ الشَّرِيفِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَحَسَبَ، مَعَ كَوْنِهِ مَحَلًّا لِلْفَخْرِ وَالِاعْتِزَازِ لَهُمْ جَمِيعًا، إِلَّا أَنَّ الْأَمْرَ يَتَعَدَّى لِمَا هُوَ أْبَعَدَ مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ كَوْنُهُمْ نَفْسَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، أَيَّ أَتْمِهِمْ مَتَسَاوُونَ مَعَهُ فِي الْمَقَامِ وَالْفَضْلِ وَالِاصْطِفَاءِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى.

باء - قوله تعالى: «أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ»^(١).

وصف القرآن الكريم منزلة أمير المؤمنين عليه السَّلام وقربه من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَآلِهِ، بثلاث صفات:

١ - (يتلوه) أي أنه التابع التالي له، السائر على نهجه، الذي هو (على بينة من ربه) وهو رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فيكون له المقام الربانيُّ نفسه (الإمامة) والخلافة حيث لا نبوة من بعده بنصِّ حديث «أَنْتَ مِنِّْي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»، والمراد من البعدية في الآية هي الرتبة الزمانيَّة كما يظهر وليس الرتبة النوعية، حيث ثبت بحكم آية المباهلة بكونه (نفسه) أي منزلته.

٢ - (شاهد) إمَّا يراد به فاعل من (يشهد) أي يدلي بالحقِّ على دعوى، أو يكون حاضرًا بين الناس ويشهد أفعالهم، وكلا الوجهين ينطبق على أمير المؤمنين عليه السَّلام، فإنَّ كان المراد من كلمة (شاهد) في الآية أنَّ عليًّا عليه السَّلام يشهد لرسول

(١) سورة هود، الآية: ١٧.

الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى صَدَقِ دَعْوَتِهِ كَمَا فِي آيَةِ ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾^(١)، فهذه مرتبة عظيمة لعليٍّ، حيث إنَّ الله عزَّ وجلَّ قرن شهادته بشهادته في إقامة الحجَّة على منكري رسالة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وهذا المقام يكفيه ويؤهله لأن يكون في منزلة شراكة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وإن كان المراد أنَّه يشهد على أعمال أُمَّة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ من بعده، فقد ثبت مقام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نفسه وشهادته على الأُمَّة؛ لأنَّ هذا المقام مقام المساواة والشراكة وامتداد القيادة والحجَّة على الأُمَّة وليس فقط المشاهد لهم بلا فعل.

٣- (منه)، إمَّا يراد من معناه جزؤه وشطره وقسيمه، أو نفسه، وبقرينة سياق الآية نفسها، وبقرينة آية المباهلة وقوله في مواطن عديدة «إِنَّهُ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ» أنَّ المراد به هو نفسه ومقامه، بدليل سياق أنَّ الضمير (منه) لا يمكن تفسيرها بالبعضية والجزئية لأنَّ عليًّا عليه السَّلام ليس من أولاد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فيكون منه كالحسن والحسين مثلاً، وثانياً لا يمكن أن يكون الضمير بها جاء في الحديث (وأنا منه) بالجزئية المادية، فلا عليٌّ من محمَّد، ولا محمَّد من عليٍّ من الناحية المادية.

وعليه يكون المراد من الآية ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ هو المعنى نفسه «إِنَّهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ»، وإنَّ منزلة أمير المؤمنين عليه السَّلام من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هي

(١) سورة هود، الآية: ١٧.

(وحدة المقام والتساوي في الفضل) ووحدة الشراكة في الرسالة.

والشواهد على هذا المعنى في الروايات كثيرة منها: ما رواه الإمام علي بن الحسين عليهما السلام عن الإمام الحسن المجتبي عليه السلام في لقائه مع معاوية عند الصلح، قال: «وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْمُنَزَّلِ عَلَى نَبِيِّهِ الْمُرْسَلِ: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْتِهِ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾^(١)، فَرَسُولُ اللَّهِ الَّذِي عَلَى بَيْتِهِ مِنْ رَبِّهِ، وَأَبِي الَّذِي يَتْلُوهُ، وَهُوَ شَاهِدٌ مِنْهُ.

وَقَدْ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حِينَ أَمَرَهُ أَنْ يَسِيرَ إِلَى مَكَّةَ وَالْمَوْسِمِ بِبَرَاءةٍ: سِرْ بِهَا يَا عَلِيُّ، فَإِنِّي أُمِرْتُ أَنْ لَا يَسِيرَ بِهَا إِلَّا أَنَا أَوْ رَجُلٌ مِنِّي، وَأَنْتَ هُوَ يَا عَلِيُّ، فَعَلَيٌّْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، وَرَسُولُ اللَّهِ مِنْهُ، وَقَالَ لَهُ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حِينَ قَضَى بَيْتَهُ وَبَيَّنَّ أَخِيهِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَمَوْلَاهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ فِي ابْنَةِ حَمْزَةَ: أَمَا أَنْتَ يَا عَلِيُّ فَمِنِّي وَأَنَا مِنْكَ، وَأَنْتَ وَبِي كُلُّ مُؤْمِنٍ بَعْدِي»^(٢).

ومنها؛ ما روى الطوسي بإسنادٍ أخيه دَعْبِلِ عَنِ الرَّضَا عَنْ آبَائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ عَلَى الْمِنْبَرِ يَخْطُبُ^(٣) فَقَالَ: «وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ مَا مِنْ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ جَرَتْ عَلَيْهِ الْمَوَاسِي إِلَّا وَقَدْ نَزَلَتْ فِيهِ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَعْرِفُهَا كَمَا أَعْرِفُهُ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

(١) سورة هود، الآية: ١٧.

(٢) الأماشي للطوسي، ٥٦٢.

(٣) في المصدر: يخطب على المنبر.

مَا آيَتِكَ الَّتِي نَزَلَتْ فِيكَ؟ فَقَالَ: إِذَا سَأَلْتَ فَافْتَهُمْ وَلَا عَلَيَّ أَنْ لَا تَسْأَلَ عَنْهَا غَيْرِي،
 أَقْرَأْتَ سُورَةَ هُودٍ؟ قَالَ: نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: أَفَسَمِعْتَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ:
 ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتِهِ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾^(١)؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَالَّذِي
 عَلَىٰ بَيْتِهِ مِنْهُ^(٢) مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَالَّذِي يَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَهُوَ الشَّاهِدُ وَهُوَ
 مِنْهُ أَنَا- عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَأَنَا الشَّاهِدُ وَأَنَا مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ^(٣).

ومنها ما رواه سُلَيْمٌ بْنُ قَيْسٍ: سَأَلَ رَجُلٌ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ (عليهما السلام)
 فَقَالَ وَأَنَا أَسْمَعُ: أَخْبِرْنِي بِأَفْضَلِ مَنْقَبَةٍ لَكَ، قَالَ: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ»، قَالَ: وَمَا
 أَنْزَلَ اللَّهُ فِيكَ؟ قَالَ: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتِهِ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾^(٤)، أَنَا

(١) سورة هود، الآية: ١٧.

(٢) في المصدر: فالذي قال على بيته من ربه.

(٣) أمالي الطوسي، ٢٣٦-٢٣٧.

(٤) سورة هود، الآية: ١٧. ينابيع المودة والحموي في فرائد السمطين، ٣٣٨، أخرج بسنده عن ابن عباس وعن زاذان وهما عن علي كرم الله وجهه قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان على بيته من ربه وأنا التالي الشاهد منه». وابن المغازلي أخرج بسنده في المناقب، ٢٧٠، عن عباد بن عبد الله قال: سمعت علياً [عليه السلام] يقول في خطبته: «ما نزلت آية من كتاب الله إلا وقد علمت متى أنزلت، وفيمن أنزلت، وما من قريش رجل إلا وقد نزلت فيه آية من كتاب الله عز وجل تسوقه إلى جنة أو نار». قال رجل: يا أمير المؤمنين فما نزلت فيك؟ قال: «أما تقرأ ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتِهِ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ الآية، فرسول الله على بيته من ربه وأنا التالي الشاهد منه». وأخرجه بهذا اللفظ والسند في ينابيع المودة، ٩٩، وأخرجه في الدر المشور، ٣: ٣٢٤، عن ابن أبي حاتم وابن مردويه وأبي نعيم في المعرفة وأخرجه الطبري في تفسيره، ١٠: ١٢، إلى غير ذلك من المصادر.

الشَّاهِدُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، وَقَوْلُهُ: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ (١) إِيَّايَ عَنِّي بِهِ ﴿ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ (٢).

قال الطبرسي: وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ ﴾ (٣)، فَذَلِكَ حُجَّةُ اللَّهِ أَقَامَهَا عَلَيَّ خَلْقِهِ وَعَرَفَهُمْ أَنَّهُ لَا يَسْتَحِقُّ مَجْلِسَ النَّبِيِّ إِلَّا مَنْ يَقُومُ مَقَامَهُ وَلَا يَتْلُوهُ إِلَّا مَنْ يَكُونُ فِي الطَّهَارَةِ مِثْلَهُ، لِئَلَّا يَتَّسِعَ لِمَنْ مَأْسَهُ حِسُّ الْكُفْرِ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ انْتِحَالَ الْإِسْتِحْقَاقِ بِمَقَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

ومنها ما روى ابن حيون في شرح الأخبار عن مطرف بن عبد الله بن الشخير، عن عمران بن حصين، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، قَالَ: «عَلِيٌّ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، وَهُوَ وَليُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ بَعْدِي» (٤).

وروى عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «عَلِيٌّ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، وَهُوَ وَليُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ بَعْدِي» (٥).

(١) سورة الرعد، الآية: ٤٣.

(٢) الاحتجاج على أهل اللجاج (للطبرسي)، ١: ٢٥١.

(٣) سورة هود، الآية: ١٧.

(٤) شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار عليهم السلام، ١: ٩٥، ٨.

(٥) المصدر نفسه: ح ٩.

وروي عن أعمش بن شيرين، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ»^(١).

وروي عن جعفر بن سليمان، عن عمر بن علاء، قال: لَمَّا كَانَ يَوْمَ أَحَدٍ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ضُرِبَ رَسُولُ اللَّهِ سِتِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ، وَعَلِيهِ يَوْمِئِذٍ دَرَعَانِ قَدْ تَظَاهَرَ بَيْنَهُمَا، وَكُسِرَتْ رِبَاعِيَتُهُ وَشُجَّ فِي وَجْهِهِ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْهُ، وَبَقِيَ مَعَهُ عَلِيُّ بْنُ [أَبِي] طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ: «ارْجِعْ يَا عَلِيُّ»، فَقَالَ: «إِلَى أَيْنَ أَرْجِعُ عَنْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ أَرْجِعُ كَافِرًا بَعْدَ أَنْ أَسْلَمْتُ؟!»، وَأَقْبَلَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَرْدُوسٌ^(٢) مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ لِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فَاحْمِلْ إِذْنِ عَلِيٍّ هَؤُلَاءِ»، فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ، فَفَرَجَهُمْ، وَأَصَابَ مِنْهُمْ.

فقال جبرائيل لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «يَا مُحَمَّدُ إِنَّ هَذِهِ لِلْمَوَاسِمَةِ»، فَقَالَ: «يَا جِبْرَائِيلُ: إِنَّهُ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ»، فَقَالَ جِبْرَائِيلُ: «وَأَنَا مِنْكُمْ»^(٣).

وروي عن عبد الله بن رقيم، عن سعد بن مالك، قال: بعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَبَا بَكْرٍ بَرَاءَةً إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ، ثُمَّ أَتَبَعَهُ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَخَذَهَا مِنْهُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُنزِلْ فِيَّ شَيْءٌ؟ قَالَ: «لَا، إِلَّا أَنَّهُ لَا يُوَدِّي عَنِّي غَيْرِي أَوْ

(١) شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار عليهم السلام، ١: ٩٥، ح ١٠.

(٢) كردوس، أي: الجماعة من الأعداء.

(٣) شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار عليهم السلام، ١: ٩٥، ح ١٢.

رجل مني، فعلي مني وأنا منه».

قال النعمان بن حيون: فهذه وغيرها أخبار كثيرة مأثورة معروفة قد رواها الخاص والعام، فيما ذكر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِيهَا أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْهُ، وَهُوَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ مِنْ عَلِيٍّ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى الْأَئِمَّةِ مِنْ وَلَدِهِ، وَذَلِكَ أَيْضاً مِمَّا أَبَانَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَوَلَايَتِهِ وَإِمَامَتَهُ، وَأَنَّهُ وَلِيُّ أَمْرِ الْأُمَّةِ مِنْ بَعْدِهِ؛ لِأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتِهِ مِنْ زِينَةٍ﴾ ^(١) يَعْنِي رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ يَعْنِي عَلِيًّا، فَأَخْبَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ هُوَ ذَلِكَ الشَّاهِدُ عَلَى الْأُمَّةِ مِنْ بَعْدِهِ.

وليس أحد ممن تأمَّر على الأمة من بعده غيره يدَّعي أنه من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَوَلَايَتِهِ، وَأَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِيهِ، وَلَا يَدَّعي ذَلِكَ لَهُ أَحَدٌ غَيْرُهُ، وَالشَّهَدَاءُ هُمُ الْأَئِمَّةُ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَمِنْ ذَلِكَ: قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ ^(٢)، ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيداً﴾ ^(٣)، وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾ ^(٤) وَالْأَنْبِيَاءِ

(١) سورة هود، الآية: ١٧.

(٢) سورة النساء، الآية: ٤١.

(٣) النحل، الآية: ٨٩.

(٤) الزمر، الآية: ٦٩.

أيضاً شهداء على أهل زمانهم^(١).

ومن ذلك قول الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وآله: ﴿وَجِنَّا بَكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً﴾ يعني أهل زمانه؛ لأنه لا يقال هؤلاء إلا للحضور دون من لم يكن بعد^(٢).
ومن ذلك ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله، أنه قرأ عليه قول الله عز وجل حكاية عن عيسى: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾^(٣)، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «وأنا أقول كذلك: يا رب أكون شهيداً على هؤلاء ما دمت فيهم»^(٤).

وإنما اشتق الشاهد والشهيد لمشاهدته ما يشهد به.

فكان علي عليه السلام بقول الله وقول رسول الله صلى الله عليه وآله هو الشاهد على الأمة بعد رسول الله صلوات الله عليه وآله، الذي يتلوه وهو منه وهو ولي المسلمین - كما أخبر - من بعده^(٥).

وقد دلت كثير من آيات الكتاب المجيد على تساوي المقام بين رسول الله صلى

(١) شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار عليهم السلام، ١: ٩٥، ح ١٥.

(٢) المصدر نفسه: ١٦.

(٣) سورة المائدة، الآية: ١١٧.

(٤) شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار عليهم السلام، ١: ٩٦، ح ١٧.

(٥) المصدر نفسه.

الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السّلام، ولا يبعد أن يكون هذا التساوي مع أهل بيته أيضاً في كلِّ المقامات الاصطفائية على الأُمَّة في كما في آية التطهير^(١)، وآية المودّة^(٢)، وآية الأمر بالصلاة^(٣)، وآية إنذار العشيرة^(٤)، وآية الطاعة^(٥)، وآية الولاية^(٦)، فجميع هذه الآيات قد قررت التساوي بينه وبين أهله في جميع المراتب الدنيئة الواجبة على الأُمَّة، سواء في هذه النشأة (عالم الدنيا)، أو في النشآت والعوالم والمراتب الأخرى، ولو أردنا البحث في كلِّ هذه الآيات لطلال بنا المقام.

ثانياً، الأخبار الشريفة

وما يؤكد هذا المضمون أيضاً الأخبار المستفيضة من الفريقين في أحاديث الكساء وغيرها، كما ستعرّف عليه في طيّات هذا البحث، ومنها، ما جاء في كتاب سليم بن قيس الهلالي، فيما احتجّ به أمير المؤمنين عليه السّلام على المهاجرين والأنصار في المسجد لما بويح عثمان، حيث قال سُلَيْمٌ: ثُمَّ قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَيُّهَا النَّاسُ اتَّعَلَّمُونَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ فِي كِتَابِهِ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٢٣.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

(٤) سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.

(٥) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٦) سورة المائدة، الآية: ٥٥.

أهل البيت ويطهركم تطهيرا»^(١) فجمعني وفاطمة وابني حسنا وحسنا ثم ألقى علينا كساء^(٢)، وقال: هؤلاء أهل بيتي ولحمتي يولهم ما يوليني ويؤذيني ما يؤذيتهم ويخرجني ما يخرجهم، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، فقالت أم سلمة: وأنا يا رسول الله؟ فقال: أنت إلى خير إيتا نزلت في وفي أخي [وفي ابنتي فاطمة]^(٣) وفي ابنتي وفي تسعة من ولد ابني الحسين خاصة ليس معنا فيها أحد غيرهم، فقالوا كلهم: نشهد أن أم سلمة حدثتنا بذلك فسألنا رسول الله صلى الله عليه وآله فحدثنا كما حدثتنا به أم سلمة^(٤).

ومنها ما رواه ربعي بن جراح عن فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله، أنها أتت النبي صلى الله عليه وآله فبسط لها ثوبا فأجلسها عليه، ثم جاء ابنها حسن فأجلسه معها، ثم جاء حسين فأجلسه معها، ثم جاء علي فأجلسه معهم، ثم ضم عليهم الثوب ثم قال: اللهم هؤلاء مني وأنا منهم، اللهم ارض عنهم كما أنا عنهم راض^(٥).

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٢) في «الاحتجاج»: كساء فديكيا، وقوله «يخرجني» أي يبعثني في ضيق.

(٣) الزيادة من «الاحتجاج» أوردناها بقرينة ما قبلها.

(٤) كتاب سليم بن قيس الهلالي، ٢: ٦٤٦.

(٥) شواهد التنزيل لقواعد التفضيل للحسكاني، شواهد، ٢: ٨٤، والحديث رواه أيضا السيد أبو المعالي محمد بن محمد زيد العلوي المتوفى سنة (٤٧٨) في المجلس (١٣) من كتاب عيون الأخبار - الورق ٤١ - ب - قال: أخبرنا أبو علي بن شاذان، أنبأنا أبو سهل بن زياد القطان، حدثنا محمد

وما يؤكد هذا المعنى السيرة العملية لرسول الله صلى الله عليه وآله في طريقة التعامل مع أهل بيته، وقد صرح (صلوات الله عليه وآله) في مواقف كثيرة بأحاديث كثيرة بالفاظ وعبارات مختلفة تُثبت هذه الحقيقة.

ومنها، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ جَالِسًا ذَاتَ يَوْمٍ وَعِنْدَهُ عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَأَكْرَمُ النَّاسِ عَلَيَّ فَأَجِبْ مَنْ أَحَبَّهُمْ وَأَبْغَضَ مَنْ أَبْغَضَهُمْ، وَوَالٍ مَنْ وَالَاهُمْ وَعَادٍ مَنْ عَادَاهُمْ، وَأَعِيْنْ مَنْ أَعَانَهُمْ، وَاجْعَلْهُمْ مُطَهَّرِينَ مِنْ كُلِّ رِجْسٍ مَعْصُومِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، وَأَيِّدْهُمْ بِرُوحِ الْقُدْسِ مِنْكَ»، ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «يَا عَلِيُّ أَنْتَ إِمَامٌ أُمَّتِي وَخَلِيفَتِي عَلَيْهَا بَعْدِي وَأَنْتَ قَائِدُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْجَنَّةِ، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى ابْنَتِي فَاطِمَةَ قَدْ أَقْبَلْتُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى نَحْيٍ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِهَا سَبْعُونَ أَلْفَ، مَلَكٍ وَعَنْ يَسَارِهَا سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، وَبَيْنَ يَدَيْهَا سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، وَخَلْفَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، تَقُودُ مُؤْمِنَاتِ أُمَّتِي إِلَى الْجَنَّةِ، فَأَيُّ امْرَأَةٍ صَلَّتْ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ خَمْسَ صَلَوَاتٍ، وَصَامَتْ شَهْرَ رَمَضَانَ وَحَجَّتْ بَيْتَ اللَّهِ الْحَرَامَ، وَرَكَتْ مَالَهَا وَأَطَاعَتْ رُوحَهَا وَوَالَتْ عَلِيًّا بَعْدِي، دَخَلَتْ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ ابْنَتِي فَاطِمَةَ، وَإِنَّهَا لَسَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ»، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَهِيَ سَيِّدَةُ

بُنْ غَالِبٍ، حَدَّثَنَا عَسَانُ بْنُ الرَّبِيعِ... وَرَوَاهُ أَيْضًا الطَّبْرَانِيُّ فِي كِتَابِ الْأَوْسَطِ، كَمَا فِي بَابِ مَنَاقِبِ أَهْلِ الْبَيْتِ مِنْ مَجْمَعِ الرِّوَايَةِ، ٩: ١٦٩، قَالَ: وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ غَيْرِ عُبَيْدِ بْنِ طُقَيْلٍ وَهُوَ ثِقَةٌ كُنِيَّتُهُ أَبُو سَيْدَانَ.

لِنِسَاءِ عَالَمِهَا؟

فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «ذَلِكَ لِمُرَيْمَ بِنْتِ عِمْرَانَ، فَأَمَّا ابْنَتِي فَاطِمَةُ فَهِيَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَإِنَّمَا لَتَقُومُ فِي مَجْرَاهَا فَيَسْلُمُ عَلَيْهَا سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ، وَيُنَادُونَهَا بِمَا نَادَتْ بِهِ الْمَلَائِكَةُ مَرْيَمُ، فَيَقُولُونَ: يَا فَاطِمَةُ ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾»، ثُمَّ انْتَفَتَ إِلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: «يَا عَلِيُّ إِنَّ فَاطِمَةَ بَضْعَةٌ مِنِّي وَهِيَ نُورٌ عَيْنِي وَتَمْرَةٌ فُؤَادِي، يَسُورُنِي مَا سَاءَ مَا وَيَسُرُّنِي مَا سَرَّهَا، وَإِنَّمَا أَوَّلُ مَنْ يَلْحَقُنِي مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَأَحْسِنْ إِلَيْهَا بَعْدِي، وَأَمَّا الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ فَهُمَا ابْنَايَ وَرَمْحَانَتَايَ، وَهُمَا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَلْيُكْرِمَا عَلَيْكَ كَسْمِعِكَ وَبَصْرِكَ»، ثُمَّ رَفَعَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَدَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُكَ أَنِّي مُحِبٌّ لِمَنْ أَحَبَّهُمْ، وَمُبْغِضٌ لِمَنْ أَبْغَضَهُمْ، وَسِلْمٌ لِمَنْ سَالَهُمْ، وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَهُمْ، وَعَدُوٌّ لِمَنْ عَادَاهُمْ وَوَلِيٌّ لِمَنْ وَالَاهُمْ»^(١).

وعن علقمة عن أبي جعفر عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله في خطبة الغدير: «وعرفتكم أنهم مني وأنا منهم»^(٢).

وعن حُبَيْبِ بْنِ جُنَادَةَ،^(٣) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ:

(١) امالي الشيخ الصدوق، ٤٨٧، وبحار الأنوار، ٣٧: ٨٤.

(٢) إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، ٢: ١٨٦.

(٣) حُبَيْبِ بْنِ جُنَادَةَ، بن نصر السلولي، له صحبة، يعدُّ في الكوفيين، تهذيب الكمال، ٥: ٣٤٩.

«عَلِيٌّ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، لَا يُؤَدِّي عَنِّي إِلَّا أَنَا أَوْ عَلِيٌّ»^(١).

(١) قال الحافظ أحمد بن حنبل المتوفى (٢٤١هـ) في مسنده، ٤: ١٦٥، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ حَدَّثَنِي أَبِي، حَدَّثَنَا أَسُودُ بْنُ عَامِرٍ، أَنبَأَنَا شَرِيكٌ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ حَبِشِيِّ بْنِ جَنَادَةَ، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يَقُولُ: «عَلِيٌّ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ وَلَا يُؤَدِّي عَنِّي إِلَّا أَنَا أَوْ عَلِيٌّ».

وقال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ، حَدَّثَنِي أَبِي، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ، حَدَّثَنَا شَرِيكٌ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ حَبِشِيِّ بْنِ جَنَادَةَ السَّلُولِيِّ، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يَقُولُ: «عَلِيٌّ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، وَلَا يُؤَدِّي عَنِّي إِلَّا أَنَا أَوْ عَلِيٌّ»، قَالَ شَرِيكٌ: قُلْتُ لِأَبِي إِسْحَاقَ: أَنْتَ أَيْنَ سَمِعْتَهُ مِنْهُ؟ قَالَ: مَوْضِعَ كَذَا وَكَذَا لَا أَحْفَظُهُ.

وقال الحافظ أحمد بن شعيب النسائي المتوفى (٣٠٣هـ) في خصائصه، طبعة بيروت، ١٤٣، برقم ٧٤، أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَلِيمَانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ: عَنْ حَبِشِيِّ بْنِ جَنَادَةَ السَّلُولِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «عَلِيٌّ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ وَلَا يُؤَدِّي عَنِّي إِلَّا أَنَا أَوْ عَلِيٌّ».

وقال الحافظ عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي المتوفى (٢٣٥هـ) في مصنفه، ١٢: ٥٩، رقم الحديث ١٢١٢٠، حَدَّثَنَا شَرِيكٌ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ حَبِشِيِّ بْنِ جَنَادَةَ، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ! أَيْنَ رَأَيْتَهُ؟ قَالَ: وَقَفَ عَلَيْنَا فِي مَجْلِسِنَا، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يَقُولُ: «عَلِيٌّ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، وَلَا يُؤَدِّي عَنِّي إِلَّا عَلِيٌّ».

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ، حَدَّثَنِي أَبِي، حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ، حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ حَبِشِيِّ بْنِ جَنَادَةَ السَّلُولِيِّ، وَكَانَ قَدْ شَهِدَ حَجَّةَ الْوُدَاعِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «عَلِيٌّ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، وَلَا يُؤَدِّي عَنِّي إِلَّا أَنَا أَوْ عَلِيٌّ».

وقال الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني المعروف بابن ماجة المتوفى (٢٧٥هـ) في سنته، ١: ٤٤، برقم ١١٩، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَسُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ، وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ مُوسَى، قَالُوا: حَدَّثَنَا شَرِيكٌ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ حَبِشِيِّ بْنِ جَنَادَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يَقُولُ: «عَلِيٌّ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، وَلَا يُؤَدِّي عَنِّي إِلَّا عَلِيٌّ».

وقال الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي المتوفى (٢٩٧هـ) في سنته، ٥: ٦٣٦،

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري^(١)، قال: لما قدم عليّ على رسول الله صلى الله عليه وآله بفتح خيبر، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لولا أن تقول طوائف من أمتي ما قالت النصارى في عيسى ابن مريم، لقلت فيك اليوم قولاً لا تثر بملا من المسلمين إلا أخذوا من تراب رجلتك وفضل طهورك يستشفون به^(٢)، ولكن حسبك أن تكون مني وأنا منك ترثني وأرثك، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، وأنت تؤذي ذمتي، وتقاتل على سنتي، وأنت غداً في الآخرة أقرب الناس مني، وأنت غداً على الحوض خليفتي، وأنت أول من يرد عليّ الحوض غداً، وأنت أول من يكسا معي، وأنت أول داخل الجنة من أمتي، وأن شيعتك على منابر من نور مبيضة وجوههم حولي أشفع لهم، ويكونون في الجنة جيران، وأن

برقم ٣٧١٩، حدّثنا إسماعيل بن موسى، حدّثنا شريك، عن أبي إسحاق عن حبشي بن جنادة، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «عليّ مني وأنا من عليّ، ولا يؤذي عني إلا أنا أو عليّ». قال أحمد المحمدي: ذكر الحديث جل أصحاب الحديث، منهم: العلامة الطبري المتوفى (٣١٠هـ) في ذيل المذيل، ٦٧، طبعة مصر، وابن المغازلي الواسطي في المناقب، ٢٢١، والحافظ أحمد بن الحسين البغوي الشافعي في مصابيح السنة، ٢٠٢، والحافظ الخوارزمي في المناقب، ٧٩، وابن الأثير الجزري في جامع الأصول، ٩: ٤٧١، والحموي في فرائد السمطين، ١: ٥٨، والدّهبي في تذكرة الحفاظ، ٢: ٤٥٥، وتاريخ الإسلام، ٢: ٦٣٠، (عهد الخلفاء)، ومحمد بن يوسف الشهر بأبي حيان الأندلسي المتوفى (٧٥٤هـ) في تفسيره بحر المحيط، ٥: ٦-٧، ومن أراد التفصيل فعليه بكتاب إحقاق الحق، ٥: ٢٧٤.

(١) هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة الخزرجي السلميّ أبو عبد الله الأنصاري، انظر تهذيب التهذيب، ٢: ٤٢.

(٢) إلى هنا ذكر الخوارزمي في مقتل الحسين، طبعة الغري، ٤٥.

حَرْبِكَ حَرْبِي وَسِلْمُكَ سِلْمِي وَسِرِّكَ سِرِّي وَعَلَانِيَتِكَ عَلَانِيَتِي، وَسَرِيرَةَ صَدْرِكَ كَسْرِيرَةَ صَدْرِي، وَأَنْتَ بَابُ عِلْمِي وَأَنْ وُلْدَكَ وُلْدِي وَلِحْمَكَ لَحْمِي وَدَمَكَ دَمِي»^(١).

وَعَنْ يَعْلَى بْنِ مُرَّةٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ، أَحَبَّ اللَّهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا، حُسَيْنٌ سِبْطٌ مِنَ الْأَسْبَاطِ»^(٢).

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَرْطَاةٍ قَالَ: لَقِيتُ كُمَيْلَ بْنَ زِيَادٍ وَسَأَلْتُهُ عَنْ فَضْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (عَلَيْهِمَا السَّلَام) فَقَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِوَصِيَّةِ أَوْصِيَائِي بِهَا يَوْمًا هِيَ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الدُّنْيَا بِنَا فِيهَا؟ فَقُلْتُ: بَلَى، فَقَالَ: أَوْصِيَائِي يَوْمًا فَقَالَ لِي: «يَا كُمَيْلُ بْنُ زِيَادٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِي قَوْلًا وَالْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ مُتَوَافِرُونَ يَوْمًا بَعْدَ الْعَصْرِ - يَوْمَ النُّصْفِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ قَائِمًا عَلَيَّ قَدَمِيهِ فَوْقَ مَنْبَرِهِ -: عَلِيٌّ مِنِّي وَأَبْنَائِي مِنْهُ وَالطَّيِّبُونَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ وَهُمْ الطَّيِّبُونَ بَعْدَ أَمَّتِهِمْ، وَهُمْ سَفِينَةٌ مِنْ رَكِبَتِهَا نَجَا وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا هَوَى، النَّاجِي فِي الْجَنَّةِ وَالْهَاطِي فِي لُظَى»^(٣).

كلنا واحد عند الله عز وجل

بهذا المضمون وردت روايات مستفيضة، ومنها هاتان الروايتان وهما مصداق

لقوله صلى الله عليه وآله «إنهم مني وأنا منهم»:

(١) كشف الغمة في معرفة الأئمة، ١: ٢٨٧، المسترشد في إمامة علي بن أبي طالب عليه السلام، ٦٣٤.

(٢) كامل الزيارات، ٥٢.

(٣) وصيته عليه السلام لكميل ابن زياد، بشارة المصطفى لشعبة المرتضى، ٣٠.

عن زَيْدِ الشَّحَّامِ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَيُّهُمَا أَفْضَلُ الْحَسَنُ أَوْ الْحُسَيْنُ؟ قَالَ: «إِنَّ فَضْلَ أَوْلَانَا يَلْحَقُ فَضْلَ آخِرِنَا، وَفَضْلَ آخِرِنَا يَلْحَقُ فَضْلَ أَوْلَانَا، فَكُلُّ لَهُ فَضْلٌ»، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، وَسِعَ عَلَيَّ فِي الْجَوَابِ فَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَسْأَلُكَ إِلَّا مُرْتَادًا، فَقَالَ: «نَحْنُ مِنْ شَجَرَةٍ بَرَأَنَا اللَّهُ مِنْ طِينَةٍ وَاحِدَةٍ فَضَلُّنَا مِنْ اللَّهِ، وَعِلْمُنَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَنَحْنُ أُمَّنَاءُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَالذُّعَاءُ إِلَى دِينِهِ، وَالْحُجَابُ فِيمَا بَيْنَهُ، وَبَيِّنَ خَلْقِهِ، أَزِيدُكَ يَا زَيْدُ؟»، قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: «خَلَقْنَا وَاحِدًا، وَعِلْمُنَا وَاحِدًا، وَفَضْلُنَا وَاحِدًا، وَكُلُّنَا وَاحِدٌ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»، فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي بَعْدَ تَكْمٍ؟ فَقَالَ: «نَحْنُ اثْنَا عَشَرَ هَكَذَا حَوْلَ عَرْشِ رَبِّنَا جَلَّ وَعَزَّ فِي مُبْتَدَأِ خَلْقِنَا، أَوْلْنَا مُحَمَّدًا، وَأَوْسَطْنَا مُحَمَّدًا، وَآخِرْنَا مُحَمَّدًا»^(١).

وكما ورد هذا المعنى في حديث المعرفة بالنورانية لأمر المؤمنين الإمام علي عليه السلام، حينما كان يسأله سلمان الفارسي، وأبو ذر الغفاري (رضوان الله عليهما) عن معرفته بالنورانية، إلى أن قال لهما: «لِأَنَّ كُلَّنَا وَاحِدٌ، أَوْلْنَا مُحَمَّدًا وَآخِرْنَا مُحَمَّدًا وَأَوْسَطْنَا مُحَمَّدًا وَكُلُّنَا مُحَمَّدٌ، فَلَا تُفَرِّقُوا بَيْنَنَا، وَنَحْنُ إِذَا شِئْنَا شَاءَ اللَّهُ وَإِذَا كَرِهْنَا كَرِهَ اللَّهُ، الْوَيْلُ كُلُّ الْوَيْلِ لِمَنْ أَنْكَرَ فَضْلَنَا وَخُصُوصِيَّتَنَا وَمَا أَعْطَانَا اللَّهُ رَبُّنَا؛ لِأَنَّ مَنْ أَنْكَرَ شَيْئًا مِمَّا أَعْطَانَا اللَّهُ فَقَدْ أَنْكَرَ قُدْرَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَشِيئَتَهُ فِينَا»^(٢).

(١) الغيبة (للعماني)، ١: ٨٥.

(٢) بحار الأنوار، الشيخ المجلسي، ١: ٢٦.

وعند التأمل في عبارات هاتين الروايتين والروايات المشابهة لها نجد الحقائق التالية:

١- على الرغم من أن السؤال في رواية زيد الشحام عن مقام التفاضل بين الحسن والحسين عليهما السلام، إلا أن الإمام عليه السلام أجابه بجواب يعم جميع الأئمة الاثني عشر «نَحْنُ إِثْنَا عَشَرَ هَكَذَا حَوْلَ عَرْشِ رَبِّنَا جَلَّ وَعَزَّ»^(١)، بأن فضلهم عند الله واحد ومنزلتهم واحدة، بل يشمل الأربعة عشر معصوماً، بقريته قوله: «فِي مُبْتَدَأِ خَلْقِنَا، أَوْلْنَا مُحَمَّدًا، وَأَوْسَطْنَا مُحَمَّدًا، وَآخِرْنَا مُحَمَّدًا»^(٢)، مبتدأ خلقنا هو نور محمد صلى الله عليه وآله، وهو يسري في أولنا وأوسطنا وآخرنا بل في جميعنا.

٢- أزال الإمام عليه السلام من عند السائل التوهم الذي كان مرتكزاً في ذهنه - بأن التفاضل ثابت بين أهل البيت عليهم السلام - فأراد أن يعرف المصدق في أشخاص الأئمة كالحسن والحسين عليهما السلام - فأجابه بعبارات عديدة متقاربة لكي لا يبقى في ذهنه شيء من الشبهة بتفاضلهم عند الله تعالى، ومن هذه العبارات «إِنَّ فَضْلَ أَوْلِنَا يَلْحَقُ فَضْلَ آخِرِنَا، وَفَضْلَ آخِرِنَا يَلْحَقُ فَضْلَ أَوْلِنَا، فَكُلُّ لَهُ فَضْلٌ»^(٣)، ويراد من كلمة اللحق هنا هو الوصول إلى مقام السابق نفسه، وسواء قلنا بالسبق النوعي أو الزماني فإن الوصول إلى المقام نفسه متحقق في كلتا الحالتين.

(١) الغيبة (للنعماني)، ١: ٨٥.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

٣- وأما قوله عليه السلام: «فَكُلُّ لَهْ فَضْلٌ»، فهو تكمله العبارة ومراد الإمام عليه السلام بأن هذا الفضل الذي يلحقهم جميعاً، ويكونون متساوين فيه، ليس من باب أنه متقسم عليهم وكأنه جزء من كل، بل إن لكل منهم فضلاً بذاته، وهم متساوون في هذا المقام والاصطفاء الرباني.

وعلى الرغم من أن علمنا واحد، وخلقنا واحد، ونورنا واحد، ذرية بعضها من بعض، وهو بذاته فضل عظيم وله أهمية ومدخلة في زيادة فضلنا، ولكن الأساس هو اصطفاء لنا لكل واحد على حدة، ولكننا نشترك بالتساوي في هذا الفضل عند الله سبحانه وتعالى، يعطيه ويفضه علينا واحداً واحداً، لا فرق بين الابن والأب فكلنا بمقام محمد صلى الله عليه وآله: «فِي مُبْتَدَأِ خَلْقِنَا، أَوْلُنَا مُحَمَّدٌ، وَأَوْسَطُنَا مُحَمَّدٌ، وَآخِرُنَا مُحَمَّدٌ»^(١)، وكذا في رواية النورانية: «لَأَنَّا كُلُّنَا وَاحِدٌ، أَوْلُنَا مُحَمَّدٌ وَآخِرُنَا مُحَمَّدٌ وَأَوْسَطُنَا مُحَمَّدٌ، وَكُلُّنَا مُحَمَّدٌ فَلَا تَفَرُّقُوا بَيْنَنَا»^(٢).

ومثاله عند ما نقول في الزيارات لأهل البيت عليهم السلام: «السَّلامُ عَلَيْكَ يَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ»^(٣)، فإننا نذكر سببين من أسباب تفضيلها، أولاً: لكونها بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وثانياً: لأن الله اصطفاهَا بذاتها على نساء العالمين، وهكذا القاعدة تجري لبقية المعصومين، فعندما نسلم على

(١) الغيبة (للعماني)، ١: ٨٥.

(٢) بحار الأنوار، الشيخ المجلسي، ٢٦: ١.

(٣) المزار للمشهدي، ٢٢.

الحسين عليه السَّلام نقول: «السَّلام عليك يا بن رسول الله»^(١)، فسبب كونه ابن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، «السَّلام عليك يا أبا عبد الله، السَّلام عليك يا حجة الله في أرضه وشاهده على خلقه»^(٢)، وسبب لكونه حجة الله وشاهداً على عباده.

٤ - بينت الروايتان والروايات التي تجري مجراها أوجه وأسباب هذا الفضل، بأنَّه سبحانه وتعالى هو الذي تفضَّل علينا فاخترنا واصطفانا فخلقنا «نَحْنُ مِنْ شَجَرَةٍ بَرَأَنَا اللهُ مِنْ طِينَةٍ وَاحِدَةٍ»^(٣)، ثُمَّ فَضَّلْنَا بِالْعِلْمِ فَجَعَلَ عَلِمْنَا وَاحِدًا كَعَلِمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَ«نَحْنُ فِي الْعِلْمِ وَالشَّجَاعَةِ سَوَاءٌ، وَفِي الْعَطَايَا عَلَى قَدْرِ مَا نُؤْمَرُ»^(٤)، «لَيْسَ شَيْءٌ يُخْرَجُ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِلَّا بُدِيَ بِرَسُولِ اللهِ ثُمَّ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ بِمَنْ بَعْدَهُ، لِيَكُونَ عِلْمٌ آخِرِهِمْ مِنْ عِنْدِ أَوْلِهِمْ، وَلَا يَكُونُ آخِرُهُمْ أَعْلَمَ مِنْ أَوْلِهِمْ»^(٥)، فلا يفضل واحد على آخر، «أَنَا سَيِّدُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ وَأَنْتَ يَا عَلِيُّ سَيِّدُ الْخَلَائِقِ بَعْدِي، أَوْلُنَا كَأَخْرِنَا وَآخِرُنَا كَأَوْلُنَا»^(٦)، «كُلُّ مَا كَانَ لِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَلَنَا مِثْلُهُ إِلَّا النَّبُوءَةَ وَالْأَرْوَاحَ»^(٧)، و«الْأَيْمَةُ بِمَنْزِلَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ

(١) كامل الزيارات، ٣٧٩، ح ٧٩، و ٦٢٥، ح ٩.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الغيبة (للنعماني)، ١: ٨٥.

(٤) الكافي (ط - الإسلامية)، ١: ٢٧٥، ح ٣.

(٥) الاختصاص، ٢٦٧.

(٦) بحار الأنوار (ط - بيروت)، ٢٥: ٣٦٠، عن إيضاح دفتان التواصب، ٢.

(٧) بحار الأنوار (ط - بيروت)، ٢٦: ٣١٧: ٨٥، عن كتاب تفضيل الأئمة (مخطوط).

عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَّا أَنَّهُمْ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ، وَلَا يَحِلُّ لَهُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَا يَحِلُّ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَأَمَّا مَا خَلَا ذَلِكَ فَهُمْ فِيهِ بِمَنْزِلَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ»^(١)، و«أَوْلْنَا دَلِيلٌ عَلَى آخِرِنَا وَآخِرُنَا مُصَدِّقٌ لِأَوْلَانَا وَالسُّنَّةُ فِينَا سِوَاءُ»^(٢)، وفي النهاية كلهم في الفضل والمنزلة سواء عند الله تعالى: «خَلَقْنَا وَاحِدًا، وَعَلَّمْنَا وَاحِدًا، وَفَضَّلْنَا وَاحِدًا، وَكُنَّا وَاحِدًا عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»^(٣).

٥- قالوا بشكل واضح لمن توقف في هذا الأمر وحذروه من التقصير في ذلك: «إِنَّهُ لَا يَجِدُ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ لِآخِرِنَا مَا لِأَوْلَانَا»^(٤)، ثم نهوا بشكل صريح «لَا تَفَرَّقُوا بَيْنَنَا»^(٥)، و«كُنَّا مُحَمَّدًا فَلَا تَفَرَّقُوا بَيْنَنَا»^(٦)، ففي ذلك عاقبة غير محمودة، فكلنا في الفضل عند الله سواء، اصطفانا الله سبحانه في درجة واحدة، في مبتدأ خلقنا وفي عالم الدنيا بالكمالات والعلم والطهارة والشجاعة، وفرض على الناس طاعتنا وولايتنا جميعاً، واصطفانا وفضلنا في الآخرة وأعطى لنا الملك على الخلق أجمعين والشفاعة والمقامات الرفيعة.

(١) الكافي (ط - الإسلامية)، ١: ٢٧٠، ح ٧.

(٢) الاختصاص، ٢٦٧.

(٣) الغيبة (للنعماني)، ١: ٨٥.

(٤) الاختصاص، ٢٦٨.

(٥) تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، ٦٧.

(٦) بحار الأنوار، الشيخ المجلسي، ٢٦: ١.

٦- لا يعني أنه لا يوجد تفاضل بينهم عليهم السّلام في الجملة، فقد صرّحت بعض الروايات بوجود التفاضل بينهم، وهو يحتاج تأويل^(١).

والحاصل أنّ الروايات الواردة في هذا الشأن تبين مفاداً واحداً، وقاعدة رصينة ثابتة مطلقة (إننا بمنزلة رسول الله عند الله، وكلنا محمد)، وهو عين ما صرّح به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي حَدِيثِ الْكِسَاءِ، «إِنَّهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ» أي أنهم أهلي، ونفسي، ونوري، وطبّيتي وروحي، ودمي، وإيهم في مقامي وعلمي شركائي، وأوصيائي، وخلفائي على الناس، وفضلي ومنزلي عند الله تعالى، فبيني وبينهم تلاحم، وتداخل، وتطابق وتساوٍ في جميع الصفات الشخصية والمقامات الدينية، والمعنوية، والدينيّة، والأخرويّة، إلا ما اختصّه الله سبحانه تعالى من لي كالنبوة^(٢).

ولكي تتضح هذه الرسالة النبويّة في الحديث الشريف نشرحها ونفصلها فقرة فقرة بشكلٍ موضوعيٍّ، ونأتي بالشواهد عليها من النصوص الشريفة.

مجالات التساوي والتلاحم بين النبي وأهل بيته

ما مجالات التساوي والتلاحم بين النبي وأهل بيته عليهم السّلام؟

(١) في نهاية هذا الفصل سوف نتطرق لوجوه التفاضل.

(٢) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَام) يَقُولُ: «الْأُمَّةُ بِمَنْزِلَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ»، إِلَّا أَنَّهُمْ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا يَحِلُّ لَهُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَا يَحِلُّ لِلنَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، فَأَمَّا مَا خَلَا ذَلِكَ فَهُمْ فِيهِ بِمَنْزِلَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ». أصول الكافي (ط الإسلامية)،

الأول، الاشتراك في الانتماء النسبي المقدس (أهل البيت).

١- «هؤلاء أهل بيتي»

وهو نص ما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ
الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾^(١)، وأهل البيت في الاستعمال اللغوي العرفي يعطي
معنى واسعاً يشمل خاصة الرجل من أهل بيته المقربين منه، كالأولاد والأحفاد
والوالدين والإخوة والأعمام والزوجة والعشيرة.

ولكن أهل البيت في القرآن والسنة مصطلح توقيفي خاص بالنبى وأهل بيته
عليهم السلام الذين شرفهم الله به، وهم من ساءهم القرآن الكريم بأهل البيت في
آية التطهير وآية القربى، وآية المودة، وآية الأنفال، وآية الخمس، وأهل الذكر، ومن
سواءهم النبي صلى الله عليه وآله بعترته والثقل الثاني بعد القرآن الكريم.

وقد أجمع المسلمون بلا خلاف أن أهل بيته الذين نزلت فيهم آية التطهير
هم أصحاب الكساء الخمسة: رسول الله، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين،
صلوات الله عليهم^(٢).

ولخصر أفراد أهل البيت الذين عناهم رسول الله صلى الله عليه وآله عليهم أجمعين أشار
إليهم باسم الإشارة (هؤلاء) أي لا غيرهم، كما أنه لم يدع غيرهم معهم وخصصهم

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٢) يأتي البحث بشكل مفصل في آية التطهير في الفصل القادم.

بمفردات لا تدع مجالاً للتأويل في تعويم هذا المصطلح لإدخال غيرهم موافقة للأهواء والنفسيات القرشيّة.

وعليه فإنّ هذا الاسم المقدّس (أهل البيت) هو انتهاءً نسبيّ لشجرة النبوّة والرسالة المتمثل في خاتم الأنبياء محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْمُتَّصِلُ بِالْأَصْلَابِ الطاهرة والذريّة الطيبة من الأنبياء والمرسلين الذين اصطفاهم الله بعضهم من بعض لدينه وتبليغ رسالاته، فجعلهم مشروعاً ربانياً واحداً مشتركاً اسمه (أهل البيت)، وهم من شجرة واحدة وهي شجرة النبوّة، والرسالة، ومهبط الوحي، ومعدن العلم^(١).

٢- (وخاصّتي)

وفي اللغة: خصّه بالشيء يُخَصُّه خَصّاً وَخُصُوصاً وَخُصُوصِيَّةً وَخُصُوصِيَّةً، والفتح أفصح، وَخِصِّيَّيْ وَخِصَّصَهُ وَاخْتَصَّصَهُ: أفرّده به دون غيره^(٢).
فأتضح من كلمة خاصّتي هم أهل بيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، الذين

(١) عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْعِفْغَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ عَنِ الْمِعْرَاجِ عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قَالَ: «ثُمَّ عُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَقَالَتْ لِي الْمَلَائِكَةُ مِثْلَ مَقَالَةِ أَصْحَابِهِمْ، فَقُلْتُ: مَلَائِكَةُ رَبِّي تَعْرِفُونَنَا حَقَّ مَعْرِفَتِنَا، فَقَالُوا: وَلِمَ لَا نَعْرِفُكُمْ وَأَنْتُمْ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ وَبَيْتُ الرَّحْمَةِ وَمَعْدِنُ الرُّسَالَةِ وَتُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةُ، وَعَلَيْكُمْ يَنْزَلُ جِبْرَائِيلُ بِالْوَحْيِ مِنَ السَّمَاءِ، فَأَقْرَأَ عَلَيَّ مِنَّا السَّلَامَ»، تَأْوِيلُ الْآيَاتِ الظَّاهِرَةِ فِي فَصَائِلِ الْعِتْرَةِ الطَّاهِرَةِ، ٨٣٣.

(٢) لسان العرب، ٧: ٢٤.

اختصَّهم لنفسه تحت الكساء دون غيرهم، وهذه الكلمة ترد كثيراً في الاستعمال العرفي، فعندما يريد شخص آخر أن يشارك صاحب مال أو أهل أو عمل، أو يريد أن يطلع على سره أو شيء آخر يخصه يقول له: هذا من خصوصياتي لا يحق لك المشاركة أو الفضول.

وعليه، فعندما يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «هؤلاء» اسم إشارة لأشخاص محددين صفتهم (أهل بيتي)، ثم يؤكد أنهم مجموعة (خاصتي)، أي ليس لأحد حق أن يشاركهم أو يدخل معهم سواء لحظة تجليلهم بالكساء، أو يشرف نفسه بعد ذلك ويدعي أنه من خاصة رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا يحق لآخر يتأول ويقول: إن نساء النبي صلى الله عليه وآله من أهل بيته.

ولفظ خاصتي ورد عند العامة، فقد روى الثعلبي في تفسيره بالإسناد إلى أم سلمة: أن النبي صلى الله عليه وآله كان في بيتها فأتته فاطمة عليها السلام ببرمة^(١) فيها حريرة، فقال لها: «ادعي زوجك وابنيك»، فذكرت الحديث نحو ذلك، ثم قالت: فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(٢)، قالت: فأخذ النبي صلى الله عليه وآله فضل الكساء فغشاهم به، ثم أخرج يده فألوى بها إلى السماء، ثم قال: «اللهم، هؤلاء أهل بيتي

(١) البرمة: القدر مطلقاً، وهي في الأصل المتخذة من الحجر المعروف بالحجاز واليمن. «لسان العرب-

برم-، ١٢: ٤٥».

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(وخاصّتي)^(١)، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»، فأدخلت رأسي البيت، وقلت: وأنا معكم يا رسول الله؟ قال: «إنك إلى خير، إنك إلى خير»^(٢).

٣- (حامتي)

قال الليث: والحميمُ القريب الذي تودُّه ويودُّك، والحامَّةُ خاصَّةُ الرجل من أهله وولده وذوي قرابته، يقال: هؤلاء حامَّته أي أقرباؤه. وفي الحديث: «اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامّتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»، وحامَّةُ الإنسان خاصَّته ومن يقرب منه، ومنه الحديث: (انصرف كلُّ رجلٍ من وفدِ ثقيفٍ إلى حامَّته).

والحميمُ القرابة، يقال: محمُّ مقربٌ، وقال الفراء في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾^(٣)؛ لا يسأل ذو قرابة عن قرابته^(٤).

فكلمة حامّتي تضيف خصوصيةً أكثر لأهل البيت لتضييق الدائرة بهم الخاصَّة القرية التي يودُّهم ويودُّونه، وهذه العبارة وردت في روايات العامة أيضاً:

أخبرنا أبو سعيد السعديُّ قال: أخبرنا أبو بكر القطيعيُّ قال: حدَّثنا عبدُ الله بنُ أحمدَ بنِ حنبلٍ، قال: حدَّثني أبي قال: حدَّثنا أبو أحمدَ الزُّبيريُّ قال: حدَّثنا سُفيانُ،

(١) في المصدر: وحامّتي.

(٢) البرهان في تفسير القرآن، ٤: ٤٦١.

(٣) سورة المعارج، الآية: ١٠.

(٤) لسان العرب، ١٢: ١٥٣.

عَنْ زُبَيْدٍ عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ جَلَّلَ عَلَى عَيْلِيَّ وَقَاطِمَةَ وَحَسَنٍ وَحُسَيْنٍ كِسَاءً، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي (وَحَامَتِي)، اللَّهُمَّ أَذْهِبْ عَنْهُمْ الرَّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً»، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا مِنْهُمْ؟ قَالَ: «إِنَّكَ إِلَى خَيْرٍ»^(١).

والحاصل أن هذا البيت النوراني هو أقدس بيت على وجه الأرض، وهو بيت النبوة والرسالة والوحي والطهارة والعصمة، والولاية والطاعة والخلافة على العالمين؛ ولذا أصبح موضعاً لطمع الطامعين في الرئاسة الدنيوية وحسد الحاسدين، وبُغض الحاقدين، الذين اجتهدوا لإطفاء نوره ولكن أبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

الثاني، الاشتراك في الخلقة المادية

١- (لحمهم لحمي)

ومعنى اللحم في اللغة: اللام والحاء والميم أصلٌ صحيح يدلُّ على تداخل، كاللحم الذي هو متداخلٌ بعضه في بعض، من ذلك اللحم، وسميت الحربُ مَلْحَمَةً لمعنيين:

أحدهما تَلَاخُمُ الناس: تداخلهم بعضهم في بعض.

(١) شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، ٢: ١٠٠.

وَالْآخِرُ أَنَّ الْقَتْلَ كَاللَّحْمِ الْمَلْقَى^(١).

وعليه، فقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «لحمهم لحمي» تداخل لحمهم مع لحمه، فلا يفصل بينه وبينهم فاصل، بل هناك اتحاد ومطابقة في النشأة والخلقة؛ لأنهم من صلب واحد ورحم واحدة، وذرية بعضها من بعض، (وَسُلَالَةٌ التَّبِيِّينَ، وَصَفْوَةٌ الْمُرْسَلِينَ، وَعِزَّةٌ خَيْرَةٌ رَبِّ الْعَالَمِينَ)^(٢).

ومن الواضح أن استخدام الكلمات القريبة من بعضها ليس ترادفاً بلاغياً، أو للتأكيد كما يقول البعض، ولكن الحقيقة أن كل كلمة قرآنية، أو نبوية، أو إمامية غايتها إضافة معنى خاص لكي يكون المعنى دقيقاً لا لبس فيه.

وهنا نلاحظ أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يضيّق دائرة المرادين من أهل البيت، وهم من لحمه ودمه، وهذا لا يكون إلا للأقربين الملاصقين عادةً، والزوجات لا ينطبق عليهنّ هذا الوصف إلا أن تكون من عصبته الأقربين.

٢ - (ودمهم دمي)

فعندما يقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «دمهم دمي» يعني أنه يؤكّد التلاحم ويضيّق دائرة قرب أهل بيته منه من ناحية التطابق في الخلقة المادية، وتطابق الدم علامة وراثية، وفي العلم الحديث يثبتون الأنساب عبر التحاليل المختلفة، ومنها

(١) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ٥: ٢٣٨.

(٢) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق، ٢: ٦١٠.

تحليل ما يسمّى الحمض النووي (دي إن أي).

الثالث، التلاحم في القلب والمشاعر

كقوله صلى الله عليه وآله: «يُولِنِي مَا يُؤْلِمُهُمْ وَيَجْزُنُنِي مَا يَجْزُنُهُمْ».

ولكونهم كياناً واحداً تكويناً من صلبٍ واحدٍ قد شرفهم الله تعالى بهذا الانتماء والنسب المقدس (أهل البيت)، وكذا (جسداً واحداً) لحمًا ودمًا، فإنهم بالضرورة يكونون (قلباً واحداً) في المشاعر والآلام والأحزان والأفراح؛ ولذا فإن رسول الله صلى الله عليه وآله يؤكد بقوله: «يُولِنِي مَا يُؤْلِمُهُمْ وَيَجْزُنُنِي مَا يَجْزُنُهُمْ»، سواء في الأمور الشخصية، أو بما يصيبهم من إيذاء الأعداء والنواصب، وهذا أكثر ما كان يقلق رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد كان يتخوف على أهل بيته من بعده؛ لما أخبره رب العالمين بأن الأمة سوف تظلمهم وتؤذيهم، وقد تحقق كل ما كان يتخوف منه حيث أقصي أهل بيته عن مراتبهم التي رتبهم الله فيها وقتلواهم تحت كل حجر ومدبر، ولا شك أن هذه الجلسة النورية معهم هي إحدى الضادات والتسلّيات لهم، وأحد طرق التنبيه والإنذار للأمة بأن من يؤذي أهل بيته يؤذي نبيه وهو في عالم البرزخ، ورب العالمين هو العالم بحجم ما يصيبه من الهم والغم والأذى إلى يوم القيامة، قال صلى الله عليه وآله: «مَا أُوذِيَ نَبِيٌّ مِثْلَ مَا أُوذِيَْتُ»^(١).

الرابع، اشتراكهم في العدو والمحبة والسلام والحرب

(١) المناقب لابن شهر آشوب، ٣: ٢٤٧.

وهو قوله صلى الله عليه وآله: «أنا حربٌ لمن حاربهم ويسلمٌ لمن سالمهم وعدوٌّ لمن عاداهم ومحبٌّ لمن أحبهم».

ومضمون هذه العبارة وردت لفظاً ومعنى في روايات العامة أيضاً، ومنها ما رواه عن زيد بن يسيع^(١)، قال: سمعتُ أبا بكرٍ يقول: رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله قال - وقد خيمَ خيمةً وهو مُتَكِيٌّ عَلَى قَوْسٍ عَرَبِيَّةٍ وَفِي الْحَيْمَةِ عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: «أَنَا سَلِمٌ لِمَنْ سَالَمَ أَهْلَ الْحَيْمَةِ، حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَهُمْ، وَوَلِيٌّ لِمَنْ وَالَاهُمْ، لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا سَعِيدُ الْجَدِّ طَيْبُ الْمَوْلِدِ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا شَقِيُّ الْجَدِّ رَدِيءُ الْوِلَادَةِ».

فَقَالَ رَجُلٌ: يَا زَيْدُ، أَنْتَ سَمِعْتَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ هَذَا؟ قَالَ: إِي وَرَبِّ الْكَعْبَةِ^(٢).

فعندما يعتبر رسول الله صلى الله عليه وآله أن حاربهم حربه، وسلمهم سلمه، وعدوهم عدوه، ومحبتهم محبة، يعني:

١ - إنهم شركاء ومتساوون في الأحكام الواجبة المفروضة على الناس في وجوب المحبة والمسالمة لهم، وحرمة محاربتهم وعدواتهم، ووجوب طاعتهم ونصرتهم.

(١) «مشيع» أو «مشيع» ب، خ ل. وقال الذهبي في ميزان الاعتدال، ٢: ١٠٧، زيد بن يسيع الحمداني، عن علي، وأبي ذر... وسماه أبان بن تغلب زيد بن نقيع، والأول أصح.

(٢) رواه الخوارزمي في المناقب، ٢١١، وفي مقتل الحسين، ١: ٤، عن العلامة الزنجشيري عن علي بن مردك الرازي عن أبي سعد السمان، ورواه الحموي في فرائد السمطين، ٢: ٣٩، ح ٣٧٣ بطريقتين عن الخوارزمي.

- ٢- ومن جهة أخرى تجب على الناس ولايتهم كولاية رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَيْهِمُ، والبراءة من أعدائهم كبراءته من أعداء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَيْهِمُ.
- ٣- ويُفهم من كلامه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَيْهِمُ أَنَّهُ تَحْذِيرٌ لِمَنْ يَعَادِيهِمْ، وَيُجَارِبُهُمْ وَإِنْ ادَّعَى حَبَّةً وَهُوَ مِنْ أُمَّتِهِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَيْهِمُ هُوَ الَّذِي يُجَارِبُهُمْ وَيَعَادِيهِمْ، فَمَنْ يَعَادِيهِ وَيُجَارِبُهُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَيْهِمُ فَلَا شَكَّ أَنَّهُ عَلَى غَيْرِ دِينِ الْإِسْلَامِ.

الخامس، الاتحاد في اصطفايتهم في نشأة الخلق، (النور + الروح + الطينة)

وهي الأصل في اصطفايتهم في مبتدأ نشأتهم ضمن منظومة واحدة مطهرة لإعدادهم لتحمل مسؤوليته كبرى في عالم الدنيا، ثم في عالم الآخرة.

وتفصيل هذا الموضوع نعرضه كما جاء في رواياتهم الشريفة:

١- اتحادهم في سنخ الخلق وبدوها

فقد خلق الله أنوارهم من نور عظمته، وروحهم من روحه قبل خلق الخلق بالآلاف الأعوام، ثم خلق طيبتهم من طينة (عليين) مخزونة مكنونة من تحت عرشه، فمزج النور بالروح فأودعها في طيبتهم، فهي واحدة، كما صرَّحوا به مكرراً في أخبارهم كالزيارة الجامعة: «وَأَنَّ أَرْوَاحَكُمْ، وَنُورَكُمْ، وَطَيِّبَتَكُمْ وَاحِدَةٌ، طَابَتْ

وَطَهَّرَتْ بَعْضَهَا مِنْ بَعْضٍ، خَلَقَكُمْ اللَّهُ أَنْوَارًا فَجَعَلَكُمْ بِعَرْشِهِ مُحَدِّقِينَ»^(١).
 «وَأَشْهَدُ أَنْ أَرْوَاحَكُمْ وَطَيْبَتِكُمْ مِنْ طِينَةٍ وَاحِدَةٍ، طَابَتْ وَطَهَّرَتْ مِنْ نُورِ اللَّهِ
 وَمِنْ رَحْمَتِهِ»^(٢).

ولذا فإنهم مُتَّحِدُونَ في سنخ الخلقة ومواصفاتها الاصفائية عند الله عزَّ وجلَّ.
 في هذا المقام روايات كثيرة ومستفيضة وهي على طوائف، فتارة تتحدَّث
 الروايات لغرض بيان بداية خلق نور النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وتارة لغرض بيان
 نور الأمير عليه السَّلام، وتارة لغرض بيان نور البتول عليها السَّلام، وتارة يكون
 الهدف بيان اتحاد نور المختار والكرار، وتارة يكون الغرض والسؤال عن النور
 الثلاثي بين النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وبضعته وأخيه الكرار، وتارة يكون المقام في
 بيان أنوار الخمسة أصحاب الكساء، وتارة لغرض بيان نور الأربعة عشر معصوماً،
 ولكي تَتَّضِحَ الصورة الأكمل والبحث الموضوعي لا بُدَّ للباحث من جمع طوائف
 الروايات إلى بعضها البعض وعدم الاكتفاء بطائفة دون أخرى كي لا يقع في محذور
 التبعض، وفي هذا الموضوع سنكتفي بإيراد بعض الروايات من كل طائفة بها يحقَّق
 غرض البحث.

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَثِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ

(١) من لا يحضره الفقيه (الطبعة القديمة)، ٢: ٦١٣.

(٢) كامل الزيارات، ٢١٧، ح ١٠٤.

مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَعِزَّتُهُ مِنْ طِينَةِ الْعَرْشِ، فَلَا يَنْقُصُ مِنْهُمْ وَاحِدٌ وَلَا يَزِيدُ مِنْهُمْ وَاحِدٌ»^(١).

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «خَلَقْنَا اللَّهُ مِنْ نُورٍ عَظَمَتِهِ، ثُمَّ صَوَّرَ خَلْقَنَا مِنْ طِينَةٍ مَحْزُونَةٍ مَكْنُونَةٍ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ، فَأَسْكَنَ ذَلِكَ النُّورَ فِيهِ فَكُنَّا نَحْنُ، خُلِقْنَا»^(٢) نُورَانِيَيْنِ^(٣) لَمْ يُجْعَلْ لِأَحَدٍ فِي مِثْلِ الَّذِي خَلَقْنَا مِنْهُ نَصِيبًا»^(٤).

روى الصدوق عن الرضا عن آبائه عن عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: خُلِقْتُ أَنَا وَعَلِيٌّ مِنْ نُورٍ وَاحِدٍ»^(٥).

روى الصدوق في كتاب المعراج بسنده عن ابْنِ عَبَّاسٍ^(٦) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهُوَ يُخَاطَبُ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيَقُولُ: «يَا عَلِيُّ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَانَ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ، فَخَلَقَنِي وَخَلَقَكَ رُوحَيْنِ مِنْ نُورٍ جَلَالِهِ، وَكُنَّا أَمَامَ عَرْشِ رَبِّ الْعَالَمِينَ نُسَبِّحُ اللَّهَ وَنُقَدِّسُهُ وَنُحَمِّدُهُ وَنُثَلِّلُهُ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ

(١) بصائر الدرجات في فضائل آل محمد صلى الله عليهم، ١: ١٧.

(٢) خلقاً وبشراً، هكذا في نسخة البحار.

(٣) وفي نسخة نيراً.

(٤) بصائر الدرجات في فضائل آل محمد صلى الله عليهم، ١: ٢٠، ح ٣.

(٥) الأمالي، ٢٣٦.

(٦) في المصدر: مرفوعاً عن ابن عباس.

وَالْأَرْضِينَ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ خَلَقَنِي وَإِيَّاكَ مِنْ طِينَةٍ وَاحِدَةٍ، مِنْ طِينَةٍ عَلِيٍّ،
وَعَجَبْنَا بِذَلِكَ النُّورِ وَغَمَسْنَا فِي جَمِيعِ الْأَنْوَارِ وَأَنْهَارِ الْجَنَّةِ...

يَا عَلِيُّ فَمَنْ ذَا يَلِجُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَأَنَا وَأَنْتَ مِنْ نُورٍ وَاحِدٍ وَطِينَةٍ وَاحِدَةٍ، فَأَنْتَ
أَحَقُّ النَّاسِ بِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَوُلْدُكَ وَوُلْدِي وَشِيعَتُكُمْ وَشِيعَتِي، وَأَوْلِيَاؤُكُمْ
أَوْلِيَائِي، وَأَنْتُمْ مَعِيَ عَدَاؤِي فِي الْجَنَّةِ»^(١).

عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَدِيدٍ عَنْ مُرَازِمٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ
وَتَعَالَى: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي خَلَقْتُكَ وَعَلِيًّا نُورًا يَعْنِي رُوحًا بِلَا بَدَنٍ قَبْلَ أَنْ أُخْلُقَ سَتَاوَاتِي
وَأَرْضِي وَعَرْشِي وَبَحْرِي، فَلَمْ تَزَلْ تُهَلِّلُنِي وَتُتَجِّدُنِي، ثُمَّ جَمَعْتُ رُوحَيْكُمَا فَجَعَلْتُهُمَا
وَاحِدَةً، فَكَانَتْ تُتَجِّدُنِي وَتُقَدِّسُنِي وَتُهَلِّلُنِي، ثُمَّ قَسَمْتُهَا اثْنَتَيْنِ وَقَسَمْتُ الْاِثْنَتَيْنِ
اِثْنَتَيْنِ فَصَارَتْ أَرْبَعَةً مُحَمَّدٌ وَاحِدٌ وَعَلِيٌّ وَاحِدٌ وَالْحُسَيْنُ وَالْحُسَيْنُ اِثْنَتَانِ، ثُمَّ خَلَقَ
اللَّهُ فَاطِمَةَ مِنْ نُورٍ ابْتَدَأَهَا رُوحًا بِلَا بَدَنٍ، ثُمَّ مَسَحَنَا بِبَيْمِينِهِ فَأَفْضَى^(٢) نُورَهُ فِينَا»^(٣).

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
كَانَ وَلَا شَيْءَ، فَخَلَقَ خَمْسَةً مِنْ نُورٍ جَلَالِهِ وَ[جَعَلَ] لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ اسْمًا مِنْ أَسْمَائِهِ

(١) كنز الفوائد، ٣٧٤-٣٧٥.

(٢) في بعض النسخ [فأضأ]، وليس المراد من كلمة الإضأاء أو الإضأاءة أو المسح أو اليمين هي
المجانسة مع خلقه أو المباشرة باللمس واليد أو الإضأاءة في الخلق بلا واسطة فإنه منزلة عنها، فإنه
محمول على الواسطة في الخلق بالمشية التي هي أول خلقه بقدرته تعالى وبها خلق الأشياء.

(٣) أصول الكافي (ط - الإسلامية)، ١: ٤٤٠، ح ٣.

الْمُنزَلَةِ، فَهُوَ الْحَمِيدُ وَسَمِيَ [النَّبِيِّ] مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَهُوَ الْأَعْلَى وَسَمِيَ
 أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيًّا، وَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَاسْتَقَّ مِنْهَا حَسَنًا وَحُسَيْنًا، وَهُوَ فَاطِرٌ فَاسْتَقَّ
 لِفَاطِمَةَ مِنْ أَسْمَائِهِ اسْمًا، فَلَمَّا خَلَقَهُمْ جَعَلَهُمْ فِي الْمِيثَاقِ...»^(١).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَأَبُو ذَرٍّ وَسَلْمَانُ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَزَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ
 عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِذْ دَخَلَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَلَيْهِمَا السَّلَامَ، رَسُولَ اللهِ
 صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَقَامَ أَبُو ذَرٍّ فَانْكَبَّ عَلَيْهِمَا وَقَبَّلَ أَيْدِيَهُمَا ثُمَّ رَجَعَ فَقَعَدَ مَعَنَا،
 فَقُلْنَا لَهُ سِرًّا: رَأَيْتَ رَجُلًا شَيْخًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُومُ
 إِلَى صَبِيَّيْنِ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ فَيَنْكَبُ عَلَيْهِمَا وَيُقَبِّلُ أَيْدِيَهُمَا؟! فَقَالَ: نَعَمْ، لَوْ سَمِعْتُمْ مَا
 سَمِعْتُ فِيهِمَا مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَفَعَلْتُمْ بِهِمَا أَكْثَرَ مِمَّا فَعَلْتُ، قُلْنَا:
 وَمَاذَا سَمِعْتَ يَا أَبَا ذَرٍّ؟ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ لِعَلِيٍّ وَهَمًّا: «يَا عَلِيُّ وَاللهُ لَوْ أَنَّ رَجُلًا
 صَلَّى وَصَامَ حَتَّى يَصِيرَ كَالشَّنِّ الْبَالِي إِذَا مَا نَفَعَ صَلَاتُهُ وَصَوْمُهُ إِلَّا بِحُبِّكُمْ، يَا عَلِيُّ
 مَنْ تَوَسَّلَ إِلَى اللهِ بِحُبِّكُمْ فَحَقَّ عَلَى اللهِ أَنْ لَا يَرُدَّهُ، يَا عَلِيُّ مَنْ أَحْبَبَكُمْ وَتَمَسَّكَ بِكُمْ
 فَقَدْ تَمَسَّكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى»، قَالَ: ثُمَّ قَامَ أَبُو ذَرٍّ وَخَرَجَ وَتَقَدَّمَ نَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى
 اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ أَخْبَرْنَا أَبُو ذَرٍّ عَنْكَ بِكَيْتٍ وَكَيْتٍ، فَقَالَ صَلَّى اللهُ
 عَلَيْهِ وَآلِهِ: «صَدَقَ أَبُو ذَرٍّ، صَدَقَ وَاللهُ، مَا أَظَلَّتِ الْخُضْرَاءُ وَلَا أَقَلَّتِ الْعُزْبَاءُ عَلَى ذِي
 هُجْرَةٍ أَصْدَقَ مِنْ أَبِي ذَرٍّ»، قَالَ: ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «خَلَقَنِي اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

(١) تفسير فترات الكوفي، ٥٦.

وأهل بيتي من نورٍ واحدٍ قبل أن يخلق آدم بسبعة آلاف عام، ثم نقلنا إلى صلب آدم، ثم نقلنا من صلبه في أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات، فقلت: يا رسول الله، فأين كنتم وعلى أي مثال كنتم؟ فقال صلى الله عليه وآله: «كنا أشباحاً من نورٍ تحت العرشِ نُسبحُ الله تعالى ونمجده»، ثم قال صلى الله عليه وآله: «لما عُرج بي إلى السماء وبلغتُ سدرَةَ المنتهى ودعني جبرئيلُ عليه السلام، فقلت: حبيبي جبرئيلُ، أفي هذا المقام تُفارقني؟! فقال: يا محمدُ إني لا أجوزُ هذا الموضعَ فتَحترقُ أجنحتي، ثم زج [زح] بي في النورِ ما شاء الله»^(١).

عَنْ أَبِي حمزة، قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَام يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ مُحَمَّدًا وَعَلِيًّا وَأَحَدَ عَشَرَ مِنْ وُلْدِهِ مِنْ نُورِ عَظْمَتِهِ»^(٢)، فَأَقَامَهُمْ أَشْبَاحًا فِي ضِيَاءِ نُورِهِ يَعْْبُدُونَهُ قَبْلَ خَلْقِ الْخَلْقِ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ^(٣) وَيُقَدِّسُونَهُ، وَهُمْ الْأَنْمَةُ مِنْ وُلْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ»^(٤).

وَعَنِ الْمُفَضَّلِ قَالَ: قَالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ نُورًا قَبْلَ خَلْقِ الْخَلْقِ بِأَرْبَعَةِ عَشَرَ أَلْفَ عَامٍ، فَهِيَ أَرْوَاحُنَا»، فَقِيلَ لَهُ: يَا بَنَ

(١) كفاية الأثر في النص على الأنمة الاثني عشر، ٧٢.

(٢) في «س» و«ه»: «عظمة الله».

(٣) في «س» و«ه»: «يسبحونه».

(٤) جاء في الأصول الستة عشر، ٣: ٧٣، رواه بالإسناد إلى أبي سعيد: الكافي، ١: ٥٣٠، ح ٦، كما

الذين: ٣١٨، ح ١، إعلام الوری، ٢: ١٧١.

رَسُولِ اللَّهِ، وَمَنِ الْأَرْبَعَةَ عَشَرَ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَالْأَيُّمَةُ مِنْ وَلَدِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، آخِرُهُمُ الْقَائِمُ»^(١).

وروى أيضاً المفضل بن عمر عن جابر الأنصاري قال: قال جابر: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله إلى سلمان الفارسي والمقداد بن الأسود الكندي، وأبي ذر جندب بن جنادة الغفاري، وعمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان، وخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين، وأبي الهيثم مالك بن التيهان الأشهلي، وأبي الطفيل عامر بن واثلة، وسويد بن غفلة وسهل وعثمان ابني حنيف، ويزيد السلمي، فحضرنا يوم الجمعة ضحى، فلما اجتمعنا بين يديه وأمير المؤمنين عليه السلام عن يمينه، وأمر (صلوات الله عليه) بأن لا يدخل أحد، وكان أنس في ذلك الوقت خادمه، فأمره بالانصراف إلى منزله، ثم أقبل علينا بوجهه الكريم على الله وقال لنا: «أبشروا فإن الله منّ علينا بفضله وعلم ما في أنفسنا من الإخلاص له والإيمان به والإقرار بوحدانيته وبملائكته وكتبه ورسله، وفأكم الجنة بغير حساب، أنتم ومن كان كما أنتم عليه، من مضى ومن يأتي إلى يوم القيامة».

قال جابر: فرسول الله صلى الله عليه وآله يبشرنا ويحدثنا وذموعه تجري وذموعنا تهطل ليكائه، ولفضل الله علينا ورحمته لنا ورأفته بنا، فسجدنا شكراً لله وأردنا الكلام فقطعتنا عنه الرقة والبكاء، فقال لنا: «فإن بكيتم قليلاً لنضحكم كثيراً».

(١) إعلام الوري بأعلام الهدى، ٤٠٨.

وإني أبشركم بما أعلمه منكم أنكم تحبون مسألتي عنه ولو فقدتموني وسألتم أخي علياً لأخبركم به»، فجهرنا بالبكاء والشكر والدعاء، فقال لنا صلى الله عليه وآله: «تحاولون مسألتي عن بدو كوني، واعلموا ربحكم الله أن الله تقدست أسماؤه وجل ثناؤه، كان ولا مكان ولا كون معه ولا سواه أحد في فردانيته، صمد في أزليته مشيء لا شيء معه، فلما شاء أن يخلق خلقي بمشيئته وإرادته لي نوراً، وقال لي كُن فكننت نوراً شعشعانياً، أسمع وأبصر وأنطق بلا جسم ولا كيفية، ثم خلق مني أخي علياً، ثم خلق مني فاطمة، ثم خلق مني ومن علي وفاطمة الحسن، وخلق مني الحسين، ومنه ابنه علياً، وخلق مني ابنه محمداً، وخلق مني ابنه جعفرأ، وخلق مني ابنه موسى، وخلق مني ابنه علياً، وخلق مني ابنه محمداً، وخلق مني ابنه علياً، وخلق مني ابنه الحسن، وخلق مني ابنه سمياً وكنياً ومهدي أمتي ومحيي سنتي ومعدن ملتي، ومن وعدي أن يظهرني به على الدين كله ويحق به الحق ويزهق به الباطل إن الباطل كان زهوقاً، ويكون الدين كله واصباً، فكننا أنواراً بأرواح وأسماع وأبصار ونطق وجس وعقل، وكان الله الخالق ونحن المخلوقون، والله المكون ونحن المكونون، والله الباري ونحن البرية.. موصولون لا مفصولون، فهلل نفسه فهللنا، وكبر نفسه فكبرنا، وسبح نفسه فسبحناه، وقُدس نفسه فقُدسناه، وحمد نفسه فحمدناه، ولم يعيننا وأنوارنا تتناجي وتتعارف مسمين متناسين أزليين لا موجودين، منه بدونا وإليه نعود، نور من نور، بمشيئته وقدرته لا ننسى تسبيحه ولا نستكبر عن عبادته، ثم شاء فمد

الأظلة وخلق خلقاً أطواراً^(١).

ب- اتحادهم في مقام العرش يسبحون الله ويهللونه

وبعد أن أنشأهم من نور عظمتهم وجمع أرواحهم في مقام واحد، جعلهم حول سرادق عرشه محققين قبل خلق آدم والمخلوقات، فأنطقهم بتوحيده، فلما هلل نفسه هللوا وكبروا وظلوا على هذا الحال يسبحون الله ويعبدونه آلاف الأعوام قبل خلق آدم والمخلوقات، ليدرجهم مدارج الكمال والقرب، حيث وضعهم في مواضع الزلفى والدرجات والمراتب العالية.

وعليه، فمنذ أن أنشأهم الباري عز وجل جميعاً أنواراً وأرواحاً كانوا على نور الإيمان الفطري بالله العظيم، وقد سبقوا الخلائق في هذا المقام.

ثم لما خلق ملائكته وجدوا أنوارهم حول العرش فاشتبه عليهم الأمر فظنوا أنهم آلهة، فكبروا الله وهللوه ليعلموهم أنهم عباد الله مربوبون، فكبرت الملائكة وهللت وسبحت اقتداءً بهم، وبذلك اهتموا إلى معرفة الله بتعليمهم.

ففي كتاب فضائل الشيعة، للصدوق رحمه الله بإسناده عن أبي سعيد الخدري قال: كنا جلوساً مع رسول الله صلى الله عليه وآله إذ أقبل إليه رجل فقال: يا رسول الله أخبرني عن قول الله عز وجل لا إله إلا الله: «أستكبرت أم كنت من العالين»،

(١) الهداية الكبرى للخصيبي، ٢٧٩-٢٨٠.

فَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ الَّذِينَ هُمْ أَعْلَى مِنَ الْمَلَائِكَةِ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «أَنَا وَعَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالْحُسَيْنُ وَالْحَسَنُ، كُنَّا فِي سُرَادِقِ الْعَرْشِ نُسَبِّحُ اللَّهَ وَتُسَبِّحُ الْمَلَائِكَةُ بِتَسْبِيحِنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ آدَمَ بِالْفَنِيِّ عَامٍ، فَلَمَّا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ آدَمَ أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يَسْجُدُوا لَهُ وَلَمْ يَأْمُرْنَا بِالسُّجُودِ، فَسَجَدَتِ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ إِلَّا إِبْلِيسَ، فَإِنَّهُ أَبِي أَنْ يَسْجُدَ، فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾؟ أَيُّ مِنْ هَؤُلَاءِ الْخَمْسِ الْمَكْتُوبِ أَسْمَاؤُهُمْ فِي سُرَادِقِ الْعَرْشِ، فَتَحْنُ بَابُ اللَّهِ الَّذِي يُؤْتَى مِنْهُ، بِنَا يَهْتَدِي الْمُهْتَدُونَ، فَمَنْ أَحَبَّنَا أَحَبَّهُ اللَّهُ، وَأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ، وَمَنْ أَبْغَضَنَا أَبْغَضَهُ اللَّهُ، وَأَسْكَنَهُ نَارُهُ وَلَا يُحِبُّنَا إِلَّا مَنْ طَابَ مَوْلَدُهُ»^(١).

جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(٢) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ نُورِي، ابْتَدَعَهُ مِنْ نُورِهِ وَاشْتَقَّهُ مِنْ جَلَالِ عَظَمَتِهِ فَأَقْبَلَ يَطُوفُ بِالْقُدْرَةِ حَتَّى وَصَلَ إِلَى جَلَالِ الْعَظَمَةِ فِي ثَمَانِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، ثُمَّ سَجَدَ اللَّهُ تَعَظِيماً، فَفَتَقَ مِنْهُ نُورَ عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فَكَانَ نُورِي مُحِيطاً بِالْعَظَمَةِ وَنُورُ عَلِيٍّ مُحِيطاً بِالْقُدْرَةِ، ثُمَّ خَلَقَ الْعَرْشَ وَاللُّوْحَ وَالشَّمْسَ وَضَوْءَ النَّهَارِ وَنُورَ الْأَبْصَارِ وَالْعَقْلَ وَالْمَعْرِفَةَ وَأَبْصَارَ الْعِبَادِ وَأَسْمَاعَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ مِنْ

(١) فضائل الشيعة، ٧ و٨، والآية في سورة ص: ٧٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

نُورِي، وَنُورِي مُشْتَقٌّ مِنْ نُورِهِ، فَتَحْنُ الْأَوَّلُونَ وَنَحْنُ الْآخِرُونَ وَنَحْنُ السَّابِقُونَ
 وَنَحْنُ الْمَسْبُوحُونَ وَنَحْنُ الشَّافِعُونَ وَنَحْنُ كَلِمَةُ اللَّهِ، وَنَحْنُ خَاصَّةُ اللَّهِ وَنَحْنُ أَحِبَّاءُ
 اللَّهِ، وَنَحْنُ وَجْهُ اللَّهِ وَنَحْنُ جَنْبُ اللَّهِ، وَنَحْنُ يَمِينُ اللَّهِ وَنَحْنُ أَمْنَاءُ اللَّهِ، وَنَحْنُ خَزَنَةُ
 وَحْيِ اللَّهِ وَسَدَنَةُ^(١) غَيْبِ اللَّهِ، وَنَحْنُ مَعْدِنُ التَّنْزِيلِ وَمَعْنَى التَّأْوِيلِ، وَفِي آيَاتِنَا هَبْطُ
 جَبْرَائِيلَ، وَنَحْنُ مَحَالُّ قُدْسِ اللَّهِ وَنَحْنُ مَصَابِيحُ الْحِكْمَةِ، وَنَحْنُ مَفَاتِيحُ الرَّحْمَةِ وَنَحْنُ
 يَنَابِيعُ النُّعْمَةِ، وَنَحْنُ شَرَفُ الْأُمَّةِ وَنَحْنُ سَادَةُ الْأُمَّةِ، وَنَحْنُ نَوَامِيسُ الْعَصْرِ وَأَحْبَارُ
 الدَّهْرِ^(٢) وَنَحْنُ سَادَةُ الْعِبَادِ، وَنَحْنُ سَاسَةُ^(٣) الْبِلَادِ، وَنَحْنُ الْكِفَاةُ وَالْوَلَاةُ وَالْحِمَاةُ
 وَالسُّقَاةُ وَالرُّعَاةُ وَطَرِيقُ النَّجَاةِ، وَنَحْنُ السَّبِيلُ وَالسَّلْسِيلُ^(٤)، وَنَحْنُ النَّهْجُ الْقَوِيمُ
 وَالطَّرِيقُ الْمُسْتَقِيمُ، مَنْ آمَنَ بِنَا آمَنَ بِاللَّهِ، وَمَنْ رَدَّ عَلَيْنَا رَدَّ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ شَكَّ فِينَا شَكَّ
 فِي اللَّهِ، وَمَنْ عَرَفْنَا عَرَفَ اللَّهَ، وَمَنْ تَوَلَّى عَنَّا تَوَلَّى عَنِ اللَّهِ، وَمَنْ أَطَاعَنَا أَطَاعَ اللَّهَ، وَنَحْنُ
 الْوَسِيلَةُ إِلَى اللَّهِ وَالْوُضْلَةُ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ، وَلَنَا الْعِصْمَةُ وَالْخِلَافَةُ وَالْهُدَايَةُ، وَفِينَا النُّبُوَّةُ
 وَالْوَلَايَةُ وَالْإِمَامَةُ، وَنَحْنُ مَعْدِنُ الْحِكْمَةِ وَبَابُ الرَّحْمَةِ وَشَجَرَةُ الْعِصْمَةِ، وَنَحْنُ كَلِمَةُ

(١) سدنة جمع سادن: البواب والحاجب، فكما أن الحاجب يجبر عن الملك فهم أيضاً يجبرون عن الله تعالى وعمّا هو يخفى على الناس.

(٢) أي ونحن رؤساء العالم.

(٣) الساسة جمع السانس: وهو من يدبر القوم ويتولى أمرهم ويقوم بالسياسة.
 والسياسة: استصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجي في العاجل أو الآجل. والسياسة المدنية:
 تدبير المعاش مع العموم على سنن العدل والاستقامة.

(٤) السلسيل: الماء العذب السهل المساع، اسم عين في الجنة.

التَّقْوَى وَالْمَثَلُ الْأَعْلَى وَالْحُجَّةُ الْعُظْمَى وَالْعُرْوَةُ الْوُثْقَى الَّتِي مَنْ تَمَسَّكَ بِهَا نَجَا»^(١).

فظهر من هذه المرحلة الزمنية أنهم كانوا على فطرة الإيثار، يعبدون الله ويقدمونه منذ خلقهم أنواراً وأرواحاً قبل خلق الخلق بألاف الأعوام.

ج- اتحدهم في السبق للإيمان بالله عز وجل في الميثاق

في هذا العالم جرت امتحانات وأخذت موثيق على الخلق ومن أهمها موقفان:

١- أخذ الميثاق من جميع الخلق للاقرار بالتوحيد والنبوة والولاية

ثم إن الله عز وجل لما خلق المخلوقات كلها ومنهم الأنبياء، جمعهم في مشهد واحد عظيم، وهو من أهم المواقف التي حدثت في ذلك العالم، وهو موقف الميثاق^(٢)، ليمتحنهم بأول وأهم التكاليف وهو الإقرار بالتوحيد والنبوة والولاية والطاعة والعبادة، فكان أول من سبق بالإجابة والطاعة هو النبي الأكرم وأهل بيته صلوات الله عليهم^(٣)، ثم الأنبياء الكرام ثم شيعة آل محمد.

(١) بحار الأنوار (ط - بيروت)، ٢٥: ٢٣، عن رياض الجنان: مخطوط، لم نظفر بنسخته.

(٢) فسمي بعالم الذر بعد أن جمع بين أرواحهم وأبدانهم وأخرجهم من صلب آدم كالذر، فعرض عليهم الإقرار بالله وبالنبوة لمحمد والولاية لعلي عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾.

(٣) لما كانوا مفطورون من البدء على الإيثار فيكون سبقهم هو إظهار لذلك الإيثار السابق كما يبدو من أجل يعرف الخلق فضلهم ومنزلتهم من الله، فيكون حجة عليهم ليقروا لهم في الميثاق نفسه بالولاية والطاعة، حيث أخذ الله على العباد الإقرار له بالربوبية وهم بالولاية والطاعة، فمن آمن بهم هناك صار من المؤمنين ومن أنكروهم أصبح من المنافين، وهذا الأمر واضح لمن تأمل.

فكان ذلك العالم هو الأصل والعمدة في التكليف الذي ينعكس على عالم الدنيا، وما هذا العالم إلا كمرآة لما جرى هنالك.

وفي جميع تلك المواقف التي أخذت على الخلق بالعبودية لله تعالى بشكل متكرر على ما يظهر من الأخبار، كان يؤخذ عليهم أيضاً العهد والميثاق بالولاية والطاعة للخلفاء الذين سوف يجعلون في الأرض قادة وأئمة الخلائق في كل العوالم.

وَعَنْ صَالِحِ بْنِ سَهْلٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ بَعْضَ قُرَيْشٍ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: بِأَيِّ شَيْءٍ سَبَقْتَ الْأَنْبِيَاءَ^(١) وَأَنْتَ بَعِثْتَ آخِرَهُمْ وَخَاتَمَهُمْ؟ فَقَالَ: إِنِّي كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِرَبِّي وَأَوَّلَ مَنْ أَجَابَ، حَيْثُ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾؟، فَكُنْتُ أَنَا أَوَّلَ نَبِيٍّ قَالَ: بَلَى فَسَبَقْتُهُمْ بِالْإِقْرَارِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»^(٢).

وَعَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾^(٣) قَالَ: «حَيْثُ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي آدَمَ، فَقَالَ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾»^(٤) كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَوَّلَ مَنْ قَالَ:

(١) أي فضلاً ورتبة.

(٢) أصول الكافي، ٢: ١٠، ح ١.

(٣) سورة الزخرف، ٤٣: ٨١.

(٤) سورة الأعراف، ٧: ١٧٢.

بلى»، فقال أبو عبد الله عليه السلام: «أَوَّلُ الْعَابِدِينَ أَوَّلُ الْمُطِيعِينَ»^{(١)(٢)}.

فقد روى علي بن بن إبراهيم القمي في تفسيره في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ بُنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ۙ﴾. فَإِنَّهُ حَدَّثَنِي أَبِي عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُؤَيْدٍ عَنْ يَحْيَى الْحَلْبِيِّ عَنِ ابْنِ سِنَانٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): «أَوَّلُ مَنْ سَبَقَ مِنَ الرُّسُلِ إِلَىٰ بَلَىٰ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ أَقْرَبَ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَكَانَ بِالْمَكَانِ الَّذِي قَالَ لَهُ جَبْرَائِيلُ لَمَّا أُسْرِيَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ: تَقَدَّمَ يَا مُحَمَّدُ فَقَدْ وَطِئْتَ مَوْطِنًا - لَمْ يَطَّأهُ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَلَوْ لَا أَنَّ رُوحَهُ وَنَفْسَهُ - كَانَتْ مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ لَمَا قَدَرَ أَنْ يَبْلُغَهُ، فَكَانَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَمَا قَالَ اللَّهُ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، أَي بَلْ أَدْنَى - فَلَمَّا خَرَجَ الْأَمْرُ مِنَ اللَّهِ - وَقَعَ إِلَى أَوْلِيَائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ»، فَقَالَ الصَّادِقُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): «كَانَ الْمِيثَاقُ مَاخُودًا عَلَيْهِمْ اللَّهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ - وَلِرَسُولِهِ بِالنُّبُوَّةِ وَلِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْأَيْمَّةِ بِالْإِمَامَةِ، فَقَالَ: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ وَمُحَمَّدٌ نَبِيِّكُمْ - وَعَلِيٌّ إِمَامُكُمْ وَالْأَيْمَّةُ الْهَادُونَ أَيْمَتُّكُمْ فَقَالُوا: بَلَى شَهِدْنَا، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أَي لَيْتَلَّا تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ، فَأَوَّلُ مَا أَخَذَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ - الْمِيثَاقَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ - وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾، فَذَكَرَ جُمْلَةَ الْأَنْبِيَاءِ -

(١) مختصر البصائر للصفار، ١: ٤٢٢.

(٢) المصدر نفسه.

ثُمَّ أَبْرَرَ أَفْضَلَهُمْ بِالْأَسْمِيِّ - فَقَالَ: وَمِنْكَ يَا مُحَمَّدُ، فَقَدَّمَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِأَنَّهُ أَفْضَلُهُمْ، وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فَهَؤُلَاءِ الْخُمْسَةُ أَفْضَلُ الْأَنْبِيَاءِ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَفْضَلُهُمْ، ثُمَّ أَخَذَ بَعْدَ ذَلِكَ مِيثَاقَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِالْإِيْتَانِ بِهِ - وَعَلَى أَنْ يَنْصُرُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فَقَالَ: ﴿وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ - لَمَا آتَيْنُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ - ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ﴾^(١)، يَعْنِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ يَعْنِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَأَخْبِرُوا أُمَّكُمْ بِخَيْرِهِ - وَخَيْرٍ وَلِيٍّ مِنْ الْأُمَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ».

حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْكَانَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَعَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾، قَالَ: «مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا مِنْ لَدُنْ آدَمَ فَهَلُمَّ جَرًّا إِلَّا وَبُرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا - فَيَقَاتِلُ وَيَنْصُرُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ»^(٢).

ويؤيده بأن الميثاق الذي أخذ على الخلق التوحيد لله والنبوة لمحمد والإمامة لعلي ما رواه القمي في تفسيره أيضاً:

حَدَّثَنَا أَهْبِشَمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الرَّمَافِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُوسَى الرَّضَا (عَلَيْهِ السَّلَامُ)

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨١.

(٢) تفسير القمي، ١: ٢٤٧.

عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ
الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ قَالَ: «هُوَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، عَلِيُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
وَلِيُّ اللَّهِ، إِلَى هَاهُنَا التَّوْحِيدُ»^(١).

روى العلامة المجلسي عن كتاب السيد حسن بن كبش عن المقتضب مسنداً عن
سلمان الفارسي رحمه الله قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله فلما نظر
إلي قال: «يا سلمان إن الله عز وجل لم يبعث نبياً ولا رسولا إلا جعل له اثني عشر
نقيباً»، قال قلت: يا رسول الله قد عرفت هذا من الكتابين^(٢)، قال: «يا سلمان فهل
علمت نقبائي الاثني عشر الذين اختارهم الله للإمامة من بعدي؟»، فقلت: الله
ورسوله أعلم، قال: «يا سلمان خلقني الله من صفاء نوره فدعاني فأطعته، وخلق
من نوري علياً فدعاه إلى طاعته فأطاعه، وخلق من نوري ونور علي عليه السلام
فاطمة فدعاهما فأطاعته، وخلق مني ومن علي ومن فاطمة الحسن والحسين فدعاهما
فأطاعاه، فسمانا الله عز وجل بخمسة أسماء من أسمائه، فالله المحمود وأنا محمد،
والله العلي وهذا علي، والله فاطر وهذه فاطمة، والله الإحسان^(٣) وهذا الحسن، والله
المحسين وهذا الحسين، ثم خلق من نور الحسين تسعة أئمة فدعاهم فأطاعوه، قبل
أن يخلق الله سماء مبنية أو أرضاً مدججة أو هواء أو ماء أو ملكاً أو بشراً، وكنا بعلميه

(١) تفسير القمي، ٢: ١٥٥.

(٢) أي التوراة والإنجيل.

(٣) لعل الصحيح: والله ذو الإحسان، أو قديم الإحسان.

أَنْوَارٌ نُسَبِّحُهُ وَنَسْمَعُ لَهُ وَنُطِيعُ^(١).

٢ - امتحان الملائكة وإبليس بالسجود لآدم عليه السلام

ولتثبيت هذا الأمر المهم وتأكيدده للخلائق جرى امتحانٌ مصريٌّ آخر في ذلك العالم، وهو مقتصر على الملائكة وإبليس، عندما أمروا بالسجود لآدم وطاعة وإكراماً له لما في صلبه من الأنوار الأربعة عشر، الذين جعلهم الله حول عرشه محققين، فكان نجاح الملائكة في الامتحان بالامتثال والطاعة للخلفاء المجعولين، شكّل نموذجاً ومنهجاً في حسن الانقياد والطاعة والتواضع لله وللخلفاء، وفي المقابل فشل إبليس في امتثال أمر الله بالسجود لآدم، يمثل نموذج الكفر بالله والتمرد والتكبر على خلفاء الله، وبذلك أصبح إمام العصاة وقادة المتمردين.

ففي كتاب فضائل الشيعة، للصدوق رحمه الله بإسناده عن أبي سعيد الخدري قال: كُنَّا جُلُوساً مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِذْ أَقْبَلَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِإِبْلِيسَ: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾، فَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ الَّذِينَ هُمْ أَعْلَى مِنَ الْمَلَائِكَةِ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «أَنَا وَعَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ، كُنَّا فِي سُرَادِقِ الْعَرْشِ نَسْبِّحُ اللَّهَ وَنُسَبِّحُ الْمَلَائِكَةَ بِتَسْبِيحِنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ آدَمَ بِالْفَنِيِّ عَامٍ، فَلَمَّا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ آدَمَ أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يَسْجُدُوا لَهُ وَلَمْ يَأْمُرْنَا

(١) بحار الأنوار، ٦: ٢٥، ح ٩.

بِالسُّجُودِ، فَسَجَدَتِ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ إِلَّا إِبْلِيسَ، فَإِنَّهُ أَبِي أَنْ يَسْجُدَ، فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾؟ أَيُّ مِنْ هَؤُلَاءِ الْخَمْسِ الْمَكْتُوبِ أَسْتَأْوُهُمْ فِي سُرَادِقِ الْعَرْشِ، فَنَحْنُ بَابُ اللَّهِ الَّذِي يُؤْتِي مِنْهُ، بِنَا يَهْتَدِي الْمُهْتَدُونَ، فَمَنْ أَحَبَّنَا أَحَبَّهُ اللَّهُ، وَأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ، وَمَنْ أَبْغَضَنَا أَبْغَضَهُ اللَّهُ، وَأَسْكَنَهُ نَارَهُ وَلَا يُحِبُّنَا إِلَّا مَنْ طَابَ مَوْلَدُهُ^(١).

د- اتحادهم في السبق لعبادة الله تعالى

عَنْ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ صَالِحِ الْهَرَوِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرَّضَا عَنْ أَبِيهِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ أَبِيهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: مَا خَلَقَ اللَّهُ خَلْقًا أَفْضَلَ مِنِّي وَلَا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنِّي، قَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَنْتَ أَفْضَلُ أَمْ جَبْرَائِيلُ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: يَا عَلِيُّ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَضَّلَ أَنْبِيَاءَهُ الْمُرْسَلِينَ عَلَى مَلَائِكَتِهِ الْمُقَرَّبِينَ، وَفَضَّلَنِي عَلَى جَمِيعِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، وَالْفَضْلُ بَعْدِي لَكَ يَا عَلِيُّ وَلِلْأَيْمَةِ مِنْ بَعْدِكَ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَخُدَامُنَا^(٢) وَخُدَامُ مُحِبِّينَا، يَا عَلِيُّ الَّذِينَ يُحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ... وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا^(٣) بَوْلَانِنَا، يَا عَلِيُّ لَوْلَا نَحْنُ مَا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ

(١) فضائل الشيعة، ٧ و٨، والآية في سورة ص: ٧٥.

(٢) وفي نسخة: «كخدامنا».

(٣) إشارة إلى قوله تعالى في سورة المؤمن، الآية: ٧.

عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَا الْحَوَاءَ وَلَا الْجِنَّةَ وَلَا النَّارَ وَلَا السَّمَاءَ وَلَا الْأَرْضَ، فَكَيْفَ لَا نَكُونُ
 أَفْضَلَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَقَدْ سَبَقْنَاهُمْ إِلَى مَعْرِفَةِ رَبِّنَا وَتَسْبِيحِهِ وَتَهْلِيلِهِ وَتَقْدِيرِهِ، لِأَنَّ
 أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَرْوَاحَنَا فَأَنْطَقَهَا بِتَوْحِيدِهِ وَتَمْجِيدِهِ^(١)، ثُمَّ خَلَقَ الْمَلَائِكَةَ
 فَلَمَّا شَاهَدُوا^(٢) أَرْوَاحَنَا نُورًا وَاحِدًا اسْتَعْظَمَتْ أَمْرَنَا فَسَبَّحْنَا لِتَعْلَمَ الْمَلَائِكَةُ أَنَا
 خَلَقْتُ مَخْلُوقُونَ وَأَنَّهُ مُنَزَّهٌ عَنِ صِفَاتِنَا، فَسَبَّحَتِ الْمَلَائِكَةُ بِتَسْبِيحِنَا وَنَزَّهَتْهُ عَنِ
 صِفَاتِنَا، فَلَمَّا شَاهَدُوا عِظَمَ شَأِنِنَا هَلَّلْنَا لِتَعْلَمَ الْمَلَائِكَةُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَا عَبْدٌ
 وَلَسْنَا بِالْإِلَهَةِ^(٣) يَجِبُ أَنْ نُعْبَدَ مَعَهُ أَوْ دُونَهُ فَقَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَلَمَّا شَاهَدُوا كِبَرَ
 مَحَلَّنَا كَبَّرْنَا لِتَعْلَمَ الْمَلَائِكَةُ أَنَّ اللَّهَ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يُنَالَ عِظَمَ الْمَحَلِّ إِلَّا بِهِ، فَلَمَّا شَاهَدُوا مَا
 جَعَلَهُ اللَّهُ لَنَا مِنَ الْعِزَّةِ^(٤) وَالْقُوَّةِ فَقُلْنَا: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ^(٥) لِتَعْلَمَ الْمَلَائِكَةُ
 أَنَّهُ لَا حَوْلَ لَنَا وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَلَمَّا شَاهَدُوا مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْنَا وَأَوْجَبَهُ لَنَا مِنْ
 فَرَضِ الطَّاعَةِ قُلْنَا الْحَمْدُ لِلَّهِ لِتَعْلَمَ الْمَلَائِكَةُ مَا يُسْتَحَقُّ لِلَّهِ تَعَالَى^(٦) ذِكْرُهُ عَلَيْنَا مِنَ
 الْحَمْدِ عَلَى نِعَمِهِ، فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، فَبَيْنَا اهْتَدَوْا إِلَى مَعْرِفَةِ تَوْحِيدِ اللَّهِ عَزَّ
 وَجَلَّ وَتَسْبِيحِهِ وَتَهْلِيلِهِ وَتَمْجِيدِهِ وَتَعْجِيدِهِ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ آدَمَ فَأَوْدَعَنَا

(١) خ ل «تمجيد».

(٢) خ ل «فلما شهدوا» وكذا فيما بعده.

(٣) هكذا في أكثر النسخ، وفي النسخة المطبوعة الجديدة: «بالأله».

(٤) خ ل «من العزة».

(٥) خ «العلي العظيم».

(٦) خ ل «ما يحق لله عز وجل».

صَلْبُهُ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ بِالسُّجُودِ لَهُ تَعْظِيمًا لَنَا وَإِكْرَامًا، وَكَانَ سُجُودُهُمْ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
عِبُودِيَّةً، وَلِأَدَمَ إِكْرَامًا وَطَاعَةً لِيَكُونَنَا فِي صَلْبِهِ، فَكَيْفَ لَا نَكُونُ أَفْضَلَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ
وَقَدْ سَجَدُوا لِأَدَمَ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ^{(١)(٢)}.

رَوَى الصَّدُوقُ رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِ الْمِعْرَاجِ، عَنْ رِجَالِهِ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ^(٣) قَالَ:
سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهُوَ يُخَاطِبُ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيَقُولُ: «يَا
عَلِيُّ إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَانَ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ، فَخَلَقَنِي وَخَلَقَكَ رُوحَيْنِ مِنْ نُورٍ
جَلَالِهِ، فَكُنَّا أَمَامَ عَرْشِ رَبِّ الْعَالَمِينَ نُسِّحُ اللهُ وَنُقَدِّسُهُ وَنُحَمِّدُهُ وَنُهَلِّلُهُ، وَذَلِكَ
قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَيْنِ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ خَلَقَنِي وَإِيَّاكَ مِنْ طِينَةٍ
وَاحِدَةٍ مِنْ طِينَةِ عَلِيِّنَ وَعَجَبْنَا بِذَلِكَ النُّورِ، وَعَمَسْنَا فِي جَمِيعِ الْأَنْوَارِ وَأَنْهَارِ الْجَنَّةِ،
ثُمَّ خَلَقَ آدَمَ وَاسْتَوْدَعَ صَلْبَهُ تِلْكَ الطِّينَةَ وَالنُّورَ، فَلَمَّا خَلَقَهُ اسْتَخْرَجَ ذُرِّيَّتَهُ مِنْ ظَهْرِهِ
فَاسْتَنْطَقَهُمْ وَقَرَّرَهُمْ^(٤) بِالرُّبُوبِيَّةِ، فَأَوَّلَ خَلْقِ^(٥) إِقْرَارًا بِالرُّبُوبِيَّةِ أَنَا وَأَنْتَ وَالنَّبِيُّونَ
عَلَى قَدْرِ مَنَازِلِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: صَدَقْتُمَا وَأَقْرَرْتُمَا
يَا مُحَمَّدُ وَيَا عَلِيُّ وَسَبَقْتُمَا خَلْقِي إِلَى طَاعَتِي وَكَذَلِكَ كُنْتُمَا فِي سَابِقِ عِلْمِي فِيكُمْ، فَأَنْتُمَا

(١) كما قال الله تعالى في سورة الحجر، الآية: ٣٠ وغيرها من السور.

(٢) عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، ٢٦٣.

(٣) في المصدر: مرفوعاً عن ابن عباس.

(٤) في المصدر: وقرره بدينه.

(٥) فأول خلق الله خ ل. أقول: في المصدر: فأول من خلقه فأقر له بالربوبية.

صَفَوْتِي مِنْ خَلْقِي وَالْأَيْمَةَ مِنْ ذُرِّيَّتِكُمْ وَشِيعَتِكُمْ وَكَذَلِكَ خَلَقْتُمْ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «يَا عَلِيُّ فَكَانَتْ الطِّينَةُ فِي صُلْبِ آدَمَ وَنُورِي وَنُورُكَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فَمَا زَالَ ذَلِكَ النُّورُ يَنْتَقِلُ بَيْنَ أَعْيُنِ النَّبِيِّينَ وَالْمُتَتَّبِعِينَ حَتَّى وَصَلَ النُّورُ وَالطِّينَةَ إِلَى صُلْبِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَأَفْتَرَقَ نِصْفَيْنِ، فَخَلَقَنِي اللَّهُ مِنْ نِصْفِهِ وَأَخَذَنِي نَبِيًّا وَرَسُولًا وَخَلَقَكَ مِنَ النُّصْفِ الْآخَرِ فَأَخَذَكَ خَلِيفَةً^(١) وَوَصِيًّا وَوَلِيًّا، فَلَمَّا كُنْتُ مِنْ عَظْمَةِ رَبِّي كَقَابِ قَوْسَيْنِ أَوْ أُذُنِي قَالَ لِي: يَا مُحَمَّدُ مَنْ أَطْوَعُ خَلْقِي لَكَ، فَقُلْتُ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ)، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: فَأَخِذْهُ خَلِيفَةً وَوَصِيًّا فَقَدِ اخْتَذَهُ صَفِيًّا وَوَلِيًّا، يَا مُحَمَّدُ كَتَبْتُ اسْمَكَ وَاسْمَهُ عَلَى عَرْشِي مِنْ قَبْلِ أَنْ أَخْلُقَ الْخَلْقَ مَحَبَّةً مِنِّي لَكُمَا وَلِمَنْ أَحَبَّكُمَا وَتَوَلَّاهُمَا وَأَطَاعَكُمَا، فَمَنْ أَحَبَّكُمَا وَأَطَاعَكُمَا وَتَوَلَّاهُمَا كَانَ عِنْدِي مِنَ الْمُقَرَّبِينَ، وَمَنْ جَحَدَ وَلَا يَتَكَلَّمُ وَعَدَلَ عَنْكُمَا كَانَ عِنْدِي مِنَ الْكَافِرِينَ الضَّالِّينَ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: يَا عَلِيُّ فَمَنْ ذَا يَلِجُ بَيْتِي وَيَبْتَئِكَ وَأَنَا وَأَنْتَ مِنْ نُورٍ وَاحِدٍ وَطِينَةٍ وَاحِدَةٍ، فَأَنْتَ أَحَقُّ النَّاسِ بِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَوَلَدُكَ وَوَلَدِي وَشِيعَتُكُمْ شِيعَتِي وَأَوْلِيَاؤُكُمْ أَوْلِيَائِي، وَأَنْتُمْ مَعِيَ عِدَاؤِي فِي الْجَنَّةِ^(٢).

هـ- اتحاد أنوارهم في صلب آدم وأصلاب الأنبياء

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهُوَ يَقُولُ:

(١) خليفة علي خلقه خ ل.

(٢) بحار الأنوار (ط - بيروت)، ٢٥: ٤، عن كنز الفوائد، ٣٧٤ و ٣٧٥.

«خُلِقْتُ أَنَا وَعَلِيٌّ مِنْ نُورٍ وَاحِدٍ، نُسَبِّحُ اللَّهَ يَمَنَةَ الْعَرْشِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ بِالْفَنِيِّ عَامٍ، فَلَمَّا أَنْ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ جَعَلَ ذَلِكَ النُّورَ فِي صُلْبِهِ، وَلَقَدْ سَكَنَ الْجَنَّةَ وَنَحْنُ فِي صُلْبِهِ، وَلَقَدْ هَمَّ بِالْحَطِيئَةِ وَنَحْنُ فِي صُلْبِهِ، وَلَقَدْ رَكِبَ نُوحُ السَّفِينَةَ وَنَحْنُ فِي صُلْبِهِ، وَلَقَدْ قُذِفَ بِإِبْرَاهِيمَ فِي النَّارِ وَنَحْنُ فِي صُلْبِهِ، فَلَمَّ يَزُلُّ يَنْقُلُنَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَصْلَابِ طَاهِرَةٍ إِلَى أَزْحَامِ طَاهِرَةٍ حَتَّى انْتَهَى بِنَا إِلَى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَسَمْنَا بِنِصْفَيْنِ فَجَعَلَنِي فِي صُلْبِ عَبْدِ اللَّهِ وَجَعَلَ عَلِيًّا فِي صُلْبِ أَبِي طَالِبٍ، وَجَعَلَ فِي النُّبُوَّةِ وَالْبَرَكَةِ وَجَعَلَ فِي عَلِيٍّ الْفَصَاحَةَ وَالْقُرُوسِيَّةَ، وَشَقَّ لَنَا اسْمَيْنِ مِنْ أَسْمَائِهِ، فَذُو الْعَرْشِ مُحَمَّدٌ وَأَنَا مُحَمَّدٌ وَاللَّهُ الْأَعْلَى وَهَذَا عَلِيٌّ»^(١).

و- اتحادهم في الاصطفاء بروح القدس في بطون أمهاتهم ولحظة ولادتهم ومفولتهم وعند

تحملهم مهام الامامة في الدنيا

ربما يتساءل الكثير كيف يصطفى الله الأوصياء والأئمة بعد النبي صلى الله عليه وآله ويكونون خلفاءه على الناس؟ وكيف يتلقون العلم الإلهي كما كان عند رسول الله صلى الله عليه وآله؟

إنَّ الله سبحانه وتعالى يصطفئهم بروح القدس وهو أعظم من جبرائيل والأرواح كلها، وبه صار الأنبياء معدِّين لتلقي الوحي والعلوم، وبه يُسَدِّدُهم الله ويعصمهم من الخطأ والغفلة والسهو وكلِّ نقص، وبه يؤيِّدُهم على عدوِّهم ويرشدهم لحظة

(١) معاني الأخبار، ٥٦، ح ٣.

بلحظة بكل ما يحتاجونه من العلوم والغيوب والأمور، وخصوصاً لحظة انتقال الوصاية والإمامة إليهم.

عَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ عِلْمِ الْعَالَمِ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَا جَابِرُ إِنَّ فِي الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْصِيَاءِ خَمْسَةَ أَرْوَاحٍ، رُوحَ الْقُدُسِ، وَرُوحَ الْإِيمَانِ، وَرُوحَ الْحَيَاةِ، وَرُوحَ الْقُوَّةِ، وَرُوحَ الشَّهْوَةِ، فَبِرُوحِ الْقُدُسِ يَا جَابِرُ عَلِمْنَا^(١) مَا تَحْتَ الْعَرْشِ إِلَى مَا تَحْتَ الثَّرَى»، ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَا جَابِرُ إِنَّ هَذِهِ الْأَرْوَاحَ يُصَيِّبُهُ الْخَدَثَانِ إِلَّا أَنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لَا يَلْهُو وَلَا يَلْعَبُ»^(٢).

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ فَقَالَ: «خَلَقَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ أَعْظَمَ مِنْ جَبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يُخْبِرُهُ وَيُسَدِّدُهُ وَهُوَ مَعَ الْأَنْمَةِ مِنْ بَعْدِهِ»^(٣).

عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَأَلْتُهُ عَنْ عِلْمِ الْإِمَامِ بِنَا فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ وَهُوَ فِي بَيْتِهِ مُرْخَى عَلَيْهِ سِتْرُهُ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَا مُفَضَّلُ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَعَلَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ خَمْسَةَ أَرْوَاحٍ، رُوحَ الْحَيَاةِ فِيهِ دَبَّ

(١) عرفوا، بدله في البحار.

(٢) بصائر الدرجات في فضائل آل محمد صلّى الله عليهم، ١: ٤٤٧، ح ٣.

(٣) المصدر نفسه، ١: ٤٥٧، ح ٩.

وَدَرَجَ، وَرُوحَ الْقُوَّةِ فِيهِ تَهَضُّ وَجَاهَدَ، وَرُوحَ الشَّهْوَةِ فِيهِ أَكَلٌ وَشَرِبٌ وَأَتَى النِّسَاءَ مِنْ الْحَلَالِ، وَرُوحَ الْإِبْتِغَاءِ فِيهِ أَمْرٌ وَعَدَلٌ، وَرُوحَ الْقُدْسِ فِيهِ حَمَلُ النُّبُوَّةِ، فَإِذَا قُبِضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ انْتَقَلَ رُوحُ الْقُدْسِ فَصَارَ فِي الْإِمَامِ، وَرُوحُ الْقُدْسِ لَا يَنَامُ وَلَا يَغْفُلُ وَلَا يَلْهُو وَلَا يَسْهُو، وَالْأَرْبَعَةُ الْأَرْوَاحُ تَنَامُ وَتَلْهُو وَتَغْفُلُ وَتَسْهُو، وَرُوحُ الْقُدْسِ نَابِتٌ يَرَى بِهَ مَا فِي شَرْقِ الْأَرْضِ وَعَرْبِهَا وَبَرْهَا وَبَحْرِهَا، قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، يَتَنَاوَلُ الْإِمَامُ مَا يَبْعَدُادُ بِيَدِهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ وَمَا دُونَ الْعَرْشِ»^(١).

بل هو يعرض إليهم متى ما كانت الحاجة إلى التعليم والتسديد والحفظ قبل إمامتهم الفعلية في أيام إمامة السابق، ومثال ذلك عندما كان أمير المؤمنين عليه السلام في اليمن يقضي للناس بتعليم روح القدس.

عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَقُولُ: «وَجَّهَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى الْيَمَنِ وَالْوَحْيُ يَنْزِلُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْمَدِينَةِ فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ بِحُكْمِ اللَّهِ، حَتَّى لَقَدْ كَانَ الْحُكْمُ يَظْهَرُ [بِرُؤُوسِهِ]»، فَقَالَ: «صَدَقُوا»، قُلْتُ: وَكَيْفَ ذَلِكَ جُعِلْتُ فِدَاكَ؟ فَقَالَ: «أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا وَرَدَتْ عَلَيْهِ قَضِيَّةٌ لَمْ يَنْزِلِ الْحُكْمُ فِيهَا فِي كِتَابِ اللَّهِ تَلَقَّاهُ بِهِ رُوحُ الْقُدْسِ»^(٢).

(١) بصائر الدرجات في فضائل آل محمد صلى الله عليهم، ١: ٤٥٤، ح ١٣.

(٢) المصدر نفسه، ١: ٤٥٣، ح ١٠.

بل هو يتلقاهم حتى عند ولادتهم وطفولتهم للحفاظ والتسديد والتعليم كما جاء في الأخبار، ومنها ما في رواية مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الطُّهَوِيِّ عن حكيمة بنت الإمام الجواد عليه السلام، في خبر طويل تروي أحداث ولادة الإمام صاحب (عجل الله تعالى فرجه الشريف) لما رُفِعَ بعد ولادته من قبل روح القدس وهو على هيئة طير: **قَالَتْ حَكِيمَةٌ: قُلْتُ: فَمَا هَذَا الطَّيْرُ؟**

قَالَ: «هَذَا رُوحُ الْقُدُسِ الْمَوْكَلُ بِالْأَيْمَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يُوقِفُهُمْ وَيُسَدِّدُهُمْ وَيُرَبِّيهِمْ بِالْعِلْمِ»^(١).

بل إنَّ روح القدس يشملهم بالعبارة والتسديد والتعليم والحفظ وهم في بطون أمهاتهم، كما لا يخفى من أحوال سيدة النساء فاطمة عليها السلام عندما كانت تتكلم مع أمها وهي في بطنها^(٢)، وكذا سموهم بالعبارة لحظة خروجهم من بطون

(١) روضة الواعظين ٢: ٢٥٩.

(٢) عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): كَيْفَ كَانَ وِلَادَةُ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ إِنَّ خَدِيجَةَ لَمَّا تَزَوَّجَتْ بِهَا رَسُولَ اللَّهِ هَجَرَتْهَا نِسْوَةً مَكَّةَ، فَكُنَّ لَا يَدْخُلْنَ عَلَيْهَا وَلَا يُسَلِّمْنَ عَلَيْهَا وَلَا يَتَزَكَّنَنَّ امْرَأَةً تَدْخُلُ عَلَيْهَا، فَاسْتَوْحَشَتْ خَدِيجَةُ لِذَلِكَ، وَكَانَ جَزَعُهَا وَعَمَّتْهَا حَذَرًا عَلَيْهِ، فَلَمَّا حَمَلَتْ بِفَاطِمَةَ كَانَتْ فَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) تُحَدِّثُهَا مِنْ بَطْنِهَا وَتُصَبِّرُهَا، وَكَانَتْ تَكْتُمُ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يَوْمًا فَسَمِعَ خَدِيجَةَ تُحَدِّثُ فَاطِمَةَ، فَقَالَ لَهَا: يَا خَدِيجَةُ مَنْ تُحَدِّثِينَ؟ قَالَتْ: الْجَنِينَ الَّذِي فِي بَطْنِي يُحَدِّثُنِي وَيُؤْنِسُنِي... ثُمَّ اسْتَنْطَقَتْهَا فَتَلَقَّتْ فَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) بِالشَّهَادَتَيْنِ وَقَالَتْ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ أَبِي رَسُولُ اللَّهِ سَيِّدُ الْأَنْبِيَاءِ وَأَنَّ بَعْلِي سَيِّدُ الْأَوْصِيَاءِ - وَوُلْدِي سَادَةُ الْأَسْبَاطِ»، آمالي الصدوق، ٥٩٣، ح ١.

أمهاتهم وهم يتلقون الأرض بالسجود والتسبيح والتهليل وذكر الشهادة لحظة ولادتهم عليهم السلام^(١).

وهذا يبين لمن تتبع أحوال المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام، فهم يشتركون بالعناية والتأييد، ويتحدثون بالعلم وهم في المهدي كيحیی بن زكريا^(٢)، ومؤيدون بروح القدس كعيسى من لحظة الولادة^(٣).

السادس: اتحادهم في الاصطفاء على الخلق في عالم الدنيا بالإمامة والخلافة

لعل الغاية من اختيارهم واصطفائهم في النشأة الأولى (عالم الأنوار والأرواح

(١) في خبر طويل لحكيمة بن محمد بن علي عليه السلام تروي ولادة صاحب: قالت: ... فإذا أنا بالصبي (عليه السلام) ساجداً لوجهه جاثياً على ركبتيه رافعاً سبابته نحو السماء وهو يقول: «أشهد أن لا إله إلا الله وأن جدِّي رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأن أبي أمير المؤمنين»، ثم عدَّ إماماً إماماً إلى أن بلغ إلى نفسه فقال: «اللهم أنجز لي وعدي وأنم لي أمري وثبت وطأني وأملأ الأرض بي عدلاً وقسطاً»، روضة الواعظين، ٢: ٢٥٩.

(٢) «يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناك الحكمة صبياً»، سورة مريم: ١٢.

(٣) «إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهدي وكهلاً وإذ علمت الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهنية الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني وتبرئ الأكمة والأبرص بإذني وإذ نخرج الموتى بإذني»، سورة المائدة: ١١٠.

والطينة) تهيئتهم لمهمة عظيمة، وهي خلافتهم في الأرض أئمة على الناس^(١)، وحمل أفعال الرسالة الإلهية وتبليغها للعالمين في عالم الدنيا.

ولما كان نبي الإسلام هو خاتم الأنبياء ورسالته الخاتمة، فقد جعل الباري عز وجل له أوصياء وخلفاء يحملون رسالته بالموصفات الاصطفائية والكفاءة العلمية والنفسية نفسها، فلما اصطفاهم بالعلم والطهارة حملهم الأمانة الكبيرة، وأعطى لهم الصلاحيات، وفوض إليهم دينه للقيام بمهمة هداية العالمين؛ ولذا جعلهم الله تعالى شركاءه وأوصيائه في هذا المشروع الرباني المتكامل على الناس، وأعطى لهم الخلافة العظمى، وفي نهاية المطاف يورثهم الأرض ومن عليها إلى يوم القيامة^(٢).

ولعل مراده من قوله صلى الله عليه وآله: «إِنَّهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ» لتثبيت هذه الحقيقة في ذهن المسلمين، أن كل ما للنبي صلى الله عليه وآله من صفات وامتيازات ومقامات ربانية وصلاحيات تشريعية وتكوينية تثبت لأهل بيته بالضرورة.

(١) وهذا ما وضحته الآية المباركة وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٠) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ سورة البقرة: ٣٠-٣٣.

(٢) ﴿وَيُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (١٥) وَنَمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَيُرِيهِمْ فِيهِمْ قُرُونًا وَهَامَانَ وَنَجْنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾، سورة القصص: ٥.

فما هي المقامات الاصطفائية في هذه النشأة؟

اختارهم الله تعالى وجعلهم في هذه المقامات وقد نصَّ عليها بشكلٍ رسميٍّ في كتابه الكريم، ثمَّ نصَّ عليها رسول الله صلى الله عليه وآله والروايات الشريفة، وهي كثيرة جداً ومعروفة ومبحوثة عند المفسرين والباحثين، وها هنا نشير إليها تذكيراً:

الأول: اتَّخَذَهُم فِي الْاصْطِفَاءِ مِنْ سَلَالَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ^(١).

الثاني: اتَّخَذَهُم فِي الْاصْطِفَاءِ بِالْخِلَافَةِ وَالْوَصَايَةِ^(٢).

الثالث: اتَّخَذَهُم فِي الْاصْطِفَاءِ بِالتَّطْهِيرِ وَالْعَصْمَةِ^(٣).

الرابع: اتَّخَذَهُم فِي الْاصْطِفَاءِ بِالْعِلْمِ بِرُوحِ الْقُدْسِ^(٤).

الخامس: اتَّخَذَهُم فِي الْاصْطِفَاءِ بِالْوَلَايَةِ^(٥).

(١) ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٣) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ آل عمران: ٣٣.

(٢) ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ سورة المائدة: ٣.

(٣) ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ سورة الأحزاب: ٥٦.

(٤) ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾، سورة الزمر: ٩.

(٥) ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَرُؤُوسِ الرِّزْقِ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾، سورة المائدة: ٥٥.

السادس: اتحدهم في الاصطفاء بالطاعة على الناس^(١).

السابع: اتحدهم في الاصطفاء بالموودة^(٢).

الثامن: اتحدهم في الاصطفاء في آية الخمس^(٣).

التاسع: اتحدهم في الاصطفاء في آية القربى^(٤).

العاشر: اتحدهم في الاصطفاء في آية الأمر بالصلاة^(٥).

الحادي عشر: اتحدهم في الاصطفاء في آية المباهلة^(٦).

الثاني عشر: اتحدهم في الاصطفاء في آية أهل الذكر^(٧).

الثالث عشر: اتحدهم في الاصطفاء في آية الملك^(٨).

(١) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اطِّيعُوا اللَّهَ وَاطِّيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ ، سورة النساء: ٥٨-٥٩ .

(٢) ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ ، سورة الشورى: ٢٣ .

(٣) ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى ﴾ ، سورة الأنفال: ٩ .

(٤) ﴿ فَأَتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ ﴾ ، سورة الروم، ٣٨ .

(٥) ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾ ، سورة طه: ١٣٢ .

(٦) ﴿ قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ آبَاءَنَا وَآبَاءَكُمْ وَنَسَائِنَا وَنَسَائِكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ ، سورة آل عمران: ٦١ .

(٧) ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذُّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ، سورة الأنبياء: ٧ .

(٨) ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴾ ، النساء: ٥٤ .

وقد وردت كثير من الروايات في تأويل هذه الآيات في حق أهل البيت عليهم السلام، وقد بينت أمحادهم مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي هذِهِ الْمَقَامَاتِ وَالْفَضَائِلِ فِي عَالَمِ الدُّنْيَا، ضَمَّنَ وَحِدَةً مُتَكَامِلَةً مُصْطَفَاةً لِقِيَادَةِ الْأُمَّةِ وَالدَّعْوَةَ إِلَى الدِّينِ، وَقَدْ أَمَرَتِ النَّاسَ بِمُودَّتِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ وَوَلَايَتِهِمْ وَالتَّعَلُّمَ مِنْهُمْ وَالِاهْتِدَاءَ بِهَدْيِهِمْ.

دور رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي تَثْبِيثِ هَذِهِ الْمَقَامَاتِ فِي وَجْدَانِ الْأُمَّةِ.

وقد كان لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الدُّورَ الْكَبِيرَ لِتَثْبِيثِ هَذِهِ الْمَعَادِلَةِ فِي ضَمِيرِ الْأُمَّةِ، مِنْ خِلَالِ بَيَانِ مَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَالتَّلَازِمَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرْآنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَتَمَّ الضَّمَانَ لَوْحِدَةِ الْأُمَّةِ وَاسْتِقَامَتِهَا عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

وقد بذل جهداً مركزاً ومميزاً لتثبيت ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وإمامته وخلافته من بعده بصورة عملية في مواقع متعددة، منذ اليوم الأوّل من بدء الإنذار (يوم الدار) عندما أمره الله بإنذار عشيرته الأقربين^(١)، ثمّ في مواقف كثيرة كان يكررها أمام مرأى المسلمين وخصوصاً يوم الغدير الواقعة المشهورة بين المسلمين، والتي نصب فيها علياً عليه السلام إماماً ووصياً وخليفةً من بعده، واتخذ شريكاً ووزيراً، وجعله بمنزلة هارون من موسى، حيث قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «يَا عَلِيُّ أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى حِينَ خَلَفَهُ فِي قَوْمِهِ»^(٢).

(١) البداية والنهاية، ٣: ٥٢.

(٢) كتاب سليم، ٢: ٨٧٧، والهداية الكبرى للخصيبي، ٦٤.

حيث إن موسى عليه السلام طلب من الله أن يجعل هارون شريكه في رسالته، فأعطاه الله تعالى ذلك كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَاجْعَلْ لِي وُزِيرًا مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا * إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾^(١).

وقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله خلفاءه وأوصيائه من عترته، وذكر عددهم ونص عليهم بأسمائهم، وأخبرهم بصلاحياتهم ولكن الأمة خانت رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم تلتزم بوصيته المشهورة المعروفة، حين قال لهم في مواطن متعددة: «إِنِّي مُخَلَّفٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ وَعِزَّتِي أَهْلَ بَيْتِي، لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ انظُرُوا كَيْفَ تَخْلُقُونِي فِيهِمَا»^(٢).

نماذج من الروايات التي بينت وحدة مقامهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير

المؤمنين صلوات الله عليهما

وهنا نورد بعض الروايات على ما قدمناه في هذا البحث:

١ - حُجَّتُهُمْ وَاحِدَةٌ وَطَاعَتُهُمْ وَاحِدَةٌ

فقد جاء عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَثِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: ﴿وَالَّذِينَ

(١) سورة طه، الآيات: ٢٩-٣٥.

(٢) تحف العقول، ٤٢٦.

أَمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴿١﴾
 قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الَّذِينَ آمَنُوا النَّبِيُّ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَالذَّرِيَّةُ وَالْأَيْمَةُ الْأَوْصِيَاءُ
 أَلْحَقْنَا بِهِمْ وَلَمْ تَنْقُصْ ذُرِّيَّتَهُمْ مِنَ الْجِهَةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي عَلِيٍّ
 وَحُجَّتِهِمْ وَاحِدَةً وَطَاعَتُهُمْ وَاحِدَةً» (٢).

٢- كُلُّكُمْ فِي الْفَضْلِ وَالْمَنْزِلَةِ عِنْدَ اللَّهِ سَوَاءٌ

وَعَنْ أَبِي حَزْرَةَ الثَّمَالِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْبَاقِرِ عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ أَبِيهِ الْحُسَيْنِ
 بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قَالَ: «دَخَلْتُ أَنَا وَأَخِي عَلَى جَدِّي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ،
 فَأَجَلَسَنِي عَلَى فَخِذِهِ وَأَجَلَسَ أَخِي الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ عَلَى فَخِذِهِ الْآخَرَ، ثُمَّ قَبَّلَنَا وَقَالَ:
 يَا أَبَا أَنْتُمَا مِنْ إِمَامَيْنِ صَالِحَيْنِ اخْتَارَكُمَا اللَّهُ مِنِّي وَمِنْ أَبِيكُمَا وَأُمَّكُمَا وَاخْتَارَ مِنْ صُلْبِكَ يَا
 حُسَيْنُ تِسْعَةَ أَيْمَةٍ تَأْسِعُهُمْ قَائِمُهُمْ وَكُلُّكُمْ فِي الْفَضْلِ وَالْمَنْزِلَةِ عِنْدَ اللَّهِ سَوَاءٌ» (٣).

٣- جَرَى لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْأَيْمَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِنَ الْفَضْلِ مَا جَرَى لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

وَعَنْ سَعِيدِ الْأَعْرَجِ، قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَسُلَيْمَانُ بْنُ خَالِدٍ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرِ
 بْنِ مُحَمَّدٍ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) فَأَبْتَدَأَنِي، فَقَالَ: «يَا سُلَيْمَانُ، مَا جَاءَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ

(١) سورة الطور، الآية: ٢١.

(٢) بصائر الدرجات، ١: ٤٨٠، ح ٨، باب في الأئمة في أن الحججة والطاعة والعلم والأمر والنهي
 والشجاعة واحد ولرسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلي عليه السلام فضلها، ح ١.

(٣) إعلام الوري بأعلام الهدى، ٤٠٤.

بِنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُؤْخَذُ بِهِ، وَمَا نَبِيٌّ عَنْهُ يُنْتَهَى عَنْهُ، جَرَى لَهُ مِنَ الْفَضْلِ مَا جَرَى لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَلِرَسُولِهِ الْفَضْلُ عَلَى جَمِيعِ مَنْ خَلَقَ اللَّهُ، الْعَائِبُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي شَيْءٍ كَالْعَائِبِ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَالرَّادُّ عَلَيْهِ فِي صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ عَلَى حَدِّ الشَّرْكَ بِاللَّهِ.

«كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَابَ اللَّهِ لَا يُؤْتَى إِلَّا مِنْهُ، وَسَبِيلُهُ الَّذِي مَنْ تَمَسَّكَ بِغَيْرِهِ هَلَكَ، كَذَلِكَ جَرَى حُكْمُ الْأَنْمَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بَعْدَهُ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ أَرْكَانَ الْأَرْضِ، وَهُمْ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ عَلَى مَنْ فَوْقَ الْأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الثَّرَى.

أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَقُولُ: أَنَا قَسِيمُ اللَّهِ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَأَنَا الْفَارُوقُ الْأَكْبَرُ، وَأَنَا صَاحِبُ الْعَصَا وَالْمِيسَمِ، وَلَقَدْ أَقْرَبِي جَمِيعَ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ بِمِثْلِ مَا أَقْرَأُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَلَقَدْ خَلَّتْ مِثْلَ حَوْلَةِ مُحَمَّدٍ، وَهِيَ حَوْلَةُ الرَّبِّ، وَإِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يُدْعَى فَيُكْسَى وَيُسْتَنْطَقُ فَيَنْطِقُ، وَأُدْعَى فَأُكْسَى وَأُسْتَنْطَقُ فَيَنْطِقُ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ حِصَالًا لَمْ يُعْطَهَا أَحَدٌ قَبْلِي: عَلِمْتُ الْبَلَايَا، وَالْقَضَايَا، وَفَضَلَ الْخِطَابِ»^(١).

٤- خَلَقْنَا وَاحِدًا وَعَلَّمْنَا وَاحِدًا وَفَضَّلْنَا وَاحِدًا وَكَلَّمْنَا وَاحِدًا عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ عَنْ زَيْدِ الشَّحَامِ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَيُّهُمَا أَفْضَلُ الْحَسَنُ أَوْ الْحُسَيْنُ؟ قَالَ: «إِنَّ فَضْلَ أَوْلَانَا يُلْحَقُ فَضْلَ آخِرِنَا وَفَضْلَ

(١) أمالي الشيخ الطوسي، ٢٠٦.

آخِرِنَا يَلْحَقُ فَضْلَ أَوْلَانَا^(١) فَكُلُّ لَهُ فَضْلٌ»، قَالَ قُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ وَسَعَّ عَلَيَّ فِي الْجَوَابِ، وَاللَّهِ مَا أَسْأَلُكَ إِلَّا مُرْتَاداً^(٢)، فَقَالَ: «نَحْنُ مِنْ شَجَرَةٍ بَرَأَنَا اللَّهُ مِنْ طِينِهِ وَاحِدَةً، فَضَلُّنَا مِنَ اللَّهِ وَعَلِمُنَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَنَحْنُ أَمْنَاؤُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَالِدُّعَاةُ إِلَى دِينِهِ، وَالْمُحَبَّابُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ، أَزِيدُكَ يَا زَيْدٌ؟»، قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: «خَلَقْنَا وَاحِدٌ، وَعَلِمُنَا وَاحِدٌ، وَفَضَلْنَا وَاحِدٌ، وَكُلُّنَا وَاحِدٌ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»، فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي بِعِدَّتِكُمْ، فَقَالَ: «نَحْنُ اثْنَا عَشَرَ هَكَذَا حَوْلَ عَرْشِ رَبِّنَا جَلَّ وَعَزَّ فِي مُبْتَدَأِ خَلْقِنَا، أَوْلَانَا مُحَمَّدٌ وَأَوْسَطُنَا مُحَمَّدٌ وَآخِرُنَا مُحَمَّدٌ»^(٣).

وقد قسّم أدوارهم وتكاليفهم وتفاضلوا في هذه الأدوار بحسب ما كلفوا من التبليغ ونشر العلم والولاية والجهاد وإقامة الدين وإقامة حكومة العدل^(٤)، وفي هذا المقام أوجب لهم حقوقاً على العباد وامتحنهم بتكاليف كثيرة.

السابع: اشتراكهم في مقام الملك في الآخرة.

كما أنّ الباري عزَّ وجلَّ اصطفاهم من قبل في نشأة الأنوار والأرواح فجعلهم من العالين حول عرشه، فأخذ على الخلق ميثاقهم بالولاية والسيادة، وفي عالم

(١) في بعض النسخ «وفضل آخِرنا كفضل أولنا».

(٢) «مرتاداً» أي طالباً للحق.

(٣) غيبة النعماني، ٨٦.

(٤) عَنْ عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قَالَ: «نَحْنُ فِي الْعِلْمِ وَالشَّجَاعَةِ سَوَاءٌ وَفِي الْعَطَايَا عَلَى قَدْرِ مَا نُؤْتَرُ»، بصائر الدرجات، ١: ٤٨٠، ح ٣.

الدنيا فرض على الخلق ولايتهم وطاعتهم ونصبهم خلفاء على الخلق أجمعين، كذلك يكمل دورة اصطفايتهم على خلقه في النشأة الآخرة في كل المنازل والمحطات الخمسين^(١) حتى منزل الجنة.

وهناك يجعلهم ملوكاً وسادة على خلقه، وهم أول من يدخل الجنة فيكونون في مقام واحد، ومنزل واحد، في جنة عدن، وهو أشرف منزل^(٢)، وقد أعطى لهم الملك العظيم في ذلك العالم، وجعلهم سادة الجنة، وبيدهم مفاتيحها وحساب الناس بيدهم، وإياب الخلق إليهم وبيدهم الحوض والشفاعة والمقام المحمود،

(١) عَنْ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «... فَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَحَاسِبُوا عَلَيْهِ، فَإِنَّ لِلْقِيَامَةِ خَمْسِينَ مَوْقِفًا كُلُّ مَوْقِفٍ مِقْدَارُهُ أَلْفُ سَنَةٍ، ثُمَّ تَلَا ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾، الكافي (ط الإسلامية)، ٨: ١٤٣.

وفيهما ورد أن جبههم ينفع في تلك المواطن ما رواه العلامة المجلسي عن سلمان الفارسي قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «يَا سَلْمَانَ مَنْ أَحَبَّ فَاطِمَةَ ابْنَتِي فَهُوَ فِي الْجَنَّةِ مَعِي، وَمَنْ أَبْغَضَهَا فَهُوَ فِي النَّارِ، يَا سَلْمَانَ حُبُّ فَاطِمَةَ يَنْفَعُ فِي مِائَةِ مَوْطِنٍ أَيْسَرُ تِلْكَ الْمَوَاطِنِ، الْمَوْتُ وَالْقَبْرُ وَالْمِيزَانُ وَالْمَحْشَرُ وَالصِّرَاطُ وَالْمَحَاسِبَةُ، فَمَنْ رَضِيَ عَنْهُ ابْنَتِي فَاطِمَةَ رَضِيَ عَنْهُ، وَمَنْ رَضِيَ عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ، عَنْهُ وَمَنْ غَضِبَتْ عَلَيْهِ فَاطِمَةُ غَضِبْتُ عَلَيْهِ، وَمَنْ غَضِبْتُ عَلَيْهِ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ، يَا سَلْمَانَ وَيْلٌ لِمَنْ يَظْلِمُهَا وَيَظْلِمُ ذُرِّيَّتَهَا وَشِيعَتَهَا». بحار الأنوار (ط - بيروت)، ٢٧: ١١٧.

(٢) عن عبد الله بن جعفر، قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «ليس في جنة عدن منزل أشرف ولا أفضل ولا أقرب إلى عرش ربي من منزلي، نحن فيه أربعة عشر إنساناً، أنا وأخي عليّ - وهو خيرهم وأحبهم إليّ - وفاطمة وهي سيّدة نساء أهل الجنة، والحسن والحسين وتسعة أئمة من ولد الحسين، فنحن فيه أربعة عشر إنساناً في منزل واحد، أذهب الله عنا الرجس وطهرنا تطهيراً». كتاب سليم، ١: ١٨٧، ح ٤٢.

فمَن لم يعرف قدرهم في الدنيا سيدركه غداً في القيامة.

فقد أشار الإمام الهادي عليه السلام في زيارة الجامعة إلى ذلك الموقف: «قَبَّلَ اللهُ بِكُمْ أَشْرَفَ مَحَلِّ الْمُكْرَمِينَ، وَأَعْلَى مَنَازِلِ الْمُقْرَبِينَ، وَأَرْفَعَ دَرَجَاتِ الْمُرْسَلِينَ، حَيْثُ لَا يَلْحَقُهُ لَاحِقٌ، وَلَا يَفُوقُهُ فَائِقٌ، وَلَا يَسْبِقُهُ سَابِقٌ، وَلَا يَطْمَعُ فِي إِذْرَائِهِ طَامِعٌ، حَتَّى لَا يَبْتَقَى مَلَكٌ مُقْرَبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَلَا صِدِّيقٌ، وَلَا شَهِيدٌ، وَلَا عَالِمٌ وَلَا جَاهِلٌ، وَلَا دِينِيَّ وَلَا فَاضِلٌ، وَلَا مُؤْمِنٌ صَالِحٌ، وَلَا فَاجِرٌ طَالِحٌ، وَلَا جَبَّارٌ عَنِيدٌ، وَلَا شَيْطَانٌ مَرِيدٌ، وَلَا خَلْقٌ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ شَهِيدٌ، إِلَّا عَرَفَهُمْ جَلَالَةَ أَمْرِكُمْ، وَعِظَمَ خَطَرِكُمْ^(١)، وَكَبَرَ شَأْنِكُمْ، وَتَمَامَ نُورِكُمْ، وَصِدْقَ مَقَاعِدِكُمْ^(٢)، وَثَبَاتَ مَقَامِكُمْ، وَشَرَفَ مَحَلِّكُمْ وَمَنْزِلَتِكُمْ عِنْدَهُ، وَكَرَامَتِكُمْ عَلَيْهِ، وَخَاصَّتِكُمْ لَدَيْهِ، وَقُرْبَ مَنْزِلَتِكُمْ مِنْهُ... وَلَكُمْ الْمُوَدَّةُ الْوَاجِبَةُ وَالذَّرَجَاتُ الرَّفِيعَةُ وَالْمَقَامُ الْمُحْمُودُ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى وَالْمَكَانُ الْمَعْلُومُ^(٣) وَالْجَاهُ الْعَظِيمُ وَالشَّأْنُ الرَّفِيعُ وَالشَّفَاعَةُ الْمُقْبُولَةُ...»^(٤).

وهناك يكونون متساوين في الفضل والمنزلة عند الله تعالى، ويظهر أن أدوارهم

(١) الخطر: القدر والمنزلة.

(٢) المقاعد: المراتب، والمعنى أنكم صادقون في هذه المرتبة، وأنها حقكم، كما في قوله تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾.

(٣) خ ل «والمقام المعلوم عند الله عز وجل».

(٤) المزار الكبير لابن المشهدي، ٥٣٠.

ومهاهم تنقسم كل بحسبه كما جاء في الأخبار^(١)، والله العالم.

ولا ريب أن هذا المقام يحتاج بذاته إلى تنقيح وبحث مفصل ليس هنا موضعه.

ولكن السؤال هنا: هل المراد هو الاتحاد والتساوي بين النبي صلى الله عليه وآله

في بعض المقامات أم التساوي المطلق إلا ما خرج بالدليل الخاص؟

عند النظر إلى الروايات نجدها تنقسم إلى طائفتين: واحدة صريحة في الاشتراك

والتساوي في المقامات الاصطفائية في جميع النشآت كما توصلنا في هذا البحث،

وأخرى صريحة في التفاضل والتفاوت بينهم (عليهم السلام) وقد جاءت بألفاظ

عديدة (أسبق، أفضل، أعلم، أعظم...) (٢).

(١) عَنِ الْحَارِثِ وَسَعِيدِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)

أَنَا وَإِرْدَكُمْ عَلَى الْخَوْضِ، وَأَنْتَ يَا عَلِيُّ السَّاقِي وَالْحَسَنُ الذَّائِدُ، وَالْحُسَيْنُ الْأَمِيرُ، وَعَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ

الْفَارِطُ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ النَّاشِرُ، وَجَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّائِقُ، وَمُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ مُخْصِي الْمُجِيبِ

وَالْمُبْعِضِ وَالْمُنَاقِبِ، وَعَلِيُّ بْنُ مُوسَى مُرَبِّبُ الْمُؤْمِنِينَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ مُنْزِلُ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِي

دَرَجَاتِهِمْ، وَعَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ حَطِيبُ شِعْبِهِ وَمُرْجُومُ الْحُورِ، وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ سِرَاجُ أَهْلِ الْجَنَّةِ

يَسْتَضِيئُونَ بِهِ، وَالْهَادِي الْمُهْدِي شَفِيعُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَيْثُ لَا بَأْذَنَ لِلَّهِ إِلَّا لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى».

بحار الأنوار (ط - بيروت)، ٢٦: ٣١٦، ح ٨٠، عن كتاب تفضيل الأئمة، مخطوط.

(٢) ومن هذه الروايات ما عن ابن مسكان عن الحارث التميمي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال

سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَنَحْنُ فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ نَحْرِي

نَحْرِي وَاجِدٍ، فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَعَلِيُّ فَلَهُمَا فَضْلُهُمَا».

وعن داود التميمي عن علي بن جعفر عن أبي الحسن (عليه السلام) قال: «نَحْنُ فِي الْعِلْمِ وَالشَّجَاعَةِ

سَوَاءٌ وَفِي الْعَطَايَا عَلِيُّ قَدْرٌ مَا نُؤْتَرُ».

ولذا لا بُدَّ من معالجة الموضوع ومناقشته والعمل على الجمع بين الطائفتين ما أمكن:

١- قد يبدو في الوهلة الأولى أنَّ هناك تعارضاً بين الطائفتين، ولكن عند التأمل ينتفي هذا التعارض؛ وذلك لأنَّ كلتا الطائفتين مثبتتان تسيران جنباً إلى جنب، فطائفة تثبت للجميع التساوي في الفضل، وأخرى تخصص الفضل لبعضهم، وقد قرر في علم الأصول أنَّ لا تعارض بين المثبتات، وإنَّما يكون التعارض عندما تكون طائفة تثبت التفاضل وأخرى تنفيها من الأساس.

٢- ولما كان لا يمكن غض النظر عمَّا ثبت لنا من القرآن والروايات الشريفة في

عَنِ النَّبِزِيِّ عَنِ الرَّضَا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قَالَ: «قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): كُنَّا نَجْرِي فِي الطَّاعَةِ وَالْأَمْرِ نَجْرَى وَاحِدٍ وَبَعْضُنَا أَكْبَرُ مِنْ بَعْضٍ».

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) أَفْضَلُ خَلْقِ اللَّهِ عَجْرِي، وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَبُوهُمَا خَيْرٌ مِنْهَا، وَإِنَّ فَاطِمَةَ سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، وَإِنَّ عَلِيًّا خَيْرِي وَلَوْ وَجَدْتُ لِفَاطِمَةَ خَيْرًا مِنْ عَلِيٍّ لَمْ أُزَوِّجْهَا مِنْهُ». بحار الأنوار (ط - بيروت)، ٢٥: ٣٦١، مرفوعة أبي بصير عن الصادق عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) «تَابِعُهُمْ بَاطِنُهُمْ ظَاهِرُهُمْ قَائِمُهُمْ وَهُوَ أَفْضَلُهُمْ». بحار الأنوار (ط - بيروت)، ٢٥: ٣٦١، عن المحتضر، ١٥٩ و ١٦٠.

عَنْ يُونُسَ بْنِ وَهَبِ الْقَضْرِيِّ قَالَ: دَخَلْتُ الْمَدِينَةَ فَأَتَيْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، أَتَيْتُكَ وَلَمْ أَرُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، قَالَ: «بَشَسَ مَا صَنَعْتَ، لَوْ لَا أَنَّكَ مِنْ شِيعَتِنَا مَا نَظَرْتُ إِلَيْكَ، أَلَا تَرَوْنَ مَنْ يَزُورُهُ اللَّهُ مَعَ الْمَلَائِكَةِ وَيَزُورُهُ الْمُؤْمِنُونَ»، قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، مَا عَلِمْتُ ذَلِكَ، قَالَ: «فَاعْلَمْ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْأَنْمَةِ كُلِّهَا وَلَهُ نَوَابِ أَعْمَالِهِمْ وَعَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فُضِّلُوا». بحار الأنوار (ط - بيروت)، ٢٥: ٣٦١، ح ١٩، عن المحتضر، ٨٩.

تساويهم في الفضل كما مرّ علينا في البحث، وأنه لا يجوز التفريق بينهم، وقد عدّوه نقصاً في الإيمان^(١)، وعليه لا بُدّ من حمل روايات الأفضلية الواردة لرسول الله صلى الله عليه وآله إمّا على خصوصية النبوة والواسطة في تلقي الوحي، وخصوصية عدد زوجاته^(٢)، أو فضيلة السابقة في الإجابة في الميثاق والإيمان، أو فضيلة الأبوّة للنبي والأمير، والأمومة للزهراء، وحجبتها على أولادها^(٣) لكونها واسطة في العلوم التي اختصها بها كما في مصحفها، وقد ورث أبنائها هذا العلم منها، وكونهم يتأسون بها لما أصابها من فضاة الظلم، وهكذا يجري القياس بالتأسي ببعضهم البعض حيث قالوا للحسين عليه السلام: «لا يوم كيومك يا أبا عبد الله»^(٤)، ولا شكّ أنّهم يتأسون بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله ومداراته للناس، ويتأسون

(١) عَنِ الْبَرْزَنْطِيِّ عَنِ الرَّضَا أَنَّهُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) كَتَبَ إِلَيْهِ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) «لَا يَسْتَكْمِلُ عَبْدُ الْإِيمَانِ حَتَّى يَعْرِفَ أَنَّهُ يَجْرِي لِأَخْرَجِهِمْ مَا يَجْرِي لِأَوْلَادِهِمْ فِي الْحُجَّةِ وَالطَّاعَةِ وَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ سِوَاءَ وَلِيْحَمْدِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فَضْلُهُمَا الْحَبْرَ. قَرَبَ الْإِسْنَادُ، ١٥٢-١٥٣.

(٢) عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يَقُولُ: «الْأَثْمَةُ بِمَنْزِلَةِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، إِلَّا أَنَّهُمْ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا يَحِلُّ لَهُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَا يَحِلُّ لِلنَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، فَأَمَّا مَا حَلَّ ذَلِكَ فَهُمْ فِيهِ بِمَنْزِلَةِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)»، الكافي (ط - الإسلامية)، ١: ٢٧٠، ح ٧.

(٣) روي عن العسكري عليه السلام: «نحن حجة الله على الخلق، وفاطمة حجة علينا»، مستدرک العوالم، ١: ١١، ح ٧.

(٤) أمالي الصدوق، ١١٦.

بصبر أمير المؤمنين في الامتحانات التي مرّت عليه.

كما أنه لا بدّ من تأويل أنّ بعضنا أعلم من بعض^(١) بقدر ما يعطى لهم له منه للمهام التي يؤدونها^(٢) أو بظهور العلم في زمان المعصوم وسعة انتشاره وغلبة الخصوم في الاحتجاج، كما في زمن الإمام الرضا عليه السّلام، حيث سمي بعالم آل محمّد لهذه الجهة كما يظهر، أو نسبة فقه المذهب للصادق عليه السّلام لكثرة ما ظهر من فقه آل محمّد بما أتيج له من الفرصة الزمنية وطول عمره، أو حمل الأعظميّة^(٣) لرسول الله وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما والإمام المهدي بظهور القدرة والطاعة في أيام تمكّن حكومتهم، أو تأكيد السيادة^(٤)، والأفضليّة للنبيّ والأمير من جهة كونهم

(١) عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله (عليه السّلام): «يا أبا محمّد كُنَّا نَجْرِي فِي الطَّاعَةِ وَالْأَمْرِ نَجْرِي وَاحِدٍ وَبَعْضُنَا أَعْلَمُ مِنْ بَعْضٍ». الكافي، ١: ٤٨٠، ٧: ١.

عن يحيى الحلبي عن أبيوب بن الحر عن أبي عبد الله (عليه السّلام) قال: قلنا الأئمة بعضهم أعلم من بعض؟ قال: «نعم وعلمهمم بالحلال والحرام وتفسير القرآن واحد»، الكافي، ١: ٤٨٠، ٧: ٢.

(٢) عن علي بن جعفر عن أبي الحسن (عليه السّلام) قال: «نحن في العلم والشجاعة سواء وفي العطاءنا على قدر ما نؤمّر»، الكافي، ١: ٤٨٠، ٨: ٣.

(٣) عبد الحميد عن البرنطي عن الرضا (عليه السّلام) قال: قال أبو عبد الله (عليه السّلام): «كُنَّا نَجْرِي فِي الطَّاعَةِ وَالْأَمْرِ نَجْرِي وَاحِدٍ وَبَعْضُنَا أَعْظَمُ مِنْ بَعْضٍ». الاختصاص، ٢٢.

عن يونس عن بعض رجاله عن أبي عبد الله (عليه السّلام) قال: «ليس شيء يخرج من عند الله إلا بدأ برسول الله ثم بأمر المؤمنين ثم بمن بعده، ليكون علم آخرهم من عند أولهم ولا يكون آخرهم أعلم من أولهم». الاختصاص، ٢٢.

(٤) عن حبة العري عن أمير المؤمنين (عليه السّلام) قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنا سيّد الأولين والآخرين، وأنت يا عليّ سيّد الخلائق بعدي، أولنا كماخبرنا وآخرنا كماؤلنا».

السابقين أو مقابل السيادة على الخلق أجمعين أو مقابل الأنبياء والعظماء، وعلى هذا المنوال يمكن تأويل ما ورد لبعضهم من أمور التفضيل، وبذلك يكون الأصل هو الاشتراك والتساوي في الاصطفاء الرباني في كل الأمور ثبوتاً.

٣ - وإثبات الاشتراك والتساوي في المقامات في هذا الكيان الرباني المتمثل في الأربعة عشر معصوماً لا يعني أن لا يكون أحدهم له فضيلة اختصاص سبق وأبو الأئمة وأولهم، وسيد الأوصياء والأمومة والسيادة لنساء العالمين، أو الوساطة في الوحي والنبوة والسيادة، أو اختصاص عدد الزوجات، أو خصوصية الخمسة من أهل الكساء أو كون الحسين سيد الشهداء والأئمة من ذريته والشفاء في تربته واستجابة الدعاء تحت قبته، أو كون المهدي القائم الظاهر بالحق الذي يُقيم العدل. فهذه الامتيازات تُحسب اختصاصاً لهم في التفضيل، ولا يعني أن بقية المعصومين ليسوا بقدر هذا المقام وغير واجدين له، ولكنه تقدير رباني لا يُسأل عن فعله، فقد كان هذا الأمر موضع تساؤل عند أصحاب المعصومين.

عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ عَنِ الصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قَالَ: ... فَقُلْتُ لَهُ: يَا بْنَ رَسُولِ اللَّهِ، فَأَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي

أقول: أثبات سيادة رسول الله وعلي صلوات الله عليها على الخلائق كما جاء في صدر الحديث لا يعني أن بقية المعصومين ليست لها السيادة الطولية ذاتها على الخلق، بقرينة تأكيد النبي في ذيل الرواية على قاعدة أولنا كآخرنا وآخرنا كأولنا، وهذه القاعدة حاكمة على تخصيص بعض الفضائل لهم في عباراتهم.

عقبه ﴿^(١)﴾، قَالَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): «يَعْنِي بِذَلِكَ الْإِمَامَةَ، جَعَلَهَا اللَّهُ فِي عَقِبِ الْحُسَيْنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ، يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ، فَكَيْفَ صَارَتِ الْإِمَامَةُ فِي وُلْدِ الْحُسَيْنِ دُونَ وُلْدِ الْحَسَنِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) وَهُمَا جَمِيعاً وَلَدَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسِبْطَاهُ وَسَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): «إِنَّ مُوسَى وَهَارُونَ كَانَا نَبِيَّيْنِ مُرْسَلَيْنِ أَخَوَيْنِ، فَجَعَلَ اللَّهُ النَّبُوَّةَ فِي صُلْبِ هَارُونَ دُونَ صُلْبِ مُوسَى، وَلَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ لِمَ فَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ، وَإِنَّ الْإِمَامَةَ خِلَافَةٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ لِمَ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي صُلْبِ الْحُسَيْنِ دُونَ صُلْبِ الْحَسَنِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكِيمُ فِي أَفْعَالِهِ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ»^{(٢)(٣)}.

ومع أن الإمام الحسن عليه السلام بحسب التبادر بما يظهر من بعض الروايات^(٤)، وبحسب السابقة^(٥)، أفضل من الإمام الحسين عليه السلام، فيكون أرجح لتكون الإمامة من صلبه، ولكن الله حكيم وعالم بالمصالح لا يُسأل عن فعله، فعليه يكون مثل هذا التفضيل اختصاصاً.

(١) سورة الزخرف، الآية: ٢٧.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٣.

(٣) الخصال، ١: ٣٠٥، ح ٨٤.

(٤) «أبي خَيْرٍ مِنِّي، وَأُمِّي خَيْرٌ مِنِّي، وَأَخِي خَيْرٌ مِنِّي»، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، ٢: ٩٤.

(٥) «وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ» (٦) أولئك المقربون ﴿﴾، سورة الواقعة، الأيتان: ١٠-١١.

وهذا الميزان ينطبق على اختصاص النبوة برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ^(١)، ولكنَّ الفضل هو اختصاص من الله تعالى، كما جاء في رواية مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يَقُولُ: «الْأئِمَّةُ بِمَنْزِلَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، إِلَّا أَنَّهُمْ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا يَحِلُّ لَهُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَا يَحِلُّ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَأَمَّا مَا خَلَا ذَلِكَ فَهُمْ فِيهِ بِمَنْزِلَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ».

فقد أكد الإمام عليه السلام في صدر الحديث على قاعدة ثابتة وهي: (الْأئِمَّةُ بِمَنْزِلَةِ رَسُولِ اللَّهِ)، ثم استثنى من هذه القاعدة النبوة، ولا شك أنَّ القاعدة حاكمة على الفرع.

ومع ذلك فإنه من المسلم عند الإمامية أنَّ مقام النبوة مختص برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وهو خاتمهم، والأئمة أوصياؤه وشركاؤه في رسالته، ولكنهم ليسوا بأقل من مقام الأنبياء في فضلهم عند الله ودرجاتهم، وفي مناقبهم وصفاتهم ومعجزهم وعلمهم وحجتهم وطاعتهم على العباد، وهم يشتركون معهم في مقام العلم اللدني الرباني والتأييد بروح القدس الذي هو أعظم روح، وأعظم من الملائكة، وعليه فعلمهم من الله بالتحديث والإلهام، وكذلك فهم مؤيدون بالملائكة، وعندهم ما عند الأنبياء من علم الغيب بل أكثر، ولكنهم أئمة وليسوا بأنبياء، ومقام الإمامة ليس بأقل من مقام النبوة بالمشهور، عند أعلام الإمامية أنَّها أفضل من مقام النبوة،

(١) الكافي (ط - الإسلامية)، ١: ٢٧٠، ح ٧.

وأن أئمة أهل البيت والزهراء أفضل عند الله من الأنبياء عليهم السلام أجمعين.

وهذا الأمر ينطبق أيضاً على اختصاص لقب (أمير المؤمنين) بعلي عليه السلام واستحقاقه له، لما أراد الله له ذلك وفق تقديراته الحكيمة، ولكن لا يعني أن بقية الأئمة ليسوا واجدين لمقام إمامة المؤمنين والأنبياء، وهذا الموضوع أوضحه الإمام الصادق عليه السلام، عن محمد بن عمرو عن أبي الصباح مولى آل سَامٍ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أَنَا وَأَبُو الْمُغْرَاءِ، إِذْ دَخَلَ عَلَيْنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، قَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ»، ثُمَّ اجْتَدَبَهُ وَأَجْلَسَهُ إِلَى جَنْبِهِ، فَقُلْتُ لِأَبِي الْمُغْرَاءِ أَوْ قَالَ لِي أَبُو الْمُغْرَاءِ: إِنَّ هَذَا الْإِسْمَ مَا كُنْتُ أَرَى أَحَدًا يُسَلِّمُ بِهِ إِلَّا عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ (صلوات الله عليه)، فَقَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): «يَا أَبَا الصَّبَّاحِ إِنَّهُ لَا يَجِدُ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الْإِبْتِهَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا لِإِخْرَانَا مَا لِأَوْلِيَانَا»^(١).

قال المرحوم الشيخ باقر علم الهدى: يظهر من الخبر أن جميع أهل البيت واجدون

(١) الاختصاص، ٢٦٨، نقله المجلسي - رحمه الله - في البحار، ٧: ٢٦٧، من الاختصاص ونقل - رحمه الله - عن الكراچكي - قدس سره - في البحار، ٧: ٢٦٨، أنه قال في كتاب كنز الفوائد [ص ١١٢] فيها عد من عقائد الشيعة الإمامية، ويجب أن يعتقد أن أفضل الأئمة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وأنه لا يجوز أن يسمى بأمر المؤمنين أحد سواه وأن بقية الأئمة صلوات الله عليهم يقال لهم: الأئمة والخلفاء والأوصياء والحجج، وأهم كانوا في الحقيقة أمراء المؤمنين، فإنهم لم يمنعوا من هذا الاسم لأجل معناه لأنه حاصل لهم على الاستحقاق، وإنما منعوا من لفظه حشمة لأمير المؤمنين عليه السلام.

لمقام الإمرة على المؤمنين، فهم في ذلك سواء فالطاعة الجارية لأولهم ثابتة لآخرهم إلا أن لقب (أمير المؤمنين) مختص بالإمام علي بن أبي طالب عليه السلام^(١).

٤- أقول في هذه المسألة اختلاف بين الأعلام، فقائل يقول بالمساواة في الفضائل بينهم عليهم السلام، وقائل يقول بالمفاضلة، وآخر متوقف في المسألة، وآخر يقول بالجمع بينهما بحمل المفاضلة في مقام اصطفتائهم وحجيتهم على الخلق في عالم الدنيا. ويظهر أن القول بالمفاضلة هو المتسالم عليه والمشهور بين أعلام الشيعة، ولكن الأقوى بحسب تتبع الأدلة واستقصائها ومقتضى الجمع بينها - بحسب ما ظهر لي - هو القول بالاتحاد والتساوي في الاصطفاء والفضائل في جميع النشآت ضمن منظومة واحدة متكاملة الأبعاد والأدوار إلا ما استثنى تخصصاً.

وأما القول بالجمع بين الطائفتين بحمل أخبار التفاضل في خصوص الحجية على الناس في عالم الدنيا فقط، فهو قول يحتاج تأملاً، أولاً: لثبوت الاتحاد والمساواة في الفضل بينهم في عالم الخلقة النورية، وكذلك الاتحاد بينهم في درجات نشأة الآخرة. وثانياً: إذا قلنا بعدم ثبوت التفاضل في مهام الحجّة والطاعة والإمامة، فقد أثبتنا المطلوب، وهو ما يؤيد ما ذهبنا إليه بعدم ثبوته بشكل مطلق. وثالثاً: إذا ثبت عدم التفاضل في هذا المقام فقد أثبتنا مركز القضية ومربط الفرس؛ لأن غاية اصطفتائهم على الناس في دار الدنيا، وهي دار الابتلاء والعمل من أجل القيام

(١) النبي وآله كلهم نور واحد، ٧١.

بمهام الخلافة في الأرض على الناس، وهي التي كانت موضع امتحان الملائكة وإبليس في ذلك العالم، للاعتراف بزعامتهم في الأرض على جميع المخلوقات بمن فيهم الملائكة والجان.

رابعاً: يظهر أنّ موضع إثبات التفضيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام على بقية المعصومين بين أعلام الطائفة، أساساً في هذا مقام مهام الإمامة والولاية في هذه النشأة الدنيوية، وليس في النشآت الأخرى المسكوت عنها، ولكن عند النظر إلى كلماتهم بأنّ «فضلنا واحد عند الله»، أو «كلنا واحد أولنا كآخرنا وآخرنا كأولنا»، والعبارات المشابهة، بل عند النظر لآيات القرآن كآية المباهلة والطهارة وبقية الآيات، يثبت العموم لكلّ النشآت، وعليه لا معنى لتخصيص التفضيل وعدمه في هذه النشأة فتأمل!

وعلى كلّ حال لعلّ الأحوط القول الرابع، وهو التوقف في المسألة وإيكال الأمر إلى أهله، والله العالم.



الفصل الرابع

رسالة الله عز وجل إلى ملائكته
غاية خلق الوجود (محبة لمحمد وآل
محمد صلوات الله عليهم)

الفصل الرابع: رسالة الله إلى ملائكته

لماذا جعل الله غاية الخلق محبة محمد وآله؟

وهو ما يمكن بحثه في حديث الكساء الشريف حيث ورد:

«فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا مَلَائِكَتِي وَيَا سُكَّانَ سَمَاوَاتِي، إِنِّي مَا خَلَقْتُ سَمَاءَ مَبْنِيَّةٍ وَلَا أَرْضاً مَدْحِيَّةً، وَلَا قَمَراً مُنيراً، وَلَا شَمْساً مُضِيئَةً، وَلَا فَلَكَاً يَدُورُ، وَلَا بَحَراً يَجْرِي، وَلَا فَلَكَاً يَسْرِي، إِلَّا فِي حَبَبَةٍ هُوَ لِأَيِّ الْحَمْسَةِ الَّذِينَ هُمْ تَحْتَ الْكِسَاءِ.

فَقَالَ الْأَمِينُ جِبْرَائِيلُ: يَا رَبِّ وَمَنْ تَحْتَ الْكِسَاءِ؟

فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: هُمْ أَهْلُ بَيْتِ النَّبُوَّةِ وَمَعِدِنُ الرِّسَالَةِ، هُمْ فَاطِمَةُ وَأَبُوهَا وَبَعْلُهَا وَبَنُوهَا».

فصرح الحديث الشريف أن الله عز وجل خلق الكون بما فيه من المخلوقات لأجل محبة الله لمحمد وآل محمد! هذه الحقيقة الساطعة من أهم المنازل والمقامات لأهل البيت عليهم السلام، عند الله عز وجل، وقد يتساءل متسائل هل يعقل ذلك؟

وما العلة والسبب في ذلك؟

قال السيد الشيرازي في الفقه: السبب في الإفاضة والخلفة هو محبة النبي وأهل

بيته (صلوات الله عليهم أجمعين)، كما يشهد له هذا الحديث: «إلا في محبة هؤلاء الخمسة» ونظائره.

كما أنّ ربّ البيت يقوم بدعوة العديد من الناس عند دعوته عظيماً من العظماء إكراماً له ف(لأجل عين ألف عين تُكرّم)^(١)، بمعنى أنّ الله سبحانه وتعالى لما أحبهم خلق الخلق لأجلهم عليهم السّلام، وقد قال سبحانه: «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف»^(٢)، ومن الواضح أنّ محبة الله لكي يُعرف ليس لأجل نقصه؛ لأنه ليس بناقص حتى يكمله شيء وإنما لأجل العطاء والإعطاء^(٣).

ويدلّ على كونهم عليهم السّلام العلة الغائيّة للخلق، وأنّه لولاهم لما خلق الله تعالى العالم، روايات عديدة من كتبنا ومن كتب العامة أيضاً.

فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لما خلق الله آدم ونفخ فيه من روحه التفت آدم يمينه العرش فإذا خمسة أشباح فقال: يا رب هل خلقت قبلي من البشّر أحداً؟ قال: لا، قال عليه السّلام: فمن هؤلاء الذين أرى أسماءهم؟ فقال: هؤلاء خمسة من ولدك لولاهم ما خلقتك ولا خلقت الجنة ولا النار ولا العرش ولا الكرسي، ولا السماء ولا الأرض ولا الملائكة ولا الجنّ ولا الإنس، هؤلاء خمسة شققت لهم إسماء من أسمائي فأنا المحمود وهذا محمد وأنا الأعلى وهذا عليّ»

(١) مثل عربي معروف.

(٢) مصابيح الأنوار، ٢: ٤٠٥.

(٣) من فقه الزهراء (عليها السّلام)، ١: ٢٠٤.

وَأَنَا الْفَاطِرُ وَهَذِهِ فَاطِمَةٌ وَأَنَا ذُو الْإِحْسَانِ وَهَذَا الْحَسَنُ وَأَنَا الْمُحْسِنُ وَهَذَا الْحُسَيْنُ،
 أَلَيْتُ عَلَى نَفْسِي أَنَّهُ لَا يَأْتِينِي أَحَدٌ وَفِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ مَحَبَّةٍ أَحَدِهِمْ
 إِلَّا أَدْخَلْتُهُ جَنَّتِي، وَالْأَيْتُ بِعِزَّتِي أَنَّهُ لَا يَأْتِينِي أَحَدٌ وَفِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ
 بُغْضٍ أَحَدِهِمْ إِلَّا أَدْخَلْتُهُ نَارِي، يَا آدَمُ هُوَ لَا يَصْفَوِي مِنْ خَلْقِي بِهِمْ أَنْجِي مَنْ أَنْجِي
 وَبِهِمْ أَهْلِكَ مَنْ أَهْلِكَ»^(١).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «لَمَا خَلَقَ
 اللَّهُ تَعَالَى آدَمَ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ عَطَسَ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى بِحَيْدِي
 عَبْدِي وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَوْلَا عَبْدَانِ أُرِيدُ أَنْ أَخْلُقَهُمَا فِي دَارِ الدُّنْيَا لَمَا خَلَقْتُكَ،
 قَالَ: إِلَهِي أَفَيْكُونَانِ مِنِّي؟ قَالَ: نَعَمْ، يَا آدَمُ ارْزُقْ رَأْسَكَ وَأَنْظُرْ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَإِذَا
 مَكْتُوبٌ عَلَى الْعَرْشِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ نَبِيُّ الرَّحْمَةِ، وَعَلِيٌّ مُقِيمٌ الْحُجَّةِ، مَنْ عَرَفَ
 حَقَّ عَلِيٍّ زَكَاَ وَطَابَ، وَمَنْ أَنْكَرَ حَقَّهُ لُعِنَ وَخَابَ، أَقْسَمْتُ بِعِزَّتِي وَجَلَالِي أَنْ
 أُدْخِلَ الْجَنَّةَ مَنْ أَطَاعَهُ وَإِنْ عَصَانِي، وَأَقْسَمْتُ بِعِزَّتِي وَجَلَالِي أَنْ أُدْخِلَ النَّارَ مَنْ
 عَصَاهُ وَإِنْ أَطَاعَنِي»^(٢).

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري: عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن الله
 تبارك وتعالى أنه قال: «يا أحمد لولاك لما خلقت الأفلاك، ولولا علي لما خلقتك،

(١) بحار الأنوار، ٢٧: ٥.

(٢) إرشاد القلوب للديلملي، ٢: ٢١٠، وبحار الأنوار، ٢٧: ١٠.

وَلَوْلَا فَاطِمَةُ لَمَا خَلَقْتُكُمْ^(١)، وهنا يمكن أن يقال: العلة الغائية - وهي الداعي لفاعلية الفاعل - لخلقنا: هي محبة الأئمة عليهم السلام ومعرفتهم، والعلة الغائية لمحبتهم ومعرفتهم هي معرفة الله سبحانه، إذ هم عليهم السلام الأدلاء على الله، وهي الكمال الأكبر، فمعرفتهم عليهم السلام طريق الكمال والتكامل، وبذلك يجمع بين الروایتين^(٢).

انتهى كلامه عليه الرحمة.

الروايات المؤيدة على أنهم أحب الخلق إلى الله سبحانه وتعالى،

منها: عن عبد الله بن الفضل الهاشمي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جدّه عليهم السلام قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسًا وَعِنْدَهُ عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ بَشِيرًا مَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ خَلْقٌ أَحَبُّ إِلَيَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنَّا»^(٣).

ومنها؛ عن سعيد بن جبّير عن ابن عباس قال: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ جَالِسًا ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ أَقْبَلَ الْحَسَنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلَمَّا رَأَهُ بَكَى، ثُمَّ قَالَ: «إِلَيَّ

(١) مستدرک سفینه البحار، ٣: ٣٣٤، ونقله (عوالم العلوم)، ٢٦، عن (مجمع النورين)، و(من فقه الزهراء (عليها السلام))، ١: ١٩.

(٢) من فقه الزهراء عليها السلام، ١: ٢٠٦.

(٣) معاني الأخبار، ٥٥، ح ٣.

إِلَيَّ يَا بُنَيَّ»، فَمَا زَالَ يُدْنِيهِ حَتَّى أَجْلَسَهُ عَلَى فَخِذِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ أَقْبَلَ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلَمَّا رَأَاهُ بَكَى، ثُمَّ قَالَ: «إِلَيَّ يَا بُنَيَّ»، فَمَا زَالَ يُدْنِيهِ حَتَّى أَجْلَسَهُ عَلَى فَخِذِهِ الْيُسْرَى، ثُمَّ أَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ فَلَمَّا رَأَاهَا بَكَى، ثُمَّ قَالَ: «إِلَيَّ يَا بُنَيَّةَ»، فَأَجْلَسَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلَمَّا رَأَاهُ بَكَى، ثُمَّ قَالَ: «إِلَيَّ يَا أَخِي»، فَمَا زَالَ يُدْنِيهِ حَتَّى أَجْلَسَهُ إِلَى جَنْبِهِ الْأَيْمَنِ، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا تَرَى وَاحِدًا مِنْ هَؤُلَاءِ إِلَّا بَكَتْ أَوْ مَا فِيهِمْ مَنْ تُسْرُّ بِرُؤْيَيْتِهِ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالنَّبُوءَةِ وَاضْطَفَانِي عَلَى جَمِيعِ الْبَرِيَّةِ إِنِّي وَإِيَابَهُمْ لِأَكْرَمُ الْخَلْقِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ نَسَمَةٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُمْ»^(١).

ومنها؛ ما رُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ أَبِي عُمَرَ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ: «وَأَنَّ أَبِي آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا رَأَى اسْمِي وَاسْمَ عَلِيِّ وَابْنَتِي فَاطِمَةَ وَالْحُسَيْنَ وَالْحُسَيْنَ وَأَسْمَاءَ أَوْلَادِهِمْ مَكْتُوبًا عَلَى سَاقِ الْعَرْشِ بِالنُّورِ قَالَ: إِبْهِي وَسَيِّدِي هَلْ خَلَقْتَ خَلْقًا هُوَ أَكْرَمُ عَلَيْكَ مِنِّي؟ فَقَالَ: يَا آدَمُ لَوْلَا هَذِهِ الْأَسْمَاءُ لَمَا خَلَقْتُ سَمَاءً مَبْنِيَّةً وَلَا أَرْضًا مَدْحِيَّةً وَلَا مَلَكًا مُقْرَبًا وَلَا نَبِيًّا مُرْسَلًا وَلَا خَلَقْتُكَ يَا آدَمَ»^(٢).

ومنها؛ ما روى ابن بابويه بسنده إلى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه

(١) الأمالي (للصديق)، ١١٣، ح ٢.

(٢) روضة الواعظين للفتال النيسابوري، ١: ٨٤.

وآله في حديث: «يَا مُحَمَّدُ كَتَبْتُ اسْمَكَ وَاسْمَهُ عَلَى عَرْشِي مِنْ قَبْلِ أَنْ أَخْلُقَ خَلْقِي مَحَبَّةً مِنِّي لَكُمْ وَلِيَنْ أَحْبَبَكُمْ وَتَوَلَّكُمْ وَأَطَاعَكُمْ، فَمَنْ أَحْبَبَكُمْ وَأَطَاعَكُمْ وَتَوَلَّكُمْ كَانَ عِنْدِي مِنَ الْمُقْرَبِينَ، وَمَنْ جَحَدَ وَلَا يَتَّكُمَا وَعَدَلَ عَنْكُمَا كَانَ عِنْدِي مِنَ الْكَافِرِينَ الضَّالِّينَ»^(١).

ومنها، روى الشيخ الصدوق في معاني الأخبار بسنده إلى أحمد بن حزم الجليلي أمير المدينة يقول: سَأَلْتُ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ فَقَالَ: «إِلَهُنَا وَسَيِّدَنَا مَا هَذَا النُّورُ؟ فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِمْ هَذَا نُورٌ مِنْ نُورِي أَصْلُهُ نُبُوَّةٌ وَفَرَعُهُ إِمَامَةٌ، أَمَّا النُّبُوَّةُ فَلِمُحَمَّدٍ عِنْدِي وَرَسُولِي، وَأَمَّا الإِمَامَةُ فَلِعَلِيِّ حُجَّتِي وَوَلِيِّي وَلَوْلَاهُمَا مَا خَلَقْتُ خَلْقِي»^(٢).

ومنها؛ في حديث جميل وجميل قال أبو جعفر محمد بن علي الباقر (عليهما السلام): «يَا جَابِرُ كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءَ غَيْرُهُ وَلَا مَعْلُومٌ وَلَا مَجْهُولٌ، فَأَوَّلُ مَا ابْتَدَأَ مِنْ خَلْقِي خَلْقَهُ أَنْ خَلَقَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَخَلَقْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ مَعَهُ مِنْ نُورِهِ وَعَظَمَتِهِ، فَأَوْقَفْنَا أَظْلَمَةَ خَضِرَاءَ بَيْنَ يَدَيْهِ حَيْثُ لَا سَمَاءَ وَلَا أَرْضَ وَلَا مَكَانَ وَلَا لَيْلَ وَلَا نَهَارَ وَلَا شَمْسَ وَلَا قَمَرَ يَفْصِلُ نُورُنَا مِنْ نُورِ رَبَّنَا كَشُعَاعِ الشَّمْسِ مِنَ الشَّمْسِ، نُسَبِّحُ اللَّهَ تَعَالَى وَنُقَدِّسُهُ وَنُحَمِّدُهُ وَنُعْبُدُهُ حَقَّ عِبَادَتِهِ، ثُمَّ بَدَأَ اللَّهُ تَعَالَى عَزَّ

(١) الآيات الباهرة في العترة الطاهرة، ٧٥٠.

(٢) معاني الأخبار، ٣٥١.

وَجَلَّ أَنْ يَخْلُقَ الْمَكَانَ فَخَلَقَهُ وَكَتَبَ عَلَى الْمَكَانِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، عَلِيُّ
 أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَوَصِيَّهُ بِهِ أَيَّدْتُهُ وَنَصَرْتُهُ، ثُمَّ خَلَقَ اللَّهُ الْعَرْشَ فَكَتَبَ عَلَى سُرَادِقَاتِ
 الْعَرْشِ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ فَكَتَبَ عَلَى أَطْرَافِهَا مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ خَلَقَ
 الْجَنَّةَ وَالنَّارَ فَكَتَبَ عَلَيْهَا مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ خَلَقَ الْمَلَائِكَةَ وَأَسْكَنَهُمُ السَّمَاءَ، ثُمَّ تَرَاءَى
 لَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى وَأَخَذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالنُّبُوَّةِ
 وَلِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْوِلَايَةِ فَاضْطَرَبَتْ فَرَائِضُ الْمَلَائِكَةِ فَسَخِطَ اللَّهُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ
 وَاجْتَجَبَ عَنْهُمْ فَلَاذُوا بِالْعَرْشِ سَبْعَ سِنِينَ يَسْتَجِيرُونَ اللَّهَ مِنْ سَخَطِهِ وَيُقِرُّونَ
 بِمَا أَخَذَ عَلَيْهِمْ وَيَسْأَلُونَهُ الرِّضَا فَرَضِيَ عَنْهُمْ بَعْدَمَا أَقْرَأُوا بِذَلِكَ، وَأَسْكَنَهُمْ بِذَلِكَ
 الْإِقْرَارِ السَّمَاءَ وَاجْتَنَصَهُمْ لِنَفْسِهِ وَاجْتَنَزَهُمْ لِعِبَادَتِهِ، ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْوارَنَا أَنْ نُسَبِّحَ
 فَسَبَّحَتْ فَسَبَّحُوا بِتَسْبِيحِنَا، وَلَوْلَا تَسْبِيحُ أَنْوارِنَا مَا دَرَوْا كَيْفَ يُسَبِّحُونَ اللَّهَ وَلَا
 كَيْفَ يُقَدِّسُونَهُ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ أَهْوَاءَ فَكَتَبَ عَلَيْهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ
 رَسُولُ اللَّهِ عَلِيُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَوَصِيَّهُ بِهِ أَيَّدْتُهُ وَنَصَرْتُهُ، ثُمَّ خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ وَأَسْكَنَهُمْ
 أَهْوَاءَ وَأَخَذَ الْمِيثَاقَ مِنْهُمْ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالنُّبُوَّةِ وَلِعَلِيِّ عَلَيْهِ
 السَّلَامُ بِالْوِلَايَةِ، فَأَقْرَأَ مِنْهُمْ بِذَلِكَ مَنْ أَقْرَأَ وَجَحَدَ مِنْهُمْ مَنْ جَحَدَ، فَأَوَّلُ مَنْ جَحَدَ
 إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللَّهُ فَحْتِمَ لَهُ بِالشَّقَاوَةِ وَمَا صَارَ إِلَيْهِ، ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَزَّ وَجَلَّ أَنْوارَنَا
 أَنْ نُسَبِّحَ فَسَبَّحَتْ فَسَبَّحُوا بِتَسْبِيحِنَا، وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا دَرَوْا كَيْفَ يُسَبِّحُونَ اللَّهَ، ثُمَّ
 خَلَقَ اللَّهُ الْأَرْضَ فَكَتَبَ عَلَى أَطْرَافِهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ عَلِيُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
 وَوَصِيَّهُ بِهِ أَيَّدْتُهُ وَنَصَرْتُهُ، فَبِذَلِكَ يَا جَابِرُ قَامَتِ السَّمَاوَاتُ بِغَيْرِ عَمَدٍ وَتَبَتِ الْأَرْضُ،

ثُمَّ خَلَقَ اللهُ تَعَالَى آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أَدِيمِ الْأَرْضِ فَسَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ،
ثُمَّ أَخْرَجَ ذُرِّيَّتَهُ مِنْ صُلْبِهِ فَأَخَذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ لَهُ بِالرَّبُوبِيَّةِ وَلِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَأَلِهِ بِالنَّبُوءَةِ وَلِعَلِّيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْوِلَايَةِ، أَقَرَّ مِنْهُمْ مَنْ أَقَرَّ وَجَحَدَ مَنْ جَحَدَ فَكُنَّا
أَوَّلَ مَنْ أَقَرَّ بِدَلِّكَ، ثُمَّ قَالَ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَعَلُو شَأَنِي
لَوْلَاكَ وَلَوْلَا عَلِيٌّ وَعِزَّتُكُمَا أَهَادُونَ الْمُهْدِيُونَ الرَّاشِدُونَ مَا خَلَقْتُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَلَا
الْمَكَانَ وَلَا الْأَرْضَ وَلَا السَّمَاءَ وَلَا الْمَلَائِكَةَ وَلَا خَلْقًا يَعْبُدُنِي، يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ خَلِيلِي
وَحَبِيبِي وَصَفِيِّي وَخَيْرِي مِنْ خَلْقِي، أَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَيَّ وَأَوَّلُ مَنْ ابْتَدَأَتْ إِخْرَاجَهُ
مِنْ خَلْقِي، ثُمَّ مِنْ بَعْدِكَ الصَّدِيقُ عَلِيُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَصِيكَ بِهِ أَبَدْتُكَ وَنَصَرْتُكَ
وَجَعَلْتُهُ الْعُرْوَةَ الْوُثْقَى وَنُورَ أَوْلِيَائِي وَمَنَارَ أَهْدَى، ثُمَّ هُوَ لِأَهْلِ الْهُدَاةِ الْمُهْتَدُونَ مِنْ
أَجْلِكُمْ ابْتَدَأَتْ خَلَقَ مَا خَلَقْتُ وَأَنْتُمْ خِيَارُ خَلْقِي فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ خَلْقِي، خَلَقْتُكُمْ
مِنْ نُورٍ عَظَمْتَنِي وَاحْتَجْتُ بِكُمْ عَمَّنْ سِوَاكُمْ مِنْ خَلْقِي، وَجَعَلْتُكُمْ أَسْتَقْبَلُ بِكُمْ
وَأَسْأَلُ بِكُمْ، فَكُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهِي وَأَنْتُمْ وَجْهِي لَا تَبِيدُونَ وَلَا تَهْلِكُونَ وَلَا
يَبِيدُ وَلَا يَهْلِكُ مَنْ تَوَلَّكُمْ، وَمَنْ اسْتَقْبَلَنِي بِغَيْرِكُمْ فَقَدْ ضَلَّ وَهَوَى وَأَنْتُمْ خِيَارُ
خَلْقِي وَحَمَلَةُ سِرِّي وَخُزَّانُ عِلْمِي، وَسَادَةُ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَأَهْلِ الْأَرْضِ، ثُمَّ إِنَّ
اللهَ تَعَالَى هَبَطَ إِلَى الْأَرْضِ فِي ظُلْمٍ مِنَ الْعَمَامِ وَالْمَلَائِكَةِ وَأَهْبَطَ أَنْوَارَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ
مَعَهُ وَأَوْقَفَنَا نُورًا صُفُوفًا بَيْنَ يَدَيْهِ نُسَبِّحُهُ فِي أَرْضِهِ كَمَا سَبَّحْنَاهُ فِي سَمَاوَاتِهِ وَنَقَدَّسُهُ
فِي أَرْضِهِ كَمَا قَدَّسْنَاهُ فِي سَمَائِهِ وَنَعْبُدُهُ فِي أَرْضِهِ كَمَا عَبَدْنَاهُ فِي سَمَائِهِ، فَلَمَّا أَرَادَ اللهُ
إِخْرَاجَ ذُرِّيَّةِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَخِيذِ الْمِيثَاقِ سَلَكَ ذَلِكَ النُّورَ فِيهِ، ثُمَّ أَخْرَجَ ذُرِّيَّتَهُ مِنْ

صَلْبِهِ يُلْبُونَ فَسَبَّحْنَاهُ فَسَبَّحُوا بِتَسْبِيحِنَا، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَادَرَوْا كَيْفَ يُسَبِّحُونَ اللَّهَ عَزَّ
وَجَلَّ، ثُمَّ تَرَاءَى هُمْ بِأَخْذِ الْمِيثَاقِ مِنْهُمْ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَكُنَّا أَوَّلَ مَنْ قَالَ: بَلَى عِنْدَ قَوْلِهِ:
﴿الَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾، ثُمَّ أَخَذَ الْمِيثَاقَ مِنْهُمْ بِالنُّبُوَّةِ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلِعَلِّيٍّ
عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْوَلَايَةِ، فَأَقْرَ مَنْ أَقَرَّ وَجَحَدَ مَنْ جَحَدَ.

ثُمَّ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فَنَحْنُ أَوَّلُ خَلْقِ اللَّهِ وَأَوَّلُ خَلْقِ عَبْدِ اللَّهِ وَسَبَّحَهُ،
وَنَحْنُ سَبَبُ خَلْقِ الْخَلْقِ، وَسَبَبُ تَسْبِيحِهِمْ وَعِبَادَتِهِمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَدَمِيِّينَ، فَبِنَا
عَرَفَ اللَّهُ وَبِنَا وَحَدَّ اللَّهُ وَبِنَا عُيِدَ اللَّهُ، وَبِنَا أَكْرَمَ اللَّهُ مَنْ أَكْرَمَ مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ، وَبِنَا
أَثَابَ مَنْ أَثَابَ وَبِنَا عَاقَبَ مَنْ عَاقَبَ، ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ*
وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾، وَقَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ
الْعَابِدِينَ﴾، فَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَوَّلُ مَنْ عَبَدَ اللَّهَ تَعَالَى، وَأَوَّلُ مَنْ أَنْكَرَ
أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ أَوْ شَرِيكَ، ثُمَّ نَحْنُ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ، ثُمَّ أَوْدَعَنَا بِذَلِكَ النُّورِ صُلْبَ
آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَمَا زَالَ ذَلِكَ النُّورُ يَنْتَقِلُ مِنَ الْأَصْلَابِ وَالْأَرْحَامِ مِنْ صُلْبِ
إِلَى صُلْبِ، وَلَا اسْتَقَرَّ فِي صُلْبِ إِلَّا تَبَيَّنَ عَنِ الَّذِي انْتَقَلَ مِنْهُ انْتِقَالُهُ وَشَرَّفَ الَّذِي
اسْتَقَرَّ فِيهِ، حَتَّى صَارَ فِي صُلْبِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَوَقَعَ بِأُمِّ عَبْدِ اللَّهِ فَاطِمَةَ فَأَفْتَرَقَ النُّورُ
جُزْءَيْنِ جُزْءٍ فِي عَبْدِ اللَّهِ وَجُزْءٍ فِي أَبِي طَالِبٍ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَقَلَّبَكَ فِي
السَّاجِدِينَ﴾ يَعْنِي فِي أَصْلَابِ النَّبِيِّينَ وَأَرْحَامِ نِسَائِهِمْ، فَعَلَى هَذَا أَجْرَانَا اللَّهُ تَعَالَى

في الأضلاب والأرحام وولدنا الأباء والأمهات من لدن آدم عليه السلام»^(١).

ومنها، ما روى الشيخ الصدوق عن الإمام الرضا عن أبائه عن أمير المؤمنين عليهم السلام، «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليّ لو لا نحن ما خلق الله آدم عليه السلام ولا الحواء ولا الجنة ولا النار ولا السماء ولا الأرض، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سبقناهم إلى معرفة ربنا وتسيحجه وهليليه وتقديسه؛ لأن أول ما خلق الله عز وجل أرضاً فأناطقها بتوحيده وتمجيدِهِ»^(٢).

ومنها، عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «... فأوحى الله إليّ يا محمد إني أطلعت إلى الأرض أطلاعاً فاخترتُك منها فجعلتُك نبياً، ثم أطلعتُ ثانياً فاخترتُ منها عليّاً فجعلتُهُ وصيِّك ووارثَ علمك والإمامَ بعدك، وأخرج من أضلابكما الذرية الطاهرة والأئمة المعصومين خزانَ علمي، فلولاكم ما خلقتُ الدنيا ولا الآخرة ولا الجنة ولا النار، يا محمد أتحب أن تراهم؟ قلت: نعم يا رب، فنوديتُ يا محمد ارفع رأسك، فرفعتُ رأسي فإذا أنا بأنوارِ عليّ والحسن والحسين وعليّ بن الحسين ومحمد بن عليّ وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعليّ بن موسى ومحمد بن عليّ وعليّ بن محمد والحسن بن عليّ والحجة بتلاً من بينهم كأنه كوكبٌ دريٌّ، فقلت: يا رب من هؤلاء ومن هذا؟ قال: يا محمد هم الأئمة بعدك المطهرون

(١) بحار الأنوار، ١٧: ٢٥، ومدينة معاجز الأئمة (عليهم السلام) للسيد البحراني، ٢: ٣٧١.

(٢) عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، ١: ٢٦٢.

مِنْ صُلبِكَ وَهُوَ الْحِجَّةُ الَّذِي يَمَلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا ﴿ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١) (٢).

ومنها، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْفَضْلِ الْهَاشِمِيِّ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسًا وَعِنْدَهُ عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ بَشِيرًا، مَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ خَلْقٌ أَحَبَّ إِلَيَّ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنِّي، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى شَقَّ لِي اسْمًا مِنْ أَسْمَائِهِ، فَهُوَ مُحَمَّدٌ وَأَنَا مُحَمَّدٌ، وَشَقَّ لَكَ يَا عَلِيُّ اسْمًا مِنْ أَسْمَائِهِ فَهُوَ الْعَلِيُّ الْأَعْلَى وَأَنْتَ عَلِيٌّ، وَشَقَّ لَكَ يَا حَسَنُ اسْمًا مِنْ أَسْمَائِهِ فَهُوَ الْمُحْسِنُ وَأَنْتَ حَسَنٌ، وَشَقَّ لَكَ يَا حُسَيْنُ اسْمًا مِنْ أَسْمَائِهِ فَهُوَ ذُو الْإِحْسَانِ وَأَنْتَ حُسَيْنٌ، وَشَقَّ لَكَ يَا فَاطِمَةُ اسْمًا مِنْ أَسْمَائِهِ فَهُوَ الْفَاطِرُ وَأَنْتِ فَاطِمَةُ، ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُكَ أَنِّي سَلِمٌ لِمَنْ سَالَهُمْ وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَهُمْ وَمُحِبٌّ لِمَنْ أَحَبَّهُمْ وَمُبْغِضٌ لِمَنْ أَبْغَضَهُمْ وَعَدُوٌّ لِمَنْ عَادَاهُمْ وَوَلِيٌّ لِمَنْ وَالَاهُمْ لِأَنَّهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ» (٣).

ومنها؛ عَنْ حَفْصِ بْنِ غِيَاثِ النَّخَعِيِّ الْقَاضِي عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «جَاءَ إِبْلِيسُ إِلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ يُنَاجِي رَبَّهُ، فَقَالَ لَهُ مَلَكٌ مِنْ

(١) سورة التوبة، الآية: ١٤.

(٢) كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر، ٧٣.

(٣) معاني الأخبار، النص: ٥٥-٥٦، ح ٣.

الملائكة: ما ترجو منه وهو على هذه الحال يُناجي ربه؟ فقال: أَرْجُو مِنْهُ مَا رَجَوْتُ مِنْ أَبِيهِ آدَمَ وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ، وَكَانَ فِيهَا نَاجَاهُ أَنْ قَالَ لَهُ: يَا مُوسَى لَا أَقْبِلُ الصَّلَاةَ إِلَّا لِمَنْ تَوَاضَعَ لِعَظْمَتِي وَالزَّمَّ قَلْبَهُ خَوْفِي وَقَطَعَ نَهَارَهُ بِذِكْرِي، وَلَمْ يَبْتَ مُصِرًّا عَلَى الْخَطِيئَةِ وَعَرَفَ حَقَّ أَوْلِيَانِي وَأَحِبَّائِي، فَقَالَ: يَا رَبِّ تَعْنِي بِأَحِبَّائِكَ وَأَوْلِيَانِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ؟ فَقَالَ: هُمْ كَذَلِكَ يَا مُوسَى، إِلَّا أَنِّي أَرَدْتُ مَنْ مِنْ أَجْلِيهِ خَلَقْتُ آدَمَ وَحَوَاءَ، وَمَنْ مِنْ أَجْلِيهِ خَلَقْتُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، فَقَالَ مُوسَى: وَمَنْ هُوَ يَا رَبِّ؟ فَقَالَ: مُحَمَّدٌ أَحْمَدُ شَقَقْتُ اسْمَهُ مِنْ اسْمِي لِأَنِّي أَنَا الْمُحْمُودُ، فَقَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ اجْعَلْنِي مِنْ أُمَّتِهِ، قَالَ: أَنْتَ يَا مُوسَى مِنْ أُمَّتِهِ إِذَا عَرَفْتَهُ وَعَرَفَتْ مَنَزِلَتَهُ وَمَنَزِلَةَ أَهْلِ بَيْتِهِ، إِنَّ مَثَلَهُ وَمَثَلِ أَهْلِ بَيْتِهِ وَمَنْ خَلَقْتُ كَمَثَلِ الْفِرْدَوْسِ فِي الْجِنَانِ، لَا يَبْسُ وَرَقُهَا وَلَا يَتَغَيَّرُ طَعْمُهَا، فَمَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفَ حَقَّهُمْ جَعَلْتُ لَهُ عِنْدَ الْجَهْلِ حِلْمًا وَعِنْدَ الظُّلْمِ نُورًا، وَأُجِيبُهُ قَبْلَ أَنْ يَدْعُونِي وَأُعْطِيهِ قَبْلَ أَنْ يَسْأَلَنِي»^(١).

وما يؤيد هذه الحقيقة هو ما أوجهه الله تعالى وفرضه على الأمة من المودة لمحمد وآل محمد صلوات الله وسلامه عليهم: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾^(٢).

وتقريب الجواب في الآية المباركة، لماذا أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه

(١) معاني الأخبار، النص، ٥٤: ح ١.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٢٣.

وآله أن يطلب من أُمَّته الأجر على تبليغ الرسالة وهو مودَّة أهل بيته بشكل ملزم وعمليٍّ وعلميٍّ؟

لما كانت رسالة الإسلام أشرف الرسالات ونبيُّ الإسلام أشرف الأنبياء وأهل بيته أشرف أهل الأنبياء، وأُمَّته أفضل الأمم، فيكون هذا الفرض على الأُمَّة أهم الفروض لكون (الحب) صفوة دين الإسلام الذي ختم بها رسالته، كما جاء في الرواية: عَنْ قُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ الْحُبِّ وَالْبُغْضِ، أَمِنَ الْإِيمَانِ هُوَ؟ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَهَلِ الْإِيمَانُ إِلَّا الْحُبُّ وَالْبُغْضُ»^(١).

ولذلك وجبت محبتهم على الناس جزاءً لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى أَتْعَابِهِ فِي هِدَايَتِهِمْ، وَشُكْرًا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ عَلَى نِعْمَةِ الْهُدَايَةِ لِدِينِ الْإِسْلَامِ الَّتِي هِيَ أَفْضَلُ النِّعَمِ الْإِلَهِيَّةِ.

ومن هنا تتضح العلاقة بين الغاية من إيجاد المخلوقات وهي (الحب) لآل محمد، وبين وجوب (المودَّة) لهم يكشف بأن محبتهم هي العمود الفقري للدين وهدف الدِّين، وغاية ما في الوجود!

كما أنَّه من الدواعي الأساسيَّة لوجوب المودَّة لأهل البيت عليهم السَّلَامُ أَنَّ مَنْ يَدْعِي أَنَّهُ يَحِبُّ اللَّهَ لَا بُدَّ أَنْ يَحِبَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَيَتَّبِعَهُ فِي مَحَبَّةِ عِزَّتِهِ وَيَتَّبِعَهُ فِي أَمْرِهِ إِيَاهُمْ بِذَلِكَ، وَشَاهِدَ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ

(١) المحاسن، ١: ٢٦٣، ٣٢٦.

تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴿١﴾

ومن علل وأسباب الحبِّ لهم أن حبَّهم علامة فارقة في صدق الإيمان وعدمه، ومن طبيعة المؤمن ينجذب لهم طوعاً بقلبه (بالحبِّ)، حيث أعطى ميثاقه من قبل في عالم الدر، ففطر الله عزَّ وجلَّ قلوب المؤمنين على محبتهم وزينه في قلوبهم، فهم يأنسون بمحبتهم ويظهرون مودَّتهم، وهذه علامة واضحة وفارقة بين من هو صادق في دعواه في اتباع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَبَيْنَ مَنْ يَدَّعِي أَنَّهُ مُؤْمِنٌ يَحِبُّ اللهُ وَرَسُولَهُ.

عن زياد الخدَّاءِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي حَدِيثٍ لَهُ قَالَ: «يَا زِيَادُ وَنَحْكُ وَهَلِ الدِّينُ إِلَّا الْحُبُّ، أَوْ لَا تَرَى إِلَى قَوْلِ اللَّهِ ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾، أَوْ لَا تَرَى قَوْلَ اللَّهِ لِحَمِيدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: ﴿حَبِّبْ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾، وَقَالَ: «يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ»، فَقَالَ: الدِّينُ هُوَ الْحُبُّ وَالْحُبُّ هُوَ الدِّينُ» (٢).

ويشهد على ذلك ما جاء عن مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «أَحِبُّوا اللَّهَ لِمَا يَغْدُوكُمْ بِهِ مِنْ نِعْمَةٍ،

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(٢) المحاسن، ١: ٢٦٣، ٢٢٧.

وَأَحِبُّونِي لِحُبِّ اللَّهِ، وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي لِحُبِّي»^(١).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ وَكَانَ يُعْجِبُنَا أَنْ يَأْتِيَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ؛ يَسْأَلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى قِيَامُ السَّاعَةِ؟ فَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ، فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ قَالَ: «أَيُّ السَّائِلِ عَنِ السَّاعَةِ»، قَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَمَا أَعَدَدْتُ لَهَا؟»، قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَعَدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ عَمَلٍ، لَا صَلَاةَ وَلَا صَوْمٍ، إِلَّا أَنِّي أَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»، قَالَ أَنَسٌ: فَمَا رَأَيْتُ الْمُسْلِمِينَ فَرِحُوا بَعْدَ الْإِسْلَامِ بِشَيْءٍ أَشَدَّ مِنْ فَرِحِهِمْ بِهَذَا^(٢).

من هنا أصبح الحبُّ للعترة الطاهرة الميزان الأوضح بين الإيمان والنفاق، والطهارة والفجور، والامتحان الأكبر، والحدُّ الفاصل بين صدق اتباع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي مَحَبَّتِهِ لِأَهْلِ بَيْتِهِ وَبَيْنَ كَذِبِ الْأَدْعَاءِ، وَبَيْنَ الْإِسْتِقَامَةِ وَالْإِنْحِرَافِ عَنِ الْجَادَةِ.

فقد صرَّح رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي حَيَاتِهِ أَنْ حُبَّ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ علامة الإيمان وبغضه علامة النفاق، وصار من المعروف عند الصحابة لمن يريد أن يعرف ابنه منه أو من غيره يعرض حُبَّ أمير المؤمنين عليه السَّلَامُ عَلَيْهِ، فَإِنْ قَبِلَهُ

(١) علل الشرائع، ١: ١٤٠.

(٢) المصدر نفسه.

كان كذلك، وإن أنكره عرف خيانة أمه، وبهذا المعنى وردت أخبار كثيرة:

روى الصدوق بسنده عن زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ عَنِ أَبِيهِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنِ أَبِيهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَنِ أَبِيهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: يَا عَلِيُّ مَنْ أَحَبَّنِي وَأَحَبَّكَ وَأَحَبَّ الْأُمَّةَ مِنْ وُلْدِكَ فَلْيَحْمِدِ اللَّهَ عَلَى طَيْبِ مَوْلِدِهِ، فَإِنَّهُ لَا يُحِينَا إِلَّا مُؤْمِنٌ طَابَتْ وِلَادَتُهُ، وَلَا يُبْغِضُنَا إِلَّا مَنْ حَبَّتْ وِلَادَتُهُ»^(١).

وروى بسنده عن أَبِي الزُّبَيْرِ الْمَكِّيِّ قَالَ: رَأَيْتُ جَابِرًا مَتَوَكَّنًا عَلَى عَصَاهُ وَهُوَ يَدُورُ فِي سِكَكِ الْأَنْصَارِ وَمَجَالِسِهِمْ وَهُوَ يَقُولُ: عَلِيُّ خَيْرُ الْبَشَرِ فَمَنْ أَبِي فَقَدْ كَفَرَ، يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَدْبُوا أَوْلَادَكُمْ عَلَى حُبِّ عَلِيٍّ فَمَنْ أَبِي فَانظُرُوا فِي شَأْنِ أُمِّهِ^(٢).

وروى بسنده عن الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ عَنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ وَجَدَ بَرْدَ حُبِّنَا عَلَى قَلْبِهِ فَلْيَكْثِرِ الدُّعَاءَ لِأُمِّهِ؛ فَإِنَّهَا لَمْ تَحْنُ أَبَاهُ»^(٣).

وروى بسنده عن جَابِرِ الْجُعْفِيِّ عَنِ إِبْرَاهِيمَ الْقُرَشِيِّ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ لِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَا يُبْغِضُكُمْ إِلَّا ثَلَاثَةٌ: وَوَلَدُ زَنَا، وَمُنَافِقٌ، وَمَنْ حَمَلَتْ بِهِ أُمُّهُ وَهِيَ حَائِضٌ»^(٤).

(١) علل الشرائع، ١: ١٤٢، ح ٣.

(٢) المصدر نفسه: ح ٤.

(٣) المصدر نفسه: ح ٥.

(٤) المصدر نفسه: ح ٦.

وروى بسنده عن مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أَبْشِرْ يَا عَلِيُّ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ عَهَدَ إِلَيَّ أَنَّهُ لَا يُحِبُّكَ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يُبْغِضُكَ إِلَّا مُنَافِقٌ»^(١)

عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ: اعْرِضُوا حُبَّ عَلِيٍّ عَلَى أَوْلَادِكُمْ، فَمَنْ أَحَبَّهُ فَهُوَ مِنْكُمْ، وَمَنْ لَمْ يُحِبَّهُ فَاسْأَلُوا أُمَّهُ مِنْ أَيْنَ جَاءَتْ بِهِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: «لَا يُحِبُّكَ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يُبْغِضُكَ إِلَّا مُنَافِقٌ أَوْ وَلَدَ زَنِيَةٍ أَوْ حَمَلْتَهُ أُمُّهُ وَهِيَ طَامِثٌ»^(٢).

عَنْ زَيْدِ بْنِ نَابِتٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «مَنْ أَحَبَّ عَلِيًّا فِي حَيَاتِي وَبَعْدَ مَوْتِي كَتَبَ اللَّهُ لَهُ الْأَمْنَ وَالْإِيمَانَ مَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ أَوْ غَرَبَتْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُ فِي حَيَاتِي وَبَعْدَ مَوْتِي مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً وَحُوسِبَ بِهَا عَمِلٌ»^(٣).

وما يؤيد ذلك الروايات الدالة على أنهم أول مخلوقات الله في عالم الأنوار والأرواح - وقد أوردنا بعضها في الفصل السابق - ومن نورهم أفاض رب العالمين هذا الوجود بها فيه، وجعلهم علة الموجودات، وتشهد على هذه الحقيقة جملة من الروايات، ومنها: ما رواه العلامة المجلسي بسنده إلى أنس بن مالك، قال: بينا

(١) الأمالي للصدوق: ١٣٤، ح ٢.

(٢) علل الشرائع، ١: ١٤٥، ح ١٢.

(٣) المصدر نفسه: ١٤٤، ح ١٠.

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ صَلَّى صَلَاةَ الْفَجْرِ ثُمَّ اسْتَوَى فِي مِحْرَابِهِ كَالْبَدْرِ فِي تَمَامِهِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُفَسِّرَ لَنَا هَذِهِ آيَةَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾^(١)، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «أَمَّا النَّبِيُّونَ فَأَنَا، وَأَمَّا الصِّدِّيقُونَ فَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا الشُّهَدَاءُ فَعَمِّي حَمْزَةُ، وَأَمَّا الصَّالِحُونَ فَأَبْتِي فَاطِمَةُ وَوَلَدَاهَا الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ»، فَتَهَضَّ الْعَبَّاسُ مِنْ زَاوِيَةِ الْمَسْجِدِ إِلَى بَيْنِ يَدَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَسْتُ أَنَا وَأَنْتَ وَعَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ مِنْ بَنِيهِ وَوَاحِدٌ؟ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «وَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ يَا عَمَّاهُ؟»، قَالَ: لِأَنَّكَ لَمْ تَذْكُرْنِي حِينَ ذَكَرْتَهُمْ وَلَمْ تُشَرِّفْنِي حِينَ شَرَّفْتَهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «يَا عَمَّاهُ أَمَا قَوْلُكَ أَنَا وَأَنْتَ وَعَلِيٌّ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ مِنْ بَنِيهِ وَوَاحِدٌ فَصَدَقْتَ، وَلَكِنْ خَلَقْنَا اللَّهُ نَحْنُ حَيْثُ لَا سَمَاءَ مَبْنِيَّةٌ وَلَا أَرْضَ مَدْحِيَّةٌ وَلَا عَرْشَ وَلَا جَنَّةَ وَلَا نَارَ، كُنَّا نُسَبِّحُهُ حِينَ لَا تَسْبِيحَ، وَنُقَدِّسُهُ حِينَ لَا تَقْدِيسَ، فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ بَدْءَ الصَّنْعَةِ فَتَقَّ نُورِي فَخَلَقَ مِنْهُ الْعَرْشَ، فَنُورُ الْعَرْشِ مِنْ نُورِي وَنُورِي مِنْ نُورِ اللَّهِ وَأَنَا أَفْضَلُ مِنَ الْعَرْشِ، ثُمَّ فَتَقَّ نُورَ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ فَخَلَقَ مِنْهُ الْمَلَائِكَةَ فَنُورُ الْمَلَائِكَةِ مِنْ نُورِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ^(٢) وَنُورُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ مِنْ نُورِ اللَّهِ وَنُورُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ أَفْضَلُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَفَتَقَّ نُورَ ابْنَتِي فَاطِمَةَ مِنْهُ فَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فَنُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ نُورِ ابْنَتِي فَاطِمَةَ وَنُورُ

(١) سورة النساء، الآية: ٦٨.

(٢) في النسخة المصححة: فنور الملائكة من ابن أبي طالب.

فَاطِمَةٌ مِنْ نُورِ اللَّهِ وَفَاطِمَةٌ أَفْضَلُ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، ثُمَّ فَتَقَ نُورَ الْحَسَنِ فَخَلَقَ مِنْهُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ فَتَوَّرَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ مِنْ نُورِ الْحَسَنِ وَنُورَ الْحَسَنِ مِنْ نُورِ اللَّهِ وَالْحَسَنُ أَفْضَلُ مِنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، ثُمَّ فَتَقَ نُورَ الْحَسَنِ فَخَلَقَ مِنْهُ الْجَنَّةَ وَالْحُورَ الْعَيْنِ فَتَوَّرَ الْجَنَّةَ وَالْحُورَ الْعَيْنِ مِنْ نُورِ الْحَسَنِ وَنُورَ الْحَسَنِ مِنْ نُورِ اللَّهِ وَالْحَسَنُ أَفْضَلُ مِنَ الْجَنَّةِ وَالْحُورِ الْعَيْنِ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الظُّلْمَةَ بِالقُدْرَةِ فَأَرْسَلَهَا فِي سَحَابِ البَصْرِ فَقَالَتِ المَلَائِكَةُ: سُبُوْحُ قُدُوسٍ رَبَّنَا مُذْ عَرَفْنَا هَذِهِ الْأَشْبَاحَ مَا رَأَيْنَا سُوءًا، فَبِحُرْمَتِهِمْ إِلَّا كَشَفْتَ مَا نَزَلَ بِنَا، فَهَذَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى قَنَادِيلَ الرَّحْمَةِ وَعَلَقَهَا عَلَى سُرَادِقِ العَرْشِ، فَقَالَتْ: إِهْنَا لِمَنْ هَذِهِ الفُضَيْلَةُ وَهَذِهِ الأنْوَارُ؟ فَقَالَ: هَذَا نُورُ أُمَّتِي فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ، فَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ أُمَّتِي^(١) الزَّهْرَاءِ؛ لِأَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِنُورِهَا ظَهَرَتْ وَهِيَ ابْنَةُ نَبِيِّ وَرَوْجَةُ وَصِيِّ وَحُجَّتِي عَلَى خَلْقِي، أَشْهَدُكُمْ يَا مَلَائِكَتِي أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ ثَوَابَ تَسْبِيحِكُمْ وَتَقْدِيسِكُمْ لِهَذِهِ المُرَاةِ وَشِعْبَتِهَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ نَهَضَ العَبَّاسُ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَقَبَّلَ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَقَالَ: يَا عَلِيُّ لَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ حُجَّةً بَالِغَةً عَلَى العِبَادِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ^(٢).

ومن هنا يتبين أهمية هذه الرسالة من رب العالمين التي خاطب بها ملائكته؛ هي بالضرورة للناس جميعاً بأن غاية إيجاد هذا الوجود هو لمحبة محمد وآل محمد، وهو لا يدع حجة لأحد بعد هذا التصريح.

(١) في النسخة المصححة: [سميت ابنتي الزهراء] ولعل فيه تصحيف.

(٢) بحار الأنوار (ط - بيروت)، ١٧: ٢٥، ح ٣٠.

ومن الجدير بالذكر أنّ إخبار الله ملائكته بخلق وجعلهم خلفاءه على الأرض ليس ليعلموا بفضل الخمسة من أهل الكساء فقط، وإنّما ليقرّوا بفضلهم وولايتهم وطاعتهم ويأتمّوا بهم، وهذا لعمري من أكبر الحجج على سائر الخلق، حيث إنّ الملائكة وهم أفضل الخلق عرفوا ذلك، فسجدوا لأدم من قبل حباً وكرامة وإقراراً بفضلهم، وقد بادر جبرائيل فوراً بالسؤال من الله عزّ وجلّ لمعرفة ثمّ الاستئذان بالهبوط إلى الأرض ليشرّف بالدخول معهم تحت الكساء.

كيف عرف الله عزّ وجلّ الخمسة من أهل الكساء لجبرائيل عليه السلام؟

لما كان المقام الذي أعطاه الله سبحانه لأهل الكساء مقاماً خطيراً وعظيماً وشرفاً كبيراً، وهو موضع للحسد من النفوس الضيقة، ومدعاة لطمع الطامعين وأدعاء المدّعين، أو تشكيك المشكّكين، أو إنكار المبغضين، عرف هؤلاء الخمسة الكرام بشكل دقيق لا يقبل التلاعب من قبل المحرّفين والمزيّفين، فوضع خمسة قيود وصفات تحصر هذا المقام فيهم، ولا تنطبق على غيرهم وهي:

١- (هؤلاء الخمسة)،

حدّد عددهم بخمسة، وهذا حصر عددي، وأشار إليهم باسم الإشارة (هؤلاء).

٢- (الذين هم تحت الكساء)،

وهذا حصر مكاني للأشخاص الذين اشتملوا بالكساء، فلا يمكن إدخال أحد

معهم أبداً، نعم هذا المقام جارٍ في الأئمة التسعة من ولد الحسين عليه السلام بإرادة من الله عز وجل كما نصت عليه الروايات.

ولعل الحكمة من الاشتغال بالكساء وتكرار هذه الحادثة بالأسلوب نفسه في مناسبات متعددة ومنها الذي وقع في بيت أم سلمة:

أ- ليقدم لنا رسول الله صلى الله عليه وآله تطبيقاً عملياً حصرياً لأهل الكساء، لما منعها رسول الله صلى الله عليه وآله من الدخول معهم فقالت: وَأَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «أَنْتِ عَلَى خَيْرٍ»^(١)، فأبطل رسول الله صلى الله عليه وآله ادعاء أن الآية تشمل الزوجات.

ب- ولعل الحكمة من جريان هذه الحادثة في بيت أم سلمة لتكون شاهدة على ذلك، وخصوصاً أنها من الزوجات المخلصات لرسول الله صلى الله عليه وآله ولأهل بيته، حيث لم تتحسس وتزعج لمنعها من الدخول تحت الكساء.

ج- تكرار الحادثة بالاشتغال تحت الكساء في حادثة المباحلة، وفي بيت أم سلمة، وفي بيت فاطمة عليها السلام، وتكرار نزول آية التطهير هو تأكيد لترسيخ فضيلة أهل الكساء وأنها مسألة مخططة من الله، ويراد منها بيان مقام آية التطهير وليس الأمر قضية شخصية عائلية.

ولم يكتفِ جبرائيل عليه السلام بهذا التعريف الظاهري الذي وصفهم به، بل

(١) كمال الدين وقام النعمة للشيخ الصدوق، ١: ٢٧٨.

طلب من رب العزة أن يزداد معرفة بهم وبمقامهم وأسمائهم، فزاده الله معرفة بهم
حيث قال له:

٣- (هم أهل بيت النبوة)؛

حدّد نسبهم إلى بيت النبوة.

٤- (ومعدن الرسالة)؛

فحدّد مقامهم وموقعهم بالنسبة للرسالة الإلهية.

٥- (هم فاطمة وأبوها ويعلمها وبنوها)؛

فحدّد هويتهم وأشخاصهم.

عندها سرّ جبرائيل بهذه المعرفة الواضحة فتمنّى أن يتشرّف بخدمتهم والجلوس
ليكون معهم، ولعلّ شدة شوقه وحبّه لهم جعله يبادر ويستأذن الله عزّ وجلّ قبل
أن يأمره بالهبوط إلى الأرض ليكون سادساً، وإبلاغ رسالة الله عزّ وجلّ إليهم، لأنّ
العادة أنّ جبرائيل والملائكة يأمرهم الله ابتداءً ولكنّ الموقف ربما يتطلّب هذا النوع
من المبادرة؛ لإظهار شدة الطاعة والعبودية لله عزّ وجلّ من خلال إظهار المحبة
والولاء لمحمّد وآل محمّد عليهم السّلام بعدما كشف الله سبحانه وتعالى منزلة محمّد
وآله عنده بأنّهم غاية الخلق.

ولكن لماذا عرف الله أهل الكساء بعنوان فاطمة عليها السلام؟

هل هي مسألة بلاغية؟ أم هناك غاية أسمى من ذلك؟

لعل السرَّ في جعلها (صلوات الله عليها) محوراً؛ لأنَّ الملائكة كانوا قد عرفوا فاطمة عليها السلام حين كانوا في الظلمة، ثمَّ ببركة نور فاطمة عليها السلام خرجوا إلى النور، كما في حديث جابر، عن أبي عبد الله عليه السلام: قَالَ: قُلْتُ: لِمَ سُمِّيَتْ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ، زَهْرَاءُ؟ فَقَالَ: «لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَهَا مِنْ نُورِ عَظْمَتَيْهِ، فَلَمَّا أَشْرَقَتْ أَضَاءَتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِنُورِهَا، وَعَشِيَتْ أَبْصَارَ الْمَلَائِكَةِ، وَخَرَّتِ الْمَلَائِكَةُ لِلَّهِ سَاجِدِينَ، وَقَالُوا: إِهْنَا وَسَيِّدَنَا، مَا هَذَا النُّورُ؟ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِمْ: هَذَا نُورٌ مِنْ نُورِي، وَأَسْكَنْتُهُ فِي سَمَائِي، خَلَقْتُهُ مِنْ عَظْمَتِي أَخْرَجَهُ مِنْ صُلْبِ نَبِيِّ مِنْ أَنْبِيَائِي، أَفْضَلُهُ عَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَأَخْرَجَ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ أَيْمَّةً يَقُومُونَ بِأَمْرِي، يَهْدُونَ إِلَيَّ حَقِّي، وَأَجْعَلُهُمْ خُلَفَائِي فِي أَرْضِي بَعْدَ انْقِضَاءِ وَحْيِي»^(١).

ولربما كان السرُّ مفاد حديث: «لَوْلَاكَ لَمَا خَلَقْتُ الْأَفْلَاكَ...»^(٢)، أو لأجل أنَّ فاطمة (سلام الله عليها) تصلح أن تكون محوراً مباشراً بلا واسطة، بينما سائر المعصومين (عليهم الصلاة والسلام) إنَّما يتصل بعضهم ببعض بواسطة، ففاطمة عليها السلام وأبوها، وفاطمة عليها السلام وبعلمها، وفاطمة عليها السلام وبنوها،

(١) علل الشرايع للشيخ الصدوق، ١: ١٧٩.

(٢) مستدرک سفینه البحار، ٣: ٣٣٤، ونقله (عوالم العلوم)، ٢٦، عن (مجمع النورين)، و(من فقه

الزهراء (عليها السلام))، ١: ١٩.

بينما إذا أريد إبدال اسمها باسم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَالْإِذَا لَمْ يُقَالِ: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَابْنُ عَمِّهِ، وَيُقَالُ: مُحَمَّدٌ وَأَحْفَادُهُ وَكَذَلِكَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى عَلِيٍّ وَالْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَرُبَّمَا لِهَذِهِ الْجِهَةِ اقْتَضَتْ الْبَلَاغَةَ جَعَلَ (فَاطِمَةَ) عَلَيْهَا الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ) المحور في هذا الحديث الشريف.

وربما يكون السبب هو ما ورد في الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام: «هِيَ الصَّدِيقَةُ الْكُبْرَى وَعَلَى مَعْرِفَتِهَا دَارَتِ الْقُرُونُ الْأُولَى»^{(١)(٢)}.

(١) بحار الأنوار، ٤٣: ١٠٥.

(٢) من فقه الزهراء عليها السلام، ١: .



الفصل الخامس

رسالة من رب العزة

إلى رسول الله صلى الله عليه وآله

(بإجابة طلبه في أهل بيته

ونزول آية التطهير في حقهم)

الفصل الخامس: رسالة من رب العزة

وهي مفاد بحث قول جبرائيل عليه السَّلام للرسول الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:

«فَقَالَ لِأَيِّ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْحَى إِلَيْكُمْ يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾» (١).

هل دعاء النبي صلى الله عليه وآله هي العلة في نزول آية التطهير؟

هل دعاء النبي لأهل بيته عليهم السَّلام وهي العلة في نزول آية التطهير؟
وبمعنى آخر هل هي السبب التام لحصولهم على درجة الطهارة والعصمة؟ أم أن
دعائه كاشف عما أَرَادَهُ اللهُ مِنْ قَبْلُ؟ أو لأسباب أخرى؟

في الجواب عن هذا السؤال المهم لا بُدَّ من عرض مقدمتين:

المقدمة الأولى،

إنَّ اللهُ سبحانه وتعالى جعل لكلِّ نبيِّ دعوة مستجابة في نفسه وأهله وأُمَّته،
فآدم استجاب اللهُ دعوته فقبِلَ توبته بعد أن توسل بالكلمات، وزكريا استجاب اللهُ
دعوته فرزقه يحيى، وسليمان استجاب له بأن أعطاه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده،

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

ويعقوب ردّ الله عليه ولده يوسف عليه السّلام.

وهكذا نوح وموسى وصالح وشعيب وكثير من الأنبياء استجيبت دعوتهم في هلاك أعدائهم.. وأمّا إبراهيم فقد كانت له دعوات مهمّة ومصيريّة تتعلّق بمسيرة البشريّة نحو الهداية، كشف عنها القرآن الكريم في هذه الآيات المباركة من سورة البقرة: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (١٢٤) وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (١٢٥) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٢٦) وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾.

فبعد أن نجح في الامتحانات العظيمة التي امتحنه ربّ العالمين بها، قلّده وساماً عظيماً وهو وسام (الإمامة)، ومن فرحته بها طلبها لذريته، فاستجاب الله له هذا

(١) سورة البقرة، الآيات: ١٢٤-١٢٩.

الدعاء بشكل مشروط، وهو أن لا ينهاها ظالماً، ثم إنَّه دعا الله سبحانه وتعالى بعد أن فرغ هو وابنه إسماعيل من بناء البيت، بأن يجعل هذا البلد آمناً ويرزق أهله من الثمرات في ذريته، فقد طلب من الله سبحانه أن يجعل منهم أمة مسلمة، وأن يبعث فيهم رسولاً، فأجابه الله تعالى في دعواته كلها.

ومن ثمراتها أن بعث نبيّاً الأعظم من بني هاشم، وبالتحديد من بني عبد المطلب خاصة، وجعل في ذريته الإمامة إلى يوم القيامة، وقد جاء في الروايات ما يؤكد ويبين ذلك.

وهكذا الحال بالنسبة لنبيّنا الأعظم صلّى الله عليه وآله، فقد أعطي بإزاء كلّ الأنبياء وأكثر، حيث استُجيبت دعواته في أهله وذريته حيث طلب لهم ألا يفرّق بين القرآن وعترته إلى يوم القيامة، وطلب لهم أن يطهرهم الله تطهيراً، وكما أنّه طلب لعترته طلبات عامّة، وطلب لابنته فاطمة عليها السّلام خاصّة، ولوصيّيه عليّ عليه السّلام طلبات خاصّة لرفعة شأنه بين المسلمين وكمال دينه.

المقدمة الثانية،

إنّ الله سبحانه وتعالى هو الخالق المدبّر الحكيم العالم الخبير بمصالح خلقه، وما يحتاجون إليه من أمر التكوين والتشريع، وقد اختار لخلقهم نظاماً دقيقاً، ليس له في هذا التدبير والتقدير شريك ولا معين، ولا مشير ولا وزير، ولكنّه بعث فيهم أنبياء ورسلاً مبشرين ومنذرين، وجعل لهم أوصياء من ذراريهم كي يرشدوهم

ويهدوهم لتحقيق الغاية من خلقتهم، وهي تحقيق السعادة والرحمة والجنة، وقد أدب الله أوليائه فصاروا مظهراً لصفاته عباداً متواضعين مطيعين لإمره ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(١)، ومن تواضعهم ومعرفتهم بالله سبحانه وتعالى أنهم صاروا مسلمين لا يقترحون على الله ولا يطلبون منه أمراً ابتداءً إلا بإذنه ورضاه.

وبعد هاتين المقدمتين نقول: إن دعوات الأنبياء وطلباتهم من الله في أممهم وأهل بيتهم وخصوصاً نبينا الأعظم فيما يتعلّق بأهل بيته وأنه طلب لهم أن يظهرهم الله تحمّل على الوجوه التالية:

الوجه الأول،

من المعلوم أنّ الأنبياء والأوصياء لا يستقلون فيما يشاؤون ولا يعملون عملاً صغيراً ولا كبيراً إلا أن يشاء الله سبحانه وتعالى، فهم عارفون ومنقادون لتحقيق ما يريد الله ويرضاه، وعلى هذا المقياس يتوجهون إلى الله سبحانه بالدعاء لتحقيق ما يريد الله تعالى ويحبه.

الوجه الثاني،

لعلّ النبيّ صلى الله عليه وآله يعلم أنّ الله تعالى يريد إنزال آية التطهير في حقّه

(١) سورة التحريم، الآية: ٦.

أهل بيته، ومن المعلوم أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد أنزل عليه القرآن جملة واحدة في ليلة القدر، ولكنّه مأمور بما يطلبه الله سبحانه وتعالى منه؛ ولذا فهو يدعو الله تعالى لما يريد منه من باب تطبيق نظام الأسباب والوسائط القائم عليه الكون.

الوجه الثالث،

إن الله سبحانه وتعالى أراد إظهار كرامة ومنزلة حبيبه رسول الله صلى الله عليه وآله للعالمين من خلال تحقيق دعوته في أهل بيته.

الوجه الرابع،

إن الله تعالى أعطى مساحة في تقديراته التكوينية والتشريعية ضمن ملف مفتوح لنبيه صلى الله عليه وآله، ليطلب منه ويدعوه كما هو أمر ادعوني أستجب لكم، فإن من صفاته تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْبٍ﴾^(١)، و﴿يَمْنَحُوا اللَّهَ مَا يَشَاءُ وَيُنْثَبُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(٢)، ضمن نظام ما يعرف (بالبداء)، فإنه يحدث أمراً غير مقدر أو يمحو أمراً مثبتاً بمشيئة جديدة، أو يقدم أمراً مقدرًا أو يؤخره، ولذلك رسول الله صلى الله عليه وآله لعلمه بهذا النظام الرباني فإنه يدعو ويطلب من جوده وكرمه ورحمته الواسعة، لتحقيق غرض يرضاه ويحبه وفيه خير للدين وللعالمين.

ولذلك عندما يطلب لأهل بيته صلواته وبركاته ومغفرته ورضوانه ورحمته

(١) سورة الرحمن، الآية: ٢٩.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٣٩.

عليهم وأن يطهرهم تطهيراً، إنَّما لإعلاء شأنهم وقربهم عند الله تعالى، ويكون لمصلحة الدِّين ويكون نعم الهادين للعالمين.. ولعلَّ هذه الوجوه كلّها صحيحة ولا تعارض بينها وهي مطلوبة عند الله تعالى، والله العالم.

هذه الرسالة هي محور هذا الحديث والغاية منه حيث أجاب الله دعوة نبيّه في أهل بيته بتطهيرهم وإذهاب الرجس عنهم.. وهذه الرتبة التي تشرّفوا بها تُعدُّ من الركائز الأساسيّة التي ميّزت أهل البيت عليهم السّلام، والتي أهلتهم ليكونوا حجج الله على خلقه وأوصياء نبيّه وخلفاءه، وذلك لأنَّ التطهير من الله يعني أموراً مهمّة، ولإثبات هذه الحقيقة لا بُدَّ من التعرُّض لبحث الآية تفصيلاً.

بحث في آية التطهير

وهي قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(١).

وقد تناول كثير من العلماء والباحثين والمفسرين بحث هذه الآية المباركة بشكل مفصل نورد خلاصته، حيث يقع البحث في الآية المباركة في عدّة أمور:

الأول، ماذا تعني كلمة (إنما)؟

كما في اللغة الحرف (إن) يفيد الحصر.

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

ومتعلّق الحصر أمران هما:

١- (إرادة الله)،

أي فعله التكويني الذي لا يتخلّف عن المشيئة، وهي ابتداء الفعل واستمراره في الاستقبال الظاهر من فعل المضارع (يريد) الذي يفيد لزوم التحقق في الواقع الخارجي.

٢- الحصر الآخر،

إنّ إرادة الله تتعلّق بإذهاب الرجس وتطهيرهم، حيث جاء الخطاب بضمير المخاطبين (عنكم)، ثمّ أفصحت عنهم بـ(أهل البيت) خاصّة، فإنّ ذكر الصفة بعد ضمير المخاطب يفيد الاختصاص ولا يدخل فيها غيرهم.

والقرائن الحالية والمقاليّة التي حفّت بهذه الحادثة مؤيدة لهذا الحصر وهو فعل النبيّ صلّى الله عليه وآله بإلقاء الكساء على نفسه وأهل وبيته فقط، لكي يحصر انطباق الآية في هؤلاء الخمسة خاصّة ويتبيّن جلياً ذلك في واقعة الكساء في بيت فاطمة عليها السّلام، وعند الذهاب لمباهلة نصارى نجران، لكي لا تتعرّض الحادثة لتأويل المخالفين.

وهذا في جهة الإثبات، وأمّا في جهة النفي وهي قرينة عدم جواز دخول غيرهم معهم كأُمّ سلمة التي أرادت الدخول معهم فمنعها رسول الله صلّى الله عليه وآله،

قائلاً لها: «أنتِ على خير»، رغم قربها وجلالة قدرها التي لا تخفى.

وقد صرّحت روايات الفريقين بانحصار إذهب الرجس والتطهير بأهل البيت خاصة، رغم محاولات يائسة للمخالفين لتأويلها لتعمّ غيرهم كالزوجات كما سيتضح في البحوث القادمة.

الثاني، (يريد الله).

تارة تكون الإرادة تكوينية كقوله تعالى: ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١)، أو إرادة تشريعية كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾^(٢).

وكلا القسمين واردان في القرآن الكريم، ولكنّ المراد من (الإرادة) هنا في الآية المباركة هي الإرادة التكوينية؛ لأنّ الإرادة التشريعية لا تختص بأهل البيت فقط^(٣)، وإنما هي شاملة لجميع المكلفين، وهي تعني ما يريد الله سبحانه وتعالى أن يفعله المكلف، أو يريد أن لا يفعله، من الأحكام الشرعية والإرشادية.

(١) سورة يس، الآية: ٨٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٣) نعم هناك تكاليف تشريعية صدرت للنبي (صلّى الله عليه وآله) من أدلة خاصة في محلها ليس لها علاقة بهذه الآية، من قبيل وجوب صلاة الليل عليه، واختصاص الزواج بأكثر من أربع نساء، وعدم جواز تزوج نسائه من بعده.

الثالث، (ليذهب عنكم).

(يذهب) يراد به: الإذهاب حدوثاً وبقاءً، ماضياً وحاضراً ومستقبلاً للقرائن الكثيرة الحالّيّة والمقالّيّة، ومنها أنه كان المجيء بالمضارع في (يريد)، و(ليذهب) لإفادة الاستمراريّة، حيث ذكروا أنّ فعل المضارع يدلُّ على الاستمرار، أمّا الماضي فإنّه يدلُّ على الحدوث فقط دون الدلالة على البقاء، فلو قال: طَهَّرَ نفسه دَلَّ على حدث في الماضي فقط، ولذلك عدل سبحانه عن (أذهب)، إلى (ليذهب)، فهذا وبغيره تكون هذه الجملة دليلاً على ارتفاع الرجس بأبلغ لفظ، ولو قال: أنتم طاهرون مطهَّرون، وما أشبه ذلك لم تكن في الجملة تلك الفائدة البلاغيّة الرفيعة والتفصيل في كتب الكلام والتفاسير^(١).

الرابع، ما هو المراد من الرجس؟

في قوله تعالى: ﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾ و(الرجس) هو عبارة عن القذارة والوساخة سواء القذارة المعنويّة أم الماديّة، الشرعيّة منها والعرفيّة ممّا يستقذره العرف ولا يعدُّ في الشرع من النجاسات، وكذلك الوساخة في النفس نوعان: وساخة محرّمة يجب إزالتها كوساخة الشرك، وساخة مكروهة من الأفضل إزالتها كالجنين، أو ما أشبهه، فاللام للجنس لإذهاب كلّ أنواع الرجس عنهم

(١) راجع تقريب القرآن إلى الأذهان للسيد محمد الشيرازي، والعيقات للسيد مير حامد حسين، والبحار للعلامة المجلسي، وإحقاق الحق للتستري، ونهج الحق وكشف الصدق للعلامة الحلبي.

عليهم السَّلام الظاهر منه والباطن، الروحي والجسمي، المادي والمعنوي المحرَّم منه والمكروه.

وهذا يدلُّ على ما فوق العصمة لأنَّ العصمة عبارة عن الاعتصام عن الذنب والسهو والخطأ والنسيان والجهل وما أشبه ذلك، والإطلاق يدلُّ على ما فوق ذلك ويشمل حتى ترك الأولى، وقد ذكرنا في بعض الكتب الكلامية أنَّهم (عليهم الصَّلَاة والسَّلام) منزَّهون عن ترك الأولى أيضاً^(١).

والحاصل ﴿إنما يريد الله﴾ بالإرادة التكوينية أن يُذهب عنكم الرجس ويطهِّركم تطهيراً مطلقاً من جميع القاذورات بأنواعها وجزئياتها الظاهرية والباطنية وهذه هي العصمة المطلقة، ومراد الله لا يتخلَّف عن فعله، لأنَّه ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٢).

الخامس: ما معنى (وطهَّروهم تطهيراً)؟

إنَّ للطهارة مراتب، فيكون بين الرجس وما عدا المرتبة الدنيا من الطهارة واسطة بأن لا يكون رجس ولا تكون طهارة برتبتها ودرجاتها الرفيعة، فلا يكون - على هذا - ﴿وطهَّروهم تطهيراً﴾ من باب التأكيد، وإنَّما يفيد معنى جديداً وهو ارتفاعهم عليهم السَّلام إلى غاية مراتب الطهارة، فإنَّه لو اكتفى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

(١) من فقه الزهراء عليها السلام، ١: ١٨٨.

(٢) سورة يس، الآية: ٨٢.

بقوله: «أذهب عنهم الرجس» لتوهم الاكتفاء بإذهاب الرجس فقط بدون الارتفاع إلى أسنى مراتب الطهارة.

وبذلك يظهر أن قوله (صلى الله عليه وآله): «تطهيراً» يفيد أيضاً هذا المعنى، فهناك إذهاب الرجس، وهناك التطهير في أعالي درجاته، وهناك «تطهيراً» الذي هو قصوى درجات الطهارة^(١).

هذا وإن كان من الممكن أن يكون «تطهيراً» للتأكيد.. ثم إن أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) خلقوا أطهاراً، فليس المراد بطلب الإذهاب، الرفع، بل الدفع^(٢)، إذ لم يكن فيهم عليهم السلام رجس حتى يُطلب إزالته.

وكذلك المراد بـ«التطهير» خلقه طاهراً، وقد يكون المراد بذلك الاستمرار، كما قال عليٌّ عليه السلام بالنسبة إلى قوله سبحانه: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٣)، بمعنى: طلب استمرار الهداية، فإنه ممكن الوجود بما هو في كل لحظة لحظة معرض للطرفين، وإنما يميل إلى الطرف الأرفع بلطف الله سبحانه وتعالى كما يميل إلى الطرف الأنزل بخذلانه، فالإنسان في كل لحظة بحاجة إلى هداية وتسديد جديد

(١) يستفاد إرادة الدرجات العليا من الطهارة: من الإطلاق، ومن السياق، ومن القرائن المقامية والخارجية الأخرى.

(٢) الرفع: إزالة ما هو موجود. والدفع: الخيلولة دون وجوده، فلو تمرض زيد وعولج كان هذا رفعاً، أما لو كان في معرض المرض والوباء فلقح بالمضادات من قبل كان هذا دفعاً.

(٣) سورة الفاتحة، الآية: ٦.

من الله تعالى، فالمطلب ابتدائي في بعض واستمراري في بعض، سواء أخذ جانب الطهارة أم جانب النجاسة، الأول في المعصومين عليهم السلام وفي المؤمنين، والثاني في الكفار والمنافقين والفساق^(١).

السادس: الإرادة التكوينية والجبر

ربما يقال: إذا كانت الإرادة هذه تكوينية، فمعنى ذلك أن نلتزم بالجبر، وهذا لا يتناسب مع ما تذهب إليه الإمامية من أنه: «لَا جَبْرَ وَلَا تَفْوِيضَ وَلَكِنْ أَمْرَيْنِ أَمْرَيْنِ»^(٢)، وبعبارة أخرى فإن كان الاصطفاء تكويناً من الله تعالى فأني فضل لهم على الناس؟

ويجاب عليه، أن الله سبحانه وتعالى قد اختار بمشيئته صفوة من خلقه بعلم منه وحكمة: و﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾^(٣)، فاخصصهم لنفسه واصطفاهم وفضلهم على خلقه في سابق علمه فخلقهم من نور عظمته^(٤)، ومن طينة من

(١) من فقه الزهراء (عليها السلام)، ١: ١٩٠-١٩١.

(٢) عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قَالَ: «لَا جَبْرَ وَلَا تَفْوِيضَ وَلَكِنْ أَمْرَيْنِ أَمْرَيْنِ» قَالَ: قُلْتُ: وَمَا أَمْرَيْنِ أَمْرَيْنِ؟ قَالَ: «مَثَلُ ذَلِكَ مَثَلُ رَجُلٍ رَأَيْتَهُ عَلَى مَعْصِيَةٍ فَتَهَيْتَهُ فَلَمْ يَنْتِهِ فَتَرَكَتُهُ فَفَعَلَ بِتِلْكَ الْمَعْصِيَةِ، فَلَيْسَ حَيْثُ لَمْ يَقْبَلْ مِنْكَ فَتَرَكَتُهُ أَنْتَ الَّذِي أَمَرْتَهُ بِالْمَعْصِيَةِ»، توحيد الصدوق، ٣٦٢.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٢٣.

(٤) عَنْ أَبِي حَمْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ مُحَمَّدًا وَعَلِيًّا وَأَخَذَ عَشْرَ مِنْ وُلْدِهِ مِنْ نُورِ عَظْمَتَيْهِ، فَأَقَامَهُمْ أَشْبَاحًا فِي ضِيَاءِ نُورِهِ يُعْبُدُونَهُ قَبْلَ خَلْقِ الْخَلْقِ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ وَيُقَدِّسُونَهُ، وَهُمْ الْأَنْمَةُ مِنْ وُلْدِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)». الكافي، ١: ٥٣١، ح ٦.

تحت عرشه ليكونوا أئمة وسادة وهادين لخلقهم، وقد أخذ عليهم المواثيق بالإطاعة لأمره والانتهاز عن نهيهِ، فأسرعوا في سبق الخلق بالإجابة والطاعة^(١)، فلما علم منهم الوفاء بعهدهم أدرجهم مدارج الكمال والقرب في تلك العوالم فاخترهم في الدنيا لدينه فطهرهم من الرجس وأيدهم بعنايته الدائمة بروح القدس الذي يسددهم^(٢) في كل لحظة بالعصمة والعلم، فهم محفوظون من الشك والسهو والجهل والذنب^(٣)، وعند تلقي الوحي، وعند التبليغ، فجعلهم أئمة يهدون

(١) عَنْ صَالِحِ بْنِ سَهْلٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) «إِنَّ بَعْضَ قُرَيْشٍ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): يَا أَيُّ شَيْءٍ سَبَقَتْ الْأَنْبِيَاءَ وَأَنْتَ بُعِثْتَ آخِرَهُمْ وَخَاتَمَهُمْ؟ فَقَالَ: إِنْ كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِرَبِّي وَأَوَّلَ مَنْ أَحَابَ حَيْثُ «أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الشُّبَّانِ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنْتَ بِرَبِّكُمْ» فَكُنْتُ أَنَا أَوَّلَ نَبِيٍّ قَالَ: بَلَى، فَسَبَقْتُهُمْ بِالْإِقْرَارِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ». الكافي، ١٠: ٢.

(٢) وفي جواب الإمام العسكري عليه السلام لعمته حكيمة عن غيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف بعد ولادته: قَالَتْ حَكِيمَةُ: فَقُلْتُ وَمَا هَذَا الطَّيْرُ؟ قَالَ: «هَذَا رُوحُ الْقُدْسِ الْمُوَكَّلُ بِالْأَيْمَةِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) يُؤَقِّفُهُمْ وَيُسَدِّدُهُمْ وَيُرِيهِمُ بِالْعِلْمِ»، كمال الدين ونعم النعمة، ٢: ٤٢٩، ح ٢.
وَعَنْ سَمَاعَةَ بْنِ مِهْرَانَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يَقُولُ: «إِنَّ الرُّوحَ خَلَقَ أَعْظَمَ مِنْ جَبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يُسَدِّدُهُ وَيُرْشِدُهُ وَهُوَ مَعَ الْأَيْمَةِ وَالْأَوْصِيَاءِ مِنْ بَعْدِهِ». بصائر الدرجات في فضائل آل محمد (صلَّى الله عليهم)، ١: ٤٥٦، ح ٤.

(٣) عَنْ الْحَسَنِ بْنِ جَهْمٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) قَالَ: «فِي الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْصِيَاءِ كَمِثَّةُ أَرْوَاحٍ، رُوحُ الْبَدَنِ، وَرُوحُ الْقُدْسِ، وَرُوحُ الْقُوَّةِ، وَرُوحُ الشَّهْوَةِ، وَرُوحُ الْإِيمَانِ، وَفِي الْمُؤْمِنِينَ أَرْبَعَةُ أَرْوَاحٍ أَفْقَدَهَا رُوحُ الْقُدْسِ، وَرُوحُ الْبَدَنِ، وَرُوحُ الشَّهْوَةِ، وَرُوحُ الْإِيمَانِ، وَفِي الْكُفَّارِ ثَلَاثَةٌ أَرْوَاحٍ، رُوحُ الْبَدَنِ، وَرُوحُ الْقُوَّةِ، وَرُوحُ الشَّهْوَةِ»، ثُمَّ قَالَ: «رُوحُ الْإِيمَانِ يُلَازِمُ الْجَسَدَ مَا لَمْ يَعْمَلْ بِكَبِيرَةٍ، فَإِذَا عَمِلَ بِكَبِيرَةٍ فَارْقَهُ الرُّوحُ، وَرُوحُ الْقُدْسِ مَنْ سَكَنَ فِيهِ فَإِنَّهُ لَا يَعْمَلُ بِكَبِيرَةٍ أَبَدًا».
وَعَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ عِلْمِ الْعَالَمِ فَقَالَ: «بِأَجَابِرٍ إِنْ فِي الْأَنْبِيَاءِ

بأمره وقدوات ومعلمين لخلقه، ومع كل ذلك فهم مختارون للفعل وعدمه وغير مجبورين، وبسبب معرفتهم بعظمة الله، وعلمهم بحقيقة الدنيا واطلاعهم على الملكوت^(١) وعلى عواقب الأمور، فهم يرون الذنب كأكل الجيفة^(٢) وشرب السم، فهل تجد عاقلاً يقبل على هذا الفعل.

السابع، ما المراد من أهل البيت؟

جاء في مجمع البحرين للطريحي: وَأَهْلُ النَّبِيِّ فِي قَوْلِهِ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ النَّبِيِّ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٣) مُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالْحُسَيْنُ وَالْحَسَنُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، كَمَا جَاءَتْ بِهِ الرَّوَايَةُ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ... وَهُمْ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَحْتَ الْكِسَاءِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَخَاصَّتِي فَأَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا»... وَأَمَّا أَهْلُ النَّبِيِّ إِلَى آخِرِ

وَالْأَوْصِيَاءِ خَمْسَةَ أَرْوَاحٍ، رُوحَ الْقُدْسِ، وَرُوحَ الْإِيمَانِ، وَرُوحَ الْحَيَاةِ، وَرُوحَ الْقُوَّةِ، وَرُوحَ الشُّهُورَةِ، فَبِرُوحِ الْقُدْسِ يَا جَابِرُ عَلِمْنَا مَا تَحْتَ الْعَرْشِ إِلَى مَا تَحْتَ الثَّرَى»، ثُمَّ قَالَ: «يَا جَابِرُ إِنَّ هَذِهِ الْأَرْوَاحَ يُصَيِّبُهُ الْخَدَنَانِ إِلَّا أَنَّ رُوحَ الْقُدْسِ لَا يَلْهُو وَلَا يَلْعَبُ».

(١) رَوَى حَنْشُ الْكِنَانِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: «وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ بِتَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ وَتَصْدِيقِ الْعِدَاتِ وَتَمَامِ الْكَلِمَاتِ»، وَقَوْلُهُ: «إِنَّ بَيْنَ جَنْبِي لِعِلْمًا جَمًّا لَوْ أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَةً»، وَقَوْلُهُ: «لَوْ كُشِفَ الْبِعْطَاءُ مَا أَرْدَدْتُ يَقِينًا».

(٢) «إِنَّمَا الدُّنْيَا جِيفَةٌ وَالتُّنَاطِحُونَ عَلَيْهَا أَشْيَاءُ الْكِلَابِ فَلَا يَمْنَعُهُمْ أَحْوَابُهُمْ لَهَا مِنَ التَّهَارُشِ عَلَيْهَا».

عيون الحكم والمواعظ (لليشي)، ١٧٨، برقم ٣٦٦٧.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

الأئمة عليهم السلام فإطلاق الاسم عليهم معلوم من السنة المتواترة^(١).

وفي تفسير الأمل: وأما تعبير أهل البيت فإنه إشارة إلى أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله باتفاق علماء الإسلام والمفسرين، وهو الشيء الذي يفهم من ظاهر الآية، لأن البيت وإن ذكر هنا بصيغة مطلقة، إلا أن المراد منه بيت النبي صلى الله عليه وآله بقرينة الآيات السابقة واللاحقة^(٢).

وقال الطباطبائي في تفسير الميزان: لفظة أهل البيت اسم خاص - في عرف القرآن - هؤلاء الخمسة وهم النبي وعلي وفاطمة والحسنان عليهم السلام لا يطلق على غيرهم، ولو كان من أقربائه الأقربين وإن صحَّ بحسب العرف العام إطلاقه عليهم^(٣).

والخلاصة أن (أهل البيت) مصطلح قرآني نبوي تعبدني خصَّ الله به أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله، وهم الخمسة من أهل الكساء الذين نزلت فيهم آية التطهير، محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين (صلوات الله عليهم)، والتي أكدت عليه روايات الفريقين واتفاق العلماء والمفسرين.. ولا يمكن لأحد أن يجتهد ليوسع دائرة المشمولين بهذا المصطلح إلا بنص من الشارع.

(١) مجمع البحرين، ٢: ١٩٤.

(٢) ما ذكره البعض من أن (البيت) هنا إشارة إلى بيت الله الحرام، وأهله هم (المؤمنون) لا يتناسب مطلقاً مع سياق الآيات؛ لأن الكلام في هذه الآيات عن النبي (صلى الله عليه وآله) وأزواجه، لا عن بيت الله الحرام، ولا يوجد أي دليل على قولهم.

(٣) تفسير الميزان العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي.

نعم ربما كلمة أهل البيت في الاستعمال اللغوي والعرفي لأهل الرجل الذين يسكنون معه في بيته من خاصته، ويدخل فيه الزوجة والأقارب، وربما تُستخدم لتشمل أقارب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي الدائرة الأوسع من الهاشميين والذرية، وربما تُستخدم تسامحاً أو تشريفاً معنوياً بسبب حسن الاتباع كـ«سلمان منّا أهل البيت»، ولكن هذا المصطلح إذا أُطلق في القرآن والنصوص الشريفة أريد به المعنى القدسي الخاص بالذين أنزل الله في حقهم آية التطهير، وآية المودة، وآية المباهلة، وهم المعصومون الذين عليهم تدور رحي دين الإسلام.

مضاد روايات الفريقين في آية التطهير

في تفسير الميزان: ما ورد في أسباب النزول أَنَّ الآية نزلت في النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ خَاصَةً، لَا يَشَارِكُهُمْ فِيهَا غَيْرُهُمْ.. وهي روايات جمّة تزيد على سبعين حديثاً يربو ما ورد منها من طرق أهل السنة على ما ورد منها من طرق الشيعة، فقد روتها أهل السنة بطرق كثيرة عن أم سلمة وعائشة وأبي سعيد الخدري وسعد ووائلته بن الأسقع وأبي الحمراء، وابن عباس وثوبان مولى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وعبد الله بن جعفر وعليّ والحسن بن عليّ (عليهما السلام) في قريب من أربعين طريقاً.

وروتها الشيعة عن عليّ والسجاد والباقر والصادق والرّضا عليهم السلام، وأمّ سلمة وأبي ذر وأبي لبيلى وأبي الأسود الدؤلي وعمرو بن ميمون الأودي، وسعد بن

أبي وقاص في بضع وثلاثين طريقاً^(١).

نماذج من روايات الشيعة،

روى الكليني عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام: «وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أَوْصِيكُمْ بِكِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَهْلِ بَيْتِي، فَإِنِّي سَأَلْتُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لَا يُفَرِّقَ بَيْنَهُمَا حَتَّى يُورِدَهُمَا عَلَيَّ الْحَوْضِ فَأَعْطَانِي ذَلِكَ، وَقَالَ: لَا تُعَلِّمُوهُمْ فَإِنَّهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ، وَقَالَ: إِنَّهُمْ لَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ بَابِ هُدَى وَلَنْ يُدْخِلُوكُمْ فِي بَابِ ضَلَالَةٍ، فَلَوْ سَكَتَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَمْ يُبَيِّنْ مَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ لَادَّعَاهَا آلُ فَلَانٍ وَفُلَانٍ، وَلَكِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْزَلَ فِي كِتَابِهِ تَصْدِيقاً لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾، فَكَانَ عَلِيٌّ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَفَاطِمَةُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَأَدْخَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَحْتَ الْكِسَاءِ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ أَهْلًا وَثِقْلًا وَهَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَثِقَلِي، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: أَلَسْتُ مِنْ أَهْلِكَ؟ فَقَالَ: إِنَّكَ إِلَى خَيْرٍ وَلَكِنَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي وَثِقَلِي»^(٢).

مفاد هذه الرواية وبقية الروايات في هذه الآية المباركة أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قام بجمع أهل بيته في بيت زوجته الكريمة أم سلمة، لتكون شاهداً حياً

(١) الميزان في تفسير القرآن، ١٦: ٣١٢.

(٢) أصول الكافي، ١: ٢٨٧، ح ١، باب ما نصَّ الله ورسوله على الأنثمة واحداً فواحد.

على ما يريد إيصاله إلى المسلمين كافة، وخصوصاً الذين هم حوله، من الطامعين في الاستيلاء على خلافته من بعده، الذين سوف يحاولون تأويل الآيات النازلة في أهل بيته لتكون على قياسهم كآية أولي الأمر، وآية القربى، وآية التطهير وغيرها، وقد صدّقه الله تعالى وأجاب دعوته في أهل بيته بنزول هذه الآية الكريمة، بأن أهل بيته المطهّرون المعصومون، الذين أمر الله بطاعتهم وهم الهداة المهديون، والثقل الثاني الذي لا يفارق القرآن إلى يوم القيامة، وهم هؤلاء الخمسة الذين تحت الكساء لا غيرهم من الأمة، ولا حتى نساء النبي صلى الله عليه وآله.

ولعلّ السرّ في اختيار بيت زوجته الكريمة أم سلمة وعدم قبوله بدخولها معهم وتغطية أهل بيته بالكساء، لخصر الآية فيهم، فلا يأتي أحدٌ من بعده فيتجرأ بتأويل الآية ويُدخل مَنْ يُحِبُّ بغرض صرف اختصاص الفضيلة عن هؤلاء الخمسة، وإلا فإنّ التغطية بذاتها ليست لها أهمية.

وما يشهد على هذا الحصر لأهل الكساء الخمسة فقط ويقويه ويؤيده بالنسبة للخصوم الذين يرون بتوسعة فضيلة الآية في غيرهم، هو اعتراف وإقرار أبي بكر والصحابة أصحاب الشورى الذين احتجّ عليهم أمير المؤمنين عليه السّلام بعد إبعاده من الخلافة، كما في هاتين الروايتين.

عن حماد بن عثمان، عن أبي عبد الله عليه السّلام، في حديث، قال: «قال أمير المؤمنين عليه السّلام لأبي بكر: يا أبا بكر، تقرأ كتاب الله؟ قال: نعم. قال: فأخبرني

عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾، فِيمَنْ نَزَلَتْ، فِينَا أَمْ فِي غَيْرِنَا؟ قَالَ: بَلْ فِيكُمْ^(١).

وَعَنْ عَامِرِ بْنِ وَائِلَةَ، قَالَ: كُنْتُ فِي الْبَيْتِ يَوْمَ الشُّورَى، فَسَمِعْتُ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ يَقُولُ: «اسْتَحْلَفَ النَّاسُ أَبَا بَكْرٍ وَأَنَا - وَاللَّهِ - أَحَقُّ بِالْأَمْرِ، وَأَوْلَى بِهِ مِنْهُ، وَاسْتَحْلَفَ أَبُو بَكْرٍ عُمَرَ وَأَنَا - وَاللَّهِ - أَحَقُّ بِالْأَمْرِ، وَأَوْلَى بِهِ مِنْهُ، إِلَّا أَنْ عَمَرَ جَعَلَنِي مَعَ حَمْسَةِ أَنَا سَادِسُهُمْ، لَا يُعْرَفُ لَهُمْ عَلَيَّ فَضْلٌ، وَلَوْ أَشَاءَ لَأَخْتَجَجْتُ عَلَيْهِمْ بِنَا لَا يَسْتَطِيعُ عَرَبِيَّتَهُمْ وَلَا عَجَبِيَّتَهُمْ، الْمَعَاهِدُ مِنْهُمْ وَالْمُشْرِكُ تَغْيِيرَ ذَلِكَ»^(٢).

ثُمَّ ذَكَرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا اخْتَجَجَ بِهِ عَلَى أَهْلِ الشُّورَى، فَقَالَ فِي ذَلِكَ: «نَشَدْتُكُمْ بِاللَّهِ، هَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ آيَةَ التَّطْهِيرِ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كِسَاءَ خَبْرِيًّا، فَضَمَّنِي فِيهِ، وَفَاطِمَةَ، وَالْحَسَنَ، وَالْحُسَيْنَ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي فَأَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ، وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا؟. قَالُوا: اللَّهُمَّ لَا»^(٣).

فهذا الاحتجاج من أمير المؤمنين عليه السلام على القوم، وإقرار أبي بكر بقوله: (بل فيكم)، وإقرار أهل الشورى: (اللهم لا)، يكون حجة عليهم، وشهادة بيّنة

(١) تفسير علي بن إبراهيم القمي، ٢: ١٥٦.

(٢) الحصال للشيخ الصدوق، ٢: ٥٥٤.

(٣) المصدر نفسه: ٥٦١.

واعترافاً منهم بنزول الآية في حقه وزوجته وأولاده، لكونهم خصومه المستولين على حقه والمنكرين لفضائله، وحجة على التابعين لهم، بل حجة على جميع المسلمين إلى يوم القيامة.

نماذج من روايات أهل السنة

عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ شَيْبَةَ قَالَتْ: قَالَتْ عَائِشَةُ: (خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ غَدَاةً وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مَرْجَلٌ مِنْ شَعْرِ أَسْوَدَ، فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا، ثُمَّ جَاءَ عَلِيُّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذِيبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً»^{(١)(٢)}.

وَعَنْ شَدَّادِ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى وَائِلَةَ بِنِ الْأَسْقَعِ وَعِنْدَهُ قَوْمٌ فَذَكَرُوا عَلِيًّا فَشْتَمُوهُ فَشْتَمْتُهُ، فَلَمَّا قَامُوا قَالَ لِي: لِمَ شْتَمْتَ هَذَا الرَّجُلَ؟ قُلْتُ: رَأَيْتُ الْقَوْمَ شْتَمُوهُ فَشْتَمْتُهُ مَعَهُمْ، فَقَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؟ قُلْتُ: بَلَى قَالَ: أَتَيْتُ فَاطِمَةَ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهَا) أَسْأَلُهَا عَنْ عَلِيٍّ، فَقَالَتْ: تَوَجَّهَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَجَلَسْتُ فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَمَعَهُ عَلِيُّ وَحَسَنٌ وَحُسَيْنٌ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَخَذَ بِيَدِهِ حَتَّى دَخَلَ، فَأَذْنَى عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ فَأَجْلَسَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَجْلَسَ حَسَنًا وَحُسَيْنًا كُلًّا مِنْهُمَا عَلَى فَخِذِهِ، ثُمَّ لَفَّ

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٢) صحيح مسلم، ٧: ١٣٠.

عَلَيْهِمْ ثَوْبُهُ أَوْ كِسَاءٌ، ثُمَّ تَلَى هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ
الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَأَهْلُ بَيْتِي أَحَقُّ»^(١).
وَعَنْ عَطَاءِ بْنِ رِيَّاحٍ حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ أُمَّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَذَكَّرُ أَنَّ النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانُوا فِي بَيْتِهَا فَاتَتْهُ فَاطِمَةُ (صلوات الله عليها) بِبُرْمَةٍ فِيهَا حَرِيرَةٌ
فَدَخَلَتْ بِهَا إِلَيْهِ فَقَالَ لَهَا: «ادْعِي زَوْجَكَ وَابْنَيْكَ»، فَجَاءَ عَلِيُّ وَالحَسَنُ وَالحُسَيْنُ
فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَجَلَسُوا يَأْكُلُونَ مِنْ تِلْكَ الحَرِيرَةِ، وَهُوَ وَهُمْ عَلَى مَنَامٍ لَهُ عَلَى دُكَّانٍ
تَحْتَهُ كِسَاءٌ خَيْرِيٌّ، قَالَتْ: وَأَنَا فِي الحُجْرَةِ أُصَلِّي فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ إِنَّمَا
يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ قَالَتْ: فَأَخَذَ فَضَلَ
الْكِسَاءِ فَعَشَّاهُمْ بِهِ ثُمَّ أَخْرَجَ يَدَهُ وَأَوْمَى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ قَالَ: «هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي
وَخَاصَّتِي، اللَّهُمَّ فَأَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا»، قَالَتْ: فَأَذْخَلْتُ رَأْسِي
الْبَيْتَ وَقُلْتُ: وَأَنَا مَعَكُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «إِنَّكَ إِلَى خَيْرٍ»^(٢).

وَعَنْ أَبِي دَاوُدَ عَنْ أَبِي الحَمْرَاءِ قَالَ: أَقَمْتُ بِالمَدِينَةِ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ كَثِيرٍ وَاحِدٍ،
وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَجِيءُ كُلَّ غَدَاةٍ فَيَقُومُ عَلَى بَابِ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ
عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فَيَقُولُ: «الصَّلَاةُ..» ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ
وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾^(٣).

(١) تفسير ابن كثير، ٣: ٤٩٢، وتفسير الثعلبي مخطوط، ١٤٠، وشواهد التنزيل للحسكاني، ٢: ٦٦.

(٢) تفسير الثعلبي المخطوط، ١٤٠.

(٣) المصدر نفسه.

وعند التأمل في هذه الأحاديث الثلاثة، وكذا ما ورد في جميع الصحاح والمسانيد والسُنن والتفاسير المعتمدة عند أهل السُّنَّة كصحيح مسلم، ومسند أحمد بن حنبل، ومستدرک الحاکم، وتلخیص المستدرک للذهبي، وصحيح الترمذي، وصحيح النسائي، وتفسير الطبري، والدر المنثور للسيوطي، وغيرها من تفاسير وكتب الحديث التي روت عن ابن عباس، وأبي سعيد، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وسعد بن أبي وقاص، وزيد بن أرقم، وأم سلمة، وعائشة، والصحابة الآخرين أنهم يتفقون مع الشيعة - وإن اختلفت العبارات في طريقة النقول - بأن الآية المباركة نزلت في الخمسة من أصحاب الكساء، وهم رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السّلام في بيت أم سلمة، وقد قام بتجليل أهل بيته بشكل لا يسمح لأحد أن يدخل معهم حتى أم سلمة.

وهنا نسجل مجموعة من الملاحظات المهمة :

الملاحظة الأولى :

اتفقت كلمة الفريقين على صحّة أكثر روايات حديث الكساء وأنها متواترة ومستفيضة في الجملة، وقد بلغت طرق الحديث من السُّنَّة ما يقارب الأربعين ومن الشيعة ما يقرب ذلك، وروى هذا الحديث أكثر من ثلاثين راوياً أهمهم :

عليّ بن أبي طالب، الحسن بن عليّ بن أبي طالب، عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، جعفر بن محمد الصادق، عليّ بن موسى الرضا عليهم السّلام، أم سلمة،

عائشة بنت أبي بكر، واثلة بن الأسقع، عبد الله بن العباس، عبد الله بن جعفر الطيار،
عمر بن أبي سلمة، زينب بنت أبي سلمة، براء بن عازب، أبو ذر الغفاري، أبو ليلى،
أبو الأسود الدؤلي، عمرو بن ميمون الأزدي، سعد بن أبي وقاص، ثوبان مولى
رسول الله صَلَّى الله عليه وآله، عطاء بن يسار، عامر بن سعد، سلمة بن الأكوع، أبو
سعيد الخدري، أنس بن مالك، أبو الحمراء، عمران بن حصين، عبد الله بن عمر،
أبو هريرة.

الملاحظة الثانية :

اتَّفقت كلمتهم على محوريتِّه وحصريَّة نزول الآية في الخمسة من أهل بيت النبي
صَلَّى الله عليه وآله) إثباتاً لما أدخل هؤلاء فقط، ونفيًا بعدم قبول غيرهم كأُمَّ سلمة
التي تمثل زوجاته صَلَّى الله عليه وآله.

وقد اشتمل لفظ الحديث في أكثر طرقه، على أَنَّ أُمَّ سلمة أرادت الدخول معهم
تحت الكساء، فجذب رسول الله صَلَّى الله عليه وآله الكساء ولم يأذن لها بالدخول،
وقال لها: «إِنَّكَ على خير»، أو «إلى خير».

والحديث ورد عن عائشة كذلك واشتمل بعض ألفاظ الحديث على جملة أَنَّ النبي
صَلَّى الله عليه وآله أرسل إلى فاطمة عليها السَّلَام، وأمرها بأن تدعو عليًّا والحسين
عليهم السَّلَام، وتأتي بهم إلى النبي صَلَّى الله عليه وآله، ولم يأمرها بأن تدعو أحداً
غير هؤلاء، وكان له أقرباء كثيرون، وأزواجه في البيت عنده، فلَمَّا اجتمعوا ألقى

عليهم الكساء، وقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي»، مما يدل على أن النبي صلى الله عليه وآله كانت له عناية خاصة بهذه القضية وشأن ومقام لا يعم مثل أم سلمة، تلك المرأة المحترمة المعظمة المكرمة عند جميع المسلمين.

الملاحظة الثالثة:

بعد اتفاقهم على أصل صحة وتواتر الحديث فإنه لا يضرب ولا يقدر به لاختلاف طرق النقل في أن الآية المباركة هل نزلت أولاً، ثم قام النبي صلى الله عليه وآله بتجليل أهل بيته، أو أنه العكس، أو أنه دعا لهم بالطهارة أولاً، ثم نزلت الآية، أو العكس؟ حيث ورد نقلاً في الروايات من الفريقين، فإما هو عائد لعدم دقة الراوي والمدونين، أو أن هناك تعدداً في واقعة الكساء وتعدد نزول الآية عدة مرات، وكلا الأمرين واردان، فأما الأول فهذا يحصل عند الرواة كثيراً، وأما الثاني فهذا وارد في تعدد نزول الآيات المباركة على حسب المناسبات وكذلك يرد في السنة الشريفة^(١).

(١) سورة طه، الآية: ١٣٢. سورة الأحزاب، الآية: ٣٣. تفسير الثعلبي المخطوط، ١٤٠، البرهان في تفسير القرآن، ٣: ٧٩٠، تأويل الآيات الظاهرة، ١: ٣١٦-٣١٧، شواهد التنزيل، ١: ٤٩٧. أقول: احتمالية تعدد نزول الآية عدة مرات بحسب المناسبة وتعدد وقوع حادثة الكساء وارد جداً، هذا ما نميل إليه وقد أشرنا إليه في مطاوي البحث وهو وجه وجيه لجمع تعدد طرق الحديث بأوجه متعددة؛ ولذا نقول: إن وقوع حديث الكساء في بيت أم سلمة وهو المشهور المتفق عليه بين الشيعة والسنة لا يناهق وقوعه في بيت سيدة نساء العالمين ونزول الآية مرة أخرى، فكلتا الواقعتين لا تتعارضان كما يتوهم البعض بالتعارض، وقد تعرضنا لهذا البحث في الفصل الأول من هذا الكتاب، فراجع.

الملاحظة الرابعة،

من الشواهد والقرائن التطبيقية التي اعتنى بها النبي صلى الله عليه وآله والتي رواها الفريقان لتأكيد حصرية آية التطهير في الخمسة من أصحاب الكساء لا غير، هو مجيء النبي صلى الله عليه وآله إلى باب علي وفاطمة (عليهما السلام) في كل يوم فجرًا لما نزل قوله وتعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾^(١)، وهو يقول: «الصلاة»، ثم يتلوا قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾^{(٢)(٣)}.

وعن زرارة بن أعين، عن أبي جعفر الباقر، عن أبيه علي بن الحسين عليهما السلام في قول الله عز وجل: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾. قال: «نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين عليهما السلام، كان رسول الله صلى الله عليه وآله يأتي باب فاطمة عليها السلام كل سحرة، فيقول: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، الصلاة يرحمكم الله ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾»^(٤).

(١) سورة طه، الآية: ١٣٢.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٣) تفسير الثعلبي المخطوط، ١٤٠.

(٤) البرهان في تفسير القرآن، ٣: ٧٩٠، تأويل الآيات الظاهرة، ١: ٣١٦-٣١٧، شواهد التنزيل،

ويروي علي بن إبراهيم في رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام، قوله: ﴿ وَأَمْرُ أَهْلِكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبْرُ عَلَيْهَا ﴾ قَالَ: « فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَهُ أَنْ يُخَصَّ أَهْلَهُ دُونَ النَّاسِ لِيَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّ لِأَهْلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً خَاصَّةً لَيْسَتْ لِلنَّاسِ، إِذْ أَمَرَهُمْ مَعَ النَّاسِ عَامَّةً ثُمَّ أَمَرَهُمْ خَاصَّةً، فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَجِيءُ كُلَّ يَوْمٍ عِنْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ حَتَّى يَأْتِيَ بَابَ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ)، فَيَقُولُ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ. فَيَقُولُ عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ - يَا رَسُولَ اللَّهِ - وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ. ثُمَّ يَأْخُذُ بِعِضَادَتِي الْبَابِ وَيَقُولُ: الصَّلَاةُ يَرْحَمُكُمُ اللَّهُ: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ ^(١) فَلَمْ يَزَلْ يَفْعَلُ ذَلِكَ كُلَّ يَوْمٍ إِذَا شَهِدَ ^(٢) الْمَدِينَةَ حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا. وَقَالَ أَبُو الْحَمْرَاءِ خَادِمُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أَنَا أَشْهَدُ بِهِ يَفْعَلُ ذَلِكَ ^(٣).

وفي مودة القربى عن أنس بن مالك عن زيد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جده [الحسين بن علي] عليهم السلام قال: « كان النبي صلى الله عليه وآله يأتي كل يوم باب فاطمة عليها السلام عند صلاة الفجر فيقول: الصلاة يا أهل بيت النبوة ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾، تسعة أشهر بعد

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٢) في «ج، ي، ط»: شاهد.

(٣) تفسير القمي، ٢: ٦٧.

ما نزلت: ﴿ وَأَمْرَ أَهْلِكَ بِالصَّلَاةِ وَإِصْطِبِرْ عَلَيْهَا ﴾^(١)(٢).

وخطب الإمام الحسن عليه السلام في مجلس معاوية في حديث طويل فقال:
«وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ
تَطْهِيرًا ﴾^(٣)، فَلَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ التَّطْهِيرِ جَمَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَا وَأَخِي
وَأُمِّي وَأَبِي، فَجَلَلْنَا وَنَفْسُهُ فِي كِسَاءٍ لِأُمِّ سَلَمَةَ خَيْرِي، وَذَلِكَ فِي حُجْرَتَيْهَا، وَفِي
يَوْمِهَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي، وَهَؤُلَاءِ أَهْلِي وَعِثْرَتِي، فَأَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ
وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا. فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا): أَدْخُلْ مَعَهُمْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ؟
فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، أَنْتِ عَلَى خَيْرٍ وَإِلَى خَيْرٍ، وَمَا
أَرْضَانِي عَنْكَ! وَلَكِنَّهَا خَاصَّةٌ لِي وَلَهُمْ.

ثُمَّ مَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَعْدَ ذَلِكَ بَقِيَّةَ عُمُرِهِ حَتَّى قَبِضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ،
يَأْتِينَا فِي كُلِّ يَوْمٍ عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ، فَيَقُولُ: الصَّلَاةُ يَرْحَمُكُمْ اللَّهُ ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ
لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾^(٤).

ويروي الشيخ في (أماليه) بسنده إلى أبي إسحاق، عن الحارث، عن عليّ

(١) سورة طه، الآية: ١٣٢.

(٢) ينابيع المودة للقندوزي، ٢٠٤.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٤) الأمالي (للطوسي)، ٥٦٤-٥٦٥.

عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَأْتِينَا كُلَّ غَدَاةٍ، فَيَقُولُ: الصَّلَاةُ بَرِّحَمَكُمُ اللَّهُ، الصَّلَاةُ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾» (١).

وَعَنْ أَبِي دَاوُدَ، عَنْ أَبِي الْحُمَرَاءِ، قَالَ: أَقَمْتُ بِالْمَدِينَةِ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ كَثِيرٍ وَاحِدٍ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَجِيءُ كُلَّ غَدَاةٍ، فَيَقُومُ عَلَى بَابِ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ)، فَيَقُولُ: «الصَّلَاةُ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾» (٢).

فهذا الفعل من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ والاستمرار عليه في كل يوم خمس مرات في أوقات الصلاة، أو لا أقل في صلاة الفجر لمدة تسعة أشهر، بل صريح رواية الإمام الحسن عليه السلام من نزول الآية حتى آخر عمره هو دليل على شدة عنايته بهذا الأمر المهم.. كما ويظهر أن هذا العمل منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ليس تبرعاً، وإنما هو تنفيذ لأمر واجب عليه من الله تعالى لما نزل قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ (٣)(٤).

(١) البرهان في تفسير البرهان، ٤: ٤٥٠، عن الأمالي، ١: ٨٧.

(٢) البرهان في تفسير القرآن، ٤: ٤٦٧، العمدة لابن البطريق، ٤١-٤٢، الطرائف، ١٢٨.

(٣) سورة طه، الآية: ١٣٢.

(٤) يتابع المودة للقندوزي، ٢٠٤.

وذلك لتعريف الأمة أنَّ هاتين الفضيلتين خاصة لأهل البيت الأطهار عليهم السلام، وهم عترته المصطفون الذين اختصَّهم دون الأمة فجعل لهم قرباً ومكانة عند الله، وليعلموا أنَّ هذا التفضيل ليس أمراً شخصياً وإنما هو اصطفاء وتفضيل منه تعالى، وحجة عليهم بوجوب اتباعهم، وطاعتهم، وتقديمهم على الآخرين في العلم والإمامة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، لا تقديم غيرهم عليهم لا سيما قريش الظالمة، ورجالها الطامعين بالمناصب وكرسي الخلافة والسلطة.

ومع وضوح تلك البيانات القرآنية والنبوية، لحقَّهم إلا أنَّ البعض ظلَّ في إصراره وعناده لطمس تلك الفضائل الواضحة، وسعى بكلِّ طاقته لتعميم الفضائل على الأمة لأجل صرفها عن أهل البيت عناداً ونصباً، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يؤكد على هذه الفضائل في كلِّ مناسبة بأمرٍ من الله سبحانه وتعالى لعلمه أنَّ القوم سوف ينصبون العداً لأهل بيته الأطهار عليهم السلام.

واستمر اهتمام أئمة أهل البيت عليهم السلام ببيان هذه الفضائل كلِّها سنحت الفرصة في المحافل؛ بسبب استمرار أتباع أولئك على منهج العناد والتشكيك، فقد قام الإمام الرضا عليه السلام بالاحتجاج على بعض العلماء في مجلس المأمون في خراسان؛ لبيان معنى هذه الآيات كما في هذه الرواية: عَنِ الرَّيَّانِ بْنِ الصَّلْتِ - فِي رِوَايَةٍ طَوِيلَةٍ نَأْخُذُ مِنْهَا قَدْرَ الْحَاجَةِ - قَالَ: حَضَرَ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ مَجْلِسَ الْمَأْمُونِ بِمَرَوْ، وَقَدْ اجْتَمَعَ فِي مَجْلِسِهِ جَمَاعَةٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ، فَقَالَ

المؤمن: أخبروني عن معنى هذه الآية: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾^(١)، فقالت العلماء: أراد الله عز وجل بذلك الأمة كلها، فقال المؤمن: ما تقول يا أبا الحسن؟

فقال الرضا عليه السلام: «لا أقول كما قالوا، ولكني أقول: أراد الله عز وجل بذلك العترة الطاهرة»، فقال المؤمن: فكيف عني العترة من دون الأمة؟

فقال الرضا عليه السلام: «إنه لو أراد الأمة كلها لكانت أجمعها في الجنة؛ لقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِ ابْتَدَأَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾، ثم جمعهم كلهم في الجنة فقال: ﴿جَنَاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾، فصارت الورثة للعترة الطاهرة لا لغيرهم». فقال المؤمن: من العترة الطاهرة؟

فقال الرضا عليه السلام: «الذين وصفهم الله تعالى في كتابه فقال جل وعز: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ النَّبِيِّ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٢)، وهم الذين قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إني مخلّف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإني لئن يفترقا حتى يرذا عليّ الحوض انظروا كيف تخلفوني فيهما، أيها الناس لا تعلموهم فإنه [فإنهم] أعلم منكم...».

(١) سورة فاطر، الآية: ٣٢.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

قَالَتِ الْعُلَمَاءُ: فَأَخْبِرْنَا هَلْ فَسَّرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْإِصْطِفَاءَ فِي كِتَابِهِ؟

فَقَالَ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فَسَّرَ الْإِصْطِفَاءَ فِي الظَّاهِرِ سِوَى الْبَاطِنِ فِي اثْنَيْ عَشَرَ مَوْطِنًا وَمَوْضِعًا... وَالآيَةُ الثَّانِيَّةُ فِي الْإِصْطِفَاءِ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، وَهَذَا الْفَضْلُ الَّذِي لَا يَجْهَلُهُ أَحَدٌ إِلَّا مُعَانِدٌ صَالٌّ لِأَنَّهُ فَضْلٌ بَعْدَ طَهَارَةٍ يَنْتَظِرُ فِيهَا فَهَذِهِ الثَّانِيَّةُ...».

«وَأَمَّا الثَّانِيَّةُ عَشْرَ، فَقَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَمْرًا أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾، فَحَصَّنَا اللَّهُ بِهَذِهِ الْخُصُوصِيَّةِ إِذْ أَمَرْنَا بِإِقَامِ الصَّلَاةِ ثُمَّ حَصَّنَا مِنْ دُونِ الْأُمَّةِ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَجِيءُ إِلَى بَابِ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ عَلَيْهِمَا السَّلَامَ بَعْدَ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ كُلِّ يَوْمٍ عِنْدَ حُضُورِ كُلِّ صَلَاةٍ حَمْسَ مَرَّاتٍ فَيَقُولُ: الصَّلَاةُ رَحِمَكُمُ اللَّهُ وَمَا أَكْرَمَ اللَّهُ أَحَدًا مِنْ ذُرَارِيِّ الْأَنْبِيَاءِ مِثْلَ هَذِهِ الْكِرَامَةِ الَّتِي أَكْرَمَنَا بِهَا وَحَصَّنَا مِنْ دُونِ جَمِيعِ أَهْلِ بَنِيهِمْ».

فَقَالَ الْمَأْمُونُ وَالْعُلَمَاءُ: جَزَاكُمُ اللَّهُ أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمُ عَنِ الْأُمَّةِ خَيْرًا، فَمَا نَجِدُ الشَّرْحَ وَالْبَيَانَ فِيهَا اشْتَبَهَ عَلَيْنَا إِلَّا عِنْدَكُمْ^(١).

الملاحظة الخامسة

ومن الشواهد والقرائن على حصرية الآية في أهل الكساء هو ما قام به النبي صلى

(١) بشارة المصطفى لشيعته المرتضى، ٢٣٥.

الله عليه وآله في تغطيته لأهل بيته في واقعة المباهلة، ليؤكد لهم مرة بعد مرة بامر الله أن أهله المقصودين في لغة الوحي هم هؤلاء المصطفون، علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام الذين عناهم الله سبحانه؛ ليسد الطريق على كل من تسول له نفسه أن يعطف الآية على غيرهم، كما جاء في هذه الرواية في عيون الأخبار في باب جمل من أخبار موسى بن جعفر عليه السلام مع هارون...، لما قال له: كيف تكونون ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وأنتم أولاد ابنته؟ بحديث طويل يقول فيه عليه السلام هارون: «أزيدك يا أمير المؤمنين؟»، قال: هات.

قلت: «قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾، ولم يدع أحد أنه أدخل النبي صلى الله عليه وآله تحت الكساء عند المباهلة للنصاري إلا علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فكان تأويل قوله عز وجل؟ ﴿أَبْنَاكُمْ﴾ الحسن والحسين ﴿وَنِسَاءَنَا﴾، فاطمة ﴿وَأَنْفُسَنَا﴾، علي بن أبي طالب عليهم السلام، على أن العلماء قد اجتمعوا على أن جبرئيل قال يوم أحد: يا محمد إن هذه هي المواساة من علي قال: لأنه مني وأنا منه^(١).

وهذا ما أكد عليه الإمام الحسن المجتبي عليه السلام في الشام في مجلس معاوية

(١) عيون الأخبار للشيخ الصدوق، ١: ٨١، والاحتجاج للشيخ الطبرسي، ٢: ٣٨٩.

بأن أهل رسول الله صلى الله عليه وآله هم علي (نفسه) وفاطمة (نساؤنا) والحسن والحسين (أبناءنا) وهم أهله ولحمه ودمه ونفسه الذين نزلت فيهم آية المباهلة، كما في هذه الرواية: عن عبد الرحمن بن كثير، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدّه علي بن الحسين عليهما السلام، عن الحسن عليه السلام: «وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حِينَ جَحَدَهُ كَفَرَةَ أَهْلِي الْكِتَابِ وَحَاجُّوهُ: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(١)، فَأَخْرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنَ الْأَنْفُسِ مَعَهُ أَبِي، وَمِنَ الْبَيْنِ أَنَا وَأَخِي، وَمِنَ النِّسَاءِ فَاطِمَةُ أُمِّي مِنَ النَّاسِ بَجَمِيعًا، فَتَحْنُ أَهْلُهُ وَلَحْمُهُ وَدَمُهُ وَنَفْسُهُ، وَنَحْنُ مِنْهُ وَهُوَ مِنَّا»^(٢).

أقول: ويكفي ما أوردناه من الأدلة والشواهد، ولو أردنا أن نعدد القرائن والشواهد على هذه الحقيقة لطال بنا المقام.

آية التطهير وأزواج النبي صلى الله عليه وآله

قال الطباطبائي في الميزان: فإن قيل: إن الروايات إنما تدل على شمول الآية لعلي وفاطمة والحسين وعليهم السلام، ولا ينافي ذلك شمولها لأزواج النبي صلى الله عليه وآله، كما يفيد وقوع الآية في سياق خطابهن.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦١.

(٢) آمالي الطوسي، ٦٥١، ١١٧٤: ١.

قلنا: إن كثيراً من هذه الروايات وخاصة ما رويت عن أم سلمة - وفي بيتها نزلت الآية - تصرّح باختصاصها بهم وعدم شمولها لأزواج النبي صلى الله عليه وآله وستجيب الروايات وفيها الصحاح.

فإن قيل: هذا مدفوع بنص الكتاب على شمولها لمن كوقوع الآية في سياق خطابهن.

قلنا: إننا الشأن كل الشأن في اتصال الآية بما قبلها من الآيات، فهذه الأحاديث على كثرتها البالغة ناصّة في نزول الآية وحدها، ولم يرد حتى في رواية واحدة نزول هذه الآية في ضمن آيات نساء النبي صلى الله عليه وآله، ولا ذكره أحد حتى القائل باختصاص الآية بأزواج النبي صلى الله عليه وآله كما يُنسب إلى عكرمة وعروة، فالآية لم تكن بحسب النزول جزءاً من آيات نساء النبي صلى الله عليه وآله ولا متصلة بها، وإنما وُضعت بينها إماماً بأمر من النبي صلى الله عليه وآله أو عند التأليف بعد الرحلة، ويؤيده أن آية: ﴿ وَقُرْآنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾^(١)، على انسجامها واتصالها لو قدر ارتفاع آية التطهير من بين جملها، فموقع آية التطهير من آية: ﴿ وَقُرْآنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾، كموقع آية: ﴿ النَّيْمَ يَنْسَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾^(٢)، من آية محرمات

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣.

الأكل من سورة المائدة^(١)(٢).

وجاء في تفسير الأمل للشيخ مكارم الشيرازي، والسؤال الوحيد الذي يبقى هنا هو: كيف يمكن أن يطرح مطلب في طيات البحث في واجبات نساء النبي صلى الله عليه وآله ولا يشملهنَّ هذا المطلب؟

وقد أجاب العلامة الطبرسي في مجمع البيان عن هذا السؤال، فقال: ليست هذه المرأة الأولى التي نرى فيها في آيات القرآن أن تتصل مع بعضها وتحدث عن مواضع مختلفة، فإن القرآن مليء بمثل هذه البحوث، وكذلك توجد شواهد كثيرة على هذا الموضوع في كلام فصحاء العرب وأشعارهم.

والجواب الثالث الذي يمكن أن يجاب به عن هذا السؤال هو: أن القرآن يريد أن يقول لزوجات النبي صلى الله عليه وآله: إنكنَّ بين عائلة بعضها معصومون، والذي يعيش في ظلَّ العصمة ومنزل المعصومين فإنه ينبغي له أن يراقب نفسه أكثر من الآخرين، ولا تنسين أنَّ انتسابكنَّ إلى بيت فيه خمسة معصومين يُلقي على عاتقكنَّ مسؤوليات ثقيلة، ويتنظر منكنَّ الله وعباده انتظارات كثيرة^(٣).

(١) وما ذكره البعض من أن «البيت» هنا إشارة إلى بيت الله الحرام، وأهله هم «المتقون» لا يتناسب مطلقاً مع سياق الآيات؛ لأنَّ الكلام في هذه الآيات عن النبي صلى الله عليه وآله وأزواجه، لا عن بيت الله الحرام، ولا يوجد أيُّ دليل على قولهم.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي، ١٦: ٣١٢.

(٣) الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٣: ٢٣٩.

وقفه مع عكرمة والضحاك

وقد تعرّض السيد علي الميلاني لمناقشة هذا الموضوع حيث قال: ولكن يبقى هناك في جهة النفي بحيث يتعلّق بقولين:

أحدهما: ما ينقل عن عكرمة مولى عبد الله بن عباس، فهذا كان يصرّ على أنّ الآية نازلة في خصوص أزواج النبي صلى الله عليه وآله، حتّى أنّه كان يمشي في الأسواق ويعلن عن هذا الرأي، ويخطّي الناس باعتقادهم باختصاص الآية المباركة بأهل البيت، ممّا يدلّ على أنّ الرأي السائد عند المسلمين كان هذا الرأي، حتّى أنّه كان يقول: من شاء باهله في أنّ الآية نازلة في أزواج النبي صلى الله عليه وآله خاصة، وفي تفسير الطبري: إنّ كان ينادي في الأسواق بذلك^(١)، وفي تفسير ابن كثير إنّ كان يقول: من شاء باهله أنّها نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وآله خاصة^(٢)، وفي الدرّ المشور، كان يقول: ليس بالذي تذهبون إليه، إنّما هو نساء النبي صلى الله عليه وآله^(٣).

بطلان القول

لكنّ هذا القول يبطله:

(١) تفسير الطبري، ٧: ٢٢، ابن كثير، ٣: ٤١٥.

(٢) تفسير ابن كثير، ٣: ٤١٥.

(٣) الدرّ المشور للسيوطي، ٥: ١٩٨.

أولاً: إنَّه قول غير منقول عن أحد من أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

ثانياً: قول تردُّه الأحاديث الصحيحة المعتبرة المعتمدة المتفق عليها بين المسلمين.

ثالثاً: هذا الرجل كان منحرفاً فكرياً وعملاً، وكان معادياً لأهل البيت ومن دُعاة

الخوارج.. ونذكر جُملاً مما ذكر بترجمة هذا الرجل:

كان خارجياً بل من دعواتهم، وإنَّما أخذ أهل إفريقية هذا الرأي أي رأي الخوارج

من عكرمة، ولكونه من الخوارج تركه مالك بن أنس ولم يرو عنه^(١).

قال الذهبي: قد تكلم الناس في عكرمة لأنَّه كان يرى رأي الخوارج، بل كان

هذا الرجل مستهتراً بالدين، طاعناً في الإسلام، فقد نقلوا عنه قوله: إنَّما أنزل الله

متشابه القرآن ليضلَّ به الناس، وقال في وقت الموسم أي موسم الحج: وددتُ أني

بالموسم ويدي حربة فأعرض بها مَنْ شهد الموسم يميناً وشمالاً، وإنَّه وقف على

باب مسجد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وقال: ما فيه إلا كافر، وذُكر أنَّه كان لا يصلي،

وأنَّه كان يرتكب جملة من الكبائر.

وقد نصَّ كثير من أئمَّة القوم على أنَّه كان كذاباً، فقد كذب على سيِّده عبد الله

بن عباس حتَّى أوثقه عليُّ بن عبد الله بن عباس على باب كنيف الدار، فقيل له:

أتفعلون هذا بمولاكم؟ قال: إنَّ هذا يكذب على أبي.

- وعن سعيد بن المسيَّب أنَّه قال لمولاه: يا برد إياك أن تكذب عليَّ كما يكذب

(١) ندوات مركز الأبحاث العقائدية، ١: ٣٠١-٣٢٠.

عكرمة على ابن عباس.

- وعن القاسم بن محمد بن أبي بكر الذي هو من فقهاء المدينة المنورة: إنَّ عكرمة كذاب.

- وعن ابن سيرين: كذاب.

- وعن مالك بن أنس: كذاب.

- وعن يحيى بن معين: كذاب.

- وعن بن ذويب: كان غير ثقة.

- وحرّم مالك الرواية عن عكرمة.

- وقال محمد بن سعد صاحب الطبقات: ليس يحتج بحديثه.

هذه الكلمات بترجمة عكرمة وردت في كتاب (الطبقات) لابن سعد، ومن كلمات (الضعفاء الكبير) لأبي جعفر العقيلي، ومن (تهذيب الكمال) للحافظ المزني، ومن (وفيات الأعيان)، ومن (ميزان الاعتدال) للذهبي، و(المغني في الضعفاء) للذهبي، و(سير أعلام النبلاء) للذهبي، و(تهذيب التهذيب) لابن حجر العسقلاني^(١).

لكنَّ الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرحه على صحيح البخاري، في مقدمة

(١) طبقات ابن سعد، ٥: ٢٨٧، تهذيب الكمال، ٢٠: ٢٦٤، تهذيب التهذيب، ٧: ٢٦٣، المغني في الضعفاء للذهبي، ٢: ٨٤، ميزان الاعتدال، ٣: ٩٣، وغيرها.

هذا الشرح^(١)، له فصل يدافع فيه عن رجال صحيح البخاري المقدوح فيهم، عن الرجال المشاهير المجروحين الذين اعتمدتهم البخاري، فيعنون هناك عكرمة مولى ابن عباس ويحاول الذب عن هذا الرجل بما أُوتِيَ من حول وقوة.

ومن طريف ما يجب أن يُذكر هنا: أن عكرمة وإن أُخرج عنه البخاري، لم يُخرج عنه مسلم وأعرض عنه، وإن اعتمده البخاري، ومن هنا قالوا: إنَّ أصحَّ الكتب كتاب البخاري وكتاب مسلم، وأصحَّهما كتاب البخاري، فلأمرٍ ما قدّموا البخاري!! ولنا شواهد على ذلك كحديث الثقلين في صحيح مسلم، ولكنَّ البخاري لم يرو حديث الثقلين في صحيحه.

فكون عكرمة من رجال البخاري لا يفيد البخاري، ولا يفيد عكرمة، أنه ربّما يحتجُّ لوثيقة عكرمة باعتماد البخاري عليه، ولكنَّ الأمر بالعكس، إنَّ رواية البخاري عن عكرمة من أسباب جرحنا للبخاري، من أسباب عدم اعتمادنا على البخاري، ولو أنَّ بعض الكُتّاب المعاصرين ولربّما يكون أيضاً من أصحابنا الإمامية يحاولون الدفاع عن عكرمة، فإنَّهم في اشتباه كبير.

وعلى كلِّ حال، فالقول باختصاص الآية المباركة بأزواج النبي صلى الله عليه وآله، هذا القول مردود، إذ لم يرو إلا عن عكرمة، وقد رفع عكرمة راية هذا القول، وجعل ينشره بين الناس، وطبيعي أنَّ الذين يكونون على شاكلته سيتقبلون منه هذا القول.

(١) هدي الساري مقدّمة فتح الباري، ٥٢٤.

ثانيهما: وهو القول بأن المراد من أهل البيت في هذه الآية المباركة: علي وفاطمة والحسنان عليهم السلام والأزواج أيضاً.

وهذا القول إذا رجعنا إلى التفاسير المعتمدة، لوجدنا مثل ابن الجوزي في كتابه زاد المسير في علم التفسير^(١)، الذي هو من التفاسير المشهورة، ينسب هذا القول إلى الضحّاك فقط، ولم نجد في كتاب ابن الجوزي وأمثاله من يعزو هذا القول إلى غير الضحّاك.

أترى أن قول الضحّاك وحده يعارض ما روته الصحاح والسُنن والمسانيد عن ابن عباس، وعن جابر بن عبد الله، وعن زيد بن أرقم، وعن سعد بن أبي وقاص، وعن أم سلمة، وعن عائشة؟

والعجيب أن هؤلاء يحاولون أن يذكروا لزوجات النبي صلى الله عليه وآله فضيلة، والحال أن الزوجات هنّ بأنفسهنّ يتفين هذا القول، فأُمّ سلمة وعائشة من جملة القائلين باختصاص الآية المباركة بأهل البيت، وكم من عجيب عندهم، وما أكثر العجب والعجيب عندهم، يحاولون الدفاع عن الصحابة أجمعين أكتعين كما يعبر السيد شرف الدين (رحمة الله عليه): أجمعين أكتعين، والحال أن الصحابة أنفسهم لا يرون مثل هذا المقام لهم، ونحن نقول بعدالتهم جميعاً وهم لا يعلمون بعدالتهم؟!!

(١) زاد المسير في علم التفسير، ٦: ٣٨١.

فأم سلمة وعائشة تنفيان أن تكون الآية نازلة في حق أزواج النبي صلى الله عليه وآله، ويأتي الضحّاك ويضيف إلى أهل البيت أزواج النبي صلى الله عليه وآله، وكآته يريد الإصلاح بين الطرفين، وكآته يريد الجمع بين الحقيين.

لكني وجدت في الدر المنثور^(١) حديثاً يرويه السيوطي عن عدّة من أكابر المحدّثين عن الضحّاك، يروي عن النبي صلى الله عليه وآله حديثاً يتنافى مع هذه النسبة إلى الضحّاك وأيضاً: الضحّاك الذي نسب إليه ابن الجوزي هذا القول في تفسيره، هذا الرجل أدرجه ابن الجوزي نفسه في كتاب الضعفاء، وذكره العقيلي في كتاب الضعفاء، وأورده الذهبي في المغني في الضعفاء، وعن يحيى بن سعيد القطان الذي هو من كبار أئمّتهم في الجرح والتعديل أنه كان يجرح هذا الرجل، وذكروا بترجمته أنه بقي في بطن أمّه مدّة سنتين، وهذا ما أدري يكون فضيلة له أو يكون طعناً به، وكم عندهم من هذا القبيل.

وهذا ما دعا مثل ابن تيميّة إلى أن يعترف بصحّة حديث نزول الآية في أهل البيت الأطهار واختصاصها بهم، وأمّا عكرمة والضحّاك، وقول مثل هذين الرجلين المجروحين المطعونين، فإنّما يذكر لتضعيف استدلال الإماميّة بالآية المباركة، والذاكرون أنفسهم يعلمون بعدم صلاحية مثل هذه الأقوال للاستدلال. والعلامة الكبير السيّد محمّد تقي الحكيم في كتابه الأصول العامّة للفقّه المقارن

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ٥: ١٩٩.

وهناك يطرح مبحث آية التطهير، ويذكر هذه الشبهة ويجيب عنها بقوله: وَمَنْ يَدَّعِي الْعِصْمَةَ لَزَوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؟ وَمَنْ يَتَوَهَّمُ الْعِصْمَةَ فِي حَقِّ الْأَزْوَاجِ، لَا سِيَّامَا الَّتِي خَالَفت قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَقَرْنَتْ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾^(١)، فالآية المباركة الواردة في السورة نفسها، والتي تكون آية التطهير في سياق تلك الآية، وهل يكفي أن يقال: بأنها ندمت عما فعلت وكانت تبكي، فخروجها على إمام زمانها أمر ثابت بالضرورة، وبكاؤها وتوبتها أمر يروونه هم، ولنا ألا نصدّقهم، ومتى كانت الرواية معارضة للدراية؟ ومتى أمكننا رفع اليد عن الدراية بالرواية؟ وكيف يدعى أن تكون تلك المرأة من جملة مَنْ أَرَادَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي آيَةِ التَّطْهِيرِ، نعم، يقول به مثل عكرمة الخارجي العدو لأمير المؤمنين عليه السّلام بل للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَوَلِلْإِسْلَامِ^(٢).

وهذا الإصرار من البعض في إدخال زوجات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ مِثَارًا مِنَ الَّذِينَ يَتَاجَرُونَ بِالذِّينِ لِكَسْبِ الْمَالِ وَالتَّزْلِيفِ لِأَنْمَةِ الْجُورِ، وَقَدْ رَدَّ عَلَيْهِمْ أَنْمَةَ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فِي تَفْسِيرِ الْقَمِّيِّ فِي رِوَايَةِ أَبِي الْجَارُودِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٣)، قَالَ: «نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَعَلَيْهِ

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٢) من محاضرات السيد علي الميلاني في موقعه الإلكتروني بتصرف.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَذَلِكَ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ^(١) دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ثُمَّ أَلْبَسَهُمْ كِسَاءً لَهُ خَيْرِيًّا وَدَخَلَ مَعَهُمْ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي الَّذِينَ وَعَدْتَنِي فِيهِمْ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ أَذْهِبْ عَنْهُمْ الرَّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ^(٢)، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: وَأَنَا مَعَهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَبَشِّرِي يَا أُمَّ سَلَمَةَ فَإِنَّكَ ^(٣) إِلَى خَيْرٍ، قَالَ أَبُو الْجَارُودِ وَقَالَ زَيْدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ: إِنَّ جُهَاًلًا مِنَ النَّاسِ يَزْعُمُونَ ^(٤) أَنَّمَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِذِهِ الْآيَةِ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَقَدْ كَذَبُوا وَأَيْمُوا ^(٥)، وَأَيْمُ اللَّهُ لَوْ عَنَى بِهَا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَقَالَ: لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرَّجْسَ وَيُطَهِّرَكُمُ تَطْهِيراً وَلَكَانَ الْكَلَامُ مُؤَنَّثًا كَمَا قَالَ: وَادْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ، وَلَا تَبَرَّجْنَ، وَلَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ ^(٦).

الخلاصة

ثبت أن المراد من الآية المباركة هم أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله خاصة،

(١) في المصدر: زوج النبي.

(٢) هذه الجملة ليست في المصدر.

(٣) في المصدر: إنك.

(٤) في المصدر: الذين يزعمون.

(٥) ليست في (ك) كلمة «وأيموا».

(٦) تفسير القمي، ٥٣٠-٥٣١، والآيات في سورة الأحزاب: ٣٢-٣٤.

حديث السماء... تحت الكساء / ورأسه مؤسومة في مضامين حديث الكساء النبائي

وهم أهل الكساء الخمسة، وقد ثبتت الآية طهارتهم وعصمتهم وأن الغاية من هذا الاصطفاء والاختيار من الله سبحانه وتعالى أن يجعلهم أوصياء وخلفاء لرسوله، وليجتبيهم لدينه، وحججاً على بريته، وأئمة للعالمين، وأنهم المؤهلون الوحيدون ليصبحوا قادة الأمة من بعد النبي صلى الله عليه وآله.



الفصل السادس

رسالة من رسول الله

وأمر المؤمنين (صلوات الله عليهما)
إلى أهل العالم (أهل البيت وشيعتهم)
هم الفائزون في الدنيا والآخرة

الفصل السادس: رسالة من رسول الله وأمير المؤمنين عليهما السلام

أهل البيت وشيعتهم هم الفائزون في الدنيا والآخرة

والبحث حول هذه الفقرة من الحديث الشريف:

«فَقَالَ عَلِيُّ لِأَبِي: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي مَا لُجُوسِنَا هَذَا تَحْتَ الْكِسَاءِ مِنَ الْفَضْلِ

عِنْدَ اللَّهِ؟

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيًّا وَاصْطَفَانِي بِالرِّسَالَةِ نَجِيًّا، مَا ذُكِرَ خَبَرْنَا هَذَا فِي مَحَافِلِ مِنْ مَحَافِلِ أَهْلِ الْأَرْضِ وَفِيهِ جَمْعٌ مِنْ شِيعَتِنَا وَمُحِبِّينَا، إِلَّا وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ وَاسْتَغْفَرَتْ لَهُمْ إِلَى أَنْ يَنْفَرُوا.

فَقَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِذَا وَاللَّهِ فُزْنَا وَفَارَزَ شِيعَتُنَا وَرَبَّ الْكَعْبَةِ.

فَقَالَ أَبِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: يَا عَلِيُّ وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيًّا وَاصْطَفَانِي بِالرِّسَالَةِ نَجِيًّا مَا ذُكِرَ خَبَرْنَا هَذَا فِي مَحَافِلِ مِنْ مَحَافِلِ أَهْلِ الْأَرْضِ وَفِيهِ جَمْعٌ مِنْ شِيعَتِنَا وَمُحِبِّينَا، وَفِيهِمْ مَهْمُومٌ إِلَّا وَفَرَّحَ اللَّهُ هَمَّهُ، وَلَا مَغْمُومٌ إِلَّا وَكَشَفَ اللَّهُ غَمَّهُ وَلَا طَالِبٌ حَاجَةٌ إِلَّا وَقَضَى اللَّهُ حَاجَتَهُ.

فَقَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِذَا وَاللَّهِ فُزْنَا وَسُعِدْنَا، وَكَذَلِكَ شِيعَتُنَا فَارَزُوا وَسُعِدُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَرَبَّ الْكَعْبَةِ»^(١).

(١) العوالم للشيخ عبد الله البحراني.

فضل هذه الجلسة القدسية

ما هو فضل هذه الجلسة القدسية لأهل البيت عليهم السلام عند الله وأثرها وبركاتها على

شيعتهم؟

قبل الجواب لا بُدَّ من لفتِ الانتباه لأُمورٍ في مقدِّمة هذه الفقرة من الحديث، وهي أن النَّصَّ إذا حَفَّتْ به القرائن تعطيه ظهوراً ووضوحاً، وقوَّة يقين بتحقيق الموضوع في الواقع الخارجي، وفي هذا النَّصَّ هنالك أربع قرائن بأنَّ الفوائد المذكورة فيه تتحقق لا محالة:

١- عندما يكون السائل أمير المؤمنين عليه السَّلام وسيد العارفين وباب علم رسول الله صلَّى الله عليه وآله، عن فوائد هذه الجلسة النورانية لأفضل الخلائق عند الله تعالى، والمجيب هو رسول الله صلَّى الله عليه وآله أفضل، وأشرف، وأعلم الخلائق، فلا بُدَّ أن يؤخذ الموضوع بأهميَّة بالغة لأهميَّة السائل والمسؤول والموضوع المسؤول عنه، حيث ورد «فَقَالَ عَلِيُّ لِأَبِي: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي مَا لِحُلُوسِنَا هَذَا تَحْتَ الْكِسَاءِ مِنَ الْفَضْلِ عِنْدَ اللَّهِ؟».

٢- الفقهاء، والمفسِّرون، وأهل اللغة، والبلاغة، يذكرون أنَّ القرائن التي تحفُّ بالكلام تعطيه أهميَّة وقوَّة للمعنى، وخصوصاً إذا سبق الكلام من شخص ذي مرتبة عالية مثل سيد الأنبياء، كما أنَّ صيغة القَسَم وعظمة المُقسَم به يزيد الموضوع زخماً بشكل أكبر؛ حيث قال صلَّى الله عليه وآله: «وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيًّا وَاصْطَفَانِي

بِالرَّسَالَةِ نَجِيًّا...».

٣- كما أنَّ التأكيد في اللغة له فوائد، منها لفتُ الانتباه لأهمية الموضوع، وإذا اجتمع القَسَمُ والتأكيد عليه مرّةً أخرى، يعني أنَّ الأمر صار أشدَّ أهميّةً، وإذا تعقَّب التأكيد بقَسَمِ الإقرار زاده أهميّة قصوى، وفي هذا النَّصُّ تكرار التأكيد بالقَسَمِ من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، بالصيغة نفسها مرتين، ثُمَّ إِنَّ أمير المؤمنين عليه السَّلَامَ أَقْرَأَ وَأَكَّدَ قَسَمَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِتَحَقُّقِ الْفَوَائِدِ الْمَذْكُورَةِ إِلَى شِيعَتِهِمْ.

٤- يقول اللغويون: إذا اجتمع النفي مع الاستثناء يفيد القطع واليقين بحصول الشيء، والنفي هنا بحرف (ما) ذكر خبرنا، والاستثناء بـ(إلا) ونزلت.

والحاصل أنَّ هذه القرانين في هذه الفقرة من الحديث هي تأكيد بوقوع النتيجة والثمرة المرجوة للشيعه والمحيين لا محالة.

ولكن هل يمكن لغير الشيعة أن يستفيدوا من بركات الحديث؟

يظهر من النَّصِّ أنَّ الفوائد المذكورة تفيد العموم وتتحقق لغير الشيعة أيضاً، بقرينة مجيء النكرة في سياق النفي، «مَا ذُكِرَ خَبَرْنَا هَذَا فِي مُحْفَلٍ»، وكذلك قرينة (ألف ولام) العموم والاستغراق «أهل الأرض»، ولكن مشروط كما يظهر من النَّصِّ بوجود جمع المحييين والشيعة في المحفل «وَفِيهِ جَمْعٌ مِنْ شِيعَتِنَا وَمُحِبِّينَا»، ولعلَّ السِّرَّ في ذلك أنَّ وجود المحييين سببٌ لقبول العمل لصحة عقيدتهم، فيكونون سبباً للبركة ونزول الرحمة الإلهية عليهم جميعاً.

وفي الواقع الخارجي هنالك عشرات الشواهد التي تُثبت هذه الحقيقة، فكم من كرامة تحققت لغير الشيعة وقعت في أيام حياة أهل البيت عليهم السَّلام، وعند قبورهم، والكتب مملوءة بالقصص في هذا المجال، وفي هذا الزمان المعاصر وقعت كثير من الحوادث والكرامات بشكل وجداني وهي مثبتة بالصوت والصورة بشهادة أصحابها^(١).

فوائد ذكرها رسول الله صلى الله عليه وآله

الفوائد التي عددها رسول الله صلى الله عليه وآله لمن حَضَرَ محفل تلاوة الحديث فهي كالتالي:

الفائدة الأولى: «أَلَا وَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ الرُّحْمَةَ».. فما المراد من نزول الرحمة؟

قال آية الله الملكي: الرِّحْمَة مشتقة من أسماء الله سبحانه وتعالى، والذي وصف نفسه (الرحمن الرحيم)، وهذه الصفة تختلف عن الرِّحْمَة الاصطلاحية عند المخلوقين، والتي فسرها اللغويون بالحنو والعطف بشكل عام عند الله والإنسان، والاختلاف بين أسماء وصفات الله مع خلقه من جهات عدة:

١- لا يجوز التشبيه بين الله وخلقه في أي اسم وصفة من صفاته، فليس كمثله شيء، فهو مباين لخلقه بشكل مطلق، فليس هو بجسم كالمخلوق حتى يكون له

(١) راجع الكرامة العاشرة في هذا الفصل تحت عنوان: شفاء بنت أرمنية.

جوارح كالقلب الذي يفعل ويطرأ عليه التغيير والحنان والعاطفة؛ وعليه فإنَّ أسماءه لا تنطبق على غيره من المخلوقين في معناها، وإن كان فيها اشتراك لفظي مع غيره، وصفة الرَّحمة لله تختلف عن صفة الرَّحمة عند المخلوقين.

٢- لا يجوز تفسير رحمة الله ورحيميته بالعطف والحنو والسبب (أنت العطوف والعاطف) من جملة أسمائه تعالى، وليس مترادفين بالرحمن والرحيم، وتقرر في محله أنه لا يجوز تفسير اسم من أسمائه تعالى باسمه الآخر؛ لاستلزامه الخلل في تعداد أسمائه تعالى، فإنه عطوف ورحمن ورحيم.

والسرُّ في ذلك أنَّ أسماءه تعالى وإن كانت بحسب المصداق واحدة بالحقيقة، إلا أنَّها بحسب النعوت المأخوذة في كلِّ واحدة منها متباينة، فتمجيدته تعالى بأنه عطوف ليس عين تمجيدته سبحانه بأنه رحمن رحيم، وبالعكس.. وكذا لا يجوز تفسير الرَّبِّ بالمدبِّر وبالعكس... وهكذا في جميع أسمائه سبحانه^(١).

وعليه فإنَّ أسماء الله وصفاته توقيفية موضوعة بالوضع الشخصي في كلِّ واحد من أسمائه بلحاظ نعت من نعوته والواضع هو الله جلَّ ثناؤه.

٣- رحمة الله من صفات الأفعال الحكيمة المستندة إلى كماله الذاتي، الخارجة عن حدِّ التشبيه مع خلقه والتعطيل في صفاته وأفعاله، حيث يستدلُّ عليه وعلى رحمته بآثاره وعلاماته الدالة عليه وأفعاله وعطائه وإحسانه لخلقته، فما من ذرة ولا قطرة

(١) توحيد الإمامية، ١٠١-١٠٢.

إلا وفيها براهين رحمته وبيانات إحسانه.

٤- لله عز وجل اسمان: (الرحمن والرحيم)، والرحمة المأخوذة في كل واحد منهما تختلف عن الآخر، فالرحمة المفاضلة على عباده من اسم الرحمن يشترك فيها البر والفاجر، والرحمة المأخوذة من الرحيم خاصة بالمؤمنين فقط، كما جاء توضيح ذلك في نصوص الوحي.

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الْبَاءُ بِهَاءِ اللَّهِ، وَالسِّينُ سِنَاءُ اللَّهِ، وَالْمِيمُ مَجْدُ اللَّهِ، وَرَوَى بَعْضُهُمْ مُلْكُ اللَّهِ، وَاللَّهُ إِلَهٌ كُلُّ شَيْءٍ، وَالرَّحْمَنُ لِجَمِيعِ الْعَالَمِ، وَالرَّحِيمُ بِالْمُؤْمِنِينَ خَاصَّةً»^(١).

فتبين مما سبق أن لله رحمة عامة باسمه الكريم (الرحمانيّة)، يشترك فيها البرّ والفاجر من دوام الحياة والرزق ودوام النسل وما شابه في الدنيا، ورحمة خاصة لأوليائه وأهل طاعته يفيض عليهم كراماته في الدنيا والآخرة باسمه (الرحيم).

والرحمة المفاضلة على المؤمنين لها مصاديق خارجية وآثار ونعم معنوية ومادية، يعطيها الله بكرمه وحكمته ويزيد لمن حسنت نواياه وزكت نفسه وزادت طاعاته.

أمّا كون الرحمة نازلة فقد استعملت في لسان الوحي لفظ (النزول، وتنزل، وأنزلنا) كثيراً، ولعلّه من ناحية من العلو وعالم الملكوت والعرش وجهة السماء

(١) معاني الأخبار: ٣.

الذي هو موطن الرزق، ولذلك يتوجه العباد إلى الله تعالى نحو السماء طالبين منه إنزال الرحمة والرزق وقضاء حوائجهم، وقد جاءت هذه المسألة في هاتين الروایتين:

ففي حديث الأربعائة عن أمير المؤمنين عليه السلام: «وَلَا يَنْحَنِي إِذَا قَرَعَ أَحَدُكُمْ مِنَ الصَّلَاةِ فَلْيَرْفَعْ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ وَلْيُنْصَبْ فِي الدُّعَاءِ»، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَبَأٍ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَلَيْسَ اللَّهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ؟ قَالَ: «بَلَى»، قَالَ: فَلِمَ يَرْفَعُ الْعَبْدُ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ؟

قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَمَا تَقْرَأُ: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾»^(١)، فَمِنْ أَيْنَ يُطَلَبُ الرِّزْقُ إِلَّا مِنْ مَوْضِعِهِ، وَمَوْضِعُ الرِّزْقِ وَمَا وَعَدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّمَاءَ، لَا يَنْفَتِلُ الْعَبْدُ مِنْ صَلَاتِهِ حَتَّى يَسْأَلَ اللَّهَ الْجَنَّةَ وَيَسْتَجِيرَ بِهِ مِنَ النَّارِ، وَيَسْأَلُهُ أَنْ يُزَوِّجَهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ»^(٢).

وَعَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ فِي حَدِيثِ الزُّنْدِيقِ الَّذِي أَتَى أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ السَّائِلُ: فَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ أَنْ تَرْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ إِلَى السَّمَاءِ وَيَبِينَ أَنْ تُخْفِضُوهَا نَحْوَ الْأَرْضِ؟ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ذَلِكَ فِي عِلْمِهِ وَإِحَاطَتِهِ وَقُدْرَتِهِ سِوَاءٍ، وَلَكِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَ أَوْلِيَاءَهُ وَعِبَادَهُ بِرَفْعِ أَيْدِيهِمْ إِلَى السَّمَاءِ نَحْوَ الْعَرْشِ؛ لِأَنَّهُ جَعَلَهُ مَعْدِنَ الرِّزْقِ فَثَبَّتْنَا مَا ثَبَتَهُ الْقُرْآنُ، وَالْأَخْبَارُ عَنِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حِينَ

(١) سورة الذاريات، الآية: ٢٢. وأما عبد الله بن سبأ فروى الكشي روايات في ذمّه، وأنكر وجوده بعض الأعلام من المعاصرين وقال: هو رجل موهوم اختلقه سيف بن عمر التميمي.

(٢) الحُصَالُ لِلصَّدُوقِ، ٢: ٦٢٩.

قَالَ: اِرْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ^(١).

ما طبيعة الرّحمة التي تنزل لأهل محافل حديث الكسَاء؟

رحمة الله واسعة وشاملة وقد جاءت بصيغة الإطلاق، فلا يمكن أن نقيدها بشيء معين، ولا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى، ولكن المتتبع لهذه المحافل وجلسات ذكر أهل البيت يجد بعض الإشارات والحقائق والكرامات التي تُفاض فيها من هنا وهناك، ومن أهمها دوام الهداية، والرغبة في العمل الصالح، والإقبال على العبادة والشوق للطاعة، والسعي لخدمة الناس، والمحبة للمؤمنين والرّحمة والعطف على الضعفاء، وحسن العاقبة، وما شابه ذلك من صفات الخير التي لا يشعر بها المؤمن في حينها، ولكن عند التأمل والمقارنة مع الآخرين تجد الفروقات الواضحة والتي أشارت إليها بعض الروايات السابقة واللاحقة في هذا الفصل، وفي نهاية الفصل سوف نستعرض بعض المتاح بأيدينا.

ولعلّ الأمور التي ذكرها الحديث بعد «إلا ونزلت عليهم الرحمة» من الفوائد والآثار تكشف طبيعة الرّحمة المرادة.

الفائدة الثانية، «وحفّت بهم الملائكة»، وماذا تعني حفّت بهم الملائكة؟

الحفيف: هو الإحاطة من كلّ جانب، وهذا يعني حضور الملائكة في تلك

(١) توحيد الصدوق، ٢٤٨.

المحافل والمشاركة معهم، فما أهمية حضورهم في تلك المجالس؟
وحتى نعرف أهمية حضورهم لا بُدَّ أن نتعرَّف على هذه المخلوقات ومهامها في
هذا الكون، وعلاقتها بمجالس ذكر الله وأهل البيت عليهم السَّلام.

وتكن الملائكة ماذا سُموا بالملائكة؟

الملائكة في اللغة: قال الطريحي: والمَلَكُ من المَلَائِكَةِ واحد وجمع.. وأصله مَأَلَك
فقدم اللام وأُخِرَ الهمزة ووزنه مفعول من الألوكة وهي الرسالة، ثم تُرِكَت الهمزة
لكثرة الاستعمال فقليل مَلَك، فلَمَّا جمعه ردُّوه إلى أصله، فقالوا: مَلَائِكُكَ فزيدت
التاء للمبالغة أو لتأنيث الجمع.. وعن ابن كيسان هو فَعَالٌ من المَلَكِ وعن أبي
عبيدة مفعول من لَأَكُ إذا أرسل^(١).

منزلة الملائكة عند الله ومهامهم

خلق الله تعالى الملائكة من نورٍ وعقلٍ، وجعلهم عباداً مكرمين لا يعصون الله
ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، مطيعين طاهرين معصومين، ونزع منهم الشهوات
وطعامهم وشرابهم وشهوتهم في التسبيح والتهليل، لا يفترون من عبادته ولا
يسأمون، وهم أكثر من خلق من عباده، فملا بهم سماءه وأرضه من عرشه إلى السماء
السَّابعة حتى تخوم الأرض السابعة، فما من بقعة في الهواء والسماء والجبال ولا قطرة

(١) مجمع البحرين للطريحي، ج ٥، ٢٩٢.

مطر أو ذرة تراب إلا وعليها ملك موكل بها.

وقد وصفهم أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام بقوله: «وَمَلَائِكَةٌ خَلَقْتَهُمْ وَأَسَكَّتَهُمْ سَمَاوَاتِكَ فَلَيْسَ فِيهِمْ فِتْرَةٌ وَلَا عِنْدَهُمْ غَفْلَةٌ وَلَا فِيهِمْ مَعْصِيَةٌ، هُمْ أَعْلَمُ خَلْقِكَ بِكَ، وَأَخَوْفُ خَلْقِكَ مِنْكَ، وَأَقْرَبُ خَلْقِكَ إِلَيْكَ وَأَعْمَلُهُمْ بِطَاعَتِكَ، لَا يَغْشَاهُمْ نَوْمُ الْعُيُونِ وَلَا سَهُوُ الْعُقُولِ وَلَا فِتْرَةُ الْأَبْدَانِ، لَمْ يَسْكُنُوا الْأَصْلَابَ وَلَمْ تَتَضَمَّنْهُمْ الْأَرْحَامُ، وَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِنْ مَاءٍ مِهِينٍ، أَنْشَأْتَهُمْ إِنْشَاءً فَأَسَكَّتَهُمْ سَمَاوَاتِكَ وَأَكْرَمْتَهُمْ بِجَوَارِكَ، وَاتَّمَمْتَهُمْ عَلَى وَحْيِكَ، وَجَنَّبْتَهُمْ الْأَفَاتِ وَوَقَيْتَهُمُ الْبَلِيَّاتِ، وَطَهَّرْتَهُمْ مِنَ الذُّنُوبِ، وَلَوْلَا قُوَّتُكَ لَمْ يَقْوُوا، وَلَوْلَا تَشْيِيتُكَ لَمْ يَتَّبِعُوا، وَلَوْلَا رَحْمَتُكَ لَمْ يُطِيعُوا وَلَوْلَا أَنْتَ لَمْ يَكُونُوا، أَمَا إِنَّهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ مِنْكَ وَطَوَاعِيَّتِهِمْ إِلَيْكَ وَمَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَكَ وَقَلَّةِ غَفْلَتِهِمْ عَنْ أَمْرِكَ، لَوْ عَايَنُوا مَا خَفِيَ عَنْهُمْ مِنْكَ لَأَحْتَقَرُوا أَعْمَالَهُمْ، وَلَا زُرُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَلَعَلِمُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ، سُبْحَانَكَ خَالِقاً وَمَعْبُوداً مَا أَحْسَنَ بَلَاءَكَ عِنْدَ خَلْقِكَ»^(١).

وفي خطبة أخرى قال عليه السلام في صفة الملائكة: «ثُمَّ خَلَقَ سُبْحَانَهُ لِإِسْكَانِ سَمَاوَاتِهِ وَعِمَارَةِ الصَّفِيحِ الْأَعْلَى مِنْ مَلَكُوتِهِ خَلْقاً بَدِيعاً مِنْ مَلَائِكَتِهِ، وَمَلَائِكَةً فَرُوجَ فِجَاجِهَا وَحَسَاباً يَهْمُ فُتُوقَ أَجْوَانِهَا وَيَبِينُ فَعَجَوَاتِ نَلِكِ الْفُرُوجِ، رَجُلُ الْمُسَبِّحِينَ مِنْهُمْ فِي حَطَائِرِ الْقُدْسِ وَسُتْرَاتِ الْحُجُبِ وَسَرَادِقَاتِ الْمَجْدِ،

(١) تفسير القمي، ٢: ٢٠٧، وتفسير البرهان، ٤: ٥٣٦، وبحار الأنوار، ٥٦: ١٧٥.

وَوَرَاءَ ذَلِكَ الرَّجِيحِ الَّذِي تَسْتَكُّ مِنْهُ الْأَسْمَاعُ سُبُحَاتُ نُورٍ تَرْدَعُ الْأَبْصَارَ عَنْ
بُلُوغِهَا فَتَقِفُ خَاسِئَةً عَلَى حُدُودِهَا.

وَأَنْشَأَهُمْ عَلَى صُورٍ مُخْتَلِفَاتٍ وَأَقْدَارٍ مُتَمَاوِنَاتٍ، أُولَى أَجْنِحَةٍ تُسْبِغُ جَلَالَ عِزَّتِهِ
لَا يَنْتَجِلُونَ مَا ظَهَرَ فِي الْخَلْقِ مِنْ صُنْعِهِ، وَلَا يَدْعُونَ أَنَّهُمْ يَخْلُقُونَ شَيْئًا مَعَهُ يَمَّا انْفَرَدَ
بِهِ، بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ فِيهَا هُنَالِكَ
أَهْلَ الْأَمَانَةِ عَلَى وَحْيِهِ وَحَمَلَهُمْ إِلَى الْمُرْسَلِينَ وَذَائِعَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَعَصَمَهُمْ مِنْ رَبِّ
الشُّبُهَاتِ فَمَا مِنْهُمْ زَانِعٌ عَنْ سَبِيلِ مَرْضَاتِهِ، وَأَمَدَهُمْ بِفَوَائِدِ الْمُعُونَةِ، وَأَشْعَرَ قُلُوبَهُمْ
تَوَاضَعِ إِخْبَاتِ السَّكِينَةِ، وَفَتَحَ لَهُمْ أَبْوَابًا ذُلًّا إِلَى تَمَاجِيدِهِ، وَنَصَبَ لَهُمْ مَنَارًا وَأَضْحَى
عَلَى أَعْلَامِ تَوْحِيدِهِ، لَمْ تُثْقَلْهُمْ مُؤَصِّرَاتُ الْأَثَامِ، وَلَمْ تَرْتَمِلْهُمْ عُقْبُ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ،
وَلَمْ تَرْمِ الشُّكُوكُ بِنَوَازِعِهَا عَزِيمَةَ إِيْمَانِهِمْ، وَلَمْ تَعْتَرِكِ الظُّنُونُ عَلَى مَعَاقِدِ يَقِينِهِمْ، وَلَا
قَدَحَتْ قَادِحَةَ الْإِحْنِ فِيهَا بَيْنَهُمْ، وَلَا سَلَبَتْهُمْ الْحَيْرَةَ مَا لَاقَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِضَمَائِرِهِمْ
وَمَا سَكَنَ مِنْ عَظَمَتِهِ وَهَيْبَةِ جَلَالِهِ فِي أَثْنَاءِ صُدُورِهِمْ، وَلَمْ تَطْمَعْ فِيهِمُ الْوَسَاوِسُ
فَتَقْتَرَعَ بِرَبِّينَهَا عَلَى فِكْرِهِمْ، وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي خَلْقِ الْعَمَامِ الدَّلْحِ وَفِي عِظَمِ الْجِبَالِ
الشُّمُخِ وَفِي قَتْرَةِ الظَّلَامِ الْأَيْهَمِ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَدْ خَرَقَتْ أَقْدَامُهُمْ نُحُومَ الْأَرْضِ السُّفْلَى،
فَهِيَ كَرَايَاتٍ بِيضٍ قَدْ نَفَذَتْ فِي مَخَارِقِ الْهَوَاءِ، وَتَحْتَهَا رِيحٌ هَفَافَةٌ تَحْبِسُهَا عَلَى حَيْثُ
انْتَهَتْ مِنَ الْحُدُودِ الْمُتَنَاهِيَةِ، قَدْ اسْتَفْرَعَتْهُمْ أَشْغَالُ عِبَادَتِهِ [وَوَصَلَتْ] وَصَلَتْ
حَقَائِقُ الْإِيْمَانِ بَيْنَهُمْ وَبَيَّنَّ مَعْرِفَتِهِ، وَقَطَعَهُمُ الْإِيْقَانُ بِهِ إِلَى الْوَلَةِ إِلَيْهِ، وَلَمْ تُجَاوِزْ

رَعْبَانْتَهُمْ مَا عِنْدَهُ إِلَى مَا عِنْدَ غَيْرِهِ، قَدْ ذَاقُوا حَلَاوَةَ مَعْرِفَتِهِ، وَشَرِبُوا بِالْكَأْسِ الرَّوِيَّةِ مِنْ مَحَبَّتِهِ، وَتَمَكَّنَتْ مِنْ [سُوَيْدَاوَاتٍ] سُوَيْدَاءِ قُلُوبِهِمْ وَشَيْجَةَ خَيْفَتِهِ، فَحَنُوا بِطُولِ الطَّاعَةِ اغْتِدَالَ ظُهُورِهِمْ، وَلَمْ يُنْفِذْ طُولُ الرَّغْبَةِ إِلَيْهِ مَادَّةَ نَضْرُوعِهِمْ، وَلَا أَطْلَقَ عَنْهُمْ عَظِيمُ الرُّلْفَةِ رَبَقَ خُشُوعِهِمْ، وَلَمْ يَتَوَلَّهُمُ الْإِعْجَابُ فَيَسْتَكْبِرُوا مَا سَلَفَ مِنْهُمْ، وَلَا تَرَكَتْ لَهُمْ اسْتِكَانَةُ الْإِجْلَالِ نَصِيبًا فِي تَعْظِيمِ حَسَنَاتِهِمْ، وَلَمْ تَجْرِ الْفَتْرَاتُ فِيهِمْ عَلَى طُولِ دُءُوبِهِمْ، وَلَمْ تَغْضُ رَعْبَانْتَهُمْ فَيَحَالِفُوا عَنْ رَجَاءِ رَبِّهِمْ، وَلَمْ تَحْفَ لَطُولِ الْمُنَاجَاةِ أَسْلَاتُ أَلْسِنَتِهِمْ، وَلَا مَلَكَتْهُمْ الْأَشْفَالُ فَتَنْقَطِعَ بِهِمْسِ الْجَوَارِ إِلَيْهِ أَصْوَاتُهُمْ، وَلَمْ تَخْتَلِفْ فِي مَقَاوِمِ الطَّاعَةِ مَنَاكِبُهُمْ، وَلَمْ يَتَنَوُوا إِلَى رَاحَةِ التَّقْصِيرِ فِي أَمْرِهِ رِقَابُهُمْ.

وَلَا تَعْدُو عَلَى عَزِيمَةِ جِدِّهِمْ بِلَادَةُ الْعَفَلَاتِ، وَلَا تَنْتَضِلُ فِي هِمَمِهِمْ خَدَائِعُ الشَّهَوَاتِ، قَدْ اتَّخَذُوا ذَا الْعَرْشِ ذَخِيرَةً لِيَوْمِ فِاقَتِهِمْ، وَيَمَّمُوهُ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْخُلُقِ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ بِرَغْبَتِهِمْ، لَا يَقْطَعُونَ أَمَدَ غَايَةِ عِبَادَتِهِ، وَلَا يَرْجِعُ بِهِمُ الْإِسْتِهْتَارُ بِلُزُومِ طَاعَتِهِ، إِلَّا إِلَى مَوَادِّ مِنْ قُلُوبِهِمْ غَيْرِ مُنْقَطِعَةٍ مِنْ رَجَائِهِ وَخَافَتِهِ، لَمْ تَنْقَطِعْ أَسْبَابُ الشَّفَقَةِ مِنْهُمْ فَيَتَوَا فِي جِدِّهِمْ، وَلَمْ تَأْسِرْهُمْ الْأَطْمَاعُ فَيُؤْتِرُوا وَشَيْكَ السَّعْيِ عَلَى اجْتِهَادِهِمْ، لَمْ يَسْتَعْظِمُوا مَا مَضَى مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَلَوْ اسْتَعْظَمُوا ذَلِكَ لَنَسَخَ الرَّجَاءُ مِنْهُمْ شَفَقَاتِ وَجَلِّهِمْ، وَلَمْ يَخْتَلِفُوا فِي رَبِّهِمْ بِاسْتِحْوَاذِ الشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يُفَرِّقْهُمْ سُوءُ التَّقَاطُعِ وَلَا تَوَلَّاهُمْ غِلُّ التَّحَاسُدِ، وَلَا تَشَعَّبَتْهُمْ مَصَارِفُ [الرَّيْبِ] الرَّيْبِ، وَلَا افْتَسَمَتْهُمْ أَخْيَافُ الْهَمَمِ، فَهُمْ أَسْرَاءُ إِيْتَانٍ لَمْ يَفْكَهُمْ مِنْ رَبْقَتِهِ زَيْغٌ وَلَا عُذُولٌ وَلَا

وَنِي وَلَا فُتُورٌ، وَلَيْسَ فِي أَطْبَاقِ السَّمَاءِ مَوْضِعٌ إِهَابٍ إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ أَوْ سَاعٍ حَافِدٌ، يَزْدَادُونَ عَلَى طُولِ الطَّاعَةِ بِرَبِّهِمْ عِلْمًا، وَتَزْدَادُ عِزَّةُ رَبِّهِمْ فِي قُلُوبِهِمْ عِظْمًا^(١).

أقسام الملائكة ومهماتهم

قال الإمام السَّجَّاد عليه السَّلَام في الصحيفة السجادية في الصَّلَاةِ عَلَى حَمَلَةِ الْعَرْشِ وَكُلِّ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ: «اللَّهُمَّ وَحَمَلَةُ عَرْشِكَ الَّذِينَ لَا يَفْتُرُونَ مِنْ تَسْبِيحِكَ، وَلَا يَسْأَمُونَ مِنْ تَقْدِيرِكَ، وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ مِنْ عِبَادَتِكَ، وَلَا يُؤْثِرُونَ التَّقْصِيرَ عَلَى الْجِدِّ فِي أَمْرِكَ، وَلَا يَغْفُلُونَ عَنِ الْوَلَةِ إِلَيْكَ، وَإِسْرَافِيلُ صَاحِبُ الصُّورِ، الشَّاحِضُ الَّذِي يَنْتَظِرُ مِنْكَ الْإِذْنَ، وَحُلُولَ الْأَمْرِ، فَيَنْبِئُهُ بِالنَّفْحَةِ صَرَخِي رَهَائِنِ الْقُبُورِ، وَمِيكَائِيلُ ذُو الْجَاهِ عِنْدَكَ، وَالْمَكَانِ الرَّفِيعِ مِنْ طَاعَتِكَ، وَجِبْرِيلُ الْأَمِينُ عَلَى وَحْيِكَ، الْمُطَاعُ فِي أَهْلِ سَمَاوَاتِكَ، الْمُكِينُ لَدَيْكَ، الْمُقَرَّبُ عِنْدَكَ وَالرُّوحُ الَّذِي هُوَ عَلَى مَلَائِكَةِ الْحُجُبِ.

وَالرُّوحُ الَّذِي هُوَ مِنْ أَمْرِكَ، فَصَلَّ عَلَيْهِمْ، وَعَلَى الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِمْ، مِنْ سُكَّانِ سَمَاوَاتِكَ، وَأَهْلِ الْأَمَانَةِ عَلَى رِسَالَتِكَ، وَالَّذِينَ لَا تَدْخُلُهُمْ سَأْمَةٌ مِنْ دُؤُوبٍ، وَلَا إِعْيَاءٌ مِنْ لُغُوبٍ وَلَا فُتُورٍ، وَلَا تَشْغَلُهُمْ عَنْ تَسْبِيحِكَ الشَّهَوَاتُ، وَلَا يَقْطَعُهُمْ عَنْ تَعْظِيمِكَ سَهْوُ الْغَفَلَاتِ.

الْحُشْعُ الْأَبْصَارِ فَلَا يَرُومُونَ النَّظَرَ إِلَيْكَ، النَّوَاكِيسُ الْأَذْقَانِ، الَّذِينَ قَدْ طَالَتْ رَغْبَتُهُمْ فِيمَا لَدَيْكَ، الْمُسْتَهْتَرُونَ بِذِكْرِ آيَاتِكَ، وَالْمُتَوَاضِعُونَ دُونَ عَظَمَتِكَ وَجَلَالِ

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ٦: ٤٢٥.

كِبْرِيَاثِكَ، وَالَّذِينَ يَقُولُونَ إِذَا نَظَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ تَزْفِرُ عَلَىٰ أَهْلِ مَعْصِيَتِكَ:

سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ.. فَصَلِّ عَلَيْهِمْ وَعَلَىٰ الرُّوحَانِيِّينَ مِنْ مَلَائِكَتِكَ، وَأَهْلِ الرُّزْفَةِ عِنْدَكَ، وَحَمَالِ الْغَيْبِ إِلَىٰ رُسُلِكَ، وَالْمُؤْتَمِّينَ عَلَىٰ وَحْيِكَ وَقَبَائِلِ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ اخْتَصَصْتَهُمْ لِنَفْسِكَ، وَأَغْنَيْتَهُمْ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ بِتَقْدِيرِكَ، وَأَسْكَنْتَهُمْ بُطُونِ أَطْبَاقِ سَمَاوَاتِكَ.. وَالَّذِينَ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا إِذَا نَزَلَ الْأَمْرُ بِتَمَامِ وَعْدِكَ وَخُزَّانِ الْمُطَرِّ وَرَوَاجِرِ السَّحَابِ وَالَّذِي بِصَوْتِ رَجْرِهِ يُسْمَعُ رَجْلُ الرَّعُودِ، وَإِذَا سَبَّحْتَ بِهِ حَفِيفَةُ السَّحَابِ التَّمَعَّتْ صَوَاعِقُ الْبُرُوقِ.

وَمُشِيعِي النَّلْجِ وَالْبَرْدِ، وَالْهَابِطِينَ مَعَ قَطْرِ الْمُطَرِّ إِذَا نَزَلَ، وَالْقَوَامِ عَلَىٰ خَزَائِنِ الرِّيَّاحِ، وَالْمُوكِّلِينَ بِالْجِبَالِ فَلَا تَزُولُ وَالَّذِينَ عَرَفْتَهُمْ مَنَاقِلَ الْمِيَاهِ، وَكَيْلَ مَا تَحْوِيهِ لَوَاعِجُ الْأَمْطَارِ وَعَوَاجِلُهَا وَرُسُلِكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَىٰ أَهْلِ الْأَرْضِ بِمَكْرُوهِ مَا يَنْزِلُ مِنَ الْبَلَاءِ وَمَحْبُوبِ الرَّخَاءِ وَالسَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالْحَفِظَةِ الْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ، وَمَلِكِ الْمَوْتِ وَأَعْوَانِهِ، وَمُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ، وَرُومَانَ فَتَانَ الْقُبُورِ، وَالطَّائِفِينَ بِالْبَيْتِ الْمُعْمُورِ، وَمَالِكِ، وَالْحَزَنَةَ، وَرِضْوَانَ، وَسَدَنَةَ الْجَنَانِ.

وَالَّذِينَ لَا يَعْضُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ، وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ، وَالزَّبَانِيَةَ الَّذِينَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ: خُذُوهُ فَعَلُوهُ لَمَّا الْجَحِيمِ صَلَّوهُ ابْتَدَرُوهُ سِرَاعاً، وَلَمْ يُنظِرُوهُ.. وَمَنْ أَوْهَمْنَا ذِكْرَهُ، وَلَمْ نَعْلَمْ مَكَانَهُ مِنْكَ، وَبِأَيِّ أَمْرٍ وَكَلَّمْتَهُ.. وَسُكَّانِ الْهَوَاءِ وَالْأَرْضِ وَالْمَاءِ وَمَنْ مِنْهُمْ

عَلَى الْخَلْقِ، فَصَلَّ عَلَيْهِمْ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ، وَصَلَّ عَلَيْهِمْ
صَلَاةً تَزِيدُهُمْ كَرَامَةً عَلَى كَرَامَتِهِمْ وَطَهَارَةً عَلَى طَهَارَتِهِمْ.. اللَّهُمَّ وَإِذَا صَلَّيْتُ
عَلَى مَلَائِكَتِكَ وَرُسُلِكَ وَبَلَّغْتُهُمْ صَلَاتِنَا عَلَيْهِمْ فَصَلِّ عَلَيْنَا بِمَا فَتَحْتَ لَنَا مِنْ
حُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِمْ، إِنَّكَ جَوَادٌ كَرِيمٌ»^(١).

ونعود إلى السؤال فما هو دورهم وأهمية حضورهم في محافل المؤمنين الذاكرين
لأهل البيت عليهم السلام؟

بعد هذا التعريف بالملائكة من أهل البيت عليهم السلام ندرك أهمية حضورهم
فهو إمامًا:

١- مباركة المحفل.

٢- أو العناية بأهل المحفل وتأييدهم وتثبيتهم وحفظهم وبيشارتهم.

٣- أو تسجيل أسمائهم في صحائف أعمالهم.

٤- أو التأمين على دعائهم أو رفع دعائهم وحاجاتهم، فقد ورد عَنْ غِيَاثِ بْنِ
إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «مَا اجْتَمَعَ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَصَاعِدًا
إِلَّا حَضَرَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مِثْلُهُمْ، فَإِنْ دَعَوْا بِخَيْرٍ أَمَّنُوا، وَإِنْ اسْتَعَاذُوا مِنْ شَرٍّ دَعَا اللَّهُ
لِيَصْرِفَهُ عَنْهُمْ، وَإِنْ سَأَلُوا حَاجَةً تَشَفَّعُوا إِلَى اللَّهِ وَسَأَلُوهُ قَضَاءَهَا...»^(٢).

(١) الصحيفة السجادية: ٣٨-٤٠.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ٢: ١٨٧.

٥- أو أنها تأتي تتشرف لتتبارك بتلك المحافل وتتعلم منها وتأخذ حاجاتها، لما ترى بعين الحقيقة من عظمة تلك المجالس وفوائدها، فقد ورد في هذا الشأن أخبار عدة، ومنها: عَنْ عَبْدِ بْنِ كَثِيرٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنِّي مَرَرْتُ بِقَاصٍ يَقْصُ وَهُوَ يَقُولُ هَذَا الْمَجْلِسَ الَّذِي لَا يَشْقَى بِهِ جَلِيسٌ، قَالَ: فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ أَخْطَأْتُ»^(١) أَسْتَاهُهُمُ الْحُفْرَةَ إِنَّ اللَّهَ مَلَائِكَةٌ سَيَّاحِينَ سِوَى الْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ، فَإِذَا مَرُّوا بِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ مُحَمَّدًا وَآلَ مُحَمَّدٍ قَالُوا: قِفُوا فَقَدْ أَصَبْتُمْ حَاجَتَكُمْ، فَيَجْلِسُونَ فَيَتَفَقَّهُونَ مَعَهُمْ، فَإِذَا قَامُوا عَادُوا مَرْضَاهُمْ وَشَهِدُوا جَنَائِزَهُمْ وَتَعَاهَدُوا غَائِبَتَهُمْ، فَذَلِكَ الْمَجْلِسُ الَّذِي لَا يَشْقَى بِهِ جَلِيسٌ»^(٢).

عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ سَلَمَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ: «مَا قَوْمٌ اجْتَمَعُوا يَذْكُرُونَ فَضْلَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِلَّا هَبَطَتْ عَلَيْهِمُ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ حَتَّى تَحْفَ بِهِمْ، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجَتِ الْمَلَائِكَةُ إِلَى السَّمَاءِ، فَيَقُولُ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ: إِنَّا نَسَمُّ مِنْ رَائِحَتِكُمْ مَا لَا نَسَمُّهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَلَمْ نَرِ رَائِحَةَ أَطْيَبَ مِنْهَا، فَيَقُولُونَ: كُنَّا عِنْدَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ مُحَمَّدًا وَأَهْلَ بَيْتِهِ فَعَلِقَ فِينَا مِنْ رِيحِهِمْ

(١) الخطأ: ضد الصواب والخطأ (عند أبي عبيد) الذهاب إلى خلاف الصواب مع قصد الصواب (وعند غيره): الذهاب إلى غير الصواب مطلقاً وغير عمد. والأستاه هفوة والهاء أخيراً جمع الإست بالكسر وهي حلقة الدبر وأصل الإست: سته بالتحريك وقد يسكن التاء حذف الهاء وعوضت عنها الهفوة والمراد بالحفرة الكنيف الذي يتغوط فيه، وكأن هذا كان مثلاً سائراً يضرب لمن استعمل كلاماً في غير موضعه أو أخطأ خطأ فاحشاً (آت).

(٢) الكافي (ط - الإسلامية)، ٢: ١٨٧، ح ٧٣.

فَتَعَطَّرْنَا، فَيَقُولُونَ: اهْبِطُوا بِنَا إِلَيْهِمْ، فَيَقُولُونَ: تَفَرَّقُوا وَمَضَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَيَقُولُونَ: اهْبِطُوا بِنَا حَتَّى نَتَعَطَّرَ بِذَلِكَ الْمَكَانِ»^(١).

الفائدة الثالثة، (واستغفرت لهم الى أن يتفرقوا)

أحد أهم فوائد حضور الملائكة في مجلس حديث الكساء هو استغفار الملائكة لأهل المحفل، وهي من الثمرات المهمة بالنسبة للإنسان المؤمن، فإن معرفته بالله تعالى تفرض عليه المخافة من سوء المنقلب وسوء الحساب، لما تخلفه الذنوب اليومية من آثار وتصدعات في منظومة الإيمان لدى الشخص المؤمن، وهذه المجالس هي الشلال الذي يغسل ما علق على روح الإنسان من أوساخ وقاذورات الذنوب، وكون الملائكة تستغفر لذاكري أهل البيت عليهم السلام، فهو شرف عظيم لهم، وذلك لكون الملائكة مقرين عند الله وهم عمال الله الذين يعملون بأمره سبحانه وتعالى، فما أفضل وأسهل هذه الوسيلة في كنس وسخ الذنوب بلا تعب ولا نصب من قبل العبد المؤمن.

وهذا الاستغفار ليس أمراً جديداً ولا عجيباً فأصله مثبت في القرآن المجيد حيث يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَتَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٢)، فقد روى الكليني بسنده إلى أبي بصير أنه دخل

(١) الروضة: ٣٤، ح ٤.

(٢) سورة المؤمن، الآية: ٧.

على الإمام الصادق عليه السلام فقال له: «يا أبا محمد إن الله عز وجل ملائكة يسقطون الذنوب عن ظهور شيعتنا كما يسقط الريح الورق في أوان سقوطه، وذلك قوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾، استغفارهم والله لكم دون هذا الخلق يا أبا محمد فهل سررتك؟»^(١).

وعبد السلام بن صالح الهروي عن علي بن موسى الرضا عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب (عليهم السلام) قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما خلق الله خلقاً أفضل مني ولا أكرم عليه مني، قال علي عليه السلام: فقلت يا رسول الله فانت أفضل أم جبرئيل؟ فقال: يا علي إن الله تبارك وتعالى فضل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقربين، وفضلني على جميع النبيين والمرسلين، والفضل بعدي لك يا علي وللأئمة من بعدك، وإن الملائكة لخدائنا وخدام محبينا، يا علي الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم... ويستغفرون للذين آمنوا بولائتنا»^(٢).

وعن حماد بن عيسى عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سأل: الملائكة أكثر أم بنو

(١) الكافي للشيخ الكليني، ٨: ٣٤، ح ٦.

(٢) علل الشرائع للصدوق، ١: ٥.

آدم؟ فقال: «والذي نفسي بيده ملائكة الله في السموات أكثر من عدد التراب في الأرض، وما في السماء موضع قدم إلا وفيه ملك يسبحه ويقدسُه، ولا في الأرض شجرة ولا عودة إلا وبها ملك موكل، يأتي الله في كل يوم بعلمها والله أعلم بها، وما منهم أحد إلا ويتقرب إلى الله بولائتنا أهل البيت ويستغفر لمحبينا ويلعن أعداءنا، ويسأل الله أن يرسل العذاب عليهم إرسالاً»^(١).

وفي تفسير القمي قال: (وقوله: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ﴾ يعني رسول الله صلى الله عليه وآله والأوصياء من بعده يحملون علم الله، ﴿وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ يعني الملائكة، ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني شيعة آل محمد)^(٢).

وقد يقول قائل: إن هذا الاستغفار لعموم المحبين وشيعة أهل البيت بلا تخصيص لأهل محفل حديث الكساء؟ قلت في الجواب:

أولاً: لا يوجد تعارض بين العموم في الآية والحديث بشموله لشيعة آل محمد، وبين أهل المحفل، فهم أحد الموارد والنماذج للشيعة الأوفياء الذاكرين لسادتهم في المحافل.

ثانياً: لعل العناية في استغفار الملائكة لأهل محفل حديث الكساء بالفورية بقرينة

(١) تفسير القمي، ٢: ٢٥٥. تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، ٥١٧.

(٢) تفسير القمي، ٢: ٢٥٦.

«استغفرت لهم إلى أن يتفرقوا»؛ لأنَّ محفل الذكر موجب لمزيد من الطاعة والعمل الصالح الموجب لاستغفار الملائكة الفوري.

ولا ريب أن أصل هذه الفيوضات الإلهية المعطاة للشيعة والمحبين إنما هو كرامة لمحمد وآل محمد ولمن اتبعهم ووالاهم لأنهم الغاية لخلق هذا الوجود وعلى محبتهم ولاجلهم.

الفائدتان الرابعة والخامسة ، وهيهن مهموم إلا وخرج همه ، ولا مهموم إلا وكشف غمه ..

معنى الهمَّ والغمُّ لغَةً والفرق بينهما: حيث جاء في كتاب الفروق اللغوية: أنَّ الهمَّ هو الفكر في إزالة المكروه واجتلاب المحبوب، وليس هو من الغم في شيء، ألا ترى أنك تقول لصاحبك اهتم في حاجتي ولا يصح أن تقول اغتم بها.

والغم معنى ينقبض القلب معه، ويكون لوقوع ضرر قد كان أو توقع ضرر يكون أو يتوهمه، وقد سُمِّي الحزن الذي تطول مدته حتى يذيب البدن همًّا، واشتقاقه من قولك إنهمَّ^(١) الشحم إذا ذاب وهمَّ إذا أذابه^(٢).

وفي كتاب الماء، الهمُّ: والفرق بينه وبين الغمَّ أنَّ الشرَّ وقع في الغمَّ ومُنْتَظَر في الهمَّ.. وقيل: إنَّ الهمَّ التَّفكُّر في مَكروهٍ يَخاف الإنسان حدوثه ويرجو فواته، فهو مُرَكَّب من خوف ورجاء.. والغمُّ لا فِكْر فيه لأنه إنما يكون فيما مَضَى.. وفي الدعاء:

(١) في الأصل «أهم» والتصويب من القاموس.

(٢) كتاب الفروق اللغوية: ٢٦١.

«أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ»، وَفِي دُعَاءِ آخَرَ: «أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْغَمِّ وَالْحَزَنِ»^(١).

وجاء في مجمع البحرين للطريحي، قيل: الفرق بين الثلاثة، هو أن الهَمَّ قبل نزول الأمر ويطرد النوم، والغم بعد نزول الأمر ويجلب النوم، والحزن: الأسف على ما فات، وخشونة في النفس لما يحصل فيها من الغم.. وأهَمَّنِي الأمر: أقلقني وأحزنني.. والمِهْمُ: الأمر الشديد.. وَقَوْلُهُ: (إِلَّا هَمًّا وَاحِدًا قَدْ انْفَرَدَ بِهِ هُوَ الْوُضُوءُ إِلَى سَاحِلِ الْعِزَّةِ)، وَفِي حَدِيثِ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِ: «بَعِيدٌ هَمُّهُ، طَوِيلٌ غَمُّهُ»، وذلك نظراً إلى ما بين يديه من الموت، وما بعده، وبحسب ذلك كان بُعد هَمَّتِهِ في المطالب العالية، والسعادة الباقية، وشغل نفسه بعبادة ربه وهَمَّنِي المرض: أذابني، وسنام مَهْمُومٌ: مذاب^(٢).

وخلاصة التعريفات: الهَمُّ هو انشغال الفكر بأمر آتٍ إمَّا مكروه أو محبوب يؤثر على النفس سلباً، ممَّا يؤدي إلى القلق وانشغال البال غالباً، وربما يؤدي إلى اضطراب النوم والراحة بسبب الشعور بثقل المشكلة وشدتها، بينما الغمُّ فهو سريان حالة الحزن إلى القلب فيما مضى من المكروهات غالباً، ممَّا يظهر على ملامح الوجه وحركة البدن وصحته.

(١) كتاب الماء، ٣: ١٣٠١.

(٢) مجمع البحرين، ٦: ١٨٩.

وتتداخل حالة الهمِّ والغمِّ وتتغير شدَّةً وضعفًا بسبب موجباتها، فالمهموم منشغل الذهن بسبب ثقل المشكلات وشدتها؛ ولذا قرن الفرج بالهمِّ: «ولا مهموم إلا فرج الله همَّه»، وهو كأشبهه بالسجين المذنب المغلق عليه أبواب السجن ومقيد بقيود ثقيلة وشديدة ينتظر الإعدام لحظة بلحظة، فمتى رفعت عنه القيود وفتح له باب السجن جاءه الفرج.

وأما إذا بقي على الحال نفسها فقد تتطور حالته إلى تسلل الحزن إلى قلبه فيصبح متفكرًا نادماً فيما ارتكب من الجرم، فيلفه كالغمام الكثيف الذي يغطي بصره، فإذا رُفعت عنه عقوبة الإعدام وأطلق سراحه فقد كُشف عن بصره وأزيح عن قلبه ظلمات الغموم فصار مبصرًا؛ ولذا جاءت العبارة: «ولا مغموم إلا كشف الله غمَّه»، والكشف في مقابل الغمَّة، والفرج في مقابل الهم.

باب المخرج من الهمِّ والغمِّ

ومن أهم أسباب حلِّ عُقد الهمِّ والغمِّ والمكاره والشدائد وفتح مغالق الأقفال هو التوجه إلى الله سبحانه بالدعاء والتضرع إليه، كما بيَّنه الإمام السَّجَّاد عليه السَّلام في دعائه الجميل: «يَا مَنْ نُحَلُّ بِهِ عُقْدَ الْمَكَارِهِ، وَيَا مَنْ يُفْتَأُ بِهِ حَدُّ الشَّدَائِدِ، وَيَا مَنْ يُلْتَمَسُ مِنْهُ الْمَخْرَجُ إِلَى رَوْحِ الْفَرْجِ، ذَلِكَ لِقُدْرَتِكَ الصَّعَابُ، وَتَسَبَّبَتْ بِلُطْفِكَ الْأَسْبَابُ، وَجَرَى بِقُدْرَتِكَ الْقَضَاءُ، وَمَضَتْ عَلَى إِرَادَتِكَ الْأَشْيَاءُ، فَهِيَ بِمَشِيئَتِكَ دُونَ قَوْلِكَ مُؤَمَّرَةٌ، وَبِإِرَادَتِكَ دُونَ تَهْيِكَ مُنْزَجْرَةٌ، أَنْتَ الْمُدْعُوُّ لِلْمُهَيَّمَاتِ، وَأَنْتَ

الْمُزْعُ فِي الْمَلِيَّاتِ، لَا يَنْدَفِعُ مِنْهَا إِلَّا مَا دَفَعْتُ، وَلَا يَنْكَشِفُ مِنْهَا إِلَّا مَا كَشَفْتُ، وَقَدْ نَزَلَ بِِي يَا رَبِّ مَا قَدْ تَكَادَيْتُ ثِقْلُهُ، وَالْمِ بِِي مَا قَدْ بَهَظَنِي حَمْلُهُ، وَبِقُدْرَتِكَ أَوْرَدْتَهُ عَلَيَّ وَبِسُلْطَانِكَ وَجَّهْتَهُ إِلَيَّ، فَلَا مُصْدِرَ لِمَا أَوْرَدْتَ، وَلَا صَارِفَ لِمَا وَجَّهْتَ، وَلَا فَاتِحَ لِمَا أَغْلَقْتَ، وَلَا مُغْلِقَ لِمَا فَتَحْتَ، وَلَا مُبَسِّرَ لِمَا عَسَّرْتَ، وَلَا نَاصِرَ لِمَنْ خَدَلْتَ، فَصَلِّ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَافْتَحْ لِي يَا رَبِّ بَابَ الْفَرَجِ بِطَوْلِكَ، وَاحْمِرْ عَنِّي سُلْطَانَ الْهَمِّ بِحَوْلِكَ، وَأَنْلِنِي حُسْنَ النَّظَرِ فِيمَا شَكَوْتُ، وَأَذِقْنِي حَلَاوَةَ الصُّنْعِ فِيمَا سَأَلْتُ، وَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَفَرَجاً هَيِّئاً، وَاجْعَلْ لِي مِنْ عِنْدِكَ مَخْرَجاً وَحَيّاً، وَلَا تَشْغَلْنِي بِالْاهْتِمَامِ عَنِ تَعَاهُدِ فُرُوضِكَ، وَاسْتِعْمَالِ سُنَّتِكَ، فَقَدْ ضَيَّقْتُ لِمَا نَزَلَ بِِي يَا رَبِّ ذُرْعاً، وَامْتَلَأْتُ بِحَمَلٍ مَا حَدَّثَ عَلَيَّ هَمّاً، وَأَنْتَ الْقَادِرُ عَلَيَّ كَشَفِ مَا مُنِيتُ بِهِ، وَدَفَعِ مَا وَقَعْتُ فِيهِ، فَافْعَلْ بِِي ذَلِكَ وَإِنْ لَمْ أَسْتَوْجِبْهُ مِنْكَ، يَا ذَا الْعَرْشِ الْعَظِيمِ»^(١).

فظهر من هذا الدعاء بأن المخرج الأساسي من الأزمات والفتن والأمراض المستعصية وفك الأسير وحل الديون التوجه إلى الله بالدعاء.. ولكن الله سبحانه وتعالى شرط على عباده أن يأتوه من أبوابه التي حددها لهم وجعل مفاتيحها بيد أمثائه في خلقه، وأسباباً لقبول الدعاء والتضرع، ومن دون ذلك يكون خلاف الشرط والأدب، وموجباً لعدم قبول الدعاء، وهؤلاء الذين أمر أنبياءه أن يتوسلوا بهم ليقبل الله دعاءهم في الشدائد، فلولا توسل آدم بهم لما

(١) الصحيفة السجادية: ٥٤، ٧- (وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَام) إِذَا عَرَضَتْ لَهُ مُهِمَّةٌ أَوْ تَزَلَّتْ بِهِ، مُلِمَّةٌ وَعِنْدَ الْكَرْبِ).

قبل الله توبته، ولولا توصل نوح لما سرت فلك نوح، ومن أوضح مصاديق التوجه إلى الله عبر أبوابه أصحاب الكساء في هذا الحديث المبارك الذي هو من مفاتيح حلّ المعضلات والمكاره.

الفائدة السادسة: «ولا طالب حاجة إلا وقضى الله حاجته».

يظهر أن الامتيازات الأربعة السابقة تعطى وتفاض على أهل مجلس حديث الكساء وتدخل في رصيد حسابهم وإن لم يطلبوها ابتداءً، ولكن الامتياز الخامس «ولا طالب حاجة إلا وقضى الله حاجته»، وهذه الفقرة من الحديث تفيد حتمية الإجابة - وبالمصطلح الحديث يعطى (شيك على بياض مفتوح) يعتمد على همّة الداعي وذكائه في اختيار الحاجات وطلبها من الله تعالى للقرائن التالية:

- ١- هذه ضمانة مؤكدة بالقسم من رسول الله صلى الله عليه وآله بإجابة الدعوة.
- ٢- تأكيد وتصديق من أمير المؤمنين عليه السلام والذي جعله الله سبحانه وتعالى شاهداً على رسالة رسول الله صلى الله عليه وآله كما في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ (٢)، وفي رواية سليمان قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ عَلِيٍّ

(١) سورة هود، الآية: ١٧.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٤٣.

بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَأَنَا أَسْمَعُ فَقَالَ: أَخْبِرْنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَفْضَلِ مَنْقَبَةٍ لَكَ؟ قَالَ: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيَّ مِنْ كِتَابِهِ..»، قَالَ: وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيكَ؟

قَالَ: «قَوْلُهُ: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ نِبْتَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾، أَنَا الشَّاهِدُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ إِيَّايَ عَنِّي»^(١).

٣- والعبارة «ولا طالب حاجة» نكرة في سياق النفي تفيد العموم، وقد جاء بعدها الاستثناء المتصل (إلا) الذي أفاد الحصر وهو يعني لزوم التحقق بالطلب وقضاء الحاجة «وقضى الله حاجته».

تسمية الحاجة.

وقد جاء الحثُّ في النصوص الشريفة على أهمية تسمية الحاجة؛ فعن ابنِ أَبِي عَمِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْفَرَّاءِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَعْلَمُ مَا يُرِيدُ الْعَبْدُ إِذَا دَعَا، وَلَكِنَّهُ يُحِبُّ أَنْ تُبْتَ إِلَيْهِ الْحَوَائِجُ، فَإِذَا دَعَوْتَ فَسَمَّ حَاجَتَكَ»^(٢).

علة تأخر إجابة الدعاء وقضاء الحوائج

ومن المعلوم أن تقدير قضاء الحوائج بيد الله تعالى القادر العليم الحكيم بمصلحة

(١) كتاب سليم بن قيس الهلالي، ١: ٦٠.

(٢) الكافي (ط - الإسلامية)، ٢: ٤٧٦، ح ١.

المؤمن، فإن الدعاء مستجاب إذا توفرت أسبابه ومفاتيحه، ولكن ليس بالضرورة أن يتحقق بشكل فوري في الواقع الخارجي، فالإجابة إما مؤجلة ليكون المؤمن في حالة دوام التوسل والضرعة إلى الله سبحانه وتعالى، لأن الله يحب أن يسمع صوت المؤمن، وإما ليدفع عنه بلاء أعظم من طلبه، وإما دعوة مدخرة له يوم القيامة.

عن غير واحد من أصحابنا قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إِنَّ الْعَبْدَ الْوَلِيَّ لَللَّهِ يَدْعُو اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْأَمْرِ يَنْوِيهِ»^(١) فَيَقُولُ لِلْمَلِكِ الْمُوَكَّلِ بِهِ أَقْضِ لِعَبْدِي حَاجَتَهُ وَلَا تُعَجِّلْهَا فَإِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَ نِدَاءَهُ وَصَوْتَهُ، وَإِنَّ الْعَبْدَ الْعَدُوَّ لِلَّهِ لَيَدْعُو اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْأَمْرِ يَنْوِيهِ فَيَقَالُ لِلْمَلِكِ الْمُوَكَّلِ بِهِ أَقْضِ لِعَبْدِي حَاجَتَهُ وَعَجِّلْهَا فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَسْمَعَ نِدَاءَهُ وَصَوْتَهُ»^(٢)، قَالَ فَيَقُولُ النَّاسُ: مَا أُعْطِيَ هَذَا إِلَّا لِكِرَامَتِهِ وَلَا مُنِعَ هَذَا إِلَّا لِهَوَانِهِ»^(٣).

وعن إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيَدْعُو اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي حَاجَتِهِ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَخْرُوا إِجَابَتَهُ شَوْقًا إِلَى صَوْتِهِ وَدُعَائِهِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: عَبْدِي دَعَوْتَنِي فَأَخَّرْتُ إِجَابَتَكَ وَتَوَابَكَ كَذَا وَكَذَا»

(١) نابه الأمر وانتابه أي أصابه. والناتبة: المصيبة وفي بعض النسخ [ينويه] في الموضوعين.

(٢) «وعجلها» أي قد يكون التعجيل لذلك، فلا يعجب المرء بتعجيل ظهور أثر دعائه ولا يقنط تأخيره وإلا فكثيراً ما يظهر أثر دعاء الأنبياء والأوصياء والأولياء من غير تأخير لظهور كرامتهم ولكونه معجزاً لهم (آت).

(٣) الكافي (ط - الإسلامية)، ٢: ٤٩٠، ح ٧.

وَدَعَوْتَنِي فِي كَذَا وَكَذَا فَأَخَّرْتُ إِيَّابَتَكَ وَتَوَابِكَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: فَيَتَمَنَّى الْمُؤْمِنُ أَنَّهُ لَمْ يُسْتَجَبْ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا بِمَا يَرَى مِنْ حُسْنِ الثَّوَابِ^(١).

وفي التمهيد عن إسحاق بن عمار قال: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ الرَّبَّ لِيَلِي حِسَابَ الْمُؤْمِنِ فَيَقُولُ: تَعْرِفُ هَذَا الْحِسَابَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: دَعَوْتَنِي فِي لَيْلَةٍ كَذَا وَكَذَا فِي كَذَا وَكَذَا فَدَخَرْتُهَا لَكَ، قَالَ: فَمِمَّا يَرَى مِنْ عَظَمَةِ ثَوَابِ اللَّهِ يَقُولُ: يَا رَبِّ لَيْتَ أَنَّكَ لَمْ تَكُنْ عَجَلْتَ لِي شَيْئًا وَأَدَّخَرْتَهُ لِي»^(٢).

الفائدة السابعة، الفوز والسعادة في الدنيا والآخرة

فَقَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِذَا وَاللَّهِ فُرْنَا وَسُعِدْنَا وَكَذَلِكَ شَبِعْنَا فَارْزُوا وَسُعِدُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ».

ما هو المراد من الفوز والسعادة في الدنيا والآخرة؟

يمكن توجيه كلام أمير المؤمنين عليه السلام بأمور:

ألف: لعل مراد أمير المؤمنين عليه السلام من الفوز والسعادة في هذه العبارة أنها شهادة وإقرار منه مقرونة بالقسم على ما أجاب به رسول الله صلى الله عليه وآله عن سؤاله عليه السلام له: «ما جلوسنا هذا عند الله من الفضل؟» فصداقه أمير المؤمنين

(١) الكافي (ط - الإسلامية)، ٢: ٤٩١.

(٢) التمهيد، ٤٥: ٥٩ ح.

عليه السلام بكلمة: «إذا والله فزنا وسعدنا...»، ثم أكدها بالقسم «ورب الكعبة» على ما بيّنه من الفوائد السابقة، وكأنها يُريد القول: إن مفاتيح الفوز والسعادة في الدنيا والآخرة تتلخص في هذه الأمور الخمسة وهي:

١- عناية الله الخاصة للمؤمنين بفيوض الرحمة الإلهية عليهم.
٢- عناية الملائكة بهم وحفظهم من مكاره ومخاطر الدنيا وآفات الذنوب المهلكة في الآخرة.

٣- استغفار الملائكة لهم.

٤- تفرج هموم والكروب عنهم.

٥- كشف الغموم التي تنكد عليهم سعادة الدنيا.

٦- تحقيق آمالهم ورغباتهم بإجابة دعواتهم.

باء: ولعل المراد من (الفوز والسعادة) أعم وأشمل من الأمور الخمسة السابقة، حيث لم يذكرها أمير المؤمنين عليه السلام لكونها من البديهيات المعروفة في ثقافة المسلمين.

جيم: ولعل المراد من السعادة والفوز هو ولاية محمد وآل محمد.

١- أمّا في الدنيا فهو التمسك بولاية محمد وآله.

وعند التأمل في مفهوم الفوز والسعادة في نصوص الكتاب والعترة نجد أن

محور الفوز والسعادة يرتكز على رحمة الله تعالى لأوليائه وأصفيائه وأتباعهم، تحت لواء محمد وآل محمد في الدنيا والآخرة، فقد جعل الله مفاتيح السعادة والفوز هو التمسك بولايتهم وطاعتهم وأن يحيا حياتهم ويموت مماتهم وينصر الدين تحت لوائهم ويوال أولياءهم ويعادي أعداءهم وينصر أولياءهم المؤمنين، فينال بذلك السعادة والفوز في الدنيا والآخرة، فقد قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِينَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنْ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلُمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَيُنْفَذُونَ النَّارَ لِحُمْهِمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ * وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَيُنْفَذُونَ الْجَنَّةَ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْذُوزٍ﴾ (٢).

فيبدو أن المراد من السعادة والشقاء في هذه الآية المباركة هو في الدنيا - أو في عالم البرزخ - وهو الفترة الفاصلة بين عالمي الدنيا والآخرة، ولكنه يشكل مساحةً طويلةً

(١) سورة التوبة، الآيتان: ٧١-٧٢.

(٢) سورة هود، الآيات: ١٠٥-١٠٨.

كَمَا وَكَيْفًا لَيْسَتْ بِالسَّهْلَةِ، فَفِيهَا مِنَ الْأَهْوَالِ وَالْعَقَابَاتِ وَالصَّعُوبَاتِ، وَ«الْقَبْرِ إِمَّا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفْرِ النَّيِّرَانِ»^(١)، وقد تحدّثت الروايات عن هذا العالم بشكل مفصل يقصر اللسان والبيان عن شرحه.

قال العلامة المجلسي: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ فهذا هو في نار الدنيا قبل القيامة ما دامت السماوات والأرض وقوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ يعني في جنات الدنيا التي تنقل إليها أرواح المؤمنين ﴿مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ يعني غير مقطوع من نعيم الآخرة في الجنة يكون متصلاً به وهو ردٌّ على مَنْ يُنْكَرُ عَذَابَ الْقَبْرِ وَالثَّوَابَ وَالْعِقَابَ فِي الدُّنْيَا فِي الْبَرَزِخِ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ^(٢).

وفي تفسير النعماني، بإسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «وَأَمَّا الرَّدُّ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ الثَّوَابَ وَالْعِقَابَ فِي الدُّنْيَا بَعْدَ الْمَوْتِ قَبْلَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ الآية ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا

(١) بحار الأنوار، ٦: ٢٧٥.

(٢) بحار الأنوار العلامة المجلسي، ٦: ٢١٤.

ما شاء رَبُّكَ ﴿ يَعْنِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَبْلَ الْقِيَامَةِ، فَإِذَا كَانَتِ الْقِيَامَةُ بُدِّلَتْ
السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَمِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ وَرَانَهُمْ بَرَزَخُ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾
وَهُوَ أَمْرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ وَهُوَ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ
تَعَالَى: ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ ﴾، وَالْغُدُوُّ وَالْعَشِيُّ
لَا يَكُونَانِ فِي الْقِيَامَةِ الَّتِي هِيَ دَارُ الْخُلُودِ وَإِنَّمَا يَكُونَانِ فِي الدُّنْيَا، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى
فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ: ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾، وَالْبُكْرَةُ وَالْعَشِيُّ إِنَّمَا يَكُونَانِ
مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فِي جَنَّةِ الْحَيَاةِ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا
شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا ﴾، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ سُُبْحَانَهُ: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ
اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ (١).

محمد وآله ضمانا النجاة من النار والفرج بالجنة

وَفِي تَفْسِيرِ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ سُلَيْمَانَ الدَّيْلَمِيِّ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ
أبي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يُدْعَى مُحَمَّدٌ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ) فَيُكْسَى حُلَّةً وَرَدِيَّةً، ثُمَّ يُقَامُ عَنِ يَمِينِ الْعَرْشِ، ثُمَّ يُدْعَى بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
فَيُكْسَى حُلَّةً بَيْضَاءَ فَيُقَامُ عَنِ يَسَارِ الْعَرْشِ، ثُمَّ يُدْعَى بِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيُكْسَى حُلَّةً
وَرَدِيَّةً فَيُقَامُ عَنِ يَمِينِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، ثُمَّ يُدْعَى بِإِسْمَاعِيلَ فَيُكْسَى
حُلَّةً بَيْضَاءَ فَيُقَامُ عَنِ يَسَارِ إِبْرَاهِيمَ، ثُمَّ يُدْعَى بِالْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيُكْسَى حُلَّةً

(١) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ٦: ٢٤٦.

وَرَدِيَّةً فَيَقَامُ عَنْ يَمِينِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ يُدْعَى بِالْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيُكْسَى حُلَّةً وَرَدِيَّةً فَيَقَامُ عَنْ يَمِينِ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ يُدْعَى بِالْأَيِّمَةِ فَيُكْسُونَ حُلَّةً وَرَدِيَّةً فَيَقَامُ كُلُّ وَاحِدٍ عَنْ يَمِينِ صَاحِبِهِ، ثُمَّ يُدْعَى بِالشَّيْعَةِ فَيَقُومُونَ أَمَامَهُمْ، ثُمَّ يُدْعَى بِفَاطِمَةَ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهَا) وَنِسَائِهَا مِنْ ذُرِّيَّتِهَا وَشَيْعَتِهَا فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ مِنْ بَطْنَانِ الْعَرْشِ مِنْ قِبَلِ رَبِّ الْعِزَّةِ وَالْأَفْقِ الْأَعْلَى: نِعْمَ الْأَبُ أَبُوكَ يَا مُحَمَّدٌ وَهُوَ إِبْرَاهِيمُ، وَنِعْمَ الْأَخُ أَخُوكَ وَهُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَنِعْمَ السَّبْطَانِ سَبْطَاكَ وَهُمَا الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ، وَنِعْمَ الْجَيْنُ جَيْنُكَ وَهُوَ مُحَسِّنٌ، وَنِعْمَ الْأَيِّمَةُ الرَّاشِدُونَ ذُرِّيَّتُكَ وَهُمْ فُلَانٌ وَفُلَانٌ، وَنِعْمَ الشَّيْعَةُ، أَلَا إِنَّ مُحَمَّدًا وَوَصِيَّهُ وَسَبْطِيهِ وَالْأَيِّمَةَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ هُمُ الْفَائِزُونَ ثُمَّ يُؤْمَرُ بِهِمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَمَنْ رُحِزَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ (١) (٢).

وفي أمالي الصدوق (رحمه الله) بإسناده إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ حَاكِيًا عَنِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ: «فَبِعِزَّتِي حَلَفْتُ وَبِجَلَالِي أَقْسَمْتُ إِنَّهُ لَا يَتَوَلَّى عَلِيًّا عَبْدٌ مِنْ عِبَادِي إِلَّا رُحِزَ حَتَّى عَنِ النَّارِ وَأَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ، وَلَا يُبْغِضُهُ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِي وَيَعْدِلُ عَنِ وَايَتِهِ إِلَّا أَبْغَضْتُهُ وَأَدْخَلْتُهُ النَّارَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ» (٣).

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.

(٢) تفسير القمي، ١: ١٢٨.

(٣) الأمالي (للصدوق)، ١: ٢٢٢، وعيون الأخبار، ٢: ٤٩.

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُوَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَشِيعَتُهُ

وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾^(١)، مَا رَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَيْسَى عَنْ يُونُسَ عَنْ مُقَاتِلٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُكَيْرٍ عَنْ صَبَّاحِ الْأَزْرَقِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، «هُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَشِيعَتُهُ»^(٢)، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ وَسَلَامُهُ وَرَحْمَتُهُ.

من خطبة لأمر المؤمنين عليه السلام: «نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، بَعَثَهُ بِالْحَقِّ نَبِيًّا دَالًّا عَلَيْهِ وَهَادِيًّا إِلَيْهِ، فَهَدَى بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ وَاسْتَنْقَذَنَا بِهِ مِنَ الْجَهَالَةِ، مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا وَنَالَ ثَوَابًا جَزِيلًا، وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا وَاسْتَحَقَّ عَذَابًا»^(٣).

وَعَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ «فِي وِلَايَةِ عَلِيٍّ وَوِلَايَةِ الْأَئِمَّةِ مِنْ بَعْدِهِ» ﴿فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^(٤)

(١) سورة البروج، الآية: ١١.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، ١: ٧٥٩، وبحار الأنوار، ٢٣: ٣٨٩.

(٣) الكافي للشيخ الكليني، ١: ١٤١، والوافي، ١: ٤٣٩.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٧٠، وهكذا نزلت، أي بهذا المعنى نزلت، وكذا الكلام في نظائره.

هَكَذَا نَزَلَتْ (١)

مسكنه في الآخرة

وأما الآخرة فمسكنه مع محمد وآل محمد في جنة عدن مع الأنبياء
والصديقين والشهداء.

فَمَنْ أَرَادَ السَّعَادَةَ وَالْفَوْزَ الْعَظِيمَ وَيَكُونُ مَسْكِنُهُ جَنَّةَ عَدْنٍ وَهِيَ مَسْكَنُ رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّهَدَاءَ فَلْيَجْعَلْ وَلَايَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ مَحْوَرِ دِينِهِ وَحَيَاتِهِ، كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «عَدْنٌ دَارُ اللَّهِ الَّتِي لَمْ تَرَهَا
عَيْنٌ وَلَا يَخْطُرُ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ وَلَا يَسْكُنُهَا غَيْرُ ثَلَاثَةٍ، النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّهَدَاءَ
يَقُولُ اللَّهُ: طُوبَى لِمَنْ دَخَلَ» (٢).

وفي كتاب الخصال نقل عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَوْلُهُ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَجِيَّ حَيَاتِي
وَيَمُوتَ مَوْتِي وَيَسْكُنَ جَنَّتِي الَّتِي وَعَدَنِي رَبِّي، جَنَّاتِ عَدْنٍ قَضِيبٍ غَرَسَهُ اللَّهُ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ
لَهُ: كُنْ فَكَانَ، فَلْيُوَالِ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَذُرِّيَّتَهُ مِنْ بَعْدِهِ، فَهُمْ الْأَثَمَةُ وَهُمْ
الْأَوْصِيَاءُ، أَعْطَاهُمُ اللَّهُ عِلْمِي وَفَهْمِي، لَا يُدْخِلُونَكُمْ فِي بَابِ ضَلَالٍ وَلَا يُخْرِجُونَكُمْ مِنْ
بَابِ هُدًى، لَا تَعْلَمُوهُمْ فَهُمْ أَغْلَمُ مِنْكُمْ يَرْوُلُ الْحَقُّ مَعَهُمْ أَيْتَمَا زَالُوا» (٣).

(١) الكافي، ١: ٤١٤، وتفسير القمي، ٢: ١٩٧.

(٢) مجمع البيان، ذيل الآية، الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، ٦: ١٢٢.

(٣) الخصال للشيخ الصدوق، ٢: ٥٥٣، وبحار الأنوار، ٣١: ٣١٥.

وفي الفقيه في حديث بلال: «جَنَّةٌ عَدْنٌ وَهِيَ فِي وَسْطِ الْجَنَانِ، وَأَمَّا جَنَّةُ عَدْنٍ فَسُورُهَا يَأْقُوتُ أَخْمَرٌ وَحَصَاهَا اللَّوْلُؤُ»^(١).

أقول: ولا منافاة بين عموم الآية، وتخصيص الرواية جنة عدن بالطوائف الثلاث، فإنَّ عموم المؤمنين حقاً سيلحقون بهم^(٢)، قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّاهِدُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾^(٣).

وفي تفسير العياشي عن السَّجَّادِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ وَدَخَلَ وَلِيُّ اللَّهِ إِلَى جَنَاتِهِ وَمَسَاكِينِهِ وَإِتْكَأَ كُلُّ مُؤْمِنٍ [مِنْهُمْ] عَلَى أَرِيكَتِهِ، حَفَّتُهُ خُدَامُهُ وَتَهَدَّلَتْ عَلَيْهِ الشَّجَرُ وَتَفَجَّرَتْ حَوْلَهُ الْعُيُونُ، وَجَرَتْ مِنْ تَحْتِهِ الْأَنْهَارُ، وَبَسِطَتْ لَهُ الرَّزَائِي وَصَفَّقَتْ لَهُ النَّتَارِقُ، وَأَتَتْهُ الْخُدَّامُ بِمَا شَاءَتْ شَهْوَتُهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَسْأَلَهُمْ ذَلِكَ، قَالَ: وَيَخْرُجُ عَلَيْهِمُ الْحَوْرُ الْعَيْنُ مِنَ الْجَنَانِ، فَيَمْكُثُونَ بِذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ إِنَّ الْجَبَّارَ يُشْرِفُ عَلَيْهِمْ فَيَقُولُ لَهُمْ: أَوْلِيَائِي وَأَهْلَ طَاعَتِي وَسُكَّانَ جَنَّتِي فِي جَوَارِي الْأَهْلِ أَنْبُتُكُمْ بِخَيْرٍ مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ؟ فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا وَآيُ شَيْءٍ خَيْرٌ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ، [نَحْنُ] فِيمَا إِشْتَهَتْ أَنْفُسُنَا وَلَذَّتْ أَعْيُنُنَا مِنَ النَّعْمِ فِي جَوَارِ الْكَرِيمِ، قَالَ: فَيَعُودُ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا نَعَمْ، فَأَيْنَا بِخَيْرٍ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ، فَيَقُولُ لَهُمْ

(١) من لا يحضره الفقيه، ١: ٢٩٦، ح ٩٠٥، تفسير الصافي، ٣: ٤٣٥.

(٢) تفسير البيان في الموافقة بين الحديث والقرآن، ٥: ١٥٤.

(٣) سورة الحديد، الآية: ١٩.

تَبَارَكَ وَتَعَالَى: رِضَايَ عَنْكُمْ وَمَحَبَّتِي لَكُمْ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ، قَالَ: فَيَقُولُونَ: نَعَمْ يَا رَبَّنَا رِضَاكَ عَنَّا وَمَحَبَّتُكَ لَنَا خَيْرٌ لَنَا وَأَطْيَبُ لِأَنْفُسِنَا، ثُمَّ قَرَأَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) هَذِهِ آيَةَ: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(١).

وفي ربيع الأبرار للزمخشري عن جابر عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: تَشْتَهَوْنَ شَيْئًا فَأَزِيدُكُمْ، قَالُوا: رَبَّنَا وَمَا خَيْرٌ مِمَّا أُعْطِينَا؟ قَالَ: رِضْوَانِي أَكْبَرُ»^(٢).

كيفية دخول المؤمنين الجنة مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

عَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللهِ: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾، قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: هُوَ نُورُ الْمُؤْمِنِينَ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا أَدَانَ اللهُ لَهُ أَنْ يَأْتِيَ مَنْزِلَهُ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ، وَالْمُؤْمِنُونَ يَتَّبِعُونَهُ وَهُوَ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، حَتَّى يَدْخُلَ جَنَّةَ عَدْنٍ وَهُمْ يَتَّبِعُونَ حَتَّى يَدْخُلُونَ مَعَهُ، وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ فَأَنْتُمْ تَأْخُذُونَ بِحُجْرَةِ آلِ مُحَمَّدٍ وَيَأْخُذُ آلُ مُحَمَّدٍ بِحُجْرَةِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ، وَيَأْخُذُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ

(١) تفسير العياشي ٢: ٩٦، الحديث: ٨٨؛ البرهان في تفسير القرآن ٤: ٥٠٦.

(٢) ربيع الأبرار ١، ٢٤٧؛ البرهان في تفسير القرآن ٤: ٥٠٨، الحديث: ٤.

بِحُجْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَتَّى يَدْخُلُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي جَنَّةٍ عَدْنٍ فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿بُشْرَاكُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(١).

الحسين عليه السلام أقرب الطرق وأسرعها وأضمنها للفوز والسعادة

في حديث جميل وطويل للإمام الرضا عليه السلام مع ابن شبيب يقول له في نهايته: «يَا بَنَ شَيْبِ بْنِ سَرَّكَ أَنْ تَسْكُنَ الْغُرْفَ الْمُبَيَّنَةَ فِي الْجَنَّةِ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَالْعَنَ قَتْلَةَ الْحُسَيْنِ.. يَا بَنَ شَيْبِ بْنِ سَرَّكَ أَنْ يَكُونَ لَكَ مِنَ الثَّوَابِ مِثْلُ مَا لِمَنِ أُسْتُشْهِدَ مَعَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقُلْ مَتَى ذَكَرْتَهُ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً.. يَا بَنَ شَيْبِ بْنِ سَرَّكَ أَنْ تَكُونَ مَعَنَا فِي الدَّرَجَاتِ الْعُلَى مِنَ الْجَنَّةِ فَاحْزَنَ لِحُزْنِنَا وَافْرَحَ لِفِرْحَانَا وَعَلَيْكَ بِوَلَايَتِنَا، فَلَوْ أَنَّ رَجُلًا أَحَبَّ حَجْرًا لِحَسْرَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَعَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢).

تلاوة حديث الكساء من مفاتيح الفوز والسعادة

وقد أتضح ممَّا سبق أنَّ الله سبحانه جعل مفاتيح الرحمة والفوز بالسعادة والجنة بيد محمد وآله، وأنَّ من تلك الموارد التي توجب الفوز والسعادة، الالتزام بتلاوة حديث الكساء، والذي يعتبر معرفة وإقراراً عملياً بفضائل

(١) تفسير فرات الكوفي، ١: ٤٦٧.

(٢) عيون الأخبار، ١: ٢٩٩، وبحار الأنوار، ٤٤: ٢٨٥.

آل البيت عليهم السلام، وأن آثاره وبركاته بينة وفورية في الدنيا بنزول الرحمة وعناية الملائكة بهم واستغفارهم لهم وقضاء حوائجهم، وأمّا في الآخرة فمدخرة لهم في جنة عدن بما لم تره العيون ولم يخطر على قلب بشر مع النبيين والصدّيقين والشهداء، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ٦٩﴾ (١).

في تفسير العياشي: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُنْدَبٍ، عَنِ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: «حَقُّ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَجْعَلَ وَلِيْنَا رَفِيقًا لِلنَّبِيِّينَ، وَالصِّدِّيقِينَ، وَالشُّهَدَاءِ، وَالصَّالِحِينَ، وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا» (٢).

وعن أبي بصير، قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، لَقَدْ ذَكَرَكُمْ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ، فَقَالَ: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ الآية، فَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ النَّبِيُّ، وَنَحْنُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ، وَأَنْتُمْ الصَّالِحُونَ، فَتَسَمَّوْا بِالصَّلَاحِ كَمَا سَمَّاكُمْ اللَّهُ» (٣).

(١) سورة النساء، الآيتان: ٦٩-٧٠.

(٢) تفسير العياشي، ١: ٢٥٦.

(٣) المصدر نفسه، ح ١٩٠.

فأي فضل وكرامة لمحمد وآله وشيعتهم بعد هذا البيان من القرآن المجيد؟!

خلاصة الرسالة: أهل البيت وشيعتهم هم الفائزون السعداء في الدنيا والآخرة

لقد جاء في آخر فقرتين من الحديث ما يُصرِّح بذلك: «فَقَالَ عَلِيُّ لِأبي يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَخْبِرْنِي مَا لِحُلُوسِنَا هَذَا تَحْتَ الْكِسَاءِ مِنَ الْفَضْلِ عِنْدَ اللَّهِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: وَالَّذِي بَعْتَنِي بِالْحَقِّ نَبِيًّا وَاصْطَفَانِي بِالرَّسَالَةِ نَجِيًّا مَا ذُكِرَ خَبَرْنَا هَذَا فِي مَحْفَلٍ مِنْ مَحَافِلِ أَهْلِ الْأَرْضِ وَفِيهِ جَمْعٌ مِنْ شِيعَتِنَا وَمُحِبِّينَا، إِلَّا وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ وَاسْتَغْفَرَتْ لَهُمْ إِلَى أَنْ يَتَفَرَّقُوا.

فَقَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِذَا وَاللَّهِ فُزْنَا وَفَارَزَ شِيعَتُنَا وَرَبَّ الْكَعْبَةِ.

فَقَالَ أَبِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: يَا عَلِيُّ وَالَّذِي بَعْتَنِي بِالْحَقِّ نَبِيًّا وَاصْطَفَانِي بِالرَّسَالَةِ نَجِيًّا، مَا ذُكِرَ خَبَرْنَا هَذَا فِي مَحْفَلٍ مِنْ مَحَافِلِ أَهْلِ الْأَرْضِ وَفِيهِ جَمْعٌ مِنْ شِيعَتِنَا وَمُحِبِّينَا، وَفِيهِمْ مَهْمُومٌ إِلَّا وَقَرَّحَ اللَّهُ هَمَّهُ، وَلَا مَغْمُومٌ إِلَّا وَكَشَفَ اللَّهُ غَمَّهُ، وَلَا طَالِبٌ حَاجَةٌ إِلَّا وَقَضَى اللَّهُ حَاجَتَهُ.

فَقَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِذَا وَاللَّهِ فُزْنَا وَسُعِدْنَا وَكَذَلِكَ شِيعَتُنَا فَارَزُوا وَسُعِدُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَرَبَّ الْكَعْبَةِ.»

في هذه العبارة يوجه فيها رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين عليه السلام رسالتين مهمتين للناس كافة، ولأهميتها صار عليها تأكيدان:

التأكيد الأول: لأهمية هذا الأمر جاء السؤال من أمير المؤمنين عليه السلام والجواب من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، مشفوعاً بالقسم بالله تعالى: «وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيًّا وَاصْطَفَانِي بِالرَّسَالَةِ نَجِيًّا»، ولا ريب أن هذا القسم عند الله عظيم، وذلك لأنَّ متعلق القسم هو حبيب الله وبعثته المباركة والتي هي أسمى غايات هذا الوجود.

التأكيد الثاني: تأكيد وتصديق من أمير المؤمنين عليه السلام لما ذكره النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بصورة إظهار السرور والفرح، والقسم برَبِّ الكعبة بأننا (أهل البيت وشيعتنا) الفائزون السعداء في الدنيا والآخرة.

أمَّا الرسالتان فهما:

الرسالة الأولى: إِنَّ اللهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَظَمَ أَهْلَ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عِنْدَهُ، وَفَضَّلَهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ، وَجَعَلَ ذِكْرَهُمْ بِهَذَا الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ سَبَبًا لِنَزُولِ الرَّحْمَةِ عَلَى شِيعَتِهِمْ وَعِنَايَةِ الْمَلَائِكَةِ وَاسْتِغْفَارِهِمْ لَهُمْ، وَتَفْرِيجِ هُمُومِهِمْ وَكَرُوبِهِمْ وَقَضَاءِ حَوَائِجِهِمْ، وَشُمُولِهِمْ بِالْبَرَكَاتِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنَّمَا فَضَّلَ شِيعَتَهُمْ بِهَذِهِ الْمَنْزِلَةِ لِمَحَبَّتِهِمْ وَوِلَايَتِهِمْ وَذِكْرِهِمْ فِي مَحَافِلِهِمْ؛ وَلِذَلِكَ تَكُونُ عَاقِبَتُهُمْ السَّعَادَةُ وَالْفَوْزُ مَعَهُمْ فِي الْآخِرَةِ فِي دَرَجَاتِهِمْ.

الرسالة الثانية: بأنَّ بَرَكَاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَخَيْرَاتِهِمْ تَصِلُ لِكُلِّ النَّاسِ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا فِي أَيِّ مَحَلٍّ ذُكِرَ فِيهِ هَذَا الْحَدِيثُ الْمُبَارَكُ فِي حَالٍ وَجُودِ شِيعَتِهِمْ فِيهِ،

وهذا القيد (وجود الشيعة) رسالة ثانية لأهل العالم، بأن الشيعة هم واسطة الخير والبركة على كل الناس جميعاً أينما وجدوا حلَّت معهم البركات، واستجيب الدعاء، ورُفعت الهموم والكربات والأمراض والأزمات، وأُشيع الأمن والسَّلام في ربوع الدنيا كلِّها.

وتشهد على هاتين الحقيقتين روايات في فضل أهل البيت عليهم السَّلام وشيعتهم:



الفصل السابع
رسالة اجتماعية أُسريّة معاصرة
من أهل الكساء
إلى الأسرة المسلمة

الفصل السابع: رسالة من أهل الكساء إلى الأسرة المسلمة

رسالة اجتماعية أسرية معاصرة

ما الدروس والآداب الاجتماعية في حديث الكساء؟

هذا اللقاء النبوي المبارك مع أهل الكساء اجتماع وحياتيٌّ هدفه إبلاغ رسائل وحقائق في فضائل أهل البيت عليهم السلام للناس كافة، إلا أننا يمكن أن نستلهم منه الدروس والآداب الاجتماعية والأسرية اقتداءً بالنبي وأهل بيته (صلوات الله عليهم):

الأول، أهمية الترابط والتلاقي الأسري.

قال السيد الشيرازي في معرض شرح هذه الفقرة من حديث الكساء: «إنهم مني وأنا منهم»^(١)، يستحب توثيق عرى الترابط بين الأقرباء، ومن طرق ذلك تعريفهم وتذكيرهم دوماً بأن بعضهم من بعض، خاصة إذا كانت لبعضهم منزلة رفيعة، فإن ذلك فيما إذا كانوا جميعاً على الدين والإيمان يوجب تماسكهم وتعاونهم على الخير والتزامهم بصلة الرحم، وعليه يستلزم قوة هذا التجمع الصغير بل والمجتمع الأكبر نظراً لتشكله منه.

(١) العوالم الشيخ عبد الله البحراني.

فإن التجمع قوة وكلما كان تماسكه أكثر كانت قوته أكثر والمعرفة مقدمة للتجمع والتماسك والتعاون بشكل أقوى^(١).

ولأهمية صلة الرحم فإن الله سبحانه وتعالى قرنها باسمه وأمر بصلتها وتعظيمها كما في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾، فقد جاء في تفسير الآية المباركة عن جميل بن دراج قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله جل ذكره: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(٢) قال: فقال: «هي أرحام الناس، إن الله عز وجل أمر بصلتها وعظمتها، ألا ترى أنه جعلها منه»^(٣).

وفي الآية أمر بتقوى الله والحذر من قطع الرحم فإن الله رقيب على تصرفاتكم. ولذا حرم الشارع المقدس قطع الرحم وحذر من خطورته وعاقبته في الدنيا والآخرة كما جاء في الروايات التالية:

عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «إِنَّ الرَّحِمَ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ

(١) من فقه الزهراء (عليها السلام): ١٧٦.

(٢) سورة النساء، الآية: ٢، تساءلون أي يسأل بعضكم بعضاً فيقول: أسألك بالله، وأصله تساءلون والأرحام إنما عطف على الله أي اتقوا الأرحام أن تقطعوها كما ورد في الحديث أو على محل الجار والمجرور كقولك، مررت بزيد وعمرو كما قيل وقرئ بالجر. ورحم الرجل قريبه المعروف بنسبه وإن بعدت لحمته.

(٣) أصول الكافي (ط، الإسلامية)، ٢: ١٥٠، ح ١. أي قرنها باسمه في الأمر بالتقوى.

تَقُولُ: اللَّهُمَّ صَلِّ مِنْ وَصَلَنِي وَأَقْطَعْ مِنْ قَطَعَنِي ^(١) وَهِيَ رَحِمُ آلِ مُحَمَّدٍ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ ^(٢) وَرَحِمُ كُلِّ ذِي رَحِمٍ ^(٣).

وعن مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ ابْنِ مَجْبُوبٍ عَنْ مَالِكِ بْنِ عَطِيَّةَ عَنْ يُونُسَ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَوَّلُ نَاطِقٍ مِنَ الْجَوَارِحِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّحِمُ تَقُولُ: يَا رَبِّ مَنْ وَصَلَنِي فِي الدُّنْيَا فَصَلِّ الْيَوْمَ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي فِي الدُّنْيَا فَاقْطَعْ الْيَوْمَ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ» ^(٤).

وَعَنْ حَنَانِ بْنِ سَدِيرٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «قَالَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ: حَافَتَا الصَّرَاطِ ^(٥)، يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّحِمُ وَالْأَمَانَةُ، فَإِذَا مَرَّ الْوُصُولُ لِلرَّحِمِ الْمُؤَدِّي لِلْأَمَانَةِ نَفَذَ إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِذَا مَرَّ الْخَائِنُ لِلْأَمَانَةِ الْقَطُوعُ لِلرَّحِمِ لَمْ يَنْفَعُهُ مَعَهَا عَمَلٌ وَتَكْفَأُ بِهِ ^(٦) الصَّرَاطُ فِي النَّارِ» ^(٧).

وَعَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ: بَلَغَنِي عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَنَّ رَجُلًا أَتَى

(١) هذا تشبيه للمعقول بالمحسوس وإثبات لحق الرحم على أبلغ وجه.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٢٧.

(٣) أصول الكافي (ط، الإسلامية)، ٢: ١٥١، ح ٧.

(٤) المصدر نفسه، ح ٨.

(٥) أي جانباه.

(٦) أي تقلب، كفأت الإناء كيبته وقلبه.

(٧) أصول الكافي (ط، الإسلامية)، ٢: ١٥١، ح ١١.

النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَهْلُ بَيْتِي أَبُوهُ إِلَّا تَوْتَبًا عَلَيَّ وَقَطِيعَةً لِي وَسْتِيْمَةً^(١) فَأَرْفُضُهُمْ؟ قَالَ: إِذَا يَرْفُضُكُمْ اللهُ جَمِيعًا، قَالَ: فَكَيْفَ أَصْنَعُ؟ قَالَ: تَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ وَتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ وَتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ كَانَ لَكَ مِنَ اللهِ عَلَيْهِمْ ظَهِيرٌ^(٢).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سِنَانٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ لِي ابْنَ عَمٍّ أَصِلُهُ فَيَقْطَعُنِي وَأَصِلُهُ فَيَقْطَعُنِي، حَتَّى لَقَدْ هَمَمْتُ لِقَطِيعَتِهِ إِيَّايَ أَنْ أَقْطَعَهُ أَتَأْذُنُ لِي قِطْعُهُ؟ قَالَ: «إِنَّكَ إِذَا وَصَلْتَهُ وَقَطَعَكَ وَصَلَّكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ جَمِيعًا، وَإِنْ قَطَعْتَهُ وَقَطَعَكَ قَطَعَكَ اللهُ»^(٣).

الثاني، فوائد صلة الرحم في الدنيا والآخرة

عَنْ أَبِي حَمْزَةَ قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «صِلَةُ الْأَرْحَامِ تُزَكِّي الْأَعْمَالَ»^(٤)، وَتُنْمِي الْأَمْوَالَ وَتَدْفَعُ الْبُلُوَى وَتُبَسِّرُ الْحِسَابَ وَتُنْسِي فِي الْأَجْلِ»^(٥).

وَعَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أَوْصِي الشَّاهِدَ مِنْ أُمَّتِي وَالْغَائِبَ مِنْهُمْ وَمَنْ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ إِلَى

(١) «توتباً على» في القاموس الوثب: الظفر وواثبه: ساوره، توتب في ضعيتي، استولى عليها ظلمًا. وقال: شتمه يشتمه ويشتمه شتمًا، سبه والاسم: الشتيمة. والرفض: الترك. أصول الكافي (ط، الإسلامية).

(٢) أصول الكافي (ط، الإسلامية)، ٢: ١٥٠، ح ٢.

(٣) المصدر نفسه، ١٥٥.

(٤) أي تنميتها في الثواب أو تطهرها من النقائص أو تصيرها مقبولة كأنها تمدحها وتصفها بالكمال (آت).

(٥) أي تؤخر الأجل، النساء بالفتح: التأخير. الكافي (ط - الإسلامية)، ٢: ١٥١، ح ٤.

يَوْمِ الْقِيَامَةِ، أَنْ يَصِلَ الرَّحِمَ وَإِنْ كَانَتْ مِنْهُ عَلَى مَسِيرَةِ سَنَةٍ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ الدِّينِ»^(١).

وَعَنْ أَبِي حَمْرَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «صِلَّةُ الْأَرْحَامِ مُحَسِّنُ الْخُلُقِ، وَتُسْمَعُ الْكُفَّ، وَتُطَيَّبُ النَّفْسَ»^(٢)، وَتَزِيدُ فِي الرِّزْقِ، وَتُنْسِي فِي الْأَجْلِ»^(٣).

وَعَنْ أَبِي نَصْرِ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: صِلْ رَجِمَكَ وَلَوْ بِشَرْبَةِ مِنْ مَاءٍ، وَأَفْضَلُ مَا تُوصَلُ بِهِ الرَّحِمَ كَفُّ الْأَذَى عَنْهَا، وَصِلَّةُ الرَّحِمِ مَنْسَأَةٌ فِي الْأَجْلِ مَحَبَّةٌ فِي الْأَهْلِ»^(٤).

وَعَنْ أَبِي حَمْرَةَ قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «صِلَّةُ الْأَرْحَامِ تُزَكِّي الْأَعْمَالَ، وَتَدْفَعُ الْبُلُوَى، وَتُنْمِي الْأَمْوَالَ، وَتُنْسِي لَهُ فِي عُمُرِهِ، وَتُوسِعُ فِي رِزْقِهِ، وَتُحَبِّبُ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ وَلْيَصِلْ رَجِمَهُ»^(٥).

عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ الْحُدَّاءِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إِنَّ أَعْجَلَ الْخَيْرِ ثَوَاباً صِلَّةُ الرَّحِمِ»^(٦).

(١) المصدر نفسه، ح ٥.

(٢) الساحة: الجود ونسبتها إلى الكف على المجاز لصدورها منها غالباً. وقوله: «تطيب النفس» أي تجعلها سمحة بالبذل والعفو والإحسان (آت).

(٣) الكافي (ط - الإسلامية)، ٢: ١٥١، ح ٦.

(٤) الكافي (ط - الإسلامية)، ٢: ١٥٠، ح ٩.

(٥) الكافي (ط - الإسلامية)، ٢: ١٥٢، ح ١٣.

(٦) المصدر نفسه، ح ١٥.

وَعَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَصَلَ امْرُؤٌ عَشِيرَتَهُ^(١) فَإِنَّهُمْ أَوْلَى بِرِّهِ وَذَاتِ يَدِهِ، وَوَصَلَتِ الْعَشِيرَةُ أَخَاهَا إِنْ عَثَرَ بِهِ ذَهْرٌ وَأَذْبَرَتْ عَنْهُ دُنْيَا^(٢)، فَإِنَّ الْمُتَوَاصِلِينَ الْمُتَبَاذِلِينَ مَأْجُورُونَ، وَإِنَّ الْمُتَقَاطِعِينَ الْمُتَدَابِرِينَ مَوْزُورُونَ»^(٣).

وعن عثمان بن عيسى عن يحيى عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: لَنْ يَرْعَبَ الْمَرْءُ عَنْ عَشِيرَتِهِ^(٤) وَإِنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَوَلَدٍ، وَعَنْ مَوَدَّتِهِمْ وَكِرَامَتِهِمْ وَدِفَاعِهِمْ بِأَيْدِيهِمْ وَالسِّيْتِهِمْ هُمْ أَشَدُّ النَّاسِ حِيظَةً^(٥) مِنْ وَرَائِهِ وَأَعْظَمُهُمْ عَلَيْهِ وَالْمُهْمُ لِشَعْيِهِ إِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ أَوْ نَزَلَ بِهِ بَعْضُ مَكَارِهِ الْأُمُورِ، وَمَنْ يَقْبِضَ يَدَهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ فَإِنَّمَا يَقْبِضُ عَنْهُمْ يَدًا وَاحِدَةً وَتُقْبِضُ عَنْهُ مِنْهُمْ أَيْدٍ كَثِيرَةٌ، وَمَنْ يُلِنُ حَاشِيَتَهُ يَعْرِفُ صَدِيقَهُ مِنْهُ الْمَوَدَّةَ، وَمَنْ بَسَطَ يَدَهُ بِالْمَعْرُوفِ إِذَا وَجَدَهُ مُخْلِيفٍ اللَّهُ لَهُ مَا أَنْفَقَ فِي دُنْيَاهُ وَيُضَاعِفُ لَهُ فِي آخِرَتِهِ، وَلِسَانَ الصَّدِيقِ لِلْمَرْءِ يَجْعَلُهُ اللَّهُ فِي النَّاسِ خَيْرًا مِنَ الْمَالِ، يَأْكُلُهُ وَيُورَثُهُ لَا يَزْدَادَنَّ أَحَدُكُمْ كِبْرًا وَعِظْمًا فِي نَفْسِهِ وَنَأْيًا عَنْ

(١) «وصل امرؤ» أمر في صورة الخبر وكذا قوله: «وصلت العشيرة» والنكرة هنا للعموم نحوها في قولهم: «أنجز حر ما وعد» (آت).

(٢) «إن عثر به» الباء للتعدي. يقال عثر كضرب ونصر وعلم وكرم أي كبا وسقط.

(٣) الكافي (ط - الإسلامية)، ٢: ١٥٤، ح ١٨.

(٤) «نهي مؤكد مؤيد في صورة النفي»، «إن كان ذا مال وولد» يعني فلا يتكل عليهما فإنها لا يغنيانه عن العشيرة، وعشيرة الرجل قبيلته (آت).

(٥) أي محافظة وحماية وذباً عنه.

عَشِيرَتِهِ إِنْ كَانَ مُوسِرًا فِي الْمَالِ، وَلَا يَزِدَادَنَّ أَحَدُكُمْ فِي أَخِيهِ زُهْدًا وَلَا مِنْهُ بُعْدًا إِذَا لَمْ يَرِ مِنْهُ مُرُوءَةٌ وَكَانَ مُعَوِزًا فِي الْمَالِ^(١)، وَلَا يَغْفُلُ أَحَدُكُمْ عَنِ الْقَرَابَةِ بِهَا الْخِصَاصَةَ أَنْ يَسُدَّهَا بِهَا لَا يَنْفَعُهُ إِنْ أَمْسَكَهُ وَلَا يَضُرُّهُ إِنْ اسْتَهْلَكَهُ^(٢).

وَعَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: صَلُّوا أَرْحَامَكُمْ وَلَوْ بِالتَّسْلِيمِ، يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسْأَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^{(٣)(٤)}.

وَعَنْ دَاوُدَ بْنِ فَرْقِدٍ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنِّي أَحِبُّ أَنْ يَعْلَمَ اللَّهُ أَنِّي قَدْ أَذَلْتُ رَقِيبِي فِي رَحْمِي وَأَنِّي لَا أَبَادِرُ أَهْلَ بَيْتِي أَصِلُهُمْ قَبْلَ أَنْ يَسْتَعْنُوا عَنِّي»^(٥).

وَعَنِ الْجُهْمِ بْنِ حُمَيْدٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: تَكُونُ لِي الْقَرَابَةُ عَلَى غَيْرِ أَمْرِي أَهْمٌ عَلَيَّ حَقٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ حَقُّ الرَّجِمِ لَا يَقْطَعُهُ شَيْءٌ، وَإِذَا كَانُوا عَلَى أَمْرِكَ كَانَ لَهُمْ حَقَّانِ حَقُّ الرَّجِمِ وَحَقُّ الْإِسْلَامِ»^(٦).

وَعَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: «إِنَّ صَلَّةَ

(١) المعوز بكسر الواو: الذي لا شيء معه من المال.

(٢) الكافي (ط - الإسلامية)، ٢: ١٥٥، ح ١٩.

(٣) سورة النساء، الآية: ١.

(٤) الكافي (ط - الإسلامية)، ٢: ١٥٥، ح ٢٢.

(٥) المصدر نفسه، ١٥٦، ح ٢٥.

(٦) المصدر نفسه، ح ٣٠.

الرَّحِمِ وَالْبِرِّ لِيَهْوَيَانِ الْحِسَابَ وَيَعْنَمَانِ مِنَ الذُّنُوبِ، فَصَلُّوا أَرْحَامَكُمْ وَبَرُّوا
بِأَخْوَانِكُمْ وَلَوْ بِحُسْنِ السَّلَامِ وَرَدَّ الْجَوَابُ^(١).

فمن هذه الروايات التي حثت على توثيق الترابط الأسري وبيّنت الفوائد والآثار الإيجابية التي تنعكس على حياة الفرد والأسرة وحدّرت من التقاطع وأثاره السلبية في الدنيا والآخرة، نتوصل إلى نتيجة بأنّ كلفة الترابط أدنى من كلفة القطيعة، وأنّ العقل والفطرة تدعوان إلى ضرورة توثيق المحبّة والتراحم والتواصل، وأنّ الشيطان يدعو للشحناء والبغضاء والتنافر والتقاطع، وهنا تكمن أهمية الاستفادة من طاقة محبّة وصلة الرّحم التي أودعها في فطرة الإنسان، ويسعى جاهداً لتنميتها وتقويتها بالتواصل في إدامة صلة الرّحم مهما كانت الصعوبات والخلافات التي تطرأ بين الأرحام... ولتطبيق مبدأ التراحم والتكافل والتواصل لا بُدّ من القيام بهذه الخطوات والآليات العمليّة:

خطوات عملية لتطبيق مبدأ التراحم والتكافل والتواصل

١- تواصل الزيارة بين الأرحام والدعوة على الولائم.

فإنّ الزيارات المستمرة بين الأقرباء تنمّي التواصل العملي والمحبّة بين الأرحام وتصفّي النفوس، وبعد ذلك تحدّ من المشاكل وحدّتها وتمهّد لمزيد من التفاهات.

(١) الكافي (ط - الإسلامية)، ٢: ٥٦، ح ٣١.

٢- تأسيس المجالس والاجتماعات العائلية الدورية.

حيث إن هذه الجلسات تشعر أفراد العائلة بالانتماء إلى أصول قوية وثابتة، وتزيد من الثقة بالقوة لوجود سور العشيرة الذي يحميه ويحتاجه الإنسان في الملهمات، وتفتح أبواباً وفوائد تعود على أفراد العائلة جميعاً بالنفع.

٣ - الاجتماع على أمور الخير.

ومن الأمور التي تنمي روح التراحم وتجلب الخير والبركة للأسرة وتدفع البلاء عنهم، هو عقد مجالس الذكر والدعاء والعلم والتشاور في أمور الخير والمعروف، ومجالس الإمام الحسين عليه السلام في بيت العائلة، فقد ورد في حديث الكساء ما يشير لذلك: «ما ذُكِرَ خَبَرْنَا هذا في مَحْفَلٍ مِنْ مَحَافِلِ أَهْلِ الأَرْضِ وَفِيهِ جَمْعٌ مِنْ شِيعَتِنَا وَمُحِبِّينَا، إِنْ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ الرَّحْمَةُ وَحَقَّتْ بِهِمُ المَلَأَيْكَةُ وَاسْتَغْفَرَتْ لَهُمْ إِلَى أَنْ يَنْفَرُوا... وَفِيهِمْ مَهْمُومٌ إِلَّا وَفَرَّجَ اللهُ هَمَّهُ وَلَا مَغْمُومٌ إِلَّا وَكَشَفَ اللهُ غَمَّهُ، وَلَا طَالِبٌ حَاجَةٍ إِلَّا وَقَضَى اللهُ حَاجَتَهُ»^(١).

٤ - تفقد أحوال الأقرباء لقضاء حاجاتهم.

وهذا العمل من أقوى وسائل التراحم بين الأقرباء، حيث تترجم العواطف إلى تكافل عملي في قضاء حوائج المحتاجين والضعفاء من الأقرباء، فعن أبي حمزة الثمالي قال: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي حُطْبَتِهِ: «أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي

(١) العوالم الشيخ عبد الله البحراني.

تُعَجَّلُ الْفَنَاءَ»، فَقَامَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْكُوَّاءِ الْيَشْكُرِيُّ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ يَكُونُ ذُنُوبٌ تُعَجَّلُ الْفَنَاءَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ وَبِئْسَ قَطِيعَةُ الرَّحِمِ، إِنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ لَيَجْتَمِعُونَ وَيَتَوَاسُونَ وَهُمْ فَجْرَةٌ فَيَرْزُقُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ لَيَتَفَرَّقُونَ وَيَقْطَعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَيَحْرِمُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ أَتَقِيَاءُ»^(١).

وَعَنِ السَّكُونِيِّ: عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: «سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: عَلَى ذِي الرَّحِمِ الْكَاشِحِ»^{(٢)(٣)}.

وَعَنْ جَبِيلِ بْنِ دَرَّاجٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ)، قَالَ: «خِيَارُكُمْ سُمَحَاؤُكُمْ، وَشِرَارُكُمْ بُخْلَاؤُكُمْ، وَمِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ الْبِرُّ بِالْإِخْوَانِ، وَالسَّعْيُ فِي حَوَائِجِهِمْ، وَفِي ذَلِكَ مَرْغَمَةٌ لِلشَّيْطَانِ، وَتَزْحُزْحُ عَنِ النَّيْرَانِ، وَدُخُولُ الْجَنَانِ.. يَا جَبِيلُ، أَخْبِرْ بِهَذَا الْحَدِيثِ غُرَرَ أَصْحَابِكَ»، قُلْتُ: مَنْ غُرَّرَ أَصْحَابِي؟ قَالَ: «هُمْ الْبَارُونَ بِالْإِخْوَانِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ...»، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا إِنَّ صَاحِبَ الْكَثِيرِ يَهُونُ عَلَيْهِ ذَلِكَ، وَقَدْ مَدَحَ اللَّهُ صَاحِبَ الْقَلِيلِ فَقَالَ: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شِحْنًا نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾»^{(٤)(٥)}.

(١) الكافي (ط - دار الحديث)، ٤: ٦٢، ح ٧.

(٢) «الكاشح»: العدو الذي يُضوِّر لك عداوته ويطوي عليها كَشْحَه، أي باطنه، والكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف، أو الذي يطوي عنك كَشْحَه ولا يَأْلُفك. الصحاح، ١: ٣٩٩، النهاية، ٤: ١٧٥ (كشح).

(٣) الوسائل، الحر العاملي، ٩: ٤١١، ح ١٢٣٥٤.

(٤) سورة الحشر، الآية: ٩.

(٥) الكافي (ط - الإسلامية)، ٤: ٤١، ح ١٥.

الثالث، أخلاقيات التعامل الأسري الناجحة.

من إشعاعات الجلسة النورية لأصحاب الكساء نتعلم منهم آداب التعامل بين الأبوين وأبنائهما، وكذلك تعامل الأبناء مع الوالدين، ونستلهم من طريقة النبي صلى الله عليه وآله في الاهتمام دوماً بالمجيء إلى بيت ابنته فاطمة عليها السلام أولاً، واحترامه لها بالاستئذان للدخول إلى بيتها كما هي سيرته معها دوماً، والتسليم عليها، والعطف عليها، وتسميتها باسمها، وشكايتها إليها من الضعف، وطلبه منها أن تغطيه بالكساء البياني، وكذلك هي طريقة تعاملها مع أبيها بالاحترام والمحبة، وقيامها بخدمته والنظر إليه بعطف وحنان، وكذلك تعامل الحسن والحسين مع أمهما بمتتهى الاحترام، وكذلك هي فاطمة عليها السلام عطفها عليهم وتعاملها معهم بالرفقة والحنان وخطابها إليهم: «يا قرّة عيني وثمرّة فؤادي»، يكشف لنا حسن الأسلوب الراقي في أسلوب التواصل بين الأبوين.. وهذا التواصل الراقي يكشف لنا خلق الأنبياء والأولياء، والذي نجده ينعكس في تعامل النبي صلى الله عليه وآله مع ولديه الحسينين عليهما السلام، وكذلك هما معه.

وبهذه المناسبة نورد التعاليم الصادرة منهم في فنون التعامل الأسري لكي نزداد بصيرة واقتداء بهم عليهم السلام.

الرابع، مسؤولية الوالدين في البر بالأولاد.

من أخلاقيات النبي صلى الله عليه وآله وآله الرفيعة هي تواصله مع أسرته بشكل

دائم في أروع صور البر والعطف والحنان في جمع أهله، ليظلهم تحت خيمة الأبوة، ومن طرقها هذا الاجتماع الأبوي النوراني الوحياني تحت الكساء، ليشبعهم بحنانه ومحبه وليعلم الأجيال فنون التواصل الأسري، وصحيح أن الاجتماع غرضه ديني للأمة، ولكن النبي صلى الله عليه وآله بأسلوبه الفذ والراقي في جمع شملهم تحت الكساء، وأن يدنيهم من نفسه والترحيب بهم وتقييهم، يعلمنا طريقة المحافظة على الأسرة الواحدة وجمع شملها عبر التواصل الدافئ والمستمر.

فقد يتصور البعض أن البر في الأسرة الواحدة يبدأ من الولد لوالديه، وأن التقصير غالباً ما يكون من الولد تجاه والديه، وعليه تقع مسؤولية عقوق الوالدين، ولكن الحقيقة أن الوالدين يجب أن يكونا قدوة لولدهما في لغة التواصل والبرّ بهما، وأن يتعلم منهما بشكل عملي لما يراهما يحسنان إلى أبويهما أمامه، وكذلك يلمس منهما البرّ والعطف عليه، فإن كسب الأولاد والعطف عليهم وبرّهم وعدم قطعهم تقع على عاتق الأبوين في الدرجة الأولى، كما جاء في هاتين الروایتين الجميلتين:

عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيْسَى عَنْ أَبِي طَالِبٍ رَفَعَهُ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: مَنْ أَبْرُّ؟ قَالَ: «وَالِدَيْكَ»، قَالَ: قَدْ مَضَيْتَا، قَالَ: «بَرٌّ وَوَالِدَيْكَ»^(١).

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ عِيْلِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:

(١) الكافي (ط - الإسلامية)، ٦: ٤٩، ح ٢.

«يَلْزَمُ الْوَالِدَيْنِ مِنَ الْعُقُوقِ لَوْلَدِهِمَا مَا يَلْزَمُ الْوَالِدَ لَهَا مِنْ عُقُوقِهَا»^(١).

فكما تقع الحرمة والوزر والعقاب على الولد لعقوق والديه، كذلك تقع على الأبوين من باب أولى.

الطرق السليمة في بر الأولاد.

١ - محبتهم.

عَنْ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَمَّنْ ذَكَرَهُ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْحَمُ الْعَبْدَ لِشِدَّةِ حُبِّهِ لَوْلَدِهِ»^(٢).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أَحِبُّوا الصِّبْيَانَ وَارْحَمُوهُمْ وَإِذَا وَعَدْتُمُوهُمْ شَيْئاً فَفُوا لَهُمْ، فَإِنَّهُمْ لَا يَدْرُونَ إِلَّا أَنْكُمْ تَرَزُقُونَهُمْ»^(٣).

فلا يكفي أن يحب الأبوان أولادهما بالقلب، بل لا بُدَّ من إظهار المحبة والتعبير عنها بالأسلوب الجميل المؤثر على قلب الأولاد، تارةً بالعبارات الرقيقة التي تُظهر الشفقة والمحبة، كالعبارات التي اختارتها فاطمة الزهراء عليها السلام للحسنين: «وعليك السلام يا قرّة عيني وثمرّة فؤادي»، وتارةً يكون التعبير عن المحبة بالهدية

(١) الكافي (ط - الإسلامية)، ٦: ٤٨، ح ٥.

(٢) المصدر نفسه: ٥٠، ح ٥.

(٣) في بعض النسخ [لا يرون] مكان «لا يدرون». المصدر نفسه: ٤٩، ح ٣.

أو التقبيل والاحتضان وإظهار السّلام والتحية بشوق أو لحظة الوداع، أو السؤال عن أحواله وما يرتبط به من دراسة أو عمل وفتح المجال له للتعبير عن احتياجاته، أو أخذه ليصاحبه وما شابه ذلك.

وعلى الأبوين ألا ينجلان من إبراز الكلمات المعبرة عن ذلك، لأنّ الحبّ هو الشريان الأساس الذي يغذي روح الأطفال ويبنى شخصيّة سويّة مستقرّة متوازنة متعلقة بالأبوين، وفي حال فقدان الطفل دفء الحنان والمحبة داخل المنزل فإنّه ربما نزع للتطلع لبديل خارج الأسرة يعوضه ما فقدته من أبويه، وحينها تبدأ مرحلة الخطورة على الطفل عندما يقع بأيدي غير أمينة تأخذه إلى مسارات منحرفة.

٢ - والرحمة بهم والعطف عليهم.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالنَّاسِ الظُّهْرَ فَخَفَّفَ فِي الرَّكْعَتَيْنِ الْأَخِيرَتَيْنِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ لَهُ النَّاسُ: هَلْ حَدَّثَ فِي الصَّلَاةِ حَدَثٌ؟ قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالُوا: خَفَّفْتَ فِي الرَّكْعَتَيْنِ الْأَخِيرَتَيْنِ، فَقَالَ لَهُمْ: أَمَا سَمِعْتُمْ صُرَاحَ الصَّبِيِّ»^(١).

وَعَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ يُونُسَ الْأَزْدِيِّ عَنْ رَجُلٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ: مَا قَبَلْتُ صَبِيًّا قَطُّ، فَلَمَّا وُلِّيَ قَالَ

(١) الكافي، ٦: ٤٨.

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: هَذَا رَجُلٌ عِنْدِي أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ^(١).

وَعَنِ السَّكُونِيِّ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَنَا مَغْمُومٌ مَكْرُوبٌ، فَقَالَ لِي: «يَا سَكُونِيُّ يَمَّا عَمَّكَ؟»، قُلْتُ: «وُلِدْتُ لِي ابْنَةٌ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَا سَكُونِيُّ عَلَى الْأَرْضِ ثِقْلُهَا وَعَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا، تَعِيشُ فِي غَيْرِ أَجْلِكَ^(٢) وَتَأْكُلُ مِنْ غَيْرِ رِزْقِكَ»، فَسَرَى وَاللَّهِ عَنِّي^(٣) فَقَالَ لِي: «مَا سَمَّيْتَهَا؟»، قُلْتُ: فَاطِمَةَ، قَالَ: «أَوْه^(٤)»، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ وَقَالَ: «... أَمَا إِذَا سَمَّيْتَهَا فَاطِمَةَ فَلَا تُسَبِّهَا وَلَا تَلْعَنُهَا وَلَا تَضْرِبُهَا»^(٥).

٣- تقبيلهم.

عَنِ الْفَضْلِ بْنِ أَبِي قُرَّةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: مَنْ قَبَّلَ وَلَدَهُ كَتَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ حَسَنَةً، وَمَنْ فَرَّحَهُ فَرَّحَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٦).

(١) الكافي (ط - الإسلامية)، ٦: ٥٠، ح ٧.

(٢) أي لا يتقص من عمرك لأجلها شيء ولا من رزقك.

(٣) هذا من كلام السكوني أي كشف أبو عبد الله (عليه السلام) الغم عني.

(٤) قاله (عليه السلام) لتذكرة جدته المظلومة (عليها السلام) وما أصابها من الظلم.

(٥) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ٢١: ٤٨٢، ٨٧، ١.

(٦) الكافي (ط - الإسلامية)، ٦: ٤٩، ح ٣.

٤ - اللعب معهم.

عَنِ الْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ صَبَا»^(١).

٥ - الوفاء بالوعد لهم.

عَنْ كَلْبِ بْنِ الصَّيْدَاوِيِّ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِذَا وَعَدْتُمْ الصَّبِيَّانَ فَفُوا لَهُمْ، فَإِنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّكُمْ الَّذِينَ تَرَزُّقُونَهُمْ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيْسَ يَغْضَبُ لِشَيْءٍ كَغَضَبِهِ لِلنِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ»^(٢).

٦ - أن نوفر لهم المناخ الملائم ليكونوا برة بوالديهم.

الحبُّ فطريٌّ غريزيٌّ أودعه الله في قلب الوالدين، وقلماً تجد من لا يُحبُّ ولا يعطف على أبنائه، فربما أكثر الأولياء يعملون بالتوصيات السابقة بشكل متفاوت، ولكن التقصير غالباً ما يبرز في الأسلوب الحسن في إظهار الحبِّ والاحترام المتوازن بلا إفراط ولا تفريط، والمحافظة عليه عند أوقات التوتر والصعوبات؛ ولذا فإنَّ تعاليم الإسلام جاءت بشكل مفضَّل في أسلوب التعامل الراقي، والقدرة على إدارة الأزمات وتحمُّل مشاكسات الأولاد، والتجاوز عن أخلاقياتهم المعاكسة التي لا يرغب فيها الأبوان، وقد دعا الإمام عليه السَّلَام بالرحمة لمن يتحمَّل هذه

(١) الكافي (ط - الإسلامية)، ٦: ٥٠، ح ٤.

(٢) المصدر نفسه، ح ٨.

المسؤولية المهمة، كما جاء في أدبيات هذه الرواية النوارنية الصادقية.

فَعَنْ يُونُسَ بْنِ رِبَاطٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: رَحِمَ اللَّهُ مَنْ أَعَانَ وَلَدَهُ عَلَى بَرِّهِ، قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ يُعِينُهُ عَلَى بَرِّهِ؟ قَالَ: يَقْبَلُ مَيْسُورَهُ وَيَتَجَاوَزُ عَنْ مَعْسُورِهِ، وَلَا يُرْهِقُهُ وَلَا يَحْرِقُ بِهِ»^(١)، فَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَنْ يَصِيرَ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ الْكُفْرِ إِلَّا أَنْ يَدْخُلَ فِي عُقُوقٍ أَوْ قَطِيعَةٍ رَحِمَ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: الْجَنَّةُ طَيِّبَةٌ طَيَّبَهَا اللَّهُ وَطَيَّبَ رِيحَهَا، يُوجَدُ رِيحُهَا مِنْ مَسِيرَةِ أَلْفِي عَامٍ وَلَا يَجِدُ رِيحَ الْجَنَّةِ عَاقٌّ وَلَا قَاطِعٌ رَحِمَ وَلَا مُرْخِي الْإِزَارِ خَيْلَاءً»^(٢).

ولكي يحافظ الأبوان على أولادهما وجعلهما لا يندفعان للقطيعة والعقوق بسبب حماسة الطفولة والشباب وعدم الخبرة لا بُدَّ أن يوسعا صدرهما، ويعملان على مساعدتهما، من خلال مراعاة التعاليم التي أشار إليها الإمام عليه السلام، كي يوفر لهم المناخ الملائم، والمقدمات العملية التي تربيهم على أن يكونوا برة عبر الخطوات التالية:

أ- (يَقْبَلُ مَيْسُورَهُ)؛ أي يقبل منه الأمور التي يكون الولد سهل الانقياد والطاعة والتجاوب، فيشكر له الأعمال الإيجابية والأخلاق الجميلة، ويشجعه عليها وإن

(١) «لا يرهبه» أي لا يسفه عليه ولا يظلمه من الرهن - محرقة - أو يحمل عليه ما لا يطيقه. والحرق - بالضم -: الحرق والجهل أي لا ينسب إليه الحرق.

(٢) الكافي (ط - الإسلامية)، ٦: ٥٠، ح ٦، والخيلاء: التكبير ولعل المراد بإرخاء الإزار عدم الاجتناب عما صادفه من شهوة الفرج حراماً قبلاً ودبراً.

كانت قليلة.

ب - (وَيَتَجَاوَزُ عَنْ مَعْسُورِهِ)؛ والمعسور في مقابل اليسر، أي حينما يكون الولد صعب الانقياد وصعب التجاوب، وتكون بعض أعماله وأخلاقه غير مرضية، يغض النظر عن أخطائه بقدر الإمكان، ولا يتوقف عنده للمحاسبة والتأنيب المتكرر الباعث على نفور الولد عن والديه.

وفي المقابل يشجعه على الأخلاق الطيبة والأعمال الصالحة الملتزم بها؛ لكي تكون حافزاً له على تحطّي السلبات وجلب الإيجابيات، وبقدر ما يكون المربي ضابطاً أعصابه، وموسعاً صدره لتحمل أخطاء ابنه، فيكون سبباً لتجنب المصادمات وتجاوز السلبات.

ج - (وَلَا يُرْهِقُهُ)، أي لا يحمّله ما لا يطيق ويمارس معه الشدّة والعنف، بأن يجبره على ترك عمل غير جميل أو يكرهه على عمل صالح، فيكون سبباً لإيذائه وظلمه.

د - (وَلَا يَجْرُقُ بِهِ)، بأن لا يجهل عليه، فلا يمارس معه الخشونة والفظاظة في الكلام، والخرق في مقابل الرّفق، والفرق بينهما: أنّ الإرهاق غالباً ما يكون باستخدام الشدّة في العمل، والخرق غالباً ما يكون خشونة وشدّة الكلام.

حقوق الأَوْلَاد.

عَنِ السَّكُونِيِّ قَالَ: فَقَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «حَقُّ الْوَالِدِ عَلَى وَالِدِهِ

إِذَا كَانَ ذَكَرًا، أَنْ يَسْتَفْرِهُ أُمَّهُ^(١) وَيَسْتَحْسِنَ اسْمَهُ، وَيُعَلِّمُهُ كِتَابَ اللَّهِ، وَيُطَهِّرُهُ وَيُعَلِّمُهُ السَّبَاحَةَ، وَإِذَا كَانَتْ أُنْثَى، أَنْ يَسْتَفْرِهُ أُمُّهَا، وَيَسْتَحْسِنَ اسْمَهَا، وَيُعَلِّمَهَا سُورَةَ النُّورِ، وَلَا يُعَلِّمَهَا سُورَةَ يُوسُفَ، وَلَا يُنْزِلُهَا الْغُرْفَ، وَيُعَجِّلَ سَرَاحَهَا إِلَى بَيْتِ زَوْجِهَا^(٢).

وَعَنِ الْفَضْلِ بْنِ أَبِي قُرَّةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: وَمَنْ فَرَّحَهُ فَرَّحَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ عَلَّمَهُ الْقُرْآنَ دُعِيَ بِالْأَبَوَيْنِ فَيُكْسِيَانِ حُلَّتَيْنِ يُضِيءُ مِنْ نُورِهِمَا وَجْهُ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(٣).

الخامس: وجوب البر والإحسان بالوالدين وفضله.

أحد الآداب المهمة التي ترشحت من هذه الجلسة القدسية الخماسية، هي كيفية تعامل الزهراء مع أبيها (صلوات الله عليهما) بمنتهى اللطف والحنان والعطف، وقد تمثل ذلك من خلال العناية في تلبية أمره وقضاء حاجته على الفور وجلب الكساء وتغطيته به، وجلسها أمامه وهي تمعن النظر إليه بمحبة وشوق، مما أثلج قلب النبي صلى الله عليه وآله، وقرت عينه وأعطى أثره السريع في إزالة تعبته وضعفه، بل وتهلل وجه الشريف وإشراقه كأنه البدر في ليلة تمامه وكماله.

فما أجمل هذه اللحظات الجميلة التي يقضيها الأبناء مع والديهما وهما ينظران

(١) يستفره في الموضوعين أي يستكرم أمه ولا يدعو بالسب لأمه واللعن والفحش.

(٢) الكافي (ط - الإسلامية)، ٦: ٤٩، ح ٦.

(٣) المصدر نفسه، ح ١.

إليها بعين العطف والمحبة الصادقة! ومع أنَّ الخطوات العمليَّة التي قامت بها الزهراء عليها السَّلام لأبيها قليلة؛ لأنَّها تناسب المقام ولكنَّها عند الله عظيمة؛ لكون خدمة للوالدين من العبادات المرضيَّة عنده تعالى، فهي إمَّا واجبة أو مستحبة وجزاؤها عنده كبير.

ومن هذه اللوحة الجميلة التي رسمتها السيدة الزهراء عليها السَّلام، في طريقة التعامل مع الوالد، نتعلم منها الأدب الرفيع في خدمة الوالدين، وقد جاء في تعاليمهم عليهم السَّلام الشيء الكثير الذي يحثُّ على فضيلة البرِّ بالوالدين، فتارةً تكون من الواجبات التي ليس فيها رخصة - حتى للأبوين المشركين والفاجرين أو المخالفين - ومخالفتها مؤدبة للعقوق والحرمة، وتارةً تكون من المستحبات ولكن هي من الأهميَّة بمكان قد ترتقي إلى الإلزام.

برُّ الوالدين من أفضل الأعمال.

عَنْ مَنْصُورِ بْنِ حَازِمٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قُلْتُ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟
قَالَ: «الصَّلَاةُ لَوَقْتِهَا وَبِرُّ الْوَالِدِينَ»^(١).

برُّ الوالدين أفضل من الجهاد عند الله.

عَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

(١) الكافي (ط - الإسلامية)، ٢: ١٥٨، ح ٣.

فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي رَاغِبٌ فِي الْجِهَادِ نَشِيطٌ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: فَجَاهِدْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنَّكَ إِنْ تُقْتَلَ تَكُنْ حَيًّا عِنْدَ اللَّهِ تُرْزَقُ، وَإِنْ تَمُتَ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُكَ عَلَى اللَّهِ، وَإِنْ رَجَعْتَ رَجَعْتَ مِنَ الذُّنُوبِ كَمَا وُلِدْتَ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي وَالِدَيْنِ كَبِيرَيْنِ يَزْعَمَانِ أَنَّهُمَا يَأْتِسَانِ بِي وَيَكْرَهُانِ خُرُوجِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: فَقِرَّ مَعَ وَالِدَيْكَ فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَنْسُهُمَا بِكَ يَوْمًا وَلَيْلَةً خَيْرٌ مِنْ جِهَادِ سَنَةٍ»^(١).

لا رخصة في بر الوالدين وإن كانا على غير دين الحق.

عَنْ عَبَسَةَ بْنِ مُضَعَبٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «ثَلَاثٌ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِأَحَدٍ فِيهِنَّ رُحْصَةً: آدَاءُ الْأَمَانَةِ إِلَى الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ، وَالْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ لِلْبَرِّ وَالْفَاجِرِ، وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ بَرِّينَ كَانَا أَوْ فَاجِرَيْنِ»^(٢).

وعن وَهْبٍ عَنْ زَكَرِيَّا بْنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: كُنْتُ نَصْرَانِيًّا فَأَسْلَمْتُ وَحَجَجْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقُلْتُ: إِنِّي كُنْتُ عَلَى النَّصْرَانِيَّةِ وَإِنِّي أَسْلَمْتُ، فَقَالَ: «وَأَيُّ شَيْءٍ رَأَيْتَ فِي الْإِسْلَامِ؟»^(٣)، قُلْتُ: قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا كُنْتُ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلَنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ﴾^(٤).

(١) أصول الكافي (ط - الإسلامية)، ٢: ١٦٠، ح ١٠.

(٢) المصدر نفسه: ١٦٢، ح ١٥.

(٣) أي من الحجة والبرهان حتى صار سبباً لإسلامك.

(٤) الشورى: ٥٢، أي أن الله ألقى الهداية في قلبي وهداني للإسلام كما هو مضمون الآية الكريمة، فصدقه (عليه السلام) بقوله: «لقد هدانا الله»، ثم قال: «اللهم اهده» أي زد في هدايته أو أثبتته عليها.

فَقَالَ: «لَقَدْ هَدَاكَ اللهُ»، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ اهْدِهِ -ثَلَاثًا- سَلِّ عَمَّا شِئْتَ يَا بُنَيَّ»، فَقُلْتُ: إِنَّ أَبِي وَأُمِّي عَلَى النَّصْرَانِيَّةِ وَأَهْلَ بَيْتِي، وَأُمِّي مَكْفُوفَةٌ الْبَصْرِ، فَأَكُونُ مَعَهُمْ وَأَكُلُ فِي آنِيَّتِهِمْ؟ فَقَالَ: «يَأْكُلُونَ لَحْمَ الْخِنْزِيرِ؟»، فَقُلْتُ: لَا وَلَا يَمْسُونَهُ، فَقَالَ: «لَا بَأْسَ»^(١) فَاَنْظُرْ أُمَّكَ فَبَرِّهَا فَإِذَا مَاتَتْ فَلَا تَكْلِهَا إِلَى عَيْرِكَ، كُنْ أَنْتَ الَّذِي تَقُومُ بِشَأْنِهَا وَلَا تُخْبِرَنَّ أَحَدًا أَنَّكَ أَتَيْتَنِي حَتَّى تَأْتِيَنِي بِمَنَى إِنْ شَاءَ اللهُ»، قَالَ: فَأَتَيْتُهُ بِمَنَى وَالنَّاسَ حَوْلَهُ كَأَنَّهُ مُعَلِّمٌ صَبِيَّانِ^(٢) هَذَا يَسْأَلُهُ وَهَذَا يَسْأَلُهُ، فَلَمَّا قَدِمْتُ الْكُوفَةَ أَلْطَفْتُ لِأُمِّي وَكُنْتُ أَطْعِمُهَا وَأَقْلِي^(٣) ثَوْبَهَا وَرَأْسَهَا وَأَخْدُمُهَا، فَقَالَتْ لِي: يَا بُنَيَّ مَا كُنْتَ تَصْنَعُ بِي هَذَا وَأَنْتَ عَلَى دِينِي فَمَا الَّذِي أَرَى مِنْكَ مُنْذُ هَاجَرْتَ فَدَخَلْتَ فِي الْخَيْفِيَّةِ؟ فَقُلْتُ: رَجُلٌ مِنْ وُلْدِ نَبِيِّنَا أَمَرَنِي بِهَذَا، فَقَالَتْ: هَذَا الرَّجُلُ هُوَ نَبِيٌّ؟ فَقُلْتُ: لَا وَلَكِنَّهُ ابْنُ نَبِيٍّ، فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّ إِنْ هَذَا نَبِيٌّ إِنْ هَذِهِ وَصَايَا الْأَنْبِيَاءِ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّهُ^(٤) إِنَّهُ لَيْسَ يَكُونُ بَعْدَ نَبِيِّنَا نَبِيٌّ وَلَكِنَّهُ ابْنُهُ فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّ دِينُكَ خَيْرٌ دِينِ اعْرِضْهُ عَلَيَّ، فَعَرَضْتُهُ

(١) تجويزه (عليه السلام) الأكل في آنية أهل الكتاب معهم لا يدل على طهارتهم وطهارة طعامهم مع مباشرتهم له بالرطوبة ولا عدم سراية النجاسة، لإمكان أن يأكل في آنيتهم طعاماً طاهراً مع عدم مباشرتهم لما يأكله برطوبة وإن كان خلاف الظاهر، فلا ينافي ما هو المشهور فتوى، وله رواية في نجاستهم ونجاسة ما يشرهه بالرطوبة (لح).

(٢) كان التشبيه في كثرة اجتماعهم وسؤالهم ولطفه (عليه السلام) في جوابهم وكونهم عنده بمنزلة الصبيان في احتياجهم إلى المعلم (آت).

(٣) في القاموس فلا رأسه يقلبه كيفلوه، بحثه عن القمل كفلاه (آت).

(٤) أصله يا أماء.

عَلَيْهَا فَدَخَلَتْ فِي الْإِسْلَامِ، وَعَلَّمْتُهَا فَصَلَّتِ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ
الْآخِرَةَ، ثُمَّ عَرَضَ لَهَا عَارِضٌ فِي اللَّيْلِ فَقَالَتْ: يَا بَنِي أَعِدْ عَلَيَّ مَا عَلَّمْتَنِي فَأَعِدْتُهُ
عَلَيْهَا فَأَقْرَتُ بِهِ وَمَاتَتْ، فَلَمَّا أَصْبَحَتْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ الَّذِينَ غَسَلُوهَا وَكُنْتُ أَنَا
الَّذِي صَلَّيْتُ عَلَيْهَا وَنَزَلْتُ فِي قَبْرِهَا^(١).

وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا يَقُولُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ لِي أَبَوَيْنِ
مُخَالِفَيْنِ فَقَالَ: «بِرَّهُمَا كَمَا تَبَرُّ الْمُسْلِمِينَ مِمَّنْ يَتَوَلَّانَا»^(٢).

عَنْ مُعَمَّرِ بْنِ خَلَادٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَدْعُو لِي وَالَّذِي إِذَا
كَانَا لَا يَعْرِفَانِ الْحَقَّ، قَالَ: «ادْعُ لهُمَا وَتَصَدَّقْ عَنْهُمَا وَإِنْ كَانََا حَيِّينِ لَا يَعْرِفَانِ الْحَقَّ
فَدَارِهِمَا، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي بِالرَّحْمَةِ لَا بِالْعُقُوبِ»^(٣).

مكانة البار بالوالدين عند رسول الله صلى الله عليه وآله

عَنْ عَمَّارِ بْنِ حَيَّانَ^(٤) قَالَ: خَبَّرْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِبِرِّ إِسْمَاعِيلَ ابْنِي
بِي فَقَالَ: «لَقَدْ كُنْتُ أَحِبُّهُ وَقَدْ أزدَدْتُ لَهُ حُبًّا، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

(١) الكافي (ط - الإسلامية)، ٢: ١٦١، ح ١١.

(٢) المصدر نفسه: ١٦٢، ح ١٤، «كما تبر المسلم» بصيغة الجمع أي للأجنبي المؤمن حق الإيمان
وللوالدين المخالفين حق الولادة فيها متساويان في الحق ويمكن أن يقرأ بصيغة التثنية أي كما
تبرهما لو كانا مسلمين، فيكون التشبيه في أصل البر لا في مقداره لكنه بعيد (آت).

(٣) الكافي (ط - الإسلامية)، ٢: ١٥٨، ح ٨.

(٤) المذكور في رجال الشيخ من أصحاب الصادق عليه السلام عمارة بن جناب بالجيم والنون والباء (آت).

أَنَّهُ أُخْتُ لَهُ مِنَ الرَّضَاعَةِ^(١)، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّ بِهَا وَبَسَطَ مِلْحَفَتَهُ^(٢) لَهَا فَأَجْلَسَهَا عَلَيْهَا، ثُمَّ أَقْبَلَ يُحَدِّثُهَا وَيَضْحَكُ فِي وَجْهِهَا، ثُمَّ قَامَتْ وَذَهَبَتْ وَجَاءَ أَخُوهَا فَلَمْ يَصْنَعْ بِهِ مَا صَنَعَ بِهَا، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صَنَعْتَ بِأَخْتِهِ مَا لَمْ تَصْنَعْ بِهِ وَهُوَ رَجُلٌ؟ فَقَالَ: لِأَنَّهَا كَانَتْ أُمَّ بَوَالِدَيْهَا مِنْهُ^(٣).

وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ شُعَيْبٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ أَبِي قَدْ كَبِرَ جِدًّا وَضَعْفَ فَتَحْنُ نَحْمِلُهُ إِذَا أَرَادَ الْحَاجَةَ، فَقَالَ: «إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلِيَ ذَلِكَ مِنْهُ فَافْعَلْ وَلَقَمْنُهُ بِيَدِكَ فَإِنَّهُ جُنَّةٌ لَكَ غَدًا»^(٤).

وَرَجُلٌ سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنْ بَرِّ الْوَالِدَيْنِ فَقَالَ: «ابْرُرْ أُمَّكَ اْبْرُرْ أُمَّكَ، اْبْرُرْ أُمَّكَ، اْبْرُرْ أَبَاكَ، اْبْرُرْ أَبَاكَ، اْبْرُرْ أَبَاكَ، وَبَدَأَ بِالْأُمَّ قَبْلَ الْأَبِ»^(٥).

عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَبْرُّ؟ قَالَ: أُمَّكَ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: أُمَّكَ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: أُمَّكَ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: أَبَاكَ»^(٦).

(١) أخته وأخوه (صلى الله عليه وآله) من الرضاعة هما ولدا حليلة السعدية.

(٢) في القاموس الملحفة والملحف بكسرهما ما يلتحف به.

(٣) الكافي (ط - الإسلامية)، ٢: ١٦١، ح ١٢.

(٤) المصدر نفسه: ١٦٢، ح ١٣.

(٥) المصدر نفسه، ح ١٧.

(٦) المصدر نفسه: ١٦٠، ح ٩.

بِرُّ الوالدين يكفران الذنوب

الْوَسَاءُ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَائِدٍ عَنْ أَبِي خَدِيجَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ: إِنِّي قَدْ وَلَدْتُ بِنْتًا وَرَبَّيْتُهَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ فَأَلْبَسْتُهَا وَحَلَيْتُهَا ثُمَّ جِئْتُ بِهَا إِلَى قَلْبٍ فَدَفَعْتُهَا فِي جَوْفِهِ وَكَانَ آخِرُ مَا سَمِعْتُ مِنْهَا وَهِيَ تَقُولُ: يَا أَبَتَاهُ^(١)، فَمَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: أَلَكِ أُمَّ حَيَّةٍ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَلَكَ حَالَةٌ حَيَّةٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَبْرُرْهَا فَإِنَّهَا بِمَنْزِلَةِ الْأُمِّ يُكْفِّرُ عَنْكَ مَا صَنَعْتَ»، قَالَ أَبُو خَدِيجَةَ: فَقُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَتَى كَانَ هَذَا؟ فَقَالَ: «كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانُوا يَقْتُلُونَ الْبَنَاتِ مَخَافَةَ أَنْ يُسَبَّيْنَ فَيَلِدْنَ فِي قَوْمٍ آخَرِينَ»^(٢).

الخطوات العملية لأداء حقِّ الوالدين،

عَنْ أَبِي وَوَلَادِ الْحَنَاطِ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «وَالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا»^(٣) مَا هَذَا الْإِحْسَانُ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الْإِحْسَانُ أَنْ تُحْسِنَ صُحْبَتَهَا وَأَنْ لَا تُكَلِّفُهَا أَنْ يَسْأَلَكَ شَيْئًا مِمَّا يَحْتَاجُ جَانِ إِلَيْهِ وَإِنْ كَانَا مُسْتَعِينَيْنِ»^(٤).

(١) القلب: البئر العادية القديمة، «وهي تقول» جملة حالية ومفعول تقول محذوف أي وهي تقول ما قالت أو ضمير راجع إلى «ما» وقوله: يا أبته خبر كان (آت).

(٢) الكافي (ط - الإسلامية)، ٢: ١٦٣، ح ١٨.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.

(٤) «وإن كانا مستعينين» أي يمكنها تحصيل ما احتاجا إليه بها لها (آت).

أَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾^(١)، قَالَ: ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: ﴿وَلِخَفِضَ لُهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾، قَالَ: «لَا تَمَلَأْ عَيْنَيْكَ^(٢) مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِمَا إِلَّا بِرَحْمَةٍ وَرِقَّةٍ، وَلَا تَرْفَعْ صَوْتَكَ فَوْقَ أَصْوَاتِهِمَا، وَلَا يَدَّكَ فَوْقَ أَيْدِيهِمَا وَلَا تَقْدَمَ قُدَامَهُمَا»^(٣).

هذه الرواية طرحت مجموعة من البصائر والخطوات العملية في برِّ الوالدين:

١ - حسن الصحبة معهما.

«الإِحْسَانُ أَنْ تُحْسِنَ صُحْبَتَهُمَا»، وحسن الصحبة في مقابل إساءة الصحبة، فلا تظهر الضجر وعباسة الوجه والتذمُّر والتأفف من خدمتهما، بل تخدمهما مع تهليل الوجه والسرور والرضى والشكر لله؛ لتوفيقه لهذه الخدمة العبادية للوالدين، فلا تسمعها كلاماً فظاً وتدير لهما ظهرأ ولا تتعالى عليهما وتضجرهما، وأن لا يريا منك إلا خلقاً جميلاً معها فيأنسان بك ويُسرا بك.

(١) «لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ» ظاهر الخبر أن المراد بالبر في الآية برِّ الوالدين ويمكن أن يكون المراد أعم منه ويكون إيرادها لشمولها بعمومها، له وعلى التقديرين الاستشهاد إمَّا لأصل البر أو لأنَّ إطلاق الآية شامل للإلتفاق قبل السؤال وحال الغنى لعدم التقييد فيها بالفقر والسؤال (آت).

(٢) الظاهر لا تملأ بالهمزة كما في مجمع البيان وتفسير العياشي وأما على ما في بعض نسخ الكتاب [لا تمل] فلعله أبدلت الهمزة حرف علة ثم حذفت بالجازم فهو بفتح اللام المخففة، ولعلَّ الاستثناء في قوله «إلا برحمة» منقطع والمراد بملء العينين حدة النظر (آت).

(٣) الكافي (ط - الإسلامية)، ٢: ١٥٨، ح ١.

٢- المبادرة لخدمتهما.

والبذل لها وإن كانا مستغنيين عنك، «وَأَنْ لَا تُكَلِّفُهَا أَنْ يَسْأَلَكَ شَيْئاً مِمَّا يَحْتَاجَانِ إِلَيْهِ وَإِنْ كَانَا مُسْتَغْنِيَيْنِ»، ومما لا ريب أن الوالدين يسعدان وتقرُّ عينهما بولدهما الذي يبادر لخدمتهما قبل أن يكلفهما ذل السؤال والطلب منه، وإن كانا مستغنيين عنه لقدرتها الجسميَّة والماديَّة ووجود الخدم الذين يقومون بشؤونهما، ولكنَّ خدمة الولد لأُمَّه وأبيه فيها من الأُنس والشعور بلذَّة المحبَّة والحنان اللذين يحتاجان إليه، وهي تختلف عن خدمة الخادم الذي يعمل للأجرة غالباً، هذا بالإضافة إلى كون الخدمة لها والإنفاق عليهما عين البرِّ والعبادة التي يستحق عليها جزاء البررة؛ ولذا فإنَّ الإمام عليه السَّلام استشهد بأية الإنفاق، «أَلَيْسَ يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾»^(١).

٣- لا يسمعا منك إلا قولاً كريماً.

وإن سمعت منهما أو عملاً معك ما لا يرضيك، وَأَمَّا قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذَا يَتْلُوعَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهَا أَفٌّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾^(٢)، قَالَ: «إِنْ أَضْجَرَكَ فَلَا تَقُلْ لَهَا أَفٌّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا إِنْ ضَرَبَاكَ قَالَ: ﴿وَقُلْ لَهَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾»،

(١) «لن تنالوا البر» ظاهر الخبر أن المراد بالبر في الآية برُّ الوالدين ويمكن أن يكون المراد أعم منه ويكون إيرادها لشمولها بعمومها له، وعلى التقديرين الاستشهاد إنما لأصل البر أو لأن إطلاق الآية شامل للإنفاق قبل السؤال وحال الغنى لعدم التقييد فيها بالفقر والسؤال (مرآة العقول).

(٢) أي لا تترجهما بإغلاظ وصياح.

قَالَ: إِنْ ضَرَبَاكَ فَقُلْ لَهُمَا: غَفَرَ اللَّهُ لَكُمَا فَذَلِكَ مِنْكَ قَوْلٌ كَرِيمٌ.

٤- التواضع لهما والرحمة بهما.

قَالَ ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: ﴿وَلِخَفِضَ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾، قَالَ: «لَا تَمْلَأْ عَيْنَيْكَ^(١) مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِمَا إِلَّا بِرَحْمَةٍ وَرِقَّةٍ وَلَا تَرْفَعْ صَوْتَكَ فَوْقَ أَصْوَاتِهِمَا وَلَا يَدَكَ فَوْقَ أَيْدِيهِمَا وَلَا تَقْدِّمَ قُدَامَهُمَا».

٥- البر بهما بعد مآثرتهم عبر الدعاء والاستغفار والصلوة لهما وقضاء ديونهما.

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «إِنْ الْعَبْدَ لَيَكُونُ بَارًا بِوَالِدَيْهِ فِي حَيَاتِهِمَا، ثُمَّ يَمُوتَانِ فَلَا يَقْضِي عَنْهُمَا دُيُوتَهُمَا وَلَا يَسْتَغْفِرُ لَهُمَا فَيَكْتُبُهُ اللَّهُ عَاقًا، وَإِنَّهُ لَيَكُونُ عَاقًا لَهُمَا فِي حَيَاتِهِمَا غَيْرَ بَارٍ بِهِمَا إِذَا مَاتَا قَضَى دَيْنَهُمَا وَاسْتَغْفَرَ لَهُمَا فَيَكْتُبُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَارًا»^(٢).

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَا يَمْنَعُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ أَنْ يَبْرَّ وَالِدَيْهِ حَيِّينَ وَمَيِّتَيْنِ يُصَلِّيَ عَنْهُمَا وَيَتَصَدَّقَ عَنْهُمَا وَيُحْجَّ عَنْهُمَا وَيَصُومَ عَنْهُمَا، فَيَكُونَ الَّذِي صَنَعَ لَهُمَا وَلَهُ مِثْلُ ذَلِكَ فَيَزِيدُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِرَّهُ وَصِلَتِهِ خَيْرًا كَثِيرًا»^(٣).

(١) الظاهر لا تملأ بالهمزة كما في مجمع البيان وتفسير العياشي وأما على ما في بعض نسخ الكتاب [لا تمل] فلعله أبدلت الهمزة حرف علة ثم حذفت بالجازم فهو بفتح اللام المخففة ولعل الاستثناء في قوله «إلا برحمة» منقطع والمراد بملء العينين حدة النظر (أت).

(٢) الكافي (ط - الإسلامية)، ٢: ١٦٣، ح ٢١.

(٣) الكافي (ط - الإسلامية)، ٢: ١٥٨، ح ٦.

٦- رعاية حقوقهما.

عَنْ دُرُسْتِ بْنِ أَبِي مَنْصُورٍ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «سَأَلَ رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: مَا حَقُّ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ؟ قَالَ: لَا يُسَمِّيهِ بِاسْمِهِ وَلَا يَمْشِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَا يَجْلِسُ قَبْلَهُ وَلَا يَسْتَسِيبُ لَهُ»^(١).

وَعَنِ السَّكُونِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «مِنَ السُّنَنِ وَالْبِرِّ أَنْ يُكْنَى الرَّجُلُ بِاسْمِ أَبِيهِ»^(٢).

والفرق بين الحقوق والأحكام، فإن الأحكام تكليفية من الشارع وأما الحقوق فهي أحكام وضعية إرشادية من الشارع وتطبيقها قد يكون واجباً أو مستحباً.

وهاتان الروايتان أرشدتا إلى مجموعة من حقوق الآباء، وهي:

أ- أن لا يُسَمِّي الولد والده باسمه.

ب- أن لا يمشي أمام أبيه.

ج- لا يُسَبِّب له المسببة من الغير.

(١) أي لا يفعل ما يصير سبباً لسبب الناس له كأن يسبهم أو آباءهم وقد يسبب الناس والد من يفعل فعلاً شنيعاً قبيحاً (أت)، الكافي (ط - الإسلامية)، ٢: ١٥٩، ح ٥.

(٢) الكافي (ط - الإسلامية)، ٢: ١٦٢، ح ١٦، في بعض النسخ [باسم ابنه].

السادس، آداب السَّلام والتَّحية.

ومن الأمور المشرقة في ثقافة الدِّين الإسلامي، أنَّه قد اهتمَّ بموضوع السَّلام والتَّحية على المؤمنين وجعله شعاراً بينهم وعلماً يرفرف بالأمن والسَّلام على رؤوسهم، ليشعر بعضهم بعضاً بالاطمئنان والثقة والأمن والأخوة والمحبة، وقد سنَّ أحكاماً وآداباً رائعة تعكس الروح الإنسانيَّة وعظمة الأخلاق التي يدعو إليها الإسلام.

ولذلك نلاحظ في هذا الحديث المبارك من بدايته إلى نهايته يقدم لنا صورة جميلة في أدب السَّلام والتَّحية قبل البدء بالكلام، وأصل هذا الخلق الكريم من الله عزَّ وجلَّ، فهو السَّلام ومنه السَّلام وإليه يعود السَّلام، فقد أدب نبيَّه ونحله هذا الخلق الكريم، فعندما أراد الله تعالى أن يبعث جبرائيل عليه السَّلام بجواب طلب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالطَّهَارَةِ وَالاصْطِفَاءِ لِأَهْلِ بَيْتِهِ، أَمْرُهُ بِأَنْ يَخْصَهُ بِالسَّلامِ وَالتَّحِيَّةِ، فعندما هبط جبرائيل على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ لَهُ: «السَّلامِ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، الْعَلِيُّ الْأَعْلَى يُقَرِّنُكَ السَّلامِ وَيَحْضُكُ بِالتَّحِيَّةِ وَالْإِكْرَامِ»، وكذلك جبرائيل أمين الله على وحيه، فقد قدم أدب الاستئذان مع أنَّه أمين الله على وحيه ومبعوث إليهم بأمره، ثم قدَّم السَّلام على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَبْلَ تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ إِلَيْهِمْ.

ولذلك فإنَّ رسول الله وأهل بيته (صلوات الله عليهم) متأدبون بأدب الله

تعالى، فصاروا مظاهر لأسماء الله وصفاته وقدوات للبشرية؛ ولذا حينما جاؤوا لدار فاطمة عليها السلام قدّموا السلام عليها واحداً تلو الآخر، وبأسلوب فيه الرقة والحنان والاحترام وبما يدخل البهجة في القلب كل بحسب موقعه منها عليها السلام، فرسول الله صلى الله عليه وآله خاطبها بحنان الأبوّة قائلاً: «السلام عليك يا فاطمة»، وكذلك هي أجابته بلغة الرقة وحنان البنوة قائلة: «وعليك السلام يا أبتاه يا رسول الله»، وأمير المؤمنين عليه السلام خاطبها باحترام بمكانتها من رسول الله صلى الله عليه وآله: «السلام يا بنت رسول الله»، وكذلك هي أجابته باحترام بكنيته وبمكانته ومنزلته عند الله قائلة: «وعليك السلام يا أبا الحسن ويا أمير المؤمنين»، وأمّا الحسنان فكلّ منهما خاطبها بلغة عاطفة الأمومة: «السلام عليك يا أمّاه»، وكذلك هي أجابتهما بلغة البنوة المملوءة بدفء الحنان قائلة: «وعليك السلام يا ولدي ويا قرّة عيني ويا ثمرة فؤادي».

ومن هنا نتعلّم من أولياء الله المقربين إليه في آداب السلام وجوابه وخصوصاً في داخل الأسرة الواحدة من استحباب ذكر الاسم أو الصفة أو الكنية، وكذا ذكر المنزلة عند الله إن كان من أهل الفضل والعلم حيث إنّه يترك أثراً في القلب.

وقد أنزل الله تبارك وتعالى وحيّاً في أدب إرادة دخول منازل الغير كالاستئذان والسلام، ليؤدّبنا الله بأدبه في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ

بُوتَكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا»^(١).

ولأهمية هذا الموضوع فقد صنّف الشيخ الحر العاملي في كتابه وسائل الشيعة
عدة أبواب في آداب السّلام نأخذ بعضها تعميماً للفائدة وهي:

١- استخياب الإبتداء بالسّلام وتقديمه على الكلام.

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «الْبَادِيُ بِالسَّلَامِ أَوْلَى بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ»^(٢)، وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٣) قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وآلِهِ: مَنْ بَدَأَ بِالْكَلامِ قَبْلَ السَّلَامِ فَلَا تُجِيبُوهُ»، قَالَ: وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَا تَدْعُ إِلَى
طَعَامِكَ أَحَدًا حَتَّى يُسَلِّمَ»^(٤).

وعن مُعَاوِيَةَ بْنِ وَهَبٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ:
الْبَخِيلُ مَنْ بَخِلَ»^(٥) بِالسَّلَامِ»^(٦).

(١) سورة النور، الآية: ٢٧.

(٢) الوسائل، ١٢: ٥٥، ح ١٥٦٣١. عن الكافي، ٢: ٦٤٥، ح ٨.

(٣) في المصدر زيادة- عن آياته (عليهم السّلام).

(٤) الوسائل، ١٢: ٥٦، ح ١٥٦٣٦. عن الخصال، ١٩: ٦٧، ح ٦٧.

(٥) في المصدر- من يبخل.

(٦) وسائل الشيعة، ١٢: ٥٩.

٢- وجوب ردّ السلام.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «رَدُّ جَوَابِ الْكِتَابِ وَاجِبٌ كَوُجُوبِ رَدِّ السَّلَامِ، وَالْبَادِيُّ بِالسَّلَامِ أَوْلَى بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ»^(١).

وَعَنِ السَّكُونِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: السَّلَامُ تَطَوُّعٌ وَالرَّدُّ فَرِيضَةٌ»^(٢).

٣- استحباب إفشاء السلام وإطابة الكلام.

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ إِفْشَاءَ السَّلَامِ».

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «كَانَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: أَفْشُوا سَلَامَ اللَّهِ فَإِنَّ سَلَامَ اللَّهِ لَا يَنَالُ الظَّالِمِينَ»^(٣).

عَنِ ابْنِ الْقَدَّاحِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي حَدِيثٍ قَالَ: «كَانَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: لَا تَغْضَبُوا وَلَا تُغْضَبُوا وَأَفْشُوا السَّلَامَ وَأَطْيَبُوا الْكَلَامَ وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ؛ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ، ثُمَّ تَلَا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿السَّلَامُ

(١) الوسائل، ١٢: ٥٧، ح ١٥٦٣٧، عن الكافي، ٢: ٦٧٠، ح ٢.

(٢) وسائل الشيعة، ١٢: ٥٩.

(٣) الكافي، ٢: ٦٤٤، ح ٤.

المؤمن المهين ﴿(١)﴾ (٢).

وَعَنْ هَارُونَ بْنِ خَارِجَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «مِنَ التَّوَاضِعِ أَنْ تُسَلَّمَ عَلَى مَنْ لَقِيتَ» (٣).

عَنْ حَمَّادِ بْنِ عَمْرٍو وَأَنْسِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ جَمِيعاً عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ آبَائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِي وَصِيَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَا عَلِيُّ ثَلَاثُ كَفَّارَاتٍ: إِفْسَاءُ السَّلَامِ، وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَالصَّلَاةُ (وَالتَّهَجُّدُ) بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ» (٤).

٤ - استحياب التسليم على الصبيان -

عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي زِيَادٍ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ آبَائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: «خُمْسُ لَسْتُ بِتَارِكِهِنَّ حَتَّى الْمَتَاتِ لِبَاسِ الصُّوفِ، وَرُكُوبِ الْخِمَارِ مُؤَكَّفًا، وَأَكْلِي مَعَ الْعَبِيدِ، وَخَصْفِي النَّعْلَ بِيَدِي، وَتَسْلِيمِي عَلَى الصَّبْيَانِ؛ لِتَكُونَ سُنَّةٌ مِنْ بَعْدِي» (٥).

(١) سورة الحشر، الآية: ٢٣.

(٢) الكافي، ٢: ٦٤٥، ح ٧، وأورد صدره في الحديث ١ من الباب ٣٨ من هذه الأبواب.

(٣) الكافي، ٢: ٦٤٦.

(٤) المصدر نفسه، ح ١٢.

(٥) المصدر نفسه..

٥- المساواة في التسليم على الغني والفقير.

عَنْ فَضْلِ بْنِ كَثِيرٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «مَنْ لَقِيَ
فَقِيرًا مُسْلِمًا فَسَلَّمَ عَلَيْهِ خِلَافَ سَلَامِهِ عَلَى الْغَنِيِّ لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانُ»^(١).

٦- الجهر بالسلام وبالرد بحيث يُسمع المخاطب.

عَنِ ابْنِ الْقَدَّاحِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «إِذَا سَلَّمَ أَحَدُكُمْ فَلْيَجْهَرْ
بِسَلَامِهِ، وَلَا يَقُولْ سَلَّمْتُ فَلَمْ يَرُدُّوا عَلَيَّ، وَلَعَلَّهُ يَكُونُ قَدْ سَلَّمَ وَلَمْ يُسْمِعْهُمْ، فَإِذَا
رَدَّ أَحَدُكُمْ فَلْيَجْهَرْ بِرَدِّهِ وَلَا يَقُولْ الْمُسَلَّمُ سَلَّمْتُ فَلَمْ يَرُدُّوا عَلَيَّ»^(٢).

٧- يُستحبُّ التسليم بالصيغة الأكمل.

عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْمُنْذِرِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: «مَنْ قَالَ السَّلَامَ
عَلَيْكُمْ فِيهِ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَمَنْ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ فِيهِ عِشْرُونَ حَسَنَةً،
وَمَنْ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ فِيهِ ثَلَاثُونَ حَسَنَةً»^(٣).

وَعَنِ السَّكُونِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:
يُكْرَهُ لِلرَّجُلِ أَنْ يَقُولَ حَيَّاكَ اللَّهُ ثُمَّ يَسْكُتَ حَتَّى يُتْبِعَهَا بِالسَّلَامِ»^(٤).

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، ٢: ٥٢، ح ٢٠٢ وأمالى الصدوق: ٣٥٩.

(٢) وسائل الشيعة، ١٢: ٦٦، والكافي، ٢: ٦٤٥، ح ٧.

(٣) الكافي، ٢: ٦٤٥، ح ٩.

(٤) المصدر نفسه: ٦٤٦، ح ١٥.

وعن محمد بن علي بن الحسين بإسناده عن عمارة الساباطي أنه سأل أبا عبد الله عليه السلام عن النساء كيف يسلمن إذا دخلن على القوم؟ قال: «المرأة تقول عليكم السلام، والرجل يقول السلام عليكم»^(١).

وعن وهب اليماني في حديث قال: «إن الله قال لادم انطلق إلى هؤلاء الملائكة من الملائكة فقل: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فسلم عليهم فقالوا: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، فلما رجع إلى ربه عز وجل قال له ربه تبارك وتعالى: هذه تحيتك وحيته ذريتك من بعدك فيما بينهم إلى يوم القيامة»^(٢).

٨- استخياب إعادة السلام ثلاثاً مع عدم الرد .

عن محمد بن علي بن الحسين عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال لرجل من بني سعد: «ألا أحدثك عني وعن فاطمة - إلى أن قال - فعدا علينا رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن في لحافنا فقال: السلام عليكم فسكتنا واستحيينا لكاننا، ثم قال: السلام عليكم فسكتنا، ثم قال: السلام عليكم فحسينا إن لم نرد عليه أن ينصرف، وقد كان يفعل ذلك فيسلم ثلاثاً فإن أذن له وإلا انصرف، فقلنا: وعليك السلام يا رسول الله، ادخل فدخل، ثم ذكر حديث تسيح فاطمة عليها السلام عند النوم»^(٣).

(١) الفقيه، ٣: ٤٧٠، ح ١٤٣٩. وسائل الشيعة، ١٢: ٦٧.

(٢) علل الشرائع: ١٠٢، ح ١.

(٣) الفقيه، ١: ٣٢١، ح ٩٤٧، وسائل الشيعة، ١٢: ٦٨.

وَعَنْ أَبَانَ بْنِ عُمَانَ عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي حَدِيثِ الدَّرَاهِمِ الْإِثْنِي عَشَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ لِلْجَارِيَةِ: «مُرِّي بَيْنَ يَدَيَّ وَذُلِّي عَنِّي عَلَى أَهْلِكَ»، وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَتَّى وَقَفَ عَلَى بَابِ دَارِهِمْ وَقَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الدَّارِ فَلَمْ يُجِيبُوهُ، فَأَعَادَ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ فَلَمْ يُجِيبُوهُ، فَأَعَادَ السَّلَامَ فَقَالُوا: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَقَالَ: مَا لَكُمْ تَرَكْتُمْ إِجَابَتِي فِي أَوَّلِ السَّلَامِ وَالثَّانِي؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ سَمِعْنَا سَلَامَكَ فَأَحْبَبْنَا أَنْ نَسْتَكْتِرَ مِنْهُ»^(١).

٩- استخباب التسليم على المؤمن الواحد بضمير الجماعة.

مَنْصُورِ بْنِ حَازِمٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ تَرُدُّ عَلَيْهِمْ رَدَّ الْجَمَاعَةِ وَإِنْ كَانَ وَاحِدًا: عِنْدَ الْعُطَاسِ تَقُولُ: يَرْحَمُكُمُ اللَّهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ غَيْرُهُ، وَالرَّجُلُ يُسَلِّمُ عَلَى الرَّجُلِ فَيَقُولُ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، وَالرَّجُلُ يَدْعُو لِلرَّجُلِ يَقُولُ: عَافَاكُمْ اللَّهُ وَإِنْ كَانَ وَاحِدًا فَإِنَّ مَعَهُ غَيْرَهُ»^(٢).

١٠- استخباب تسليم الصغير على الكبير والقليل على الكثير والمأز على القاعد والراكب

على الماشي.

وَعَنْ جَرَّاحِ الْمَدَائِنِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «يُسَلِّمُ الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ وَالْمَأَزُّ عَلَى الْقَاعِدِ وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ»^(٣).

(١) الخصال: ٤٩١، ح ٦٩.

(٢) الكافي، ٢: ٦٤٥.

(٣) المصدر نفسه: ٦٤٦، ح ١، وسائل الشيعة، ١٢: ٧٤.

وعن جميل عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إِذَا كَانَ قَوْمٌ فِي مَجْلِسٍ ثُمَّ سَبَقَ قَوْمٌ فَدَخَلُوا فَعَلَى الدَّاحِلِ أَحْيَرُ إِذَا دَخَلَ أَنْ يُسَلَّمَ عَلَيْهِمْ»^(١).

وعن ابن بكير عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «يُسَلَّمُ الرَّاَكِبُ عَلَى الْمَاشِي وَالْمَاشِي عَلَى الْقَاعِدِ، وَإِذَا لَقِيَتْ جَمَاعَةٌ جَمَاعَةً سَلَّمَ الْأَقْلُ عَلَى الْأَكْثَرِ، وَإِذَا لَقِيَ وَاحِدٌ جَمَاعَةً سَلَّمَ الْوَاحِدُ عَلَى الْجَمَاعَةِ»^(٢).

وعن ابن القداح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «يُسَلَّمُ الرَّاَكِبُ عَلَى الْمَاشِي وَالْقَائِمُ عَلَى الْقَاعِدِ»^(٣).

١١ - عَدَمُ جَوَازِ دُخُولِ بَيْتِ الْغَيْرِ مِنْ غَيْرِ إِذْنٍ وَلَا تَسْلِيمٍ.

عن عبد الرحمن بن أبي عبد الله قال: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾^(٤) قَالَ: «الِاسْتِنَاسُ وَقَعُّ النَّعْلِ وَالتَّسْلِيمُ»^(٥).

عن محمد بن الفضيل عن أبي الصباح قال: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِ

(١) الكافي، ٢: ٦٤٦، ح ١، وسائل الشيعة، ١٢: ٧٤.

(٢) وسائل الشيعة، ١٢: ٧٤، الكافي، ٢: ٦٤٧، ح ١.

(٣) الكافي، ٢: ٦٤٧، ح ٤، وسائل الشيعة، ١٢: ٧٤.

(٤) سورة النور، الآية: ٢٧.

(٥) معاني الأخبار: ١٦٣، ح ١، وسائل الشيعة، ١٢: ٨١.

الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾^(١) الْآيَةَ قَالَ: «هُوَ تَسْلِيمُ الرَّجُلِ عَلَىٰ أَهْلِ الْبَيْتِ حِينَ يَدْخُلُ، ثُمَّ يَرُدُّونَ عَلَيْهِ فَهُوَ سَلَامُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ»^(٢).
عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ فِي تَفْسِيرِهِ قَالَ فِي رِوَايَةِ أَبِي الْجَارُودِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ مِنْكُمْ بَيْتَهُ فَإِنْ كَانَ فِيهِ أَحَدٌ يُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ أَحَدٌ فَلْيَقُلْ: السَّلَامُ عَلَيْنَا مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا يَقُولُ اللهُ: ﴿نَحْيَةً مِنْ عِنْدِ اللهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ﴾»^(٣).

١٢ - صيغ التسليم على رسول الله وأهل بيته صلوات الله عليهم.

عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ الْحَدَّاءِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «مَرَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ فَقَالُوا: عَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ وَمَغْفِرَتُهُ وَرِضْوَانُهُ، فَقَالَ لَهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا تَجَاوَزُوا بِنَا مِثْلَ مَا قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لِأَبِينَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّمَا قَالُوا: ﴿رَحِمْتَ اللهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾»^{(٤)(٥)}.

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ^(٦) عَنْ رَجُلٍ عَنِ الْحَكَمِ بْنِ عُتَيْبَةَ قَالَ: بَيْنَا أَنَا مَعَ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْبَيْتُ غَاصُّ بِأَهْلِهِ، إِذْ أَقْبَلَ شَيْخٌ حَتَّى وَقَفَ عَلَىٰ بَابِ الْبَيْتِ فَقَالَ:

(١) سورة النور، الآية: ٦١.

(٢) معاني الأخبار: ١٦٢، ح ١، وسائل الشيعة، ١٢: ٨١.

(٣) تفسير تفسير القمي، ٢: ١٠٩.

(٤) سورة هود، الآية: ٧٣.

(٥) الكافي، ٢: ٦٤٦.

(٦) في المصدر زيادة - عن إسحاق بن عمار.

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ثُمَّ سَكَتَ، فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ»، ثُمَّ أَقْبَلَ الشَّيْخُ بِوَجْهِهِ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ وَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، ثُمَّ سَكَتَ حَتَّى أَجَابَهُ الْقَوْمُ جَمِيعاً وَرَدُّوا عَلَيْهِ السَّلَامُ^(١).

وَعَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَجْبُوبٍ عَنْ أَبِي كَهْمَسٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي يَعْفُورٍ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ، قَالَ: «وَعَلَيْكَ وَعَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا أَتَيْتَ عَبْدَ اللَّهِ فَأَقْرِئْهُ السَّلَامَ»^(٢).

وَعَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «إِنَّ مَلَكاً مِنَ الْمَلَائِكَةِ سَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُعْطِيَهُ سَمْعَ الْعِبَادِ فَأَعْطَاهُ، فَلَيْسَ مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَّا قَالَ الْمَلِكُ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ، ثُمَّ قَالَ الْمَلِكُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ فُلاناً يُقْرِئُكَ السَّلَامَ فَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَعَلَيْهِ السَّلَامُ»^(٣).

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «بَيْنَمَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الرَّحْبَةِ^(٤) إِذْ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَنظَرَ إِلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَالَ^(٥): وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ

(١) الكافي، ٨: ٧٦، ح ٣٠، وسائل الشيعة، ١٢: ٧١.

(٢) الكافي، ٢: ٢٢٢، ح ٥.

(٣) أمالي الطوسي، ٢: ٢٩٠.

(٤) في المصدر زيادة- والناس عليه متراكمون، فمن بين مستفتي ومن بين مستعدي.

(٥) في المصدر- بعينه هاتيك العظيمنتين، ثم قال.

وَبَرَكَاتُهُ، مَنْ أَنْتَ؟»، ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ عَشْرَةِ بَعْضِهَا أَشَدُّ مِنْ بَعْضٍ^(١).

وعن عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ فِي تَفْسِيرِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾^(٢) قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَجِيءُ كُلَّ يَوْمٍ عِنْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ حَتَّى يَأْتِيَ بَابَ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَيَقُولُ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ فَيَقُولُونَ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ فَيَقُولُ: الصَّلَاةُ الصَّلَاةُ تَرَحُّمُكَمُ اللَّهُ»^(٣).

السابع، أهمية التزاور بين المؤمنين.

التزاور بين المؤمنين من القيم الرفيعة التي دعا الإسلام إليها لتشييد البنية الاجتماعية المتناسكة وتقوية روح الأخوة بين أفراد المجتمع الإسلامي وطرد أسباب العدواة والبغضاء والشقاق التي تنشأ بسبب سوء الفهم والتوهّمات وانقطاع التواصل بين الأقرباء والمؤمنين.

فضل زيارة الإخوان في الله.

وها هنا ننقل الروايات التي تحثُّ على فضل التزاور واللقاء بين المؤمنين والثواب الذي يكرمون به من الله تعالى.

(١) الحُصَال: ٤٤٠، ح ٣٣، وسائل الشيعة، ١٢: ٧٢.

(٢) سورة طه، الآية: ١٣٢.

(٣) تفسير القمّي، ٢: ٦٧.

١- زيارة المؤمن زيارة الله.

من المعلوم أن زيارة الله سبحانه وتعالى لا تعني الزيارة بالجسم؛ لأن الله ليس كمثلته شيء ولا تدركه الأبصار ولا يحيط به مكان ولا زمان، وإنما زيارته هو القصد إليه والتقرب إليه، ونحن حين نزور بيته الحرام نقصده ونتقرب إليه بالطاعة، ولا شك أن زيارة المؤمن فيها رضا وقصد القربى والطاعة إليه؛ ولذا فإن الروايات تؤكد أن الزائر لأخيه المؤمن هو ضيف الله، وأنه عز وجل يضيفه ويجازيه بالكرامات ويثيبه الجنة.

فَعَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: حَدَّثَنِي جَبْرِئِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَهْبَطَ إِلَى الْأَرْضِ مَلَكًا فَأَقْبَلَ ذَلِكَ الْمَلِكُ يَمْشِي حَتَّى وَقَعَ^(١) إِلَى بَابِ عَلَيْهِ رَجُلٌ يَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّ الدَّارِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا حَاجَتُكَ إِلَى رَبِّ هَذِهِ الدَّارِ؟ قَالَ: أَخِي مُسْلِمٌ زُرْتُهُ فِي اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا جَاءَ بِكَ إِلَّا ذَاكَ؟ فَقَالَ: مَا جَاءَ بِي إِلَّا ذَاكَ، فَقَالَ: إِنِّي^(٢) رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ وَهُوَ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ: وَجَبَتْ لَكَ الْجَنَّةُ، وَقَالَ الْمَلِكُ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: أَيُّهَا مُسْلِمُ زَارَ مُسْلِمًا فَلَيْسَ إِلَيْهِ زَارَ إِلَّا بِي زَارَ وَنَوَابُهُ عَلَيَّ الْجَنَّةُ»^(٣).

عَنِ الْحَصِينِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «مَنْ زَارَ أَخَاهُ فِي اللَّهِ قَالَ اللَّهُ عَزَّ

(١) في بعض النسخ [دفع].

(٢) في بعض النسخ [قال: فإن].

(٣) الكافي، ٢: ١٧٦.

وَجَلَّ: إِنِّي زُرْتُ وَتَوَابَكَ عَلَيَّ، وَلَسْتُ أَرْضَى لَكَ ثَوَاباً دُونَ الْجَنَّةِ^(١).

عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ شُعَيْبٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: «مَنْ زَارَ أَخَاهُ فِي جَانِبِ الْمِصْرِ^(٢) ابْتِغَاءً وَجِهَ اللَّهُ فَهُوَ زَوْرُهُ^(٣) وَحَقَّ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكْرِمَ زَوْرَهُ^(٤)».

عَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: مَنْ زَارَ أَخَاهُ فِي بَيْتِهِ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ: أَنْتَ صِيفِي وَزَائِرِي عَلَيَّ قِرَاكُ^(٥) وَقَدْ أَوْجَبْتُ لَكَ الْجَنَّةَ بِحُبِّكَ إِنِّي^(٦)».

وَعَنْ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ النَّهْدِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «مَنْ زَارَ أَخَاهُ فِي اللَّهِ وَوَجَّهَ اللَّهُ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَخْطُرُ بَيْنَ قَبَاطِيٍّ مِنْ نُورٍ^(٧) وَلَا يَمُرُّ بِشَيْءٍ إِلَّا أَضَاءَ لَهُ حَتَّى يَقْفَ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ: مَرْحَبًا، وَإِذَا قَالَ

(١) المصدر نفسه.

(٢) ناحية من البلد: داخلًا كان أو خارجًا وهو كتابة عن بعد المسافة بينهما (آت).

(٣) «فهو زوره» أي زائره وقد يكون جمع زائر والمفرد هنا أنسب وإن أمكن أن يكون المراد هو من زوره. قال في النهاية الزور: الزائر وهو في الأصل مصدر وضع موضع الاسم كصوم ونوم بمعنى صائم ونائم وقد يكون الزور جمع زائر كركب وراكب (آت).

(٤) الكافي (ط - الإسلامية)، ٢: ١٧٧.

(٥) القري: ما يُعدُّ للضيف (في).

(٦) الكافي، ٢: ١٧٦، ووسائل الشيعة، ١٤: ٥٨٤.

(٧) «يخطُر» يعني يتهايل ويمشي مشية المعجب وفي بعض النسخ [يخطو] والقبط بالكسر: أهل مصر وإلهم ينسب الثياب البيض المسماة بالقباطي. (في).

مَرْحَباً أَجْرَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ الْعَطِيَّةَ»^(١).

٢- وَكَلَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ.

عَنْ أَبِي هَمزةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُسْلِمَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ زَائِراً أَخَاهُ لِلَّهِ لَا لِغَيْرِهِ التَّمَّاسِ وَجِهَ اللهُ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدَهُ وَكَلَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يُنَادُونَهُ مِنْ خَلْفِهِ إِلَى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى مَنْزِلِهِ: أَلَا طَيْبَتْ وَطَابَتْ لَكَ الْجَنَّةُ»^(٢).

عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ عَنْ أَبِي غُرَّةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: «مَنْ زَارَ أَخَاهُ فِي اللهِ فِي مَرَضٍ أَوْ صِحَّةٍ لَا يَأْتِيهِ خِدَاعاً وَلَا اسْتِئْذَاناً»^(٣) وَكَلَّ اللهُ بِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يُنَادُونَ فِي قَفَاهُ أَنْ طَيْبَتْ وَطَابَتْ لَكَ الْجَنَّةُ، فَأَنْتُمْ زَوَّارُ اللهِ وَأَنْتُمْ وَقَدْ الرَّحْمَنِ^(٤) حَتَّى يَأْتِيَ مَنْزِلَهُ»، فَقَالَ لَهُ يُسَيْرٌ^(٥): جُعِلْتُ فِدَاكَ، وَإِنْ كَانَ الْمَكَانُ بَعِيداً^(٦) قَالَ: «نَعَمْ يَا يُسَيْرُ وَإِنْ كَانَ الْمَكَانُ مَسِيرَةً سَنَةً فَإِنَّ اللهُ جَوَادٌ وَالْمَلَائِكَةُ كَثِيرَةٌ يُشِيعُونَهُ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى مَنْزِلِهِ»^(٧).

(١) وسائل الشيعة، ١٤: ٥٨٤.

(٢) الكافي، ٢: ١٧٧.

(٣) الاستبدال أن يتخذ منه بدلاً، يعنى لا يأتيه لخداع أو عوض أو غرض دنيويين بل إنما يأتيه لله وفي الله (في). والخداع بكسر الخاء.

(٤) الوفد بالفتح جمع وافد وهو الوارد القادم.

(٥) كآته الدهان الذي قد يعبر عنه بيسير (آت).

(٦) في بعض النسخ [فإن كان] فإن شرطية والجزء محذوف أي يفعلون ذلك أيضاً.

(٧) الكافي، ٢: ١٧٧، ووسائل الشيعة، ١٤: ٥٨٨.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْجُعْفِيِّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيَخْرُجُ إِلَى أَخِيهِ يَزُورُهُ فَيُوكَلُّهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ مَلَكًا فَيَضَعُ جَنَاحًا فِي الْأَرْضِ وَجَنَاحًا فِي السَّمَاءِ يُظِلُّهُ، فَإِذَا دَخَلَ إِلَى مَنْزِلِهِ نَادَى الْجَبَّارُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَيُّهَا الْعَبْدُ الْمُعْظَمُ لِحَقِّي الْمَتَّبِعُ لِإِنَارِ نَبِيِّ حَقِّ عَلِيٍّ إِعْظَامُكَ، سَلْنِي أُعْطِكَ، اذْغُنِي أُجِبْكَ، اسْكُتْ أَبْتَدِنُكَ، فَإِذَا انْصَرَفَ شَيْعَةُ الْمَلِكِ يُظِلُّهُ بِجَنَاحِهِ حَتَّى يَدْخُلَ إِلَى مَنْزِلِهِ، ثُمَّ يُنَادِيهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَيُّهَا الْعَبْدُ الْمُعْظَمُ لِحَقِّي حَقِّ عَلِيٍّ إِكْرَامُكَ، قَدْ أَوْجَبْتُ لَكَ جَنَّتِي، وَشَفَعْتُكَ فِي عِبَادِي»^(١).

٣- أَلَا طِبْتَ وَطَابَتْ لَكَ الْجَنَّةُ.

عَنْ أَبِي حَمْزَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «مَنْ زَارَ أَخَاهُ اللَّهُ لَا لِغَيْرِهِ النَّيَّاسَ مَوْعِدِ اللَّهِ وَتَنْجِزَ مَا عِنْدَ اللَّهِ وَكَلَّ اللَّهُ بِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يُنَادُونَهُ أَلَا طِبْتَ وَطَابَتْ لَكَ الْجَنَّةُ»^(٢).

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «مَا زَارَ مُسْلِمٌ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ فِي اللَّهِ وَاللَّهِ إِلَّا نَادَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَيُّهَا الرَّائِزُ طِبْتَ وَطَابَتْ لَكَ الْجَنَّةُ»^(٣).

مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ وَعِدَّةٍ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ جَمِيعاً عَنْ

(١) وسائل الشيعة، ١٤: ٥٨٩، الكافي، ٢: ١٧٨.

(٢) الكافي (ط - الإسلامية)، ٢: ١٧٨.

(٣) وسائل الشيعة، ١٤: ٥٨١٠.

ابن محبوب عن أبي أيوب عن محمد بن قيس عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ جَنَّةٌ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا ثَلَاثَةٌ: رَجُلٌ حَكَمَ عَلَى نَفْسِهِ بِالْحَقِّ، وَرَجُلٌ زَارَ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ فِي اللَّهِ، وَرَجُلٌ آتَرَ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ فِي اللَّهِ»^(١).

٤- خير من عتق عشر رقاب مؤمنات.

عن صالح بن عتبة عن عتبة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لزِيَارَةِ الْمُؤْمِنِ فِي اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ عِتْقِ عَشْرِ رِقَابٍ مُؤْمِنَاتٍ»^(٢).

٥- إن دعوا الله أجابهم.

عن صالح بن عتبة عن صفوان الجمال عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أَيُّهَا ثَلَاثَةٌ مُؤْمِنِينَ اجْتَمَعُوا عِنْدَ أَخٍ لَهُمْ يَأْتُمُونَ بَوَائِقَهُ»^(٣) «وَلَا يَخَافُونَ غَوَائِلَهُ، وَيَرْجُونَ مَا عِنْدَهُ إِنْ دَعَوْا اللَّهَ أَجَابَهُمْ وَإِنْ سَأَلُوا أَعْطَاهُمْ وَإِنْ اسْتَرَادُوا زَادَهُمْ وَإِنْ سَكَنُوا ابْتَدَأَهُمْ»^(٤).

٦- حق علي ألا أعدبهما بالنار.

عن عبد الله بن محمد الجعفي عن أبي جعفر وأبي عبد الله (عليهما السلام) قالاً:

(١) الكافي، ٢: ١٧٨.

(٢) وسائل الشيعة، ١٤: ٥٩٠، والكافي، ٢: ١٧٨.

(٣) جمع البائقة وهي الداهية والشر ويقرب منه الغائلة (في).

(٤) الكافي، ٢: ١٧٨، ووسائل الشيعة، ٧: ١٠٤.

«أَيُّهَا مُؤْمِنٌ خَرَجَ إِلَى أَخِيهِ يَزُورُهُ»^(١) عَارِفًا بِحَقِّهِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ حَسَنَةً وَنَجَّيَتْ عَنْهُ سَيِّئَةً وَرُفِعَتْ لَهُ دَرَجَةٌ، وَإِذَا طَرَقَ الْبَابَ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، فَإِذَا التَّقِيَا وَتَصَافَحَا وَتَعَانَقَا أَقْبَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا بِوَجْهِهِ، ثُمَّ بَاهَمَى بِهِمَا الْمَلَائِكَةَ فَيَقُولُ: انظُرُوا إِلَى عَبْدِي تَزَاوَرَا وَتَحَابَّأ فِي حَقِّي عَلَيَّ أَلَا أَعَدَّبُهُمَا بِالنَّارِ بَعْدَ هَذَا الْمُؤَقِفِ، فَإِذَا انصَرَفَ شَيَعَهُ الْمَلَائِكَةُ عَدَدَ نَفْسِهِ وَخُطَاهُ^(٢) وَكَلَامِهِ، يُحَفِّظُونَهُ مِنْ بَلَاءِ الدُّنْيَا وَبَوَائِقِ الْآخِرَةِ إِلَى مِثْلِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ مِنْ قَابِلٍ^(٣)، فَإِنْ مَاتَ فِيهَا بَيْنَهُمَا أُغْفِيَ مِنَ الْحِسَابِ، وَإِنْ كَانَ الْمُرُورُ يَعْرِفُ مِنْ حَقِّ الزَّائِرِ مَا عَرَفَهُ الزَّائِرُ مِنَ حَقِّ الْمُرُورِ كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ^(٤).

الثامن، أهمية التواصل واللقاء بين المؤمنين وأهدافه.

اللقاء بين المؤمنين من القيم الاجتماعية التي حثَّ الشَّرْعُ عليها لترسيخ المحبة والألفة وتقوية الروح الإنسانية، ليعطف الغني على الفقير، والقوي على الضعيف والكبير على الصغير، وإبعاد كلِّ ما يدعو للتفرُّق والتدابير بين المؤمنين، والسَّعي

(١) «يزوره» حال مقدرة، «عارفاً» حال محققة عن فاعل خرج، وكان المراد بعرفان حقه أن يعلم فضله وأنَّ له حقَّ الزيارة والرعاية والإكرام فيرجع إلى أنه زاره لذلك وأنَّ الله تعالى جعل له حقاً عليه، لا للأغراض الدنيوية (آت).

(٢) «خطاه» بالضم قال الجوهري: الخطوة بالضم ما بين القدمين وجمع القلة خطوات وخطوات والكثير خُطى، والخطوة بالفتح المرَّة الواحدة والجمع خطوات بالتحريك وخطاه.

(٣) ذكر الليلة يمكن أن يكون إيهاء إلى أنَّ الزيارة الكاملة هي أن يتم عنده إلى الليل أو لأنَّ العرب تضبط التواريخ بالليالي أو لأنَّهم كانوا للتقية يتزاورون بالليل.

(٤) الكافي (ط - الإسلامية)، ٢: ١٨٤.

لجمع المؤمنين للتعاون على البرِّ والتقوى؛ ولذا حثَّ أهل البيت عليهم السَّلام شيعتهم على قيمة التواصل لتحقيق هذه الغايات، حتى أنَّ الإمام الباقر عليه السَّلام يتمنى أن يحضر تلك الجلسات التي يجتمع فيها المؤمنون ويتحدثون لما يعرف من أسرارها وفوائدها والرَّحمة التي تهبط فيها، كما جاء في الرواية عن ابنِ مُسْكَانَ عَنْ مُيَسَّرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ لِي: «أَتَخْلُونَ وَتَتَحَدَّثُونَ وَتَقُولُونَ مَا سِئْتُمْ؟»، فَقُلْتُ: إِي وَاللَّهِ، إِنَّا لَنَخْلُو وَنَتَحَدَّثُ وَنَقُولُ مَا سِئْنَا، فَقَالَ: «أَمَا وَاللَّهِ لَوِدِدْتُ أَنِّي مَعَكُمْ فِي بَعْضِ تِلْكَ الْمَوَاطِنِ، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لِأَجِبُّ رِيحَكُمْ وَأَزْوَاحَكُمْ وَإِنِّكُمْ عَلَى دِينِ اللَّهِ وَدِينِ مَلَائِكَتِهِ، فَأَعِينُوا بِوَرَعٍ وَاجْتِهَادٍ»^(١).

الأهداف المرجوة من اللقاء بين المؤمنين

الإسلام دين الله الخاتم؛ ولذا رسم أهدافاً ومساراً واضحاً لتحقيق غايات نافعة وصالحة لكي لا تنحرف هذه اللقاءات إلى جلسات مضرة وباطلة:

١- ليعطف أغنياء وأقوياء الشيعة على ضعفانهم.

فقد جاء في الخبر عن خَيْثَمَةَ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْدَعُهُ فَقَالَ: «يَا خَيْثَمَةُ أْبَلِغْ مَنْ تَرَى مِنْ مَوَالِينَا السَّلَامَ وَأَوْصِيهِمْ بِتَقْوَى اللَّهِ الْعَظِيمِ وَأَنْ يَعُودَ عَلَيْهِمْ عَلَى فَقِيرِهِمْ وَقَوِيَّتِهِمْ عَلَى ضَعِيفِهِمْ وَأَنْ يَشْهَدَ حَيْثُ جَنَازَةٌ مِنْهُمْ»^(٢).

(١) الكافي، ٢: ١٨٧، ووسائل الشيعة، ١٦: ٣٤٧.

(٢) الكافي، ٢: ١٧٥، وبحار الأنوار، ٧١: ٣٤٣.

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: «شَبِعْتُنَا الرَّحْمَاءُ بَيْنَهُمْ»^(١).

٢- في زيارتكم إحياء لقلوبكم.

عَنْ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «تَزَاوَرُوا فَإِنَّ فِي زِيَارَتِكُمْ إِحْيَاءَ لِقُلُوبِكُمْ»^(٢).

٣- ذكر الله والدعاء.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ عَنْ غِيَاثِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «مَا اجْتَمَعَ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَصَاعِدًا إِلَّا حَضَرَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مِثْلُهُمْ، فَإِنْ دَعَا بِخَيْرٍ آمَنُوا، وَإِنْ اسْتَعَاذُوا مِنْ شَرٍّ دَعَا اللَّهُ لِيُصْرِفَهُ عَنْهُمْ، وَإِنْ سَأَلُوا حَاجَةً تَشَفَعُوا إِلَى اللَّهِ وَسَأَلُوهُ قَضَاءَهَا وَمَا، اجْتَمَعَ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْجَاهِدِينَ إِلَّا حَضَرَهُمْ عَشْرَةٌ أضعافهم مِنَ الشَّيَاطِينِ، فَإِنْ تَكَلَّمُوا تَكَلَّمَ الشَّيْطَانُ بِنَحْوِ كَلَامِهِمْ، وَإِذَا ضَجَّكُوا ضَجَّكُوا مَعَهُمْ، وَإِذَا نَالُوا مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ^(٣) نَالُوا مَعَهُمْ، فَمَنْ ابْتَلَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِهِمْ فَإِذَا تَخَاضُوا فِي ذَلِكَ فَلْيَتَّقُمْ وَلَا يَكُنْ شِرْكَ شَيْطَانٍ وَلَا جَلِيسَهُ، فَإِنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَقُومُ لَهُ شَيْءٌ، وَلَعْنَتُهُ لَا يَرُدُّهَا شَيْءٌ»، ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَلْيُنْكِرْ بِقَلْبِهِ

(١) الكافي (ط - الإسلامية)، ٢: ١٧٦، ح ١.

(٢) المصدر نفسه: ١٨٦، ح ٢.

(٣) أي سبواهم وقالوا فيهم ما لا يليق بهم (في).

وَلَيْتُمْ وَلَوْ حَلَبَ شَاةٌ أَوْ فُوقَ نَاقَةٍ^(١).

٤ - اغصاب إبليس.

عَنْ أَبِي الْمُغْرَاءِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: «لَيْسَ شَيْءٌ أَنْكَى^(٢) لِإِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ مِنْ زِيَارَةِ الْإِخْوَانِ فِي اللَّهِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، قَالَ: وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَلْتَقِيَانِ فَيَذْكُرَانِ اللَّهَ ثُمَّ يَذْكُرَانِ فَضْلَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِهِ إِبْلِيسَ مُضَغَّةٌ لَحْمٍ إِلَّا تَحَدَّدُ^(٣) حَتَّى إِنَّ رُوحَهُ لَتَسْتَفِيتُ مِنْ شِدَّةِ مَا يَجِدُ مِنَ الْأَمِّ، فَتَحْسُ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ وَخُرَّانُ الْجِنَانِ فَيَلْعَنُونَهُ حَتَّى لَا يَبْقَى مَلَكٌ مُقَرَّبٌ إِلَّا لَعَنَهُ فَيَقَعُ حَاسِئًا^(٤) حَسِيرًا مَذْحُورًا^(٥)».

٥ - فإن لقياً بعضهم بعضاً حياة لأمرنا.

وهذا الهدف من أهم الأهداف الرئيسة وأصلها وأبوها وأمها، والذي به تتحقق

(١) «حلب شاة» حلب مصدر منصوب بظرفية الزمان بتقدير زمان حلب، وكذا الفواق وكأنه أقل من الحلب أي يقوم لإظهار حاجة وعذر ولو بأحد هذين المقدارين من الزمان، قال في النهاية: فيه أنه قسم الغنائم يوم بدر عن فواق أي في قدر فواق ناقة وهو ما بين الحلبتين من الراحة وتضم فاؤه وتفتح وذلك لأنها تُحلب ثم تراح حتى تدر ثم تُحلب (آت).

(٢) في القاموس نكى العدو وفيه نكاية: قتل وجرح.

(٣) خدد لحمه وتحدد هزل ونقص.

(٤) خسأت الكلب كمنعت: طرده. وحسر حسراً تعب وأعبأ. والدحر: الطرد.

(٥) الكافي (ط - الإسلامية)، ٢: ١٨٨، ح ٧.

كُلُّ الْأَهْدَافِ الْأُخْرَى كَمَا هُوَ وَاضِحٌ مِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الْمَعْرُوضَةِ.

جاء في تَمَّةِ رِوَايَةِ خَيْثَمَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْمَتَقَدِّمَةِ: «وَأَنْ يَتَلَقَّوْا فِي بُيُوتِهِمْ فَإِنَّ لِقِيَابَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا حَيَاةً لِأَمْرِنَا، رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا، يَا خَيْثَمَةُ أْبْلُغِ مَوَالِينَا أَنَا لَا نُنْغِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِلَّا بِعَمَلٍ، وَأَنْتُمْ لَنْ يَنَالُوا وَلَا يَنَالَنَا إِلَّا بِالْوَرَعِ، وَأَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ وَصَفَ عَدْلًا ثُمَّ خَالَفَهُ إِلَى غَيْرِهِ»^(١).

وعن عِدَّةٍ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ خَالِدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ فَضَالَةَ بْنِ أَيُّوبَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: «شِيعَتُنَا الرُّحَمَاءُ بَيْنَهُمْ»^(٢) الَّذِينَ إِذَا خَلَوْا ذَكَرُوا اللَّهَ، إِنْ ذَكَرْنَا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ، إِنْذَا إِذَا ذُكِرْنَا ذُكِرَ اللَّهُ، وَإِذَا ذُكِرَ عَدُونَا ذُكِرَ الشَّيْطَانُ»^(٣).

وعن مُحَمَّدَ بْنِ يَحْيَى عَنْ مُحَمَّدَ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ مُحَمَّدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ بَزِيعٍ عَنْ صَالِحِ بْنِ عُقْبَةَ عَنْ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «تَزَاوَرُوا فَإِنَّ فِي زِيَارَتِكُمْ إِحْيَاءَ لِقُلُوبِكُمْ وَذِكْرًا لِأَحَادِيثِنَا، وَأَحَادِيثِنَا تُعْطَفُ بِعُضْكُمْ عَلَى بَعْضٍ»^(٤)، فَإِنْ أَخَذْتُمْ بِهَا رَسَدْتُمْ وَنَجَوْتُمْ، وَإِنْ تَرَكْتُمُوهَا ضَلَلْتُمْ وَهَلَكْتُمْ، فَخُذُوا

(١) أي أظهر مذهباً صحيحاً ولم يعمل بمقتضاه.

(٢) «الرحماء» جمع رحيم أي يرحم بعضهم بعضاً. «الذين» خبر بعد خبر أو صفة للرحماء.

(٣) الكافي (ط - الإسلامية)، ٢: ١٨٦، ح ١.

(٤) «تعطف بعضهم على بعض» لاشتغالها على حقوق المؤمنين بعضهم على بعض ولأن الاهتمام برواية أحاديثنا يوجب رجوع بعضكم إلى بعض.

بها وأنا بنجائكم زعيم»^(١).

عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ عَنِ الْوَشَاءِ عَنْ مَنْصُورِ بْنِ يُونُسَ عَنْ
عَبَادِ بْنِ كَثِيرٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنِّي مَرَرْتُ بِقَاصٍ يَقْصُ (٢) وَهُوَ
يَقُولُ: هَذَا الْمَجْلِسُ الَّذِي لَا يَشْقَى بِهِ جَلِيسٌ، قَالَ: فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ:
«هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ أَخْطَأْتُ (٣) أَسْتَاهُهُمُ الْخُفْرَةَ، إِنَّ اللَّهَ مَلَائِكَةٌ سَيَّاحِينَ سِوَى الْكِرَامِ
الْكَاتِبِينَ، فَإِذَا مَرُّوا بِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ مُحَمَّدًا وَآلَ مُحَمَّدٍ قَالُوا: قِفُوا فَقَدْ أَصَبْتُمْ حَاجَتَكُمْ،
فَيَجْلِسُونَ فَيَتَفَقَّهُونَ مَعَهُمْ، فَإِذَا قَامُوا عَادُوا مَرْضَاهُمْ وَشَهِدُوا جَنَائِزَهُمْ وَتَعَاهَدُوا
عَائِبَهُمْ، فَذَلِكَ الْمَجْلِسُ الَّذِي لَا يَشْقَى بِهِ جَلِيسٌ»^(٤).

وعن مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيْسَى عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ عَنِ الْمُسْتَوْرِدِ
النَّخَعِيِّ عَمَّنْ رَوَاهُ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «إِنَّ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ فِي
السَّمَاءِ لَيَطَّلِعُونَ إِلَى الْوَاحِدِ وَالْإِثْنَيْنِ وَالثَّلَاثَةِ وَهُمْ يَذْكُرُونَ فَضْلَ آلِ مُحَمَّدٍ، قَالَ

(١) الكافي (ط - الإسلامية)، ٢: ١٨٦، ح ٢.

(٢) القاص راوي القصص، والمراد هنا القصص الكاذبة الموضوعه (آت).

(٣) الخطأ: ضد الصواب والخطأ (عند أبي عبيد) الذهاب إلى خلاف الصواب مع قصد الصواب
(وعند غيره): الذهاب إلى غير الصواب مطلقاً وغير عمد. والأستاه همزة واهاء أخيراً
جمع الإست بالكسر وهي حلقة الدبر وأصل الإست: سته بالتحريك وقد يسكن التاء، حذف
الهاء وعوضت عنها همزة والمراد بالخفرة الكنيف الذي يتغوط فيه وكأن هذا كان مثلاً سائراً
يضرب لمن استعمل كلاماً في غير موضعه أو أخطأ خطأ فاحشاً (آت).

(٤) الكافي (ط - الإسلامية)، ٢: ١٨٧، ح ٣.

فَتَقُولُ: أَمَا تَرَوْنَ إِلَى هَؤُلَاءِ فِي قَلْبَتِهِمْ وَكَثْرَةَ عَدُوِّهِمْ يَصِفُونَ فَضْلَ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: فَتَقُولُ الطَّائِفَةُ الْأُخْرَى مِنَ الْمَلَائِكَةِ: ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ^(١).

(١) الكافي (ط - الإسلامية)، ٢: ١٨٧، ح ٤.



الفصل الثامن
إضاءات في علم الفلك
من حديث الكساء

الفصل الثامن: إضاءات في علم الفلك من حديث الكساء

تمهيد

«إِنِّي مَا خَلَقْتُ سَمَاءً مَبِينَةً، وَلَا أَرْضاً مَدْحِيَّةً، وَلَا قَمَراً مُنِيرًا، وَلَا شَمْساً مُضِيئَةً، وَلَا فَلَكَاً يَدُورُ، وَلَا بَحَراً يَجْرِي، وَلَا فَلَكَاً يَسْرِي، إِلَّا فِي مَحَبَّةٍ هُوَ لِأَيِّ الْحَمْسَةِ الَّذِينَ هُمْ تَحْتَ الْكِسَاءِ».

قبل الخوض في هذا البحث لا بُدَّ من هذه المقدمات:

الأولى: لما كانت هذه الفقرة من الحديث الشريف تشتمل على قَسَمٍ من العليِّ العظيم موجَّه إلى جميع ملائكته، وسكان سماواته، فلا بُدَّ أن يكون جواب القسم متناسلاً معه؛ وهو حصر الغاية من إيجاد الخلق وهو (لمحبة محمد وآل محمد)، وهذا ما يثير العاقل المنصف من عظمة منزلة أصحاب الكساء عند الله تعالى.

الثانية: إنَّ الغاية الأساسية من ذكر الباري عزَّ وجلَّ لهذه المخلوقات والنعم الباهرة - الواقعة في جواب القسم - هو حثُّ العقلاء للتأمل فيها وتذكيرهم بعظمة الخالق المبدع القادر الحكيم العليم، لتزداد معرفتهم بالله فيهدتوا بنور الوحي، وهذه هي الغاية المهمة من ذكر مخلوقاته الباهرة، وليست الغاية هي التفصيل في بيان العلوم التكوينية، ولكن مع ذلك لم يهمل الوحي هذه الأمور، فقد أشار إليها بشكل مجمل وأعطى الإنسان نور العقل ليحاول فيها بشرط الاستضاءة من

الراسخين في العلم الذين قرنهم الله عزَّ وجلَّ بالكتاب^(١) محمَّد وآل محمَّد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وعليه فإنَّ الإشارة لهذه الأمور الفلكية السبعة يوجد فيها من الإضاءة والإشارة لوظيفة كلِّ واحدة منها، ما يفتح الطريق للعلماء للبحث عن أسرارها والاستضاء بها في مقدمات علم الفلك ومبنياته.

الثالثة: ولعلَّ أنَّ الله عزَّ وجلَّ خصَّ هذه الآيات الكونية الظاهرة لكونها الأبرز التي تشكل بناء هذا الكون وهي: (بناء السماء، ودحو الأرض، وإنارة القمر، وإضاءة الشمس، ودوران الفلك، وجريان البحر، وسريان الفلك)، فما أهمية هذه المخلوقات؟

عند مراجعة الآيات وروايات محمَّد وآله وبعض ما توصل إليه العلم الحديث في نشأة الكون وبنائه، نجد ما يبهر العقول ويحيرها في خلقه هذا الكون الفسيح الدقيق، والذي لا تزال أسرارَه مجهولة للعلماء رغم جهودهم وسعيهم المستمر لمعرفة المزيد، حيث يظهر عجزهم وخطأ بعض النتائج المخالفة لنصوص الوحي.

كما يجد الباحث من أمثالي عجزه عن فهم هذا البناء المتقن البديع، والاعتراف بقصوره من فهم حقائقه، ولكنَّ نحاول رسم صورة تقريبية لملامح هذا البناء

(١) في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُونَ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾، وفي قوله أيضاً ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾.

البديع المتقن من خلال جمع النصوص الشريفة وتصنيفها وأبحاث العلوم الحديثة،
تاركين المجال للباحث التأمل والبحث والاستنتاج.

الأول: بناء السماء (إني ما خلقت سماء مبنية)

ما هي أسس ومواصفات هذا البناء؟

لكي نتصور بعض عظمة هذا البناء الدقيق المدهش والبديع نعرض هذه
المعلومات الفلكية التي تتحدث عن بعض ملامح هذا الكون الفسيح؛ نقلناه من
كتاب (علم الفلك القرآني) للكاتب عدنان شريف.

جولة في عالم المجرات

قول الله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾^(١).

المجرة هي الوحدة الأساسية في تركيب الكون، وهي تجمعات هائلة من النجوم
والكواكب وتسمى (السديم) عندما يغلفها الدخان أو الغبار الكوني، والمجرات
أنواع، فالمجرة القزم تتألف من عشرة ملايين نجم، أما المجرة العملاقة فيصل تعداد
نجومها إلى عشرة آلاف مليار نجم ترتبط بعضها ببعض بواسطة قوة الجاذبية.

أما مجرتنا المسماة بالطريق اللبني، والتي يتبع لها نظامنا الشمسي فمؤلفة من مائة
مليار نجم تقريبا، منها الشمس، وهي نجم متوسط الحجم، وبعض النجوم تكبر

(١) سورة الشمس، الآية: ٥.

الشمس بعشرات أو مئات المرات. والمجرة اللبنية تبدو من خلال المراصد كقرص قطره تسعون ألف سنة ضوئية وسمكه خمسة آلاف سنة ضوئية (السنة الضوئية تساوي ٩٤١٦ مليار كيلومتراً أو عشرة آلاف مليار كيلومتر تقريباً)، وفي حين يصل إلينا نور القمر في ثانية وثلاث، ونور الشمس في ثماني دقائق، فإنّ النور يستغرق مائة ألف سنة ليصل بين طرفي قرص المجرة اللبنية (يقطع النور ثلاثمائة ألف كيلومتر في الثانية). وهناك مجرّات تكبرهما بعشرات المرات. وفي الكون أحصي حتى الآن مائة مليار مجرة تقريباً، وكلّها تدور وتجري بسرعة متفاوتة، فالأرض تدور حول الشمس بسرعة ٣٠ كيلومتراً في الثانية تقريباً، والشمس تجري بسرعة ٧، ١٩ كيلومتراً في الثانية بالنسبة للنجوم المجاورة لها، أمّا أسرع المجرّات فهي التي تحمل الرقم (٣-٢. ٢٩٥) إذ تصل سرعتها إلى ٣٦٪ من سرعة الضوء، أي ١٠٨ آلاف كيلومتر في الثانية.

والنجوم والمجرّات لا تتوزع عشوائياً في الكون، فالنجوم تتجمع مع بعضها لتؤلف المجرة، والمجرّات تتجمع مع بعضها لتؤلف مجموعة محلية مؤلفة من عشرات المجرّات، والمجموعة المحلية تتجمع مع بعضها لتؤلف كدس المجرّات المؤلف من بضعة آلاف من المجرّات، وأكداس المجرّات تتجمع كل خمس أو ست فيما بينها لتؤلف كدساً عملاقاً، فالنجوم هي حجر البناء في المجرة، والمجرة هي بيت في الكون، والمجموعة المحلية هي قرية في الكون. أمّا كدس المجرّات فهو

مدينة في الكون والكس العملاق عاصمة من عواصمه العديدة حسب تشبيه علماء الفلك. فالشمس مع بقية كواكب النظام الشمسي ومائة مليار نجم غيرها تتجمع مع بعضها لتؤلف مجرتنا اللبنية، ومجرتنا اللبنية مع توأمها المجرة (أندروميد) التي تبعد عنا ٣، ٢ مليون سنة ضوئية وغيمتا (ماجلان) الصغرى والكبرى خمس عشرة مجرة قرماً تتجمع مع بعضها لتؤلف المجموعة المحلية التي تمتد أبعادها إلى خمسة عشر مليون سنة ضوئية، وتبلغ كتلتها عشرة آلاف مليار مرة كتلة الشمس. وهذه المجموعة المحلية تتجمع مع غيرها لتؤلف كدس المجرات الذي يحوي بضعة آلاف من المجرات وتصل أبعاده إلى ستين مليون سنة ضوئية وكتلته إلى بضعة ملايين المليارات من كتلة الشمس. وقد استطاع العلماء حتى الآن إحصاء ثلاثة آلاف كدس منها في نصف الكرة الجنوبي للكون.

إلا أن تركيب الكون لا يتوقف عند هذا الحد، فأكداس المجرات تتجمع فيما بينها كل خمس أو ست لتؤلف كدساً عملاقاً تصل أبعاده إلى مائتي مليون سنة ضوئية، وكتلته إلى عشرة ملايين مليار مرة كتلة الشمس، فمجرتنا اللبنية ما هي إلا جزء من كدس عملاق مؤلف من عشرة آلاف مجرة^(١).

إن هذه الأرقام المبسطة عن النجوم والمجرات وتجمعاتها وأكداستها تعطي المؤمن شيئاً عن معنى قوله ﴿وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا﴾ (سورة الشمس: ٥)، وعظمة

(1)- Trinh Thuan .La Melodie Secrete ,PP. 2. 171.

قسمه ببروج السماء، وتجعله خاشعاً أمام عظمة خالق الكون عند ما يقرأ قوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُنِيراً ﴾ (١).

كذلك نرى أن رقم مائة مليار مجرة في الكون يتألف أصغرها من عشرة ملايين نجم وأكبرها من آلاف المليارات من النجوم، وكلها تجري بسرعات هائلة متفاوتة كل نجم في مسار خاص دون تصادم بينها وفق نظام قانون الجاذبية الكونية، نرى أن هذا الرقم أيضاً يعطي فكرة عن معنى قوله تعالى: ﴿ لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ﴾ (٢)، (في عظمة الصنعة)، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُنْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ﴾ (٣)، (بواسطة القوانين التي تحكم مسار الأجرام السماوية).

لذلك كان التفكير في خلق السماوات والأرض آيات لأولي الألباب: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (٤)(٥).

(١) سورة الفرقان، الآية: ٦١.

(٢) سورة غافر، الآية: ٥٧.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٤١.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٩٠.

(٥) من علم الفلك القرآني: ٤٦-٤٩.

١. كيفية النشأة

عند الحديث عن بناء السماء لا بُدَّ من الرجوع للوراء، لمعرفة كيف بدأت نشأة الكون، لأنَّ النظرية القرآنيَّة ترى أنَّ لهذا الكون نظريَّةً وسُنَّةً كونيَّةً واحدةً تنتظم فيها جميع أجزائه ومختلف أنواعه وأحجامه من أصغر ذرَّة إلى أكبر مجرَّة، بل حتى الأمور التشريعيَّة والعقليَّة والروحيَّة، هي منتظمة ومحكمة ومنسجمة ضمن ميزان الحقِّ والعدل الإلهي^(١)، ومن أجل غاية واحدة وهي عبادته وطاعته سبحانه وتعالى^(٢) وحده لا شريك له، وأمَّا طاعة أوليائه وأحبائه فهي غاية في طول طاعته.

أ- نشأة الكون في علم الفلك الجديد (نظريَّة الانفجار العظيم)

الفكرة السائدة في الوسط العلمي الحديث في هذا المجال هي نظريَّة الانفجار العظيم^(٣)، والتي تبناها العالم البلجيكي (جورج لوميتر) في عام ١٩٢٧م، وهي تقول: (إنَّ الكون كان في بدء نشأته كتلةً غازيَّةً عظيمة الكثافة واللمعان والحرارة، ثمَّ بتأثير الضغط الهائل من شدَّة حرارتها حدث انفجار عظيم فتق الكتلة الغازيَّة

(١) كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾، وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عِنْدَ السَّبْحِ وَالْحِسَابِ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

(٢) كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِعِبَادَتِي﴾، سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٣) واليوم يجمع أكثر علماء الفلك على القول إنَّ نظرية الانفجار الكبير لم تعد نظريَّة، بل هي حقيقة علميَّة، (من علم الفلك القرآني: ١٢).

بأجزائها في كل اتجاه، فتكونت مع مرور الوقت الكواكب والنجوم والمجرات^(١).

(١) في هذا الصدد عرض صاحب كتاب (من علم الفلك القرآني) النظرية الحديثة السائدة عند علماء الفلك وعن بعض المقدمات العلمية في تكوين عناصر الذرة، فإليك ما جاء فيه بشكل مختصر:

١ - كيف تخلقت الأشياء. (من كتاب «النغم السري» - الصادر باللغة الفرنسية:

Trinh Thuan .La Melodie Secrete .Fayard : 1988.

نشأت كل المخلوقات من جبلة بدائية مؤلفة من جزيئات أولية هي التالية: (الكوارك + الإلكترون + البروتون + النيوترون + الفوتون + النترينو)، ومع مرور ملايين السنين اتحدت فيما بينها الجزيئات الأولية المذكورة أعلاه، والتي كانت تتألف منها الكتلة البدائية، فكانت نواة أول وأبسط وأكثر العناصر انتشاراً في الكون، ثم ذرّتها، وهو عنصر غاز الهيدروجين. ثم اتحدت ذرات الهيدروجين والجسيمات التي تتألف منها بصورة متباينة فتكونت بقية الذرات والعناصر الطبيعية، وعددها اثنان وتسعون عنصراً، تبدأ بالهيدروجين وتنتهي بالأورانيوم، ومن هذه العناصر نشأت مليارات المخلوقات).

٢ - نقطة الصفر في بدء الكون: (يقول علماء الكون إن الفيزياء الحديثة قد توصلت لمعرفة تفاصيل النشأة الأولى للكون كما كانت، بعد جزء من مليارات المليارات من الثانية من نقطة الصفر من بدء هذه النشأة. أمّا نقطة الصفر في خلق الجبلة الأولى التي نشأت منها المخلوقات جميعها فبقي مجهولة في حدود العلم الحاضر، إلا إذا استطاع العلم تحطّي وقت بلانك، من الثانية فيصّل عندها إلى نقطة الصفر في معرفة كيفية بدء الكون وكيفية ظهوره من العدم.

مسلمة خلق الكون من العدم على يد قوة عظيمة هي الله والتي يعتمدها المفكّرون المؤمنون لا تتعارض مع العلم اليوم، بل تجد لها سنداً في علم الفيزياء الحديثة كما كتب مؤخرأ عالم الفلك والكونية «ترن تيان». وهذه ترجمة ما كتبه بالفرنسية: «إنّ المادة يمكن أن تظهر من الفراغ إذا حققت فيها كمية كبيرة من الطاقة، الفراغ مصدر كل شيء».

٣ - تاريخ اكتشاف الذرة وجزيئاتها.

الذرة هي الوحدة الأولية أو اللبنة الأساسية التي تتكون منها عناصر الأشياء.

وفي أواسط القرن السابع عشر دخلت فكرة الذرة حيّز الاختبار العلمي مع العالم الإنكليزي «بويل».

ثم تعددت الاكتشافات في عالم الذرة، وانتقلت الذرة من مجرد تصور فكري قاله بعض الأقدمين إلى حقيقة ملموسة، وقد أمكن أخيراً في سنة ١٩٧٠ رؤية بعض الذرات بواسطة المجهر الإلكتروني. وما يهمننا من هذا العرض السريع لتاريخ اكتشاف الذرة ومكوناتها، هو التشديد على أن القرآن الكريم قد قال بوجود الذرة وقال بأن لها وزناً، وقال بأن هناك جزيئات أصغر منها، في آيات لا لبس فيها ولا غموض هي الآتية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ (سورة النساء، الآية: ٤٠). ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (سورة الزلزلة، الآيتان: ٧-٨)، فالذرة لغوياً هي جزء من الشيء؛ يقال: ذرر وذر، أي فرقه أجزاء. ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

جاء في لسان العرب لابن منظور: (والأصل في الزوج الصنف والنوع من كل شيء، وكل شيتين مقترنين، شكلين كانا أو نقيضين، فهما زوجان وكل واحد منهما زوج).

لقد جاءت مختلف فروع العلوم المادية لتبين أن كل شيء في الطبيعة بدءاً من جزيئات الذرة وانتهاءً بجميع المخلوقات الموجودة في الكون له زوجة، وهذه أمثلة عن الزوجية في الخلق كما كشفها علم الفيزياء الحديثة: لكل جزء من المادة زوجة ويسمى بضده؛ فالإلكترون وهو جزء من الذرة له زوجة المختلف عنه بالشحنة الكهربائية التي هي موجبة وتسمى بالبوزيتون)، (من علم الفلك القرآن: ٢٢).

نظرية الانفجار الكبير: أول من تعرض لمسألة نشأة الكون من وجهة علمية هو «أينشتاين» والعالم الروسي «ألكسندر فريدمان» في بداية القرن العشرين. وفي سنة ١٩٢٧م قال عالم الفلك البلجيكي «جورج لومبير»: إن الكون كان في بدء نشأته كتلة غازية عظيمة الكثافة واللمعان والحرارة أسهاها البيضة الكونية، ثم حصل في هذه الكتلة بتأثير الضغط الهائل الناتج من شدة حرارتها، انفجار هائل فتتها وقذف بأجزائها في كل اتجاه، فتكونت مع مرور الوقت الكواكب والنجوم والمجرات.

وبحسب علماء الفيزياء الفلكية اليوم، كان الكون بعد جزء من مليارات المليارات من الثانية ومنذ حوالي خمسة عشر مليار سنة تقريباً، كتلة هائلة الكثافة شديدة الحرارة بحجم كرة لا يبلغ قطرها جزءاً من الألف من السنتيمتر. وفي عام ١٩٤٠م أيد عالم أميركي من أصل روسي هو «جورج

ب- نظرية الفلك القرآنية

النظرية العلمية الحديثة والمعلومات التي وردت ربما تلتقي في بعض جوانبها مع نظرية الإسلام، وتفصيل ما جاء في الآيات والنصوص الشريفة، ولعلها تختلف معها كثيراً في تفاصيلها ودقتها، وقد حاول بعض الباحثين والعلماء من المسلمين أن يؤول آيات القرآن الكريم والنصوص الشريفة الواردة في هذا الشأن بما يطابق النظرية الحديثة ويصححها ولو تعسفاً.

ولا شك أن النظرية القرآنية أدق وأضبط وأوسع، لكونها من الخبير العليم الخالق البارئ الحكيم، وهي موجودة في طيات النصوص الشريفة.

وهنا نقوم بجهد متواضع لجمع مواد البحث تاركين المجال لأهل الاختصاص

غاموف، نظرية الانفجار الكبير. وفي عام ١٩٦٤م اكتشف العالمان «بانزياس» و«ويلسون» موجات راديو منبعثة من جميع أرجاء الكون لها الميزات الفيزيائية نفسها في أي مكان سُجِّلت فيه، فأسميت بالنور المتحجر أو النور الأحفوري، وهو النور الآتي من الأزمنة السحيقة ومن بقايا الانفجار العظيم الذي حصل في الثواني التي تلت نشأة الكون. وهذا الاكتشاف للنور الأحفوري مع اكتشاف توسع الكون، في سنة ١٩٢٩م، شكلاً حجر الزاوية في البناء العلمي لنظرية الانفجار الكبير. وفي ١٩٨٦م أرسلت المحطات الفضائية التي أطلقها الاتحاد السوفياتي معلومات تؤيد نظرية الانفجار الهائل وتوسع الكون الذي نتج عنه.

واليوم يجمع أكثر علماء الفلك على القول إن نظرية الانفجار الكبير لم تعد نظرية، بل هي حقيقة علمية. أمّا الأفلية التي عارضتها سابقاً، فهي مجموعة من العلماء الماديين في معتقداتهم، ربما لأن الإقرار علمياً بحقيقة بدء الكون وتوسعه يتعارض مع معتقداتهم القائلة بأزلية المادة وقدم العالم، فعندما يثبت العلم أن للكون بدايةً فذلك يعني أن له نهايةً، وأنه مخلوق وليس أزلياً كما ظنّ الماديون.

(من علم الفلك القرآني: ٣٠).

للبحث وبلورة النظرية الإسلامية المستوحاة من القرآن والسنة الشريفة.

المادة الأولى لنشأة الكون هي (الماء)، حيث قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾^(١)، فالماء هو أصل خلق بقية المخلوقات الحية، ولما كان كذلك فقد جعل العرش عليه^(٢) (أي حمله العلم والدين)، وبعبارة أخرى أي كلّفه الإيمان به والطاعة له^(٣)، ثم خلق منه بعد ذلك جميع المخلوقات الإنس والجن والحيوان والنبات، فجعلها حية به بما فيها الجمادات، فجعل فيها الحياة والشعور فامتحنها في أول الخلق، فتفاضلت المخلوقات على وفق ذلك منذ تلك اللحظة^(٤).

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٣٠.

(٢) ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ (الصفات: ١٨٠).

(٣) فمعنى العرش هو العلم والقدرة من الله تعالى، وبهذا العلم كلّف الماء وهو مخلوق حي شاعر مأمور فأطاع فخلق منه سائر الأشياء.

(٤) عن داود الرقي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام ﴿ على الماء. ﴾، فقال: «ما يقولون؟»، قلت: يقولون: إن العرش كان على الماء والرب فوقه، فقال: «كذبوا، من زعم هذا فقد صير الله محمولاً ووصفه بصفة المخلوق، ولزمه أن الشيء الذي يحمله أقوى منه»، قلت: يبيّن لي جعلت فداك، فقال: «إن الله حمل ديبته وعلمه الماء قبل أن يكون أرض أو سماء أو جن أو إنس أو شمس أو قمر، فلما أراد الله أن يخلق الخلق نثرهم بين يديه، فقال لهم: من ربكم؟ فأول من نطق رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام والأئمة صلوات الله عليهم، فقالوا: أنت ربنا، فحملهم العلم والدين، ثم قال للملائكة: هؤلاء حملة ديني وعلمي وأمنائي في خلقي وهم المسؤولون، ثم قال لبني آدم: أقرؤا الله بالربوبية وهؤلاء النفر بالولاية والطاعة، فقالوا: نعم ربنا أقررتنا، فقال الله للملائكة: اشهدوا، فقالت الملائكة: شهدنا على أن لا يقولوا غداً ﴿ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ (١٧٣) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾، يا داود، ولا يتنا مؤكدة عليهم في الميثاق». الكافي (طبعة الإسلامية)، ١: ١٣٣، ح ٧.

فقد ثبت بالقرآن والسنة أن أصل مادة الحياة هي الماء، وهذا ما أكدّه الإمام الباقر عليه السلام: «وخلق الشيء الذي جميع الأشياء منه وهو الماء الذي خلق الأشياء منه»^(١)، ثم سلط الريح على الماء واضطرمه ناراً، ثم حوَّله إلى دخان، ومن الدخان خلق السماوات، ومن زبد الماء خلق الأرض أو الرماد، على تفصيل في الروايات

(١) عن محمد بن عطية قال: جاء رجل إلى أبي جعفر عليه السلام من أهل الشام من علمائهم فسأله عن أول خلق الله، فقال الإمام عليه السلام: «وخلق الشيء الذي جميع الأشياء منه وهو الماء، الذي خلق الأشياء منه، فجعل نسب كل شيء إلى الماء ولم يجعل للماء نسباً يضاف إليه، وخلق الريح من الماء ثم سلط الريح على الماء فشقت الريح متن الماء حتى نار من الماء زيد على قدر ما شاء أن يثور، فخلق من ذلك الزبد أرضاً بيضاء نقيّة ليس فيها صدع ولا ثقب ولا صعود ولا هبوط ولا شجرة، ثم طواها فوضعها فوق الماء، ثم خلق الله النار من الماء فشقت النار متن الماء حتى نار من الماء دخان على قدر ما شاء الله أن يثور، فخلق من ذلك الدخان سماء صافية نقيّة ليس فيها صدع ولا ثقب، وذلك قوله: ﴿السَّمَاءُ بِنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَغَطَّسَ لِبَنَاهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ (النازعات ٢٧-٢٩)، قال: «ولا شمس ولا قمر ولا نجوم ولا سحب، ثم طواها فوضعها فوق الأرض، ثم نسب الخليقتين فرفع السماء قبل الأرض فذلك قوله عزّ ذكره: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾»، يقول: «بسطها»، فقال له الشامي: يا أبا جعفر، قول الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾؟ فقال له أبو جعفر عليه السلام: «فلعلك تزعم أنها كانتا رتقاً ملتزقتين ملتصقتين ففتقت إحداهما من الأخرى»، فقال: نعم، فقال أبو جعفر عليه السلام: «استغفر ربك، فإن قول الله جلّ وعزّ ﴿كَانَتَا رَتْقًا﴾ يقول: كانت السماء رتقاً لا تُنزل المطر، وكانت الأرض رتقاً لا تُنبئ الحب، فلما خلق الله تبارك وتعالى الخلق وبثّ فيها من كل دابة، فتق السماء بالمطر والأرض بنبات الحب»، فقال الشامي: أشهد أنّك من ولد الأنبياء وأنّ علمك علمهم. الكافي (طبعة الإسلامية)، ٨: ٩٤، ح ٦٧.

الشريفة السابقة، وكذا ما جاء في صحيحة محمد بن مسلم^(١).

٢- الرتق والفتق

هل السماء والأرض كانتا قطعة واحدة (رتقاً) فحصل الانفجار فصارتا (فتقاً) فتشكّلت السماوات والأرض بعد ذلك كما تحدّث عنه النظرية الحديثة مفصلاً؟ حاول بعض العلماء والباحثين الإسلاميين أن يحسن الظنّ بنظرية الانفجار فأيدها واستدل عليها بهذه الآية المباركة: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٢)، فقالوا: إنّ الرتق هو عبارة عن التحام الأرض والسماء في قطعة واحدة (رتقاً)، فحصل الانفجار (الفتق) فكان هذا بداية تشكّل الكون.

ولكنّ روايات العترة الطاهرة بيّنت كيفية تشكّلها من الماء الذي تحوّل إلى ريح ثمّ إلى زبد فخلق منه الأرض، ومن الدخان خلق السماء.

(١) عن محمد بن مسلم، قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: «كان كلُّ شيء ماء، ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾، فأمر الله عزّ ذكره الماء، فاضطرم ناراً، ثمّ أمر النّار، فخدمت، فارتفع من خودها دخان، فخلق الله عزّ وجلّ السماوات من ذلك الدخان، وخلق الله عزّ وجلّ الأرض من الرماد، ثمّ اختصم الماء والنّار والريح، فقال الماء: أنا جند الله الأكبر، وقالت النار: أنا جند الله الأكبر، وقالت الريح: أنا جند الله الأكبر، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى الريح: أنت جندي الأكبر. الكافي (طبعة الإسلامية)، ٨: ٩٥، ح ٦٨.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٣٠.

نعم إذا كانوا يقصدون من كلامهم بعد أن خلق الله تعالى الأرض والسماء في المرحلة الأولى، ثم طواهما فوضع واحدة على الأخرى، ثم فصلهما فوضعهما في مواضعهما، فهذا صحيح، وقد وقع في المرحلة الثانية، ولكن الآية المباركة وبحسب ما جاء في تفسيرها في روايات العترة الطاهرة تعطي معنى مغايراً لما فهموه^(١)، والمعنى الصحيح هو أنه بعد أن خلق الله السماوات والأرض فوضعهما في مواضعهما، كانتا لا يوجد فيهما أبواب ولا فروج ولا سبل، ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات لتحيا، فهذا هو الرتق والفتق كما في روايتي الأبرش وأبي حمزة^(٢).

(١) ولعل هذا الفهم أخذوه من بعض أئمة التفسير، قال الطبرسي في المجمع: (والمعنى كانتا ملتزمتين منسدتين ففصلنا بينهما بالهواء، عن ابن عباس والضحاک وعطاء وقتادة. وقيل كانت السماوات مرتتقة مطبقة ففتقناها سبع سماوات، وكانت الأرض كذلك ففتقناها سبع أرضين عن مجاهد والسدي). بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ٥٤: ١٣، عن مجمع البيان، ٧: ٤٥. وهو مخالف لما ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام.

(٢) فقد روي علي بن إبراهيم القمي، قال: فإنه حدثني أبي عن علي بن الحكم عن سيف بن عميرة عن أبي بكر الحضرمي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خرج هشام بن عبد الملك حاجاً ومعه الأبرش الكلبي، فلقي أبا عبد الله عليه السلام في المسجد الحرام، فقال هشام للأبرش تعرف هذا؟ قال: لا، قال: هذا الذي تزعم الشيعة أنه نبي من كثرة علمه، فقال الأبرش لأسأله عن مسائل لا يجيبني فيها إلا نبي أو وصي نبي، فقال هشام: وددت أنك فعلت ذلك، فلقي الأبرش أبا عبد الله عليه السلام: فقال يا أبا عبد الله أخبرني عن قول الله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَأَنْ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كَانَتْ زَنْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾، فيما كان رتقها وبما كان فتقها؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: «يا أبرش هو كما وصف نفسه ﴿وَكُنَّ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾، والماء على الهواء، والهواء لا يحد ولم يكن يومئذ خلق غيرهما، والماء يومئذ عذب فرات، فلما أراد أن يخلق الأرض أمر الرياح فضربت الماء حتى صار موجاً، ثم أزيد فصار زبداً واحداً، فجمعه في موضع البيت ثم

جعله جبلاً من زيد، ثم دحا الأرض من تحته، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾، ثم مكث الربُّ تبارك وتعالى ما شاء، فلما أراد أن يخلق السماء أمر الرياح فضربت البحور حتى أزيدت بها، فخرج من ذلك الموج والزيد من وسطه دخان ساطع من غير نار، فخلق منه السماء وجعل فيها البروج والنجوم ومنازل الشمس والقمر وأجراها في الفلك، وكانت السماء خضراء على لون الماء الأخضر، وكانت الأرض غبراء على لون الماء العذب، وكانتا مرتوقتين ليس لهما أبواب، ولم يكن للأرض أبواب وهي النبات، ولم تُمْطر السماء عليها فنتبت، ففتق السماء بالمطر وفتق الأرض بالنبات، وذلك قوله: ﴿أَوَّلَمَرِيرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾، فقال الأبرش: والله ما حدثني بمثل هذا الحديث أحد قط، أعد علي، فأعاد عليه وكان الأبرش ملحداً، فقال: أنا أشهد أنك ابن نبي، ثلاث مرات.

عن أبي حمزة ثابت بن دينار الثمالي وأبي منصور، عن أبي الربيع قال: حججنا مع أبي جعفر عليه السلام في السنة التي كان حجَّ فيها هشام بن عبد الملك، وكان معه نافع مولى عمر بن الخطاب، فنظر نافع إلى أبي جعفر عليه السلام في ركن البيت وقد اجتمع عليه الناس، فقال نافع: يا أمير المؤمنين من هذا الذي قد تداكَّ عليه الناس؟ فقال: هذا نبيُّ أهل الكوفة، هذا محمد بن عليٍّ فقال: اشهد لأبيته فلا سألته عن مسائل لا يجيبني فيها إلا نبيُّ أو ابن نبيِّ أو وصيُّ نبيِّ، قال: فاذهب إليه وسله لعلك تُحجله، فجاء نافع حتى انكأ على الناس، ثم أشرف على أبي جعفر عليه السلام فقال: يا محمد بن عليٍّ، إنِّي قرأت التوراة والإنجيل والزيبور والفرقان وقد عرفت حلالها وحرامها، وقد جئت أسألك عن مسائل لا يجيب فيها إلا نبيُّ أو وصيُّ نبيِّ قال: فرجع أبو جعفر رأسه فقال: «سل عما بدا لك»، فقال... أخبرني عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَوَّلَمَرِيرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾، فقال عليه السلام: «إنَّ الله تبارك وتعالى لما أهبط آدم إلى الأرض وكانت السماوات رتقاً لا تُمطر شيئاً، وكانت الأرض رتقاً لا تُنبئ شيئاً، فلما أن تاب الله عزَّ وجلَّ على آدم عليه السلام أمر السماء فتقطرت بالغيام، ثم أمرها فأرخت عزاليها، ثم أمر الأرض فأنبئت الأشجار وأثمرت الثمار وتفتحت بالأنهار، فكان ذلك رتقها وهذا فتقها»، قال نافع: صدقت يا بن رسول الله، الكافي، ٨: ١٢، جزء من حديث ٩٣.

٣- المدّة التي استغرقت لخلق السماء والأرض

تحدّث الآيات عن طول المدّة الإجمالية لخلق الأرض والسماء وهي ستة أيام، ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾^(١)، ولكنها تمت على مراحل على ما يظهر من الآيات، فكانت المرحلة الأولى في يومين كما يبدو، ثم خلق الله تعالى سائر الموجودات الأخرى في الأرض والسماء في أربعة أيام، كما هو ظاهر الآية التالية:

في قوله تعالى ﴿قُلْ أَبْنَيْكُمْ لتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي مِّنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ^(٣) ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ^(٤) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ^(٥)، فصار المجموع ستة أيام؛ والله العالم.

والسؤال الذي يرد لماذا قضاهنَّ في ستة أيام وهو قادر على خلقهنَّ في أقل من لمح البصر؟!

قد أجاب عن هذا السؤال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «فإنَّ الله جلَّ ذكره نزل عزائم الشرائع وآيات الفرائض في أوقات مختلفة كما خلق السماوات والأرض

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٤ .

(٢) سورة فصلت، الآية: ١١ .

في ستة أيام، ولو شاء لخلقها في أقل من لمح البصر ولكنه جعل الأناة والمداراة أمثالا
لأمنائه وإيجاباً للحجة على خلقه»^(١).

ولذا جعل هذه السُّنة جارية في القرآن وعند حجج الله في تبليغ الدين بالتدرج،
لكي يكون أقوى تأثيراً للحجة وأكثر إيجاباً للاستجابة وتربية المجتمع.

ثم استشهد أمير المؤمنين عليه السلام فقال: «فكان أول ما قيدهم به الإقرار
بالوحدانية والربوبية والشهادة بأن لا إله إلا الله، فلما أقرؤا بذلك تلاه بالإقرار لنبيه
صلى الله عليه وآله بالنبوة والشهادة له بالرسالة، فلما انقادوا لذلك فرض عليهم
الصلاة ثم الصوم ثم الحج ثم الجهاد ثم الزكاة ثم الصدقات، وما يجري مجراها من
مال الفيء»^(٢).

٤- رفع سمك بناها

﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بِنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمَكُهَا فَسَوَّاهَا﴾.

ما هو المراد من رفع السمك والتسوية؟

قال ابن منظور: (وَسَمَكُ الْبَيْتِ: سَقْفُهُ، وَالسَّمَكُ: السَّقْفُ، وَقِيلَ: هُوَ مِنْ أَعْلَى
الْبَيْتِ إِلَى أَسْفَلِهِ، وَالسَّمَكُ: الْقَامَةُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ بَعِيدٍ طَوِيلِ السَّمَكِ؛ وَفِي الْحَدِيثِ

(١) الاحتجاج على أهل اللجاج (للطبرسي)، ١: ٢٥٤.

(٢) المصدر نفسه.

عن عليٍّ، رضوان الله عليه: أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي دَعَائِهِ: «اللَّهُمَّ رَبَّ الْمُسْمَكَاتِ السَّبْعِ وَرَبَّ الْمَذْحِيَّاتِ السَّبْعِ»؛ وَهِيَ الْمَسْمُوكَاتُ وَالْمَذْحُوتَاتُ فِي قَوْلِ الْعَامَّةِ، وَقَوْلِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، صَوَابٌ. وَالسَّمَكُ يَجِيءُ فِي مَوَاضِعَ بِمَعْنَى السَّقْفِ. وَالسَّمَاءُ مَسْمُوكَةٌ أَي مَرْفُوعَةٌ كَالسَّمَكِ.

وَجَاءَ فِي حَدِيثِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَيضاً: «اللَّهُمَّ بَارِيَّ الْمَسْمُوكَاتِ السَّبْعِ وَرَبَّ الْمَذْحُوتَاتِ»؛ فَالْمَسْمُوكَاتُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ، وَالْمَذْحُوتَاتُ الْأَرْضُونَ. وَرَوَى عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «وَسَمَكَ اللَّهُ السَّمَاءَ سَمَكاً رَفَعَهَا».

وَسَمَكَ الشَّيْءُ سُمُوكاً: اِرْتَفَعَ. وَالسَّامِكُ: الْعَالِي الْمُرْتَفِعُ. وَبَيْتٌ مُسْتَمِكٌ وَمُسْتَمِكٌ: طَوِيلُ السَّمَكِ (١).

وَفِي تَفْسِيرِ كَنْزِ الدَّقَائِقِ: (رَفَعَ سَمَكَهَا، أَي: جَعَلَ مَقْدَارَ ارْتِفَاعِهَا مِنَ الْأَرْضِ، أَوْ شَخْنَهَا الذَّاهِبِ فِي الْعُلُوِّ رَفِيعاً).

فَسَوَاهَا: فَعَدَلَهَا. أَوْ فَجَعَلَهَا مَسْتَوِيَةً. أَوْ فَتَمَمَهَا بِمَا يَتِمُّ بِهِ كِمَالُهَا مِنَ الْكَوَاكِبِ وَالتَّدَاوِيرِ وَغَيْرِهِمَا، مِنْ قَوْلِهِمْ: سَوَّى فُلَانٌ أَمْرَهُ: إِذَا أَصْلَحَهُ (٢).

وَفِي تَفْسِيرِ الْأَمَثَلِ قَالَ: (سَمَكٌ): - عَلَى وَزْنِ سَقْفٍ - لُغَةٌ: بِمَعْنَى الِارْتِفَاعِ، وَجِيثٌ بِمَعْنَى (السَّقْفِ) أَيضاً.

(١) لسان العرب، ١٠: ٤٤٤.

(٢) تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، ١٤: ١٢١.

وعلى قول الفخر الرازي في تفسيره: إنَّ الشيء المرتفع لو قيس ارتفاعه من الأعلى إلى الأسفل فالنتيجة تسمَّى (عمق)، أمَّا لو قيس الارتفاع من الأسفل إلى الأعلى فهو (سمك)^(١).

«سواها»: من (التسوية)، بمعنى التنظيم، وهي تشير إلى دقَّة التنظيم الحاكمة على الأجرام السَّماوية، وإذا اعتبرنا «سمكها» بمعنى «سقفها»، فهي إشارة إلى الغلاف الجوي الذي حفَّ وأحاط بالكرة الأرضية كالسَّقْف المحكم البناء، والذي يحفظها من شدة آثار الأحجار السَّماوية، والشهب، والأشعة الكونية المميتة والمتساقطة عليها باستمرار.

وقيل: إنَّ «سواها» إشارة إلى كروية السَّماء وإحاطتها بالأرض، حيث إنَّ التسوية هنا تعني تساوي الفاصلة بين أجزاء هذا السَّقْف نسبة إلى المركز الأصلي (الأرض)، ولا يتحقق ذلك من دون كروية الأرض وما حولها (السَّماء).

وقيل أيضاً: إنَّ الآية تشير إلى ارتفاع السَّماء والأجرام السَّماوية وبعدها السَّاسع عن الأرض، بالإضافة لإشارتها للسَّقْف المحفوظ المحيط بالأرض^(٢).

وفي الحديث الشَّرِيف أنَّ المسافة بين الأرض والسَّماء الدنيا خمسمائة عام وبين كلِّ

(١) تفسير الفخر الرازي، ٣١، الآية المبحوثة.

(٢) الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٩: ٣٩٢.

سما وأخرى خمسمئة عام^(١).

٥- أحكم الله سقف بنايتها بشبكة هندسية متقنة غير مرئية

قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾^(٢).

١- والسؤال الذي يرد في الآية، هل هناك عمد غير مرئي أو لا عمد أصلاً؟

قال صاحب كتاب من علم الفلك القرآني: (والجدير بالذكر هنا أن قوة الجاذبية، والقوة الكهروستاتيكية، والقوة النووية الضعيفة والقوية، التي قام ويقوم

(١) فقد روى القمي في تفسيره عن أبيه عن ابن أبي عمير عن ابن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «بقي نوح في قومه ثلاثمائة سنة - يدعوهم إلى الله - فلم يجيبوه، فهم أن يدعو عليهم، فوفاه عند طلوع الشمس - اثنا عشر ألف قبيل من قبائل ملائكة سماء الدنيا - وهم العظماء من الملائكة، فقال لهم نوح: من أنتم؟ فقالوا: نحن اثنا عشر ألف قبيل - من قبائل ملائكة سماء الدنيا - وإن مسيرة غلظ سماء الدنيا خمسمئة عام - ومن سماء الدنيا إلى الدنيا مسيرة خمسمئة عام، وخرجنا [أخرجنا الله] عند طلوع الشمس - ووافيناك في هذا الوقت - فنسألك أن لا تدعو على قومك، فقال نوح: قد أجلتهم ثلاثمائة سنة، فلما أتى عليهم ستمائة سنة - ولم يؤمنوا هم أن يدعو عليهم - فوفاه اثنا عشر ألف قبيل - من قبائل ملائكة السماء الثانية - فقال نوح: من أنتم؟ قالوا: نحن اثنا عشر ألف قبيل - من قبائل ملائكة السماء الثانية - وغلظ السماء الثانية مسيرة خمسمئة عام - ومن السماء الثانية إلى سماء الدنيا مسيرة خمسمئة عام - وغلظ سماء الدنيا مسيرة خمسمئة عام - ومن سماء الدنيا إلى الدنيا مسيرة خمسمئة عام -» تفسير القمي، ١: ٣٢٦.

ويؤكد ذلك رواية الصدوق عن سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «... ومن صام من رجب ثمانية وعشرين يوماً جعل الله عز وجل بينه وبين النار سبعة خنادق، كل خندق ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمئة عام» الأمالي (للصدوق): ٥٣٩.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٢.

عليها خلق السماوات والأرض وما بينهما من مخلوقات، هي قوى غير مرئية لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة أو من خلال المجهر أو المرقب، ومن هنا نفهم وجهاً من معاني قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾^(١)، بمعنى خلق السماوات بغير دعائم مرئية، إلا أن العلم استطاع أن يرى هذه القوى، على نحو لا مباشر، من خلال المعادلات الحسابية، ومن خلال ما تركه من آثار في الأشياء، ومن هذه الزاوية نفهم وجهاً آخر من معاني قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾^(٢)، بمعنى خلق السماوات بغير دعائم، ولكن هذه القوى التي ليست بعمد نراها، ولقد رآها العلم بطريقة غير مباشرة من خلال آثارها الظاهرة والمتخفية في الأشياء منذ القرن السابع عشر، فإذا قرأنا الآية الكريمة التي نحن بصدد التعليق عليها وتوقفنا عند كلمة «ترونها»، وجب أن نفهم الآية بالآتي: خلق السماوات بغير عمد مرئية، وإذا قرأناها وتوقفنا عند كلمة «عمد» ثم أكملنا، وجب أن نفهمها: خلق السماوات بغير عمد، إلا أننا نرى ذلك وهو ما حصل منذ ثلاثة قرون، والله أعلم^(٣).

قال المحقق الخوئي: (واختلف المفسرون في أنه هل هناك عمد غير مرئي أو لا عمد أصلاً، فعن ابن عباس والحسن وقتادة والجبائي وأبي مسلم الثاني، وأن المراد

(١) سورة لقمان، الآية: ١٠ .

(٢) سورة الرعد، الآية: ٢

(٣) من علم الفلك القرآني: ٢٩

رفعها بغير عمد وأنتم ترونها كذلك، قال ابن عباس: يعني ليس من دونها دعامة يدعمها، ولا فوقها علاقة تمسكها، قال الطبرسي وهو الأصح، وعن مجاهد وعزي إلى ابن عباس أيضاً الأول: وأن ترونها من نعت العمدة بغير عمد مرتبة.

أقول: ويشهد به ما عن القمي والعياشي عن الرضا عليه السلام، قال: «فتمَّ عمد ولكن لا ترونها».

قال الفخر الرازي: إنَّ العمد ما يُعتمد عليه، وقد دللنا على أنَّ هذه الأجسام إنما بقيت واقفة في الجو العالي بقدرة الله، فحينئذ يكون عمدها هو قدرة الله، فصَحَّ أن يقال: رفع السَّمَاوات بغير عمد ترونها، أي لها عمد في الحقيقة إلا أنَّ تلك العمدة هي إمساك الله وحفظه وتدبيره، وإبقاؤه إياها في الجو العالي وأنتم لا ترون ذلك التدبير، ولا تعرفون كيفية ذلك الإمساك، انتهى^(١).

ب- هل يوجد شبكة هندسية تمسك الأرض؟

من عوامل قوَّة أي بناء هو ترابطه وتماسك بعضه ببعض بنظام هندسي محكم ومقاوم لكلِّ الظروف الجوية التي تمرُّ عليه، وقد أحكم البارئ تعالى بقوَّته بناء السماء بالأعمدة والشبكة الهندسية المحبكة، كما يظهر من قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُوبِ﴾.

(١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة (خوئي)، ١: ٣٧٩.

فقد سأل الحسين بن خالد الإمام الرضا عليه السلام عن قوله: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾، فقال عليه السلام: «محبوكة إلى الأرض» وشبك بين أصابعه^(١).
ولعل آية (الحبك) موضحة و متممة لمعنى (العمد)، حيث إن الحبك يشد البناء من سقفه إلى أرضه ضمن نظام متماسك من الأعمدة والأوتاد المشبكة.

ج- إن الله يمسك السماء أن تقع على الأرض

قال تعالى: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٢).

عن الإمام الحسين عن أبيه أمير المؤمنين عليهما السلام، قال: «وأما الجمادات فهو يمسكها بقدرته، ويمسك المتصل منها أن يتهافت^(٣)، ويمسك المتهافت منها أن يتلاصق و ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾، ويمسك الأرض أن تنخسف إلا بأمره، إنه بعباده ﴿لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ

(١) تفسير القمي، ج ١، ص: ٢٣٤.

(٢) الحج: ٦٥.

(٣) التهافت: التساقط.

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص: ٢٨٣.

أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿١﴾ (٢).

من نعم الله على عباده أن الكون في قبضته وتحت إمرته، يحفظه من الزوال والسقوط بقوته، وليس لأحد من خلقه له سلطان ولا قوة في ذلك؛ لا في إمساكها

(١) سورة فاطر، الآية: ٤١.

(٢) عن أحمد بن محمد البرقي رفعه قال: سأل الجائليق أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أخبرني عن الله عز وجل يحمل العرش أم العرش يحمله؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «الله عز وجل حامل العرش والسموات والأرض وما فيها وما بينهما، وذلك قول الله عز وجل - ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾»، قال: فأخبرني عن قوله: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾، فكيف قال ذلك؟ وقلت: إنه يحمل العرش والسموات والأرض؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن العرش خلقه الله تعالى من أنوار أربعة، نور أحمر منه احمرت الحمرة، ونور أخضر منه اخضرت الخضرة، ونور أصفر منه اصفرت الصفرة، ونور أبيض منه ابيض البياض، وهو العلم الذي حله الله الحاملة، وذلك نور من عظمته، فبعظمته ونوره أبصر قلوب المؤمنين، وبعظمته ونوره عاداه الجاهلون، وبعظمته ونوره ابتغى من في السموات والأرض من جميع خلائقه إليه الوسيلة بالأعمال المختلفة والأديان المشبهة، فكل محمول بحمله الله بنوره وعظمته وقدرته لا يستطيع لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، فكل شيء محمول والله تبارك وتعالى المسك لها أن تزولا والمحيط بهما من شيء...»، الكافي (طبعة الإسلامية)، ١: ١٣٠.

من الجدير بالذكر أن من فوائد هذه الآية المباركة أنها تحفظ قائلها قبل النوم من سقوط البيت عليه من أي سبب كان؛ فقد روى العباس بن هلال عن أبي الحسن الرضا عن أبيه عليهما السلام قال: «لم يقل أحد قط إذا أراد أن ينام: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ فسقط عليه البيت»، من لا يحضره الفقيه، ١: ٤٧١، ح ١٣٥٩.

ولا في زواهما، ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(١)،
ولولا ذلك لتعرض عباده للهلاك والفناء، فسبحانه من (حليم) لا يعجل عليهم
بالعقوبة على جرأتهم عليه، ولا يؤاخذهم بمعاصيهم بنقمته، وما أكرمه من (غفور)
على ما جنوه من الذنوب والمعاصي.

٦- جعل لها سقفاً يحفظ خلقه من الأخطار ورجم الشياطين

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾^(٢).

جاء في تفسير العسكري عليه السلام: «ثم قال عز وجل: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَاءً﴾^(٣)،
سقفاً من فوقكم محفوظاً، يدبر فيها شمسها وقمرها ونجومها لمنافعكم»^(٤).

ابن منظور: (والسَّمَاءُ سَقْفٌ عَلَى الْأَرْضِ، ولذلك ذكر في قوله تعالى: السَّمَاءُ مَنْفُطَرٌ
بِهِ، وَالسَّقْفُ الْمَرْفُوعُ، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾^(٥)).

(١) سورة يس، الآية: ٨٣.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٣٢.

(٣) سورة غافر، الآية: ٦٤.

(٤) التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام: ١٤٣.

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٣٢.

(٦) لسان العرب، ٩: ١٥٥.

راجعات الشياطين

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾^(١).

قال علي بن إبراهيم، (وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَنَقًا مَحْفُوظًا﴾ يعني من الشياطين أي لا يسترقون السمع)^(٢).

٧- جعلها في حالة توسع دائم كالبالون

قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ (٣) وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾^(٤).

(ولعلَّ التعبير عنها بوصف (مبنية) بلحاظ بنائها بنحوٍ خاص، حيث يعتمد نظام الكواكب والأقمار والمجرات وثباتها وديمومتها على (الجاذبة) بين الأجرام و(الدافعة) الناتجة من الحركة، وغيرها على ما هو مفصَّل في محله؛ ولذلك خصَّها الله تعالى بوصف (مبنية)، وربما يكون إشارة إلى قوله سبحانه ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾^(٥).

(١) الملك: ٥.

(٢) تفسير القمي: ٢، ٧٠.

(٣) عن محمد بن مسلم، قال: (سألت أبا جعفر (عليه السلام) فقلت: قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي﴾ فقال: «اليد في كلام العرب القوَّة والنعمة». قال: ﴿وَإِذْ كَرَّرْنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ﴾، وقال: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ أي بقوَّة وإِنَّا لموسعون، البرهان في تفسير القرآن، ٢: ٣٣٢.

(٤) سورة الذاريات، الآية: ٤٧.

(٥) سورة الذاريات، الآية: ٤٧.

و(بأيد): أي بقوة؛ لأنَّ اليد مظهر القوة ووسيلة ظهورها، ولهذا تشبه كلُّ قوة باليد. ومعنى ﴿إِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾: إِنَّا نَتَوَسَّعُ فِي السَّمَاءِ كَمَا دَلَّ عَلَى ذَلِكَ الْعِلْمُ، فَقَدْ ثَبَتَ فِي الْعِلْمِ الْحَدِيثُ أَنَّ السَّمَاءَ فِي حَالَةٍ تَتَوَسَّعُ مُسْتَمِرَّةً، وَذَلِكَ كَمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ مِثْلًا فِي تَوَسُّعٍ مُسْتَمِرٍّ فِي مُخْتَلَفِ أبعادِهِ فِي الْعِلْمِ وَالقُوَّةِ وَالصَّنَاعَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وقد ذكر العلماء أنَّ عددًا من الأنجم والمجرات التي تستوعب ملايين الملايين من الأنجم والبعيدة عنا آلاف الملايين من السنين الضوئية تتباعد بعضها عن بعض بسرعة كبيرة جداً^(١)(٢).

(١) قد تبلغ أحياناً المائة وخمسين ألف كيلومتر في الثانية الواحدة بل أكثر. راجع التكامل في الإسلام: ج ٧ ص ١٧٩ بحث أين تكون الجنة والنار؟ والمصدر: ج ٦ ص ٣٧ [ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ].

(٢) من فقه الزهراء عليها السلام، ١: ١٠٧ - ١٠٨.

توسُّع الكون في نظر العلم الحديث (١)

(١) والعلم الحديث [المعاصر] يقول ليست الكرة الأرضية وحدها تتضخَّم وتثقل على أثر جذب المواد السائبة تدريجياً، بل السماء أيضاً في اتساع دائم، أي أن بعض النجوم المستقرَّة في المجرَّات تبعد عن مركز مجرَّاتها بسرعة هائلة حتى أن هذه السرعة لها أثرها في الاتساع في كثير من المواقع!. ونقرأ في كتاب «حدود النجوم» بقلم الكاتب «فرد هويل»: أن أقصى سرعة لا يتبعاد النجوم عن مركزها حتى الآن ٦٦ ألف كيلومتر في الثانية، والمجرَّات التي هي أبعد منها- في نظرنا- ومض نورها قليل جداً حتى أنه من الصعب تحديد سرعتها، والصور المتقطعة من السماء تدلُّ على أهمية هذا الكشف وأنَّ الفاصلة ما بين هذه المجرَّات تتسع أكثر من المجرَّات القريبة منا بسرعة. ثمَّ يتحدَّث المؤلف عن سرعة هذه المجرَّات «السبلة والإكليل والشجاع وغيرها»، فيبيِّن سرعتها العجيبة المذهلة في هذا الكتاب.

ولنصغ إلى بعض العبارات للأستاذ «جان الدر» إذ يقول: «إنَّ أحدث وأدقَّ تقدير طول الأمواج التي تبثها النجوم يكشف الستار عن وجه حقيقة عجيبة ومعيَّرة، أي أنها تكشف لنا أن مجموع النجوم التي يحويها العالم تبعد عن مركزها بسرعة دائماً، وكلَّما كانت الفاصلة كبيرة بينها وبين مركزها ازدادت سرعتها. فكأنَّ جميع النجوم كانت مجتمعة في هذا المركز ثمَّ تفرَّقت عنه مجاميع كبيرة من النجوم واتَّجه كلُّ منها إلى اتِّجاه خاص».

ويستنتج العلماء من ذلك أنَّ العالم كانت له نقطة بداية وشروع. ويقول «جورج جاموف» في كتاب خلق العالم في هذا الصدد: «إنَّ فضاء العالم المتشكَّل من مليارات المجرَّات في حالة انبساط سريعة، والحقيقة هي أنَّ عالمنا ليس في حالة من السكون، بل انبساطه مقطوع به.. والإذعان إلى أنَّ عالمنا منبسط يهيئ المفتاح لحزينة أسرار معرفة العالم؛ لأنَّه إذا كان العالم الآن في حالة الانبساط فيلزم أن يكون في زمان ما في حالة انقباض شديد.

وليس العلماء المذكورون أنفأ يعترفون بهذه الحقيقة فحسب.. فإنَّ هناك آخرين ذكروا هذا المعنى في كتاباتهم ويجرِّون نقل كلماتهم إلى الإطالة. ومما يستجلب النظر أنَّ التعبير بـ «إنا لموسعون» دالة على الدوام والاستمرار، فهي جملة اسمية ذات اسم فاعل، كما أنها تدلُّ على أنَّ هذا الاتساع موجود دائماً وكان ولا يزال، وهذا يؤيد تماماً ما وصل إليه العلم الحديث). الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ١٧، ص: ١٢٣.

(وعلى ضوء استعراض تاريخ اكتشاف توسع الكون تظهر المعاني الإعجازية الكامنة في الآيات الكريمة السابقة.

ففي عام ١٩١٢ تبين للعالم «سليفر» أن المجرات تتباعد عن مجرتنا بصورة متزايدة.

وفي عام ١٩١٦ جاءت نظرية النسبية العامة لأينشتاين تؤيد نظرية توسع الكون.

وفي عام ١٩٢٩ أكد العالمان «همسن» و«هوبل» نظرية توسع الكون، ووضع

«هوبل» القاعدة المعروفة باسمه أو قانون تزايد بعد المجرات بالنسبة لمجراتنا وبالنسبة لبعضها البعض، ويفضل هذا القانون أمكن حساب عمر الكون التقريبي.

ومع تقدّم علوم الفيزياء الحديثة أمكن بواسطة دراسة طيف ضوء النجوم

والمجرات وانزياحه نحو الأحمر أن تحسب السرعة التي تتباعد بها المجرات عن

بعضها البعض، (كلما تباعدت النجوم والمجرات عنّا انزاح طيفها نحو اللون

الأحمر). فمجموعة المجرات المعروفة بكندس العذراء يتزايد بعدها عن مجرتنا

المسماة «باللبنية» ١٢٠٠ كيلومتر في الثانية؛ ومجموعة المجرات المعروفة بكندس

العداء والذي تفصله عنّا مسافة ملياري سنة ضوئية تقريباً (السنة الضوئية تعادل

١٠ آلاف مليار كيلومتر) يتزايد بعدها عنّا ٦٠ ألف كيلومتر في كلّ ثانية. وبصورة

عامّة فإنّ المجرات وتجمعات المجرات وأكداس المجرات هي أشبه ما تكون بكتل

غازية هائلة من الدخان، ما تزال تتوسع وتنتشر ويتوسع معها الكون منذ حصل

الانفجار الهائل في الكتلة الغازية الأولى^(١).

ويشبه العالم الفلكي المعاصر «هيوبرت ريفز» الكون بقالب من الحلوى انتشرت عليه حباب من العنب هي المجرات، وهذا القالب، يتوسع في مجال يخلقه لنفسه كما ينتفخ قالب الحلوى في الفرن^(٢).

ولقد أجاب هذا العالم عن سؤال طرح عليه عن نظرية توسع الكون، وهل هي حقيقة علمية؟ فأجاب: نستطيع القول اليوم إن توسع الكون هو شبه مؤكد.

إضافة إلى ذلك يقول علماء الفلك إن انفجار الكتلة الغازية الأولى وتوسع الكون المستمر الذي نشأ من هذا الانفجار، هو السبب المنطقي الذي يشرح الظلمة الخالكة في الكون، الذي هو شبه خالٍ بالرغم من ملايين المليارات من النجوم التي تسبح فيه. كما أن الانفجار الكبير وتوسع الكون هو السبب في انتشار الضوء بعد أن كان محبوساً داخل الكتلة الغازية الأولى، ولا يستطيع الإفلات منها بحكم قوة الجاذبية الكامنة فيها. ونقرأ في كتاب الله الكريم ما يشرح ذلك بكلمات: ﴿أَأَنْتُمْ

(١) أقول: مع احترامي الشديد لرأي علماء الفلك ومن يؤيد نظريتهم من الإسلاميين، إلا أنني أحفظ على نظرية الانفجار الهائل، حيث لم يتبين لي من النصوص الشريفة ما يؤيدها، وقد أشرت ما ذكرته النصوص في بداية هذا البحث.

(2)- Notre Univers etend comme gonfle dans le four un podding aux raisins dans un espace. «qu il cree lui meme»

Hubert Reeves. Patience dans L Azur. Seuil, P . 33.

أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءَ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿١﴾ (سورة النازعات، الآيتان: ٢٧-٢٨). وقد بيّن علم الكونيّة اليوم أنّ بناء السّماء وتسويتها كان بفعل رفع سماكة الكون أي بتوسّعه الناتج عن الانفجار الكبير) (٢).

٨- جعل فيها مسارات وأبراجاً وكواكب ومنظومة شمسيّة لانتفاع الخلق بها

﴿الْمُرْتَرْنَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَجْرِ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٣).

٩- جعلها مزينة جميلة للناظرين

قال تعالى: ﴿وَرَبَّيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (٤).

١٠- جعل السّماء طبقات وكلّ سماء لها نظامها ووظائفها

قال تعالى: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا سِدَادًا﴾ (٥).

﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ (٦).

(١) سورة النازعات، الآيتان: ٢٧-٢٨.

(٢) من علم الفلك القرآني، ص: ٣٤.

(٣) سورة لقمان، الآية: ٢٩.

(٤) سورة الملك، الآية: ٥.

(٥) سورة النبأ، الآية: ١٢.

(٦) سورة فصلت، الآية: ١٢.

١١- جعل لها أنظمة لحفظ توازنها واستمرار ما فيها مخلوقات (١)

(١) القوى الأربع التي يقوم عليها النظام الكوني «هناك قوى أربع يستطيع العلم من خلالها أن يشرح كيفية خلق السماوات والأرض والنظام البديع المحكم الذي قامت عليه جميع المخلوقات، وهذه القوى هي:

١- قوة الجاذبية: وهي أضعف القوى الأربع التي يقوم عليها النظام الكوني، وهي القوة التي تحكم الأشياء الكبيرة المرئية. ففي الكون كل شيء يتحرك يجذب وتُجذب، والجاذبية هي غراء الكون أي صمغه، وهي تجذب الأشياء بعضها نحو بعض فتبقى الأشياء على الأرض. وتجعل القمر يدور حول الأرض، والكواكب حول الشمس، والنجوم حول المجرات، والمجرات حول أكداس المجرات، ولو انعدمت الجاذبية لسبح كل شيء في الكون على غير هدى ولتشتت الكواكب والنجوم والمجرات بغير نظام في أرجاء الكون الفسيح، بل لما كان هناك كون. ولقد ظلت المجتمعات العلمية حتى القرن السابع عشر الميلادي تأخذ بأراء علماء اليونان الأقدمين، الذين قالوا بأن النجوم معلقة على كرات من الكريستال، وأن الأرض ثابتة في مركز الكون، إلى أن اكتشف العالم الإنكليزي «إسحاق نيوتن» في القرن السابع عشر الميلادي قوة الجاذبية وأثرها في النظام الكوني. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه القوة بصورة واضحة بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ (سورة الرعد، الآية: ٢). والجاذبية قوة غير مرئية بالعين المجردة وإن كان العلم اكتشف معادلتها وحساباتها الدقيقة. أما قوتها فمتعلقة بكتلة الأشياء، فكلما ازدادت كتلة الأشياء، زادت قوة جاذبيتها بالنسبة لغيرها، لذلك لا يظهر أثر الجاذبية واضحاً إلا في المقاييس الفلكية، فكتلة الأرض الهائلة هي التي تمنع الأشياء من أن تسبح في الهواء كما يحصل لرواد الفضاء عند ما يصبحون خارج نطاق الجاذبية. وكتلة الأرض هي التي تجعل القمر يدور حولها، وكتلة الشمس هي التي تمسك بالنظام الشمسي، وكتلة المجرة هي التي تمسك بالنجوم، وكتلة تجمع المجرات هي التي تمسك بالمجرات، وكدس المجرات هو الذي يمسك بتجمع المجرات. والكون مؤلف من كتل متزايدة في الوزن تمسك الكبيرة منها بالصغيرة بواسطة قوة الجاذبية الكونية. وهذا الشرح المبسط لقوة الجاذبية وتأثيرها في الكون يشرح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَرُولا﴾ (بواسطة قوى الجاذبية وبقية

القوى الأخرى التي سيلي شرحها). ﴿وَلَنَنْزِلُنَّآ﴾ (وذلك بإبطال مفعول قوة الجاذبية، والله قادر على كل شيء، فالذي خلق ناموس الجاذبية قادر على إبعاده) ﴿إِن أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾ (كلا، لا يستطيع أحد أن يمسك السماوات والأرض من أن تزولا إذا ألغى المولى من الكون القوى الأربع التي يقوم عليها نظامه) ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (سورة فاطر: ٤١).

٢- القوة الكهروطيسية: هي صمغ الذرات أو غراؤها، وهي القوة التي تمسك بالذرات التي تتكون منها العناصر الطبيعية للأشياء. فالقوة الكهروطيسية مثلاً هي التي تربط بين ذرتي الهيدروجين وذرة الأوكسجين ومنها يتألف الماء، وهي القوة التي تعطي للأشياء شكلها وتعدادها وجمالها ونوعيتها، ولولاها لما كان العدد الهائل من أصناف المخلوقات الحية وغير الحية، ولكان الكون فقيراً مكوناً من ذرات العناصر فقط ونواتها. ولقد اكتشف هذه القوة في سنة ١٨٦٤ العالم «جيمس ماكسويل».

٣- القوة النووية القوية: هي صمغ جزيئات النواة أي غراؤها، وهي القوة التي تمسك بجزيئات النواة في الذرة، وهي الأقوى بين بقية القوى الطبيعية؛ فمبدأ القبلة النووية قائم على تحرير هذه القوة التي تربط بين جزيئات نواة الذرة، ولو انعدمت القوة النووية، لعاد الكون وما فيه إلى حالة بدء نشأته، أي جبلة أولية مؤلفة من جزيئات المادة كالكوارك والنترون والإلكترون والفتون. وقد اكتشفت هذه القوة في القرن العشرين مع اكتشاف الانشطار النووي في ذرة معدن الأورانيوم (سنة ١٩٣٨).

٤- القوة النووية الضعيفة: هي التي تنظّم عملية تحويل وتفثيت الجزيئات في الذرة، وتتحكم في موت المادة التي ليست خالدة كما كان يُظن، فكل عنصر من العناصر الطبيعية له أجل مسمى، والقوة النووية الضعيفة هي التي تنظّم ذلك، وتلاحظ الإعجاز العلمي في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ بِخَلْقَانَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (سورة القمر، الآية: ٤٩)، و﴿قَدْ جَعَلْنَا لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾. (سورة الطلاق، الآية: ٣)، و﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (سورة الأحقاف، الآية: ٣)، و﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (سورة القصص، الآية: ٨٨). وقد اكتشفت هذه القوة في سنة ١٨٩٦ على يد العالم «بيكريل» عندما لاحظ أنّ ذرات الأورانيوم تنفثت وتتحول إلى جزيئات تترك أثرها عندما تصطدم ببلوحة فوتوغرافية.

١٢- طي السماء و(نهاية الكون)

طي السماء ونهايته متفرع عن نهاية هذا الكون، وقد تحدّث القرآن الكريم في آياته عن هذا الموضوع والتصوص الشريفة، وكذلك أشار إليه علماء الفلك^(١).

قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدْنَا عَلَيْهَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾^(٢).

والجدير بالذكر هنا أن قوة الجاذبية والقوة الكهروستاتيكية والقوة النووية الضعيفة والقوية التي قام ويقوم عليها خلق السماوات والأرض وما بينهما من مخلوقات، هي قوى غير مرئية لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة أو من خلال المجهر أو المرقب، من هنا نفهم وجهاً من معاني قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ (سورة لقمان، الآية: ١٠)، بمعنى خلق السماوات بغير دعائم مرئية. إلا أن العلم استطاع أن يرى هذه القوى، على نحو لا مباشر، من خلال المعادلات الحسابية ومن خلال ما تركه من آثار في الأشياء، ومن هذه الزاوية نفهم وجهاً آخر من معاني قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ (سورة الرعد، الآية: ٢)، بمعنى خلق السماوات بغير دعائم. ولكن هذه القوى التي ليست بعمد نراها، ولقد رآها العلم بطريقة غير مباشرة من خلال آثارها الظاهرة والمنتخفة في الأشياء منذ القرن السابع عشر. فإذا قرأنا الآية الكريمة التي نحن بصدد التعليق عليها وتوقفنا عند كلمة «ترونها» وجب أن نفهم الآية بالآتي: خلق السماوات بغير عمد مرئية. وإذا قرأناها وتوقفنا عند كلمة «عمد» ثم أكملنا، وجب أن نفهمها: خلق السماوات بغير عمد، إلا أننا نرى ذلك، وهو ما حصل منذ ثلاثة قرون، والله أعلم. من علم الفلك القرآني: ٢٥-٢٩.

(١) فعند ما يثبت العلم أن للكون بدايةً فذلك يعني أن له نهايةً وأنه مخلوق وليس أزلياً كما ظن الماديون. من علم الفلك القرآني: ٣٠.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٤.

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾^(١).

قال الطريحي: قوله تعالى: ﴿ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ هو تصوير لجلاله وعظم شأنه لا غير، من غير تصوّر قبضته بيمين لا حقيقة ولا مجازاً. قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾ أي كطيّ الصحيفة فيها الكتاب. ومعنى يَطْوِيهَا أي يفتيها فتحول دخاناً، والأرض نيراناً^(٢).

قال الطبرسي في مجمع البيان: (أي يطويها بقدرته كما يطوي أحد منا الشيء المقدور له طيه بيمينه، وذكر اليمين للمبالغة في الاقتدار والتحقيق للملك كما قال: ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾، أي ما كانت تحت قدرتك، إذ ليس الملك يختص باليمين دون الشمال وسائر الجسد. انتهى)، وقال الرضي (ره) في تلخيص البيان: وهاتان استعارتان ومعنى (قبضته) ها هنا أي ملك خالص قد ارتفعت عنه أيدي المالكين من بريته والمتصرفين فيه من خليقته، ومعنى قوله: ﴿ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ أي مجموعات في ملكه ومضمونات بقدرته، واليمين ها هنا بمعنى الملك، يقول القائل: هذا ملك يميني، وليس يريد اليمين التي هي الجارحة، وقد يعبرون عن القوة أيضاً باليمين، فيجوز على هذا التأويل أن يكون معنى قوله: ﴿ مَطْوِيَّاتٌ

(١) سورة الزمر، الآية: ٦٧.

(٢) مجمع البحرين، ١: ٢٧٨.

نظرية الكون المفتوح ثم المغلق: أي أن الكون سيتوسع إلى حدٍّ معين، ثم يعود إلى التقلص والانقباض ليرجع كما كان في بدئه. وهذه النظرية هي ما يدعى باللغة العامية الفلكية نظرية «الأكورديون»، الذي يفتح إلى حدٍّ ما ثم يرجع إلى ما كان عليه، والأفضل أن تسمى بنظرية «سجل الكتب»، وهي تقول إن الكون سيرجع كما بدأ، كتلة غازية ملتتهبة عظيمة الحرارة والضغط بعد مائة مليار سنة من بدء الانفجار الهائل الذي حصل منذ خمسة عشر مليار سنة حسب تقديراتهم. بمعنى أن الكون سينتهي بعد خمسة وثلاثين مليار سنة من كتابة هذه السطور، ليبدأ من جديد خلق آخر للكون. هذه تقديرات العلماء. أما موعد الساعة الحقيقي فعلمه عند الله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّئُهَا لَوْفَتُهَا إِلَّا هُوَ قُلْتُ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا نَفْعَةٌ يَسْأَلُونَكَ كَمَا تَأْتِيكَ خَفِيَ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة الأعراف، الآية: ١٨٧). أمّا في القرآن الكريم، وهو ييقيننا الكلمة الفصل في صحة العلوم والنظريات العلمية، فهناك آيات كثيرة حول تصوير نهاية الكون نفهم منها، والله أعلم، بأن الكون سيرجعه المولى كما بدأه: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ (سورة الأنبياء، الآية: ١٠٤)، بمعنى أن السماوات والأرض ستعودان مجتمعتين كما كانتا في بدء نشأتها، كما جاء في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَأَنْ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ (سورة الأنبياء، الآية: ٣٠). ثم يبدأ المولى النشأة الأخرى بكون غير الكون الذي نعرفه اليوم كما جاء في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (سورة إبراهيم، الآية: ٤٨).

وفي الآيات الكريمة التالية التي تصوّر نهاية الكون بعض التفاصيل التي تشرح حال السماء والنجوم والأرض والجبال عند نهاية الكون وقيام الساعة، وكلها تؤيد نظرية عودة الكون إلى ما كان عليه في بدء نشأته والله أعلم: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَنَّا عَلَيَّا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (سورة الأنبياء، الآية: ١٠٤)، ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (سورة الزمر، الآية: ٦٧)، ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (٤) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٥) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (٦) وَإِذَا النُّفُوسُ رُوِّجَتْ (٧)﴾

ثانياً: دحو الأرض (ولا أرضاً مدحية)

ماذا يعني دحو الأرض؟

قال صاحب مجمع البحرين: قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [٣٠ / ٧٩] أي بسطها، من (دَحَوْتُ الشيء دَحْوًا) بسطته. وفي الحديث «يَوْمَ دَحْوِ الْأَرْضِ». أي بسطها من تحت الكعبة، وهو اليوم الخامس والعشرون من ذي القعدة. وفيه: حَرَجَ عَلَيْنَا أَبُو الْحَسَنِ يَعْنِي الرِّضَا (عليه السلام) بِمَرَوْ فِي يَوْمِ خَمْسَةِ وَعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ، فَقَالَ: «صُومُوا، فَإِنِّي أَصْبَحْتُ صَائِمًا»، قُلْنَا: جَعَلَنَا اللَّهُ فِدَاكَ أَيُّ يَوْمٍ هُوَ؟ قَالَ: «يَوْمٌ نُشِرَتْ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَدُحِيَتْ فِيهِ الْأَرْضُ».

عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ (عليه السلام): «لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَخْلُقَ الْأَرْضَ أَمَرَ الرِّيحَ الْأَرْبَعَ فَضَرَبْنَ مَتْنِ الْمَاءِ حَتَّى صَارَ مَوْجًا، ثُمَّ أُرِيدَ فَصَارَ زَبَدًا وَاحِدًا، فَجَمَعَهُ فِي مَوْضِعِ الْبَيْتِ، ثُمَّ جَعَلَهُ جَبَلًا مِنْ زَبَدٍ، ثُمَّ دَحَا الْأَرْضَ مِنْ تَحْتِهِ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾».

وَإِذَا الْمَوْجُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (٩) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (١٠) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿ (سورة التكويد، الآيات: ١-١١)، ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (٧) لَيْسَ لِيُوقِعَهَا كَاذِبَةٌ (٢) خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ (٣) إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا (٤) وَسُتَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا (٥) فَكَانَتْ هَبًا مُتْبِئًا ﴿ (سورة الواقعة، الآيات: ١-٦)، ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ (٧) وَإِذَا الْكُوكُوبُ أُنثِرَتْ (٢) وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿ (سورة الانفطار، الآية: ١-٣)، ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿ (سورة الرحمن، الآية: ٣٧)، ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُيَسَتْ (٨) وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ (٩) وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفتْ ﴿ (المرسلات: ٨-١٠)). من علم الفلك القرآني: ٣٦-٣٨.

فأول بقعة خلقت من الأرض، في الدُّعَاءِ: «اللَّهُمَّ دَاحِيِ الْمُدْحُوَاتِ»، وَرُوِيَ «الْمُدْحِيَّاتِ»، وَ«الْمُدْحُوَاتِ»^(١).

عن محمد بن عطية قال: جاء رجل إلى أبي جعفر عليه السلام من أهل الشام من علمائهم، فقال: يا أبا جعفر جئت أسألك عن مسألة قد أعيت علي أن أجد أحداً يفسرها، وقد سألت عنها ثلاثة أصناف من الناس، فقال كل صنف منهم شيئاً غير الذي قال الصنف الآخر، فقال له أبو جعفر عليه السلام: «ما ذاك؟»، قال: فإني أسألك عن أول ما خلق الله من خلقه، فإن بعض من سألته قال: القدر، وقال بعضهم: القلم، وقال بعضهم: الروح: فقال أبو جعفر عليه السلام: «ما قالوا شيئاً، أخبرك أن الله تبارك وتعالى كان ولا شيء غيره، وكان عزيزاً ولا أحد كان قبل عزه، وذلك قوله: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾^(٢)، وكان الخالق قبل المخلوق، ولو كان أول ما خلق من خلقه الشيء من الشيء إذ لم يكن له انقطاع أبداً، ولم يزل الله إذاً ومعه شيء ليس هو يتقدمه، ولكنه كان إذ لا شيء غيره وخلق الشيء الذي جميع الأشياء منه، وهو الماء الذي خلق الأشياء منه، فجعل نسب كل شيء إلى الماء ولم يجعل للماء نسباً يضاف إليه، وخلق الريح من الماء ثم سلط الريح على الماء، فشقت الريح متن الماء حتى ثار من الماء زبد على قدر ما شاء

(١) مجمع البحرين، ١: ١٣٤-١٣٥.

(٢) سورة الصافات، الآية: ١٨٠.

أن يثور^(١)، فخلق من ذلك الزبد أرضاً بيضاء نقية ليس فيها صدع^(٢) ولا ثقب ولا صعود ولا هبوط ولا شجرة، ثم طواها^(٣) فوضعها فوق الماء، ثم خلق الله النار من الماء فشقت النار متن الماء حتى ثار من الماء دخان على قدر ما شاء الله أن يثور، فخلق من ذلك الدخان سماء صافية نقية ليس فيها صدع ولا ثقب، وذلك قوله: ﴿السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾^(٤)، قال: ولا شمس ولا قمر ولا نجوم ولا سحب، ثم طواها فوضعها فوق الأرض ثم نسب الخليقتين^(٥)، فرفع السماء قبل الأرض، فذلك قوله عز ذكره: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ يقول: بسطها، فقال له الشامي: يا أبا جعفر قول الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَأَنْ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْ رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾^(٦)، فقال له أبو جعفر عليه السلام: «فلعلك تزعم أنها كانتا رتقاً ملتزمتين ملتصقتين ففتقت إحداهما من الأخرى؟» فقال: نعم، فقال أبو جعفر عليه السلام: «استغفر ربك، فإن قول الله جلَّ وعزَّ ﴿كَانَتْ السَّمَاءُ رَتْقًا لَا تَنْزِلُ الْمَطَرُ،

(١) ثار يثور ثوراً: هاج ومنه ثارت الفتنة بينهم. وثارت الدخان أو الغبار: ارتفع.

(٢) الصدع: الشق. وفي بعض النسخ [ثقب] مكان «ثقت» وكذا ما يأتي.

(٣) طواها أي جمعها.

(٤) سورة النازعات، الآيات: ٢٧-٢٩. وفيها ﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾.

(٥) في بعض النسخ [الخليقتين].

(٦) سورة الأنبياء، الآية: ٢٩.

وكانت الأرض رتقاً لا تُنبِت الحبَّ، فلَمَّا خلق الله تبارك وتعالى الخلق وبث فيها من كلِّ دابةٍ ﴿فق السَّماء بالمطر والأرض بنبات الحبَّ﴾، فقال الشامي: أشهد أنّك من ولد الأنبياء وأنَّ علمك علمهم^(١).

قال العلامة المجلسي: (قوله عليه السَّلام: «فخلق من ذلك الزبد أرضاً بيضاء»، يدلُّ على أنَّ الأرض مخلوقٌ من زبد البحر، وقد دلَّت عليه أخبار كثيرة^(٢)، منها ما رواه الصدوق في خبر الشامي، أنّه سأل أمير المؤمنين، مِمَّ خُلقت الأرض؟ قال: «من زبد الماء»^(٣)، وروى عليُّ بن إبراهيم^(٤) في تفسيره أنّه قال: أبو عبد الله عليه السَّلام لأبرش الكلبي: «يا أبرش هو كما وصف نفسه كان عرشه على الماء، والماء على الهواء، والهواء لا يحدُّ، ولم يكن يومئذٍ خلق غيرهما، والماء يومئذٍ عذب فرات، فلَمَّا أراد أن يخلق الأرض أمر الرياح فضربت الماء حتى صار موجاً، ثمَّ أزيد فصار زبداً واحداً فجمعه في موضع البيت، ثمَّ جعله جبلاً من زبد، ثمَّ دحا الأرض من تحته، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾^(٥)، وفي تفسير عليِّ بن إبراهيم فسَلَطَ العقيم على الماء فضربته فأكثرَت الموج والزبد،

(١) الكافي (طبعة الإسلامية)، ٨: ٩٤-٩٥.

(٢) بحار الأنوار، ٧٥: ٨٦-٨٧، ح ٧١-٧٣.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السَّلام، ١: ٢٤١.

(٤) تفسير القمي، ٢: ٦٩.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٦٩.

وجعل يثور دخانه في الهواء، فلما بلغ الوقت الذي أراد: قال للزيد: اجمد فجمد، وقال للمرج: اجمد فجمد، فجعل الزيد أرضاً وجعل المرج جبلاً رواسي للأرض^{(١)(٢)}.

متى كان دحو الأرض؟

قال بن شهر آشوب: قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾، الظاهر يقتضي أنه خلق الأرض قبل السماء لأن (ثم) للتعقيب والتراخي، وقال في موضع: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَغَطَّسَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ ليس بينها تناقض لأنه تعالى خلق الأرض قبل السماء غير مدحوة فلما خلق السماء دحاها بعد ذلك ودحوها بسطها ومنه أدحية النعام لأنها تبسطها لتبيض فيها^(٣).

والسؤال كيف جعل الله الأرض ملائمة للحياة؟

يعبر القرآن عن هذه الحالة بالقرار، وتارة بالمهد، وتارة سهلاً، وتارة فراشاً، فعن علي بن الحسين عليهم السلام في قول الله عز وجل: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ قال: «جعلها ملائمة بطبائعكم، موافقة لأجسادكم، ولم

(١) تفسير القمي، ١: ٣٢٢.

(٢) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، ٢٥: ٢٢٧.

(٣) متشابه القرآن ومختلفه (لابن شهر آشوب)، ١: ٣.

يجعلها شديدة الحماة والحرارة فتحرقكم، ولا شديدة البرودة فتجمدكم، ولا شديد طيب الريح فتصدع هاماتكم، ولا شديد التتن فتعطبكم، ولا شديدة اللين كالماء فتغرقكم، ولا شديدة الصلابة فتمتنع عليكم في دوركم وأبنيتكم وقبور موتاكم، ولكنه عز وجل جعل فيها من المتانة ما تنتفعون به، وتتماسكون وتتماسك عليها أبدانكم وبنيانكم، وجعل فيها ما تنقاد به لدوركم وقبوركم وكثير من منافعكم، فلذلك جعل الأرض فراشاً لكم^(١).

ووهناك بحوث كثيرة تتعلق بهذا الموضوع حاولنا الاختصار، وبعض البحوث مشتركة مع السماء قد مرّت، ولمزيد من الاطلاع على البحوث العلميّة الفلكيّة القرآنيّة يمكن مراجعة ما كتبه صاحب كتاب من علوم الفلك القرآني في الهامش^(٢).

(١) تفسير نور الثقلين، ١: ٤١، ح ٥٢.

(٢) الأرض في المنظار الفلكي:

أولاً: دوران الأرض حول الشمس للأرض حركات عدّة أهمها تأثيراً وظهوراً في حياة الإنسان حركتان:

دوران الأرض حول الشمس، وحول نفسها. وقد أشارت الآيات التالية إلى دوران الأرض حول الشمس:

١- ﴿كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبُحُونَ﴾ (سورة الأنبياء، الآية: ٣٣).

حتى القرن الرابع عشر للميلاد اعتقد أكثر الناس خطأ بأن الأرض ثابتة وأنها مركز الكون... ولكن العالم «كابلر» (القرن السابع عشر) هو أول من وضع تصوّراً صحيحاً عن النظام الشمسي. أمّا التنزيل فقد وصف حركة الأرض والشمس والقمر والنجوم في أبسط وأعمق وأوجز عبارة: ﴿كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبُحُونَ﴾. ولقد رأى أكثر الناس في النصف الثاني من القرن العشرين على شاشة التلفاز كيف تسبح الأرض والنجوم والمجرات في الكون وتدور الأرض حول الشمس

في مدار إهليلجي (أي شبه دائري) فتجري مسافة عشرة آلاف مليون كيلومتر تقريباً (٩٦٠٠) لتتم دورة كاملة واحدة حول الشمس هي مدة السنة الشمسية (تتألف السنة الشمسية من ٣٦٥ يوماً و٦ ساعات و٩ دقائق و٩ ثوان ونصف، أي ٢٥٦٣٦١،٢٥٦٣٦١ يوماً).

٢- ﴿أَلَمْ نُجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ (سورة المرسلات، الآية: ٢٥).

كلمة ﴿كِفَاتًا﴾ لم ترد إلا مرة واحدة في كتاب الله الكريم، ولذلك نلجأ إلى معاجم اللغة للبحث عن معانيها. ففي لسان العرب لابن منظور نجد أن «كفت» تعني أسرع في العدو والطيران، ويقال عدو كفيت وكفات أي سريع. ومن معاني الكفات أيضاً: الموضوع الذي يضم فيه الشيء ويقبض.

لذلك نعتقد أن من معاني قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نُجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ هو: ألم نجعل الأرض سريعة الدوران، فهي تدور حول الشمس بسرعة ٢٩،٨ كيلومتر في الثانية وتدور حول نفسها بسرعة ١٦٦٦ كيلومتر في الساعة عند خط الاستواء و١٥٠٠ كيلومتر في المناطق القطبية. وهكذا نستطيع القول إن القرآن الكريم حدد أن الأرض ليست فقط متحركة، بل سريعة الحركة كما بينته الأرقام العلمية لاحقاً في القرن التاسع عشر، علماً أن لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نُجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ (٢٥) أحياناً وأحياناً (سورة المرسلات، الآيتان: ٢٥-٢٦) معاني علمية أخرى.

٣- ﴿رَبِّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبِّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ (سورة الرحمن، الآية: ١٧).

تمر الأرض خلال دورانها دورة كاملة كل سنة حول الشمس في أربعة مواقع مميزة: في ٢١ آذار و٢٣ أيلول يتساوى طول الليل والنهار في كل بقعة من الأرض لأن الشمس في هذا الوقت تكون في مستوى خط الاستواء الأرضي، فهل مشرق الشمس ومغربها في ٢١ آذار و٢٣ أيلول وهو ما يسمى بالاعتدالين هو من معاني قوله تعالى: ﴿رَبِّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبِّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ لعل في ذلك إشارة علمية إلى أن مسار الأرض حول الشمس يتخذ شكلاً إهليلجياً وليس دائرياً؟ الله أعلم.

وفي ٢١ حزيران يكون أطول نهار وأقصر ليل في السنة بالنسبة للنصف الشمالي من الكرة الأرضية وفي ٢٣ كانون الأول يكون أقصر نهار وأطول ليل في السنة بالنسبة للنصف الشمالي من الكرة الأرضية (Solstice de l'hiver). والعكس من هذا بالنسبة للنصف الجنوبي من الكرة الأرضية. فهل مشرق الشمس ومغربها في ٢١ حزيران و٢٣ كانون الأول هو من معاني قوله

تعالى: ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾ الله أعلم.

وكل سنة تشرق الشمس في القطب الشمالي لمدة ستة أشهر في الوقت نفسه الذي يكون فيه القطب الجنوبي غارقاً في ليل دامس، ثم تنعكس الحال في النصف الآخر من السنة. فهل المشرقان والمغربان في قطبي الأرض هما من معاني قوله تعالى: ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾ والله تعالى أعلم.

ثانياً: دوران الأرض حول نفسها: في الوقت نفسه الذي تدور الأرض فيه حول الشمس، تدور أيضاً حول نفسها، وقد رمز القرآن الكريم إلى دوران الأرض حول نفسها في آيات عديدة منها:

١- ﴿ اخْتِلَافَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾: وردت جملة ﴿ اخْتِلَافَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ في خمس آيات كريمة - منها - ﴿ إِن فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (سورة آل عمران، الآية: ١٩٠).

تعاقب الليل والنهار: من معاني (اختلاف الليل والنهار) تعاقيبها، أي أنّ الليل يأتي بعد النهار والنهار يتلو الليل بفعل دوران الأرض حول نفسها بصورة معتدلة كما نلاحظ من خلال الوقت الممتد بين الغروب والعشاء والفجر وطلوع الشمس. فلو زادت سرعة دوران الأرض حول نفسها عمّا قدّرها المولى (١٠٧ كيلومترات في الساعة) لخلّ الليل والنهار فجأة خلال تعاقيبها، ولو نقص دوران الأرض عن سرعته الحالية لحصل العكس.

ونلاحظ الإعجاز اللغوي والعلمي في كلمات «نسلخ» و«يغشي» و«حشيتاً» و«عسعس» و«تنفس» في الآيات الكريمة التالية التي تعطي القارئ صورة سمعية حسّية، وتكاد تكون بصرية، عن التدرج في تعاقب الليل والنهار:

- ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴾ (سورة يس، الآية: ٣٧).

- ﴿ ... يَغْشِي اللَّيْلُ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَشِيئاً... ﴾ (سورة الأعراف، الآية: ٥٤).

- ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ (سورة التكويم، الآيتان: ١٧-١٨).

تدور الأرض حول نفسها بشكل مائل وليس مستقيماً، أي أنّ محور دوراتها حول نفسها يشكّل مع محورها العمودي زاوية قدرها ٣٧، ٢٣ درجة.

ومن هذا الدوران المائل للأرض نشأت الفصول واختلف الليل والنهار، فلو كان دوران الأرض

مستقيماً حول محورها العمودي وليس مائلاً كما هي حال الكوكبين «جوبيتر» و«فينوس» لحصل على أرضنا الآتي:

أ- لاتعدمت الفصول وتساوى الليل والنهار في كل بقعة من الأرض وفي كل أيام السنة.
ب- لتفاوتت درجات الحرارة بين الليل والنهار تفاوتاً كبيراً بحيث تتعدم إمكانية الحياة على سطح الأرض.

ج- لاختل كل النظام البديع في تصريف الرياح وتوزيع السحب والماء في مختلف بقاع الأرض. فلو لا دوران الأرض حول نفسها بشكل مائل ما كان اختلاف الليل والنهار، لذلك كان اختلاف الليل والنهار آية، أي برهاناً علمياً على وجود الله لقوم يعقلون ولأولي الأبواب.

٢- إيلاج الليل في النهار والنهار في الليل: ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْخَبِيْثَ مِنَ الظُّلُمَاتِ وَتُخْرِجُ الظُّلُمَاتِ مِنَ النُّورِ﴾ (سورة آل عمران: ٢٧).
الإيلاج هو إدخال شيء في آخر برفق. والمولى، سبحانه وتعالى، بجعله الأرض مائلة عن محورها العمودي خلال دورانها حول نفسها يولج جزءاً من الليل في النهار خلال ستة أشهر من السنة فيقصر الليل ويطول النهار (من ٢١ كانون الأول أطول ليل في السنة، حتى ٢٢ حزيران أطول نهار في السنة بالنسبة للنصف الشمالي من الكرة الأرضية، والعكس من ذلك بالنسبة للنصف الجنوبي من الكرة الأرضية).

٣- امتداد الظل: ﴿أَلَمْ نَرِإِ رَيْثُكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاحِكِيًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ (سورة الفرقان، الآية: ٤٥).

إن طول وقصر وانعدام ظل الأشياء غير الشفافة التي تسقط عليها أشعة الشمس يكون تبعاً لدوران الأرض حول نفسها، ولو سكنت الأرض لسكن الظل. ومبدأ الساعة الشمسية قائم على امتداد الظل وموقعه خلال مختلف أوقات النهار، فالشمس هي دليل الظل (أي هي تقوده وتسببه) والظل دليل على أوقات النهار.

٤- نعمة اختلاف الليل والنهار: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهَا فَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (سورة القصص، الآية: ٧٢). لو سكنت الشمس والأرض عن الدوران لغرق نصف الكرة الأرضية في ليل سرمدي، وغرق نصفها

الأخر في نهار سرمدى. ومن عاش لبعض الوقت في المناطق القطبية حيث يبقى النهار تقريباً لمدة ستة أشهر وكذلك الليل، يعرف نعمة تعاقب الليل والنهار التي هي من رحمة الله علينا: ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (سورة القصص، الآية: ٧٣).

٥- الجبال التي نحسبها ثابتة: ﴿ وَنَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْتُمْ كُلُّ شَيْءٍ إِنَّمَا خَيْرٌ مِمَّا تَفْعَلُونَ ﴾ (سورة النمل، الآية: ٨٨).

أخيراً نتوقف عند الآية الكريمة التي نرى فيها دليلاً قرآنياً على دوران الأرض حول نفسها: تدور الأرض بمن عليها من مخلوقات بالسرعة نفسها، لذلك نحسب أي نظن خطأ أن الجبال ثابتة، بينما هي في الحقيقة متحركة تحرك السحاب. ولتقريب الصورة من ذهن القارئ يكفي أن نتصور قطارين انطلقا في الوقت نفسه والاتجاه والسرعة فالراكب في واحد منهما إذا نظر إلى الراكب الموازي له في القطار الآخر يظنه جامداً لا يتحرك.

ثالثاً: شكل الأرض: ﴿ وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ (سورة النازعات، الآية: ٣٠).

شكل الأرض شبه كروي، فهي مسطحة قليلاً في اتجاه محور القطبين ومتفتحة قليلاً في اتجاه محور خط الاستواء بفعل دورانها حول نفسها، لكن هذه الفروقات بشكل الأرض هي من القلة بحيث لا تستطيع أن تكشفها إلا الحسابات الدقيقة، فطول شعاع الأرض عند خط الاستواء هو ٦٣٧٨، ١٦ كيلومتراً، وطول شعاع الأرض عند القطب هو ٧٧، ٧٦ كيلومتراً، والفرق الضئيل بين طول شعاعي الأرض في منطقة الاستواء والقطب (٢٠ كيلومتراً تقريباً) يجعل الأرض تبدو لنا كروية كما رأها رواد الفضاء وصورتها الأقمار الاصطناعية، وإن كانت في الحقيقة بيضاوية أو إهليلجية الشكل.

لغوياً، «دح» تعني الاسترسال والبسط والتوسع والانتفاخ والانفتاح (يقال رجل دحاح أي قصير وغلظ البطن). ونلاحظ الإعجاز اللغوي العلمي القرآني في كلمة «دحاهها» التي تعني أن المولى جعل الأرض مسطحة وبيضاوية في آن واحد، فكل جسم عظيم الحجم كالأرض، وإن كان بيضاوي الشكل، يبدو للناظر الواقف على جزء منه كأنه مسطح المستوى.

من هذا الشرح المبسط نفهم معنى قوله تعالى: ﴿ وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَاهَا ﴾ (سورة الشمس، الآية: ٦)،

و ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ (سورة ق، الآية: ٧)، ﴿وَاللأَرْضَ كَنَيْفَ سَطْحَتِ﴾ (سورة الغاشية، الآية: ٢٠)، علماً أن هذه الآيات معاني علمية أخرى تدخل في علم الجيولوجيا، ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾ (سورة الزمر، الآية: ٥). في هذه الآية الكريمة أيضاً دليل على شكل الأرض البيضاوي: فمن معاني كلمة «كُور» لف، يقال: كُور الرجل العمامة أي لفها حول رأسه.

رابعاً: هوية الأرض الفلكية: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ (سورة التغابن، الآية: ٣). من معاني كلمة الحق النظام. وهذا، بالأرقام، النظام الفلكي الذي جعله المولى في الأرض: بُعدها عن الشمس: وحدة فلكية أي ٦، ١٤٩ مليون كيلومتراً تقريباً. سرعة دورانها حول الشمس: ٢٩،٨ كيلومتراً في الثانية.

من علم الفلك القرآني، ص: ١١٧.

سرعة دورانها حول نفسها: ١٦٦٦ كيلومتراً في الساعة عند خط الاستواء.

وزنها: ٥٩٧٣ مليار مليار كيلوغرام.

قطرها عند خط الاستواء: ١٢٧٥٦ كيلومتراً (أصغر من قطر الشمس ب ١٠٩ مرات).

مدة دورانها دورة كاملة حول الشمس: ٣٦٥ يوماً وست ساعات و٩ دقائق وبعض ثوان.

مدة دورانها دورة كاملة حول نفسها: ٢٣ ساعة و٥٦ دقيقة و٤ ثوان.

خامساً: ﴿صُنِعَ اللّهُ الَّذِي أَتَقَرَّنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (النمل: ٨٨).

السببية مبدأ أساسي يعتمد العلم منذ قرون ونيسطه بالآتي: يجب أن تتوافر جميع المسببات المنتظمة في تسلسلها الزمني حتى يكون هناك خلق سوي. فلكل سبب مسبب ولكل مخلوق أسباب هيئات ومهدت لوجوده، إذ من غير المعقول أن توجد الرثتان قبل وجود الهواء الذي تستنشقه، وأن يوجد خيشوم السمكة قبل وجود الماء، وأن توجد العينان قبل وجود النور.

وقد بينت علوم الأرض في القرن العشرين أن بدء تكوّن الأرض كان منذ أربعة مليارات سنة ونيف، ثم سوّيت طبقاتها وأرسيّت جبالها، وكوّن غلافها الجوي، وأخرج منها ماؤها وأمدّت بالطاقة الشمسية خلال مئات الملايين من السنين. وبعدها ظهرت في الماء أوّل المخلوقات الحية، وهي الطحالب الزرقاء ذات الخلية الواحدة، منذ ثلاثة مليارات سنة ونيف. أمّا تاريخ ظهور أوّل

ثالثاً: إنارة القمر (ولا قمرأ منيراً)

ما معنى القمر؟

(قال ابن سيدة: والقمر يكون في الليلة الثالثة من الشهر، وهو مشتق من القمر، والجمع أقمار. وأقمر: صار قمرأ، وربما قالوا: أقمر الليل ولا يكون إلا في الثالثة. أبو الهيثم: يسمّى القمر لليلتين من أول الشهر هلالاً، ولليلتين من آخره، ليلة سبّ وعشرين وليلة سبع وعشرين، هلالاً، ويسمّى ما بين ذلك قمرأ. الجوهري: القمر بعد ثلاثٍ إلى آخر الشهر يسمّى قمرأ لبياضه، وفي كلام بعضهم قُمَيْرٌ، وهو تصغيره. والقمران: الشمس والقمر. والقمرأ: ضوء القمر، وليلة مُقْمِرَة وليلة قمرأ مُقْمِرَة)^(١).

فالقمر في بداية طلوعه يسمّى (هلالاً)، وما قبل أيامه الأخيرة. وعندما يكتمل

إنسان على ظهرها فيرجع إلى بضعة ملايين من السنين. هذا التنظيم البدعي في تسلسل وإيجاد المسببات الضرورية لحياة الإنسان قبل وجوده على سطح الكرة الأرضية لا يمكن إرجاعه إلا إلى منظم قادر هو المولى سبحانه وتعالى، كما يسلم بذلك أكثر العاقلين من علماء الأحياء الذين قالوا حديثاً بمبدأ الغائية في الكون، بمعنى أنّه تبين لهم مؤخراً أنّ كلّ شيء في الكون قد وجد لغاية وهدف معيّن، وأنّ المخلوقات في الكون كلّها مترابطة مع بعضها البعض لغاية أساسية هي خدمة الإنسان. وهذا ما أسموه بمبدأ الإنتروبي، ومصدقه من قوله تعالى: ﴿ وَسَخَّرْنَاكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (سورة الحجّية، الآية: ١٣). من علم الفلك القرآني: ٩٩-١١٩.

(١) لسان العرب، ٥: ١١٣.

الهِلال يسمَّى (بدرًا)، وعندما لا يُرى في أيامه الأخيرة ليلة ثمانٍ وعشرين وتسعٍ وعشرين يسمَّى (محاقًا).

ولماذا يوصف القمر (منيراً) والشمس (مضيئة)؟

كما جاء في الحديث الشريف وكذلك القرآن الكريم، حيث قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾^(١).

يقول علماء الفلك إنَّ القمر جرم معتم لا يشع نوراً من ذاته، وما نراه من نوره، ما هو إلا انعكاس لأشعة الشمس المرئية المتساقطة على سطحه، وهو يعكس ما نسبته ٣- ١٢٪ فقط من ضوء الشمس الساقطة عليه؛ ولذلك يعدُّ القمر من أكثر الأجرام السماوية المعتمة ويظهر في الليل فقط؛ نظراً لقربه الشديد من الأرض^(٢).

ورؤية الضوء الساقط من الشمس على القمر تعتمد على الترتيب الذي يكون فيه وضع الشمس والقمر والأرض، فعندما يكون كوكب الأرض واقعاً بين الشمس والقمر يكون القمر حينها بدرًا، وأمَّا إذا كان القمر بين الأرض والشمس فيكون

(١) سورة يونس، الآية: ٥.

(٢) فرَّق القرآن الكريم تفريقاً واضحاً بين «الكوكب» و«النجم» و«القمر»، إذ يطلق اسم «النجم» على كلِّ جرمٍ سماويٍّ يستمدُّ طاقته ونوره من ذاته كالشمس، ويطلق اسم «القمر» على كلِّ جرمٍ يتبع في نظام دورانه إلى كوكب معين، كما نلاحظ في الآيات التالية: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ (سورة يوسف، الآية: ٤). من علم الفلك القرآني: ٧٠.

في هذه الحالة محاقاً.

وهناك حالة أخرى للقمر يطلق عليها اسم (الخسوف)، وهي ظاهرة نادرة الحدوث، حيث يدخل القمر بالكامل منطقة ظل الأرض، وبالتالي تحتجب رؤيته عنا.

ومن الفروقات بين نور القمر وضياء الشمس، أن الضياء يكون مصدراً للحرارة، حيث نحتاج الاحتواء من ضياء الشمس وأشعتها، بخلاف نور القمر فإنه بارد لا نحتاج للاحتواء منه؛ ولذا نجد البارئ عزَّ وجلَّ يسمي الشمس في آية أخرى ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾^(١)، وأخرى ﴿سِرَاجًا وَهَاجًا﴾^(٢).

وعادةً ما يكون السراج يعطي الضياء بفعل الطاقة الذاتية الموجودة فيه المؤدية للحرارة؛ كما نرى اليوم الزيت أو الكهرباء وما شابه ذلك، بينما القمر يسميه نوراً فقط، حيث لا يوجد فيه مصدر ذاتي حراري، وهذا التفريق اللغوي من أعجاز القرآن البلاغي، حيث لا يوجد في اللغات الأخرى هذا التفريق الدقيق.

أمَّا خصائص القمر العلميَّة فهي كثيرة وفوائده أيضاً كثيرة يمكن مراجعتها لأهل الاختصاص، وها هنا نذكر شيئاً يسيراً^(٣).

(١) سورة نوح، الآية: ١٦.

(٢) سورة النبأ، الآية: ١٣.

(٣) معلومات فلكية حول القمر.

١- تصل حرارة القمر في بعض الأحيان ١٢٧ درجة مئوية.

- ٢- سرعته حول مداره تصل إلى ١٠,٠٢٢ كيلومتر لكل ثانية.
- ٣- يبتعد القمر عن الأرض بحوالي ٤٠٥,٣٠٠ كيلومتر.
- ٤- وجد العلماء أن القمر يصغر كوكب الأرض بحوالي ٧,٣، ويمكن أن يظهر في النهار أثناء مرحلة الربيع الأخير من الشهر.
- ٥- شعاعه: ١٧٤٠ كيلومتراً أي أربع مائة مرة أصغر من شعاع الشمس تقريباً.
- ٦- وزنه: ٤,٧٣.

٧- كثافته: ٣,٣ كثافة الماء، من علم الفلك القرآني: ٩٣.

- (كيفية دوران القمر) قوله تعالى: ﴿ وَالْقَمَرَ قَدْرِنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾.

(يدور القمر حول نفسه وحول الأرض وفقاً لنظام منه نشأت الأشكال المختلفة للقمر التي يبدو فيها كل ليلة خلال الشهر القمري: فالقمر يدور دورة كاملة حول نفسه وحول الأرض في الاتجاه نفسه وخلال المدة الزمنية نفسها أي ٢٧,٣٢١ يوماً، لذلك لا يرى منه من على الأرض إلا نصفه المضيء الذي يستمد نوره من الشمس، أما النصف الآخر فهو غارق أبداً في الظلام، أي غير مرئي بالنسبة لنا. وهذه الخاصية بالنظام الفلكي للقمر هي التي تشرح أشكاله المختلفة حسب منازلها بالنسبة للأرض والشمس، فعندما يكون موقع القمر بين الأرض والشمس أي في بداية الشهر القمري يكون نصفه المظلم كاملاً موجهاً للأرض، لذلك لا يبدو منه شيء، وخلال دورته حول الأرض ينحصر تدريجياً النصف المظلم منه فيبدو قسم من النصف المضيء كهلال يكبر كل ليلة إلى أن يصبح بدرًا في منتصف الشهر القمري، وذلك عندما يكون موقع الأرض تماماً بين القمر والشمس، فنرى حينئذ النصف المضيء من القمر بكامله. ثم يتابع القمر دورته حول الأرض فيتغير شكله حتى يعود كالعرجون القديم أي كعرق النخل). من علم الفلك القرآني: ٩٤.

أثر القمر على المد والجزر في البحار: ﴿ وَسَخَّرْنَا لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَلِيلَيْنِ ﴾ (سورة إبراهيم، الآية:

٣٣). لم يُعرف السبب العلمي لحركة البحار اليومية المعروفة بالمد والجزر إلا في القرن الثامن

عشر مع «نيوتن» الذي ربطها بتأثير جاذبية القمر والشمس على الأرض.

ولا يبدو أثر هذه الجاذبية على الأرض الصلبة واضحاً، إلا أن تأثيرها يبدو واضحاً على سطح البحار

رابعاً: إضاءة الشمس^(١)، (وَلَا شَمْساً مُضِيئَةً)

والمحيطات من خلال ارتفاع المياه وانخفاضها المعروف بالمدُّ والجزر. وحركة المدُّ أي ارتفاع مستوى منسوب المياه تكون في أفصاها في أول الشهر القمري ومنتصفه وذلك عند ما يكون القمر والأرض والشمس في خط مستقيم. ولقد كشفت علوم الأحياء وخاصة الأحياء البحرية أن تصرفاتها الحياتية، كالفتيش عن الغذاء والتوالد والهجرة والنمو، مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بتعاقب الليل والنهار ومنازل القمر وخاصة عندما يكون بدرًا. فكثير من الأسماك والقشريات التي تعيش في أعماق البحار تصعد إلى سطحه عندما يكون بدرًا. والنباتات تنمو بسرعة خلال الليالي التي يكون فيها القمر مكتملاً. وهناك إحصائيات تدلُّ على أن الأمراض النفسية الشعورية والاضطرابات السلوكية وحتى بعض الأمراض العقلية والعضوية تتأثر بمنازل القمر. وبصورة عامة فإن جميع الأحياء تتأثر بضوء الشمس ونور القمر من خلال ساعات داخلية بيولوجية في كلِّ منها. كما أن للحقل المغنطيسي الشمسي تأثيره أيضاً على تصرفات الأحياء. من هنا نفهم شيئاً من المعنى العلمي لآيات القسم التي أقسم بها المولى بأوقات معينة من الليل والنهار كالفجر إذ قال: ﴿وَالْفَجْرِ﴾ (سورة الفجر، الآية: ١)، والصبح ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا سَفَرْتُ﴾ (سورة المدثر، الآية: ٣٤)، والشروق ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ (سورة الشمس، الآية: ٣)، و﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ (سورة الليل، الآية: ٢)، والغروب ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ (سورة الشمس، الآية: ٤)، و﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ (سورة الليل، الآية: ١)، والله أعلم. من علم الفلك القرآني: ٨٧.

لماذا لا يقع القمر على الأرض؟

(تساءل علماء الفلك منذ القدم لماذا لا يقع القمر وبقية الكواكب والنجوم على الأرض، وحاولوا حلَّ هذه المعضلة كلَّ على طريقته وحسب معتقداته، فجعلوا للكواكب والنجوم آفةً تمسك بها، ووضعها علماء اليونان على كرات هائلة من الكريستال تمسك بها، إلى أن أتى «نيوتن» في القرن السابع عشر فاکتشف مبدأ الجاذبية وحلَّ المعضلة قائلاً بأنه من دوران القمر حول الأرض تنشأ قوة معادلة ومعاكسة لقوة جاذبية الأرض على القمر هي القوة الطاردة أو النابذة، وهكذا يبقى القمر سابحاً حول الأرض من دون أن يقع عليها). من علم الفلك القرآني: ٦٧.

(١) الخصائص الفيزيائية للشمس: الشمس هي عبارة عن كرة غازية عملاقة، تتألف في الغالبية

معنى الشمس لغة

العظمى منها من عنصري الهيدروجين والهليوم، كما توجد فيها نسب صغيرة من عناصر أخرى؛ فهي تحتوي على كميات قليلة جداً من الكربون والنيون والنيتروجين والمغنيسيوم والحديد والسليكون، ومجموع هذه العناصر في تركيب الشمس أقل من اثنين في المائة.

في المقابل تتكوّن ٧٢٪ منها من الهيدروجين، و٢٦٪ من الهليوم، ولدى الشمس مجال مغناطيسي ضعيف نسبياً حولها، إذ لا تصل قوته سوى إلى ضعف قوة المجال الأرض المغناطيسي، إلا أنه يتركز بشكل شديد في مناطق محدّدة من سطح الشمس، تُسمى البقاع الشمسية، بحيث تزداد قوتها بما يصل إلى ثلاثة آلاف مرة.

ليس للشمس سطح صلب، فهي مُكوّنة بالكامل تقريباً من الغاز، وبالتالي لا يُمكن لأحد الوقوف أو السير عليها، ومع ذلك فإن لها غلافاً جويّاً، يختلف عن سطحها بأنه أقل كثافةً وحرارةً منه.

وتنقسم الشمس وغلافها الجوي إلى طبقات عديدة، أوّلها النواة التي تقع في مركز الشمس تماماً. تُمثّل نواة الشمس ربع قطرها تقريباً، وهي كثيفة جداً، وتحدث في داخلها عملية الاندماج النووي التي تمدّ الشمس بطاقتها الهائلة؛ فخلال الاندماج النووي تلتحم كل ذرتين من الهيدروجين (فلكلّ واحدة منهما بروتون واحد في مركزها) لتحوّلوا إلى ذرة هيليوم (لها بروتونان اثنان)، وتؤدي هذه العملية إلى تحرير كميات ضخمة جداً من الأشعة الكهرومغناطيسية.

يتكوّن ثلث الشمس تقريباً من الطبقة الإشعاعية، وهي طبقة تنشّط داخلها الفوتونات كثيراً، بحيث تحتاج أحياناً إلى ملايين السنين للخروج من الشمس.

وأخيراً تأتي طبقة الحمل الحراري، التي تحتوي وحدها على ٦٦٪ من حجم الشمس، وكثافتها قليلة جداً، وينتقل الضوء عبرها إلى خارج الشمس.

ينقسم الغلاف الجوي للشمس إلى ثلاث طبقات، هي الفوتوسفير، والكروموسفير، والهالة، وتصل الحرارة في الطبقات الدنيا من الفوتوسفير إلى أكثر من ٦,٠٠٠ درجة مئوية، أمّا الكروموسفير فهو أكثر حرارة؛ إذ ترتفع درجته إلى حوالي ٢٠,٠٠٠ مئوية، ويصل ارتفاعه إلى عشرة آلاف كيلومتر تقريباً.

وتتخذ الشمس شكلاً كروياً مثالياً تقريباً، فهي ليست مُنعبجة عند خط الاستواء (على عكس الأرض) إلا بالكاد، ويبلغ قطرها ١,٤ مليون كيلومتر تقريباً، أي ما يُعادل مائة وعشرة أضعاف

قال الطريحي: (قوله: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ أي لحدّها موقت بقدر تنتهي إليه من فلكها آخر السّنة، شبه بمستقرّ المسافر إذا قطع مسيره، أو لمنتهى لها من المشارق والمغارب حتى تبلغ أقصاها، فذلك مستقرّها لأنّها لا تعدوه، أو لحدّها لها من مسيرها كلّ يوم في مرّاثي عيوننا وهو المغرب^(١).

وهناك قراءة أخرى للآية المباركة مخالفة لهذا المعنى:

(الشين والميم والسين أصلٌ يدلُّ على تلونٍ وقلّة استقرار. فالشّمس معروفة، وسمّيت بذلك لأنّها غير مستقرّة، هي أبداً متحرّكة. وقرئ: والشّمس تجري لا

قُطر كوكب الأرض تقريباً، وأما مُحيطها فيتجاوز ٤,٣ ملايين كيلومتر، مُقارنةً بالأرض التي يبلغ مُحيطها ٤٠,٠٠٠ كيلومتراً تقريباً. حجمُ الشمس بالنسبة للأرض يبلغُ الحجم الكُلّي للشمس ١٠٢٧-١,٤ متر مكعب، وبالتالي تستطيعُ الشمس أن تحتوي في داخلها ١,٣٠٠,٠٠٠ كرةً أرضيّة، وأما كتلتها فتتجاوزُ كتلة الأرض بثلث مليون ضعف، وتحتوي الشمس وحدها ٩٩,٨٪ من كتلة المادّة الموجودة في جميع أنحاء المجموعة الشمسية، وهي تستطيعُ أن تحتوي في داخلها جميع الكواكب الثمانية مُتجمعة، ولذلك فإنّ كلّ شيءٍ في المجموعة الشمسية ليس أكثر من بقايا صغيرة تُحيط بها. ورُغم ذلك، فإنّ الشمس لا تُعتبر سوى نجم مُتوسّط الحجم والكتلة للغاية، وتوجد العديد من النجوم في المجرة التي تفوقها في الحجم بمقدارٍ هائل؛ فعلى سبيل المثال يستطيعُ نجم قلب العقرب أن يحتوي في داخله ٧٠٠ شمس، وتتجاوزُ كميّة الأشعّة والطاقة التي تطلقها الشمس بأربعة عشر ألف مرّة. نقلنا عن <https://alnan.net/> الخصائص - الفيزيائية - للشمس.

(١) مجمع البحرين، ٣: ٤٥٥

مستقر لها (١)(٢).

(الشَّمْسُ يقال للقرصة، وللضوء المنتشر عنها، وتجمع على شُموسٍ . قال تعالى: ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ﴾ ، وقال: ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ ، وَشَمَسَ يَوْمَنَا، وَأَشْمَسَ: صار ذا شَمْسٍ، وَشَمَسَ فلان شِمَاساً: إذا نَدَّ ولم يستقر تشبيهاً بالشمس في عدم استقرارها) (٣).

ويبدو أنه لا تعارض بين المعنيين فالأوّل ناظرٌ لجهة من حالة الشمس وهي تجري في مجالها ومنتهاها المقرر لها لا تحيد عنه، لأنّها مخلوق حيٌّ شاعرٌ مأمورة من خالقها مطيعة تجري بأمره وتقديره وهو المعنى المتبادر؛ وأمّا المعنى الثاني فهو ناظر لجهة دوام حركة الشمس وعدم ثباتها، وهو لا يخالف المعنى الأوّل، بل هو متمم له، والله العالم.

وقال الطريحي: (قد تكرر ذكر الشَّمْسِ في الكتاب والسنة، وهي أنثى واحدة الوجود ليس لها ثانٍ، ولهذا لا تُثنى ولا تجمع، وقول بعضهم تجمع الشمس على شُموسٍ على وجه التأويل لا الحقيقة، كأنهم جعلوا كلّ ناحية منها شمساً، كما قالوا

(١) هي قراءة ابن مسعود، وابن عباس، عكرمة، وعطاء، وزين العابدين، والباقر، وابنه الصادق، وابن أبي عبيدة. قرأوا جميعاً بالنفي وبناء «مستقر» على الفتح، ما عدا ابن أبي عبيدة فقرأها بالرفع على إعمال «لا» عمل ليس.

(٢) معجم المقاييس اللغة، ٣: ٢١٢.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن: ٤٦٤.

للمفروق مفارق.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام «إِنَّ لِلشَّمْسِ ثَلَاثِمِائَةَ وَسِتِّينَ بُرْجًا، كُلُّ بُرْجٍ مِنْهَا مِثْلُ جَزِيرَةِ مِنْ جَزَائِرِ العَرَبِ، فَتَنْزِلُ كُلُّ يَوْمٍ عَلَى بُرْجٍ مِنْهَا»، وفي الحديث «إِنَّ اللهَ قَدْ خَلَقَ الشَّمْسَ مِنْ نُورِ النَّارِ وَصَفَوِ المَاءِ طَبَقًا مِنْ هَذَا وَطَبَقًا مِنْ هَذَا، حَتَّى إِذَا كَانَتْ سَبْعَةُ أَطْبَاقٍ أَلْبَسَهَا لِبَاسًا مِنْ نَارٍ، فَمِنْ ثَمَّ كَانَتْ أَشَدَّ حَرَارَةً مِنَ القَمَرِ، وَجَعَلَ القَمَرَ عَكْسَ مَا فَعَلَ فِي الشَّمْسِ بِأَنْ جَعَلَ الطَّبَقَ الفُوقَ مِنَ المَاءِ».

وفيه «الشَّمْسُ والقَمَرُ آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ يَجْرِيَانِ بِأَمْرِهِ مُطِيعَانِ لَهُ، صَوُّهُمَا مِنْ نُورِ عَرْشِهِ وَحَرُّهُمَا مِنْ جَهَنَّمَ، فَإِذَا كَانَتِ القِيَامَةُ عَادَ إِلَى العَرْشِ نُورُهُمَا وَعَادَ إِلَى النَّارِ حَرُّهُمَا، فَلَا يَكُونُ شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ» كَذَا عَنِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقيل سميت الشمس شمساً لأنَّ ثلاثة من الكواكب السبعة فوقها وهي زحل والمشتري والمريخ، وثلاثة تحتها وهي الزهرة وعطارد والقمر، فهي بمنزلة الوسطة التي في البخنفة التي تسمى شمس وشمسة. والسنة الشمسية ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً وربع يوم إلا جزء من ثلاثمائة جزء من يوم، والقمرية ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوماً وخمس يوم وسدس، وفصل ما بينهما عشرة أيام وثلث وعشر يوم بالتقريب على رأي بطليموس، كذا عن صاحب المغرب^(١).

(١) مجمع البحرين، ٤: ٨٠.

معنى الضياء لغة

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾^(١). قوله: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾، فأخبر أن الشمس بمنزلة السراج، والقمر بمنزلة النور المقتبس منه، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾، والضياء أعلى مرتبة من النور، إذ كل ضياء نور، وليس كل نور ضياء^(٢).

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ [١٠ / ٥] الضياء: الضوء وكذلك الضوء بالضم. وفرق ما بين الضياء والنور هو أن الضياء ما كان من ذات الشيء كالشمس، والنور ما كان مكتسباً من غيره كاستنارة الجدران بالشمس^(٣).

أقول: الشمس لا تحتاج إلى تعريف كما قال بعض أصحاب القواميس اللغوية (معروفة)، فهي أوضح من أن تعرف، وقد صارت عند الناس على مر الأزمان مضرب المثل في الوضوح، فالقائل في عندما يريد أن يوصف شيئاً عينياً ظاهراً يقول كالشمس الطالعة، ولكنَّ التعريف يكون في التوصيف والخصائص.

فالشمس من النعم العظيمة التي سخَّرها لعبادة كما في قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ

(١) سورة يونس، الآية: ٥.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن: ١٦٧.

(٣) مجمع البحرين، ١: ٢٧٢.

لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١﴾، ومقتضى النعمة الشكر للمنعّم الذي سخَّرها وجعلها مخلوقاً تحت طوعه ضمن نظام دقيق يخدم الإنسان، ولا يشكر إلا من هو عاقل.

وأما الحديث عن فوائدها فهي كثيرة لا يسع المجال لذكرها إلا يسيراً من باب المعلومات التي ذكرها أهل الاختصاص (٢).

(١) سورة النحل، الآية: ١٢.

(٢) معلومات فلكية عن الشمس:

- ١- الشمس أكبر من القمر بأربعمئة مرة وأبعد منه بالنسبة لنا بأربعمئة مرة.
 - ٢- بعدها: تبعد الشمس عنا ثمانى دقائق ضوئية، أي ١٥٠ مليون كيلومتر عن الأرض، و٣٠ ألف سنة ضوئية عن مركز المجرة اللبنيّة.
 - ٣- شعاعها: ٦٩٦٠٠٠ كيلومتر (مائة مرة أكبر من شعاع الأرض وأربعمئة مرة أكبر من شعاع القمر).
 - ٤- وزنها: ألفا مليون مليار مليار طن (أي ٣٣٠٠٠٠٠ مرة أكبر من وزن الأرض و٧٠٠ مرة أكبر من وزن مجمل الكواكب التابعة لها).
 - ٥- كثافتها: ٤، ١ غرام في السنتيمتر المربع، أي ربع كثافة الأرض.
 - ٦- حرارتها: في مركزها ١٥ مليون درجة مئوية، وفي أطرافها ٦٠٠٠ درجة مئوية.
 - ٧- سرعتها: بالنسبة للنجوم المجاورة ٧، ١٩ كيلومتراً في الثانية، من علم الفلك القرآني، ص: ٩٣.
- بحوث علمية فلكية من كتاب (من علم الفلك القرآني)، وليس بالضرورة نوافقه الرأي ولكن من باب الاطلاع والبحث.

الأول: (عظمة هذا المخلوق الرباني):

قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ (سورة الواقعة، الآيتان: ٧٥-٧٦) إنّه القسم الوحيد الذي وصفه المولى بأنّه عظيم من بين الآيات الكريمة التي أقسم فيها بمخلوقاته. والمعلومات الفلكية التالية عن مواقع النجوم تعطي فكرة مبسطة عن عظمة مواقع النجوم

وأهميتها البالغة في النظام الكوني.

- موقع الشمس بالنسبة للأرض.

جاء في مجلة العلم والحياة الفرنسية، عدد حزيران سنة ١٩٨٦، ما ترجمته الآتي: «لو كان موقع الأرض بالنسبة للشمس بحيث يكون شعاع مدارها حول الشمس أصغر بأربعة بالمائة مما هو عليه، أي ١٤٤ مليون كيلومتر بدلاً من ١٥٠ مليون كيلومتر، لارتفعت حرارتها تدريجياً حتى ٤٥٠ درجة مئوية وتبخرت مياهها، ولانعدمت إمكانية الحياة فيها كما هو الحال في الكوكب فينوس. وعلى العكس من ذلك، لو كان موقع الأرض بالنسبة للشمس بحيث يكون شعاع مدارها حول الشمس أكبر بنسبة واحد بالمائة مما هو عليه، أي ١٥١،٥ مليون كيلومتر بدلاً من ١٥٠ مليون كيلومتر، لانخفضت حرارتها تدريجياً حتى تصل إلى أربعين درجة تحت الصفر، ولتجمد الماء فيها وانعدمت إمكانية الحياة على سطحها- أيضاً، وهو الحال بالنسبة للكوكب مارس». فهل موقع الشمس بالنسبة للأرض كان نتيجة الصدفة أم من تدبير «العزیز العليم» الذي «خلق كُلاً شيءٍ قَدْرُهُ تَقْدِيرًا» (سورة الفرقان، الآية: ٢)؟ ولماذا لم تلعب الصدفة دورها بالنسبة لبقية الكواكب من غير الأرض والتي تتبع النظام الشمسي؟ مسكينة الصدفة هي وأخواتها من النظريات الخرقاء كالألزلية والتطور والضرورة والطبيعة التي غالباً ما يلجأ إليها منطلق بعض المتعلمين العاجز عندما نسأهم: من وراء النظام البديع المحكم في كل خلق من مخلوقات الله؟ ﴿سُبْحَانَكَ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (سورة الزمر، الآية: ٦٧). من علم الفلك القرآني: ٦٥.

- موقع الشمس في المجرة اللبنية.

شمسنا هي نجم متواضع من مائة مليار نجم تؤلف المجرة اللبنية التي تتبع لها نظامنا الشمسي. ومن نعم المولى علينا أن موقع الشمس بالنسبة إلى مركز المجرة اللبنية هو على أطرافها، إذ يبعد عن مركزها مسافة ثلاثين ألف سنة ضوئية. وقد اكتُشف حديثاً في مركز المجرة اللبنية شيء هائل غير منظور هو الثقب الأسود الذي أسموه بمقبرة النجوم أو «بالوعة النجوم»، وله من قوة الجاذبية ما يمكنه من أن يبلغ آلاف النجوم يومياً لأن الثقل النوعي لكتلته يعادل أربعة ملايين مرة الثقل النوعي لكتلة الشمس، ولو لم تكن شمسنا في موقع بعيد جداً عن موقع هذا الغول الملقب «بالثقب الأسود» لأصبحت لقمة سهلة الابتلاع.

والثقب الأسود موجود على ما يبدو في قلب أكثر المجرات، ويعتقد علماء الفلك أن الكازارات، أي أشباه النجوم، تستمد طاقتها من الثقوب السوداء المتلازمة معها في أكثر المواقع التي اكتشفت فيها حتى الآن. من علم الفلك القرآني: ٧٣.

الثاني: نظام الدوران وحدوده. قوله تعالى: ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ (سورة يس، الآية: ٣٨).

١- لمحة تاريخية: نشر المراجع العلمية التي تبحث في تاريخ العلوم الفلكية إلى أن العالم «كابلر» في القرن السابع عشر الميلادي هو أول من نظر نظرة صحيحة إلى النظام الشمسي. فلقد أكد أن الشمس والكواكب التي تتبعها تدور كلها في مسارات خاصة بكل منها وفق نظام وجد بعضاً من معادلاته. أمّا قبل هذا التاريخ، فأكثر المهتمين بالعلوم الفلكية كانوا يأخذون بآراء «تاليس» و«أرسطو» و«بظليموس»، وغيرهم من علماء اليونان الأقدمين من الذين قالوا إن الأرض ثابتة في مركز لكون كروي معلق مؤلف من كرات متطابقة من الكريستال تتوزع وتدور عليها الشمس والكواكب والنجوم. وحده «أريستارك»، في بداية القرن الثالث الميلادي، قال بدوران الأرض حول الشمس، إلا أنه جعل من الشمس جرمًا ثابتًا، ولم يأخذ بآرائه إلا قلة مجهولة. ولم نجد في المراجع العلمية التي تيسر لنا الاطلاع عليها من يذكر بأن القرآن الكريم هو الذي أشار قبل «كابلر» وغيره بأن كل جرم يجري في النظام الكوني، كما جاء في العديد من الآيات الكريمة ومنها: ﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (سورة يس، الآية: ٤٠)، و﴿ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ (سورة الرعد، الآية: ٢). لماذا؟ ربما لأنه لم يتيسر لمن كتب هذه المراجع العلمية الاطلاع على علم الفلك القرآني؟ أو ربما نسي أو تناسى ذلك، والله أعلم. إلا أن المسؤولية في ذلك تبقى على عاتق من يفترض بهم بعث ونشر التراث الإسلامي والمدافعة عنه. وإذا لم يطلع الغرب على الحقائق العلمية القرآنية في علم الفلك، فلماذا لا نذكر هذه الحقائق في الكتب العلمية التي نضعها بين أيدي أبنائنا؟

٢- التعليق العلمي: ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي... ﴾، الشمس نجم عادي يقع في الثلث الخارجي لشعاع قرص المجرة اللبنية. وهي تجري بسرعة ٢٣٠ مليون كيلومتر في الثانية حول مركز المجرة اللبنية الذي تبعد عنه ثلاثين ألف سنة ضوئية مساحبة معها الكواكب السيارة التي تتبعها، بحيث تكمل

دورة كاملة حول مجرتها كل مائتين وخمسين مليون سنة. فمنذ ولادتها التي ترجع إلى ٦، ٤ مليار سنة أكملت الشمس وما تبعها ١٨ دورة حول المجرة اللبنة التي تجري بدورها نحو التجمع المحلي للمجرات، والتجمع المحلي يجري نحو تجمع أكبر هو كدس المجرات، وكدس المجرات يجري نحو تجمع أكبر هو كدس المجرات العملاق، فكل جرم في الكون يجري ويدور يجذب ويجذب كما سبق شرحه.

ب- ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ مستقر الشمس هو أجلها المسمى والمقدر لها من العزيز العليم، أي الوقت الذي فيه ينفذ وقودها فتنتفي. هذا المعنى لمستقر الشمس نستنتج من الآية الكريمة التالية التي تشرح معنى مستقر الشمس: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى...﴾ (سورة الرعد، الآية: ٢). وقد تكررت هذه الآية الكريمة ست مرات في كتاب الله ربما لتتوقف عند الإعجاز العلمي الكامن فيها. فحتى القرن التاسع عشر، كانت المعلومات الفلكية تقول بأزلية النجوم. أما تقدير العزيز العليم فهو بأن للشمس أجلاً مسمى ككل المخلوقات. ولم يكشف علم الفلك إلا في القرن العشرين عن أن النجوم تولد وتنمو وتكبر وتهرم وتموت، كما سبق شرحه في فصل سابق عند التعليق العلمي على قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ (سورة النجم، الآية: ١). وقد أشار القرآن الكريم إلى موت الشمس بالتحديد في قوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ (سورة التكوير، الآية: ١). فتكوير الشمس يعني موتها، من قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ (سورة النجم، الآية: ١)، و﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُبِسَتْ﴾ (سورة المرسلات، الآية: ٨).

وفي المعجم العربي نجد أن «كُورَت الشمس» تحمل معنى: جمع ضوءها ولف، واضمحلت، وذهبت، ودهورت، ونزع ضوءها، وغُورَت. ولأن موت الشمس حدث فلكي ذو أهمية كبيرة، سَمَّى المولى سورة من كتابه الكريم بالتكوير. ويقدر علماء الفلك بأن عمر الشمس الحالي هو أربعة مليارات سنة ونيف، ويبقى فيها من الطاقة ما يمكنها من أن تضيء لمدة ستة مليارات سنة أخرى، وبعد ذلك تكون قد استنفدت وقودها فتدخل في فنة النجوم الأقزام ثم تموت ويموتها تنعدم إمكانية الحياة في كوكب الأرض.

تعليق: من موقع إياتي نعلق بالآتي: أمّا أن الشمس ستنتفي يوماً فهذا صحيح، وقد أباننا القرآن

الكريم بذلك قبل أن يكشفه ويؤكداه العلماء في القرن العشرين. وأما توقيت موتها، ولو كان بصورة تقريبية، فلا يعلمه إلا علماء الغيوب القائل عز من قائل: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّئُهَا لَوْفَتُهَا إِلَّا هُوَ﴾ (سورة الأعراف، الآية: ١٨٧).

الثالث: الشمس سراج مضيء وهاج: أما التنزيل فقد وصف الشمس بأنها سراج مضيء وهاج، ونحن نعلم أن لا إمكانية للحياة على سطح جرم متوهج، أي شديد الحرارة: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ (سورة النبأ، الآية: ١٣)، و﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً﴾ (سورة يونس، الآية: ٥).

في القرن العشرين ومن خلال دراسات العلماء «هلمولز» و«أينشتاين» و«أدنتون» (١٩٢٠-...) و«بث»، أمكن القول علمياً إن الشمس أتون هائل تصل الحرارة في داخله إلى خمسة عشر مليون درجة مئوية، وفي أطرافها إلى ستة آلاف درجة. وهي شبيهة بمعمل حراري يستمد طاقته من تحويل ودمج المادة أي من انصهار نوى (جمع نواة) غاز الهيدروجين وتحويلها إلى نوى غاز الهيليوم. فالشمس المكونة من ٩٩,٩ بالمائة من كتلتها من الغاز (٧٥٪ هيدروجين، ٢٤,٩٪ هيليوم) يبلغ وزنها ثلاثمائة وثلاثة وثلاثين ألف مرة أكثر من الأرض (٣٣٣,٠٠٠) أي ألفي مليار مليار طن تقريباً. من علم الفلك القرآني، ص: ٨٠.

وتصل درجة الضغط في قلبها إلى مائتي مليون طن في السنتيمتر المربع. شمسنا هذه تحول في كل ثانية ٦٠٠ مليون طن تقريباً من غاز الهيدروجين إلى ٥٩٦ طناً من غاز الهيليوم، ومن هذا التحول تتج طاقة تبلغ ٣٨٠ ألف مليار مليار كيلوات، مما يكفي لحمل مياه المحيطات كلها على الغليان في ثانية واحدة.

الرابع: فوائده ضوء الشمس: ﴿وَالضُّحَى﴾ (سورة الضحى، الآية: ١). خصص المولى ضوء الشمس بقسم خاص في الآية الكريمة السابقة. وفي قوله أيضاً: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ قسمان: بالشمس ككل، وبالضحى. والمعلومات التالية المبسطة عن ضوء الشمس تعطي المؤمن فكرة علمية عن عظمة هذه الهبة التي من بها الله علينا: فلو لا ضوء الشمس لما كان من حياة على الأرض فهو السبب الأول في ظهور الأحياء على سطحها. وضوء الشمس هو المصدر الأساسي لبقية مصادر الطاقة كالرياح والطاقة المائية والطاقة الغذائية وغيرها. وهذه الطاقة خلافاً لبقية مصادر الطاقة، نظيفة لا تترك تلوثاً في البيئة ولا تنضب إلا عندما

بنفذ وقود الشمس وتنطفئ. وقد بدأ الإنسان باستغلال الطاقة الشمسية كما تنبأ وخطط لذلك منذ خمسين سنة ونيف العالم اللبناني حسن كامل الصباح.

- أمثلة بسيطة عن الطاقة الكامنة في ضوء الشمس: خلال فصل الصيف يصب ضوء الشمس على كل كيلومتر مربع من مياه المحيط طاقة تعادل مليوني وحدة حرارية يعكس البحر ويمتص منها ٥، ٩٩٪، وأما البقية البالغة ٥، ٠٪، فتمتصها الأحياء البحرية النباتية المجهرية وتحولها إلى ١٥٠٠ كلم من الكربون بفعل عملية التمثيل الضوئي، وهي تفاعلات كيميائية معقدة تستلزم ضوء الشمس ومادة الكلوروفيل (البيخضور) الموجودة في الأحياء النباتية البحرية والماء وثنائي أكسيد الكربون. ومن الألف وخمسة كيلوغرام من الكربون يبقى فقط ٨٪ بشكل مواد عضوية. وإذا علمنا أن ألف كيلوغرام من الأحياء البحرية الحيوانية التي تتغذى على النبات تتحول إلى عشرة كيلوغرامات من الأحياء الحيوانية التي تتغذى باللحوم، وأن هذه تتحول إلى كيلوغرام واحد من المواد البروتينية التي تعطي كمية من الطاقة تعادل ألفي وحدة حرارية، نعلم مدى الترابط بين مختلف مصادر الطاقة الغذائية وأساسها ضوء الشمس، ونعلم شيئاً بسيطاً جداً عن عظمة قسم المولى بضحي الشمس.

الطاقة الكامنة في حركة الأمواج الممتدة على مسافة مائة كيلومتر من الشواطئ، إن أحسن استغلالها، تكفي لإمداد مليون منزل بالطاقة الكهربائية، علماً أن الطاقة الكامنة في حركة الموج مصدرها ضوء الشمس المسبب للرياح التي تسبب الموج. كما أن حرارة الشمس التي تحتزنها مياه خليج المكسيك تكفي نظرياً، إذا أمكن استغلالها، لأن تعطي ٣٠٪ من حاجة الولايات المتحدة للكهرباء. هذه الأمثلة القليلة والبسيطة تعطي فكرة عن «خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب» التي أودعها في المخلوقات من خلال خزان الطاقة الهائل الممثل بالشمس. من علم الفلك القرآني: ٨٣. أضدادها (أي من البروتون مع البروتون المضاد والنترون مع النترون المضاد).

هكذا ولدت الشمس وبقية النجوم في السحابات الكونية، كما يقول علماء الفلك والفيزياء النووية اليوم. وهذا التفسير العلمي لمولد الشمس يقع أيضاً تحت مفهوم الآية الكريمة التي تطرقت إلى خلق السماوات والأرض في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ (سورة الأنبياء، الآية: ٣٠)، ذلك أن الغيمة التي ولدت فيها الشمس

تأتت من فتق الكتلة البدائية الأولى التي كانت في البدء مجموعة معها (راجع فصل نشأة الكون). إن ضوء الشمس اليوم ناشئ عن تحول غاز الهيدروجين إلى غاز الهيليوم في قلب الشمس بفعل الحرارة الهائلة في مركزها والتي تصل إلى خمسة عشر مليون درجة مئوية، أمّا على أطرافها فنصل الحرارة إلى ستة آلاف درجة مئوية، ذلك أنّ شعاع قرص الشمس، أي المسافة بين مركزها وأطرافها، يقدر بسبعمئة ألف كيلومتر (٧٠٠،٠٠٠) تقريباً، أي مائة مرة أكبر من شعاع الأرض. ويقدر العلماء أنّ الشمس، كمعمل حراري هائل، تعطي في الثانية من الضوء ما يعادل الرقم ٩، ٣* ٢٦- ١٠ من الطاقة بوحدة «جول» (Joule) وهذا الضوء متأث من تحويلها في كل ثانية لستمئة مليون طن من غاز الهيدروجين إلى ٥٩٦ مليون طن من غاز الهيليوم - كما أسلفنا- علماً أنّ الشمس قد ولدت منذ أربعة مليارات سنة ونيف، وأنّ فيها من الوقود ما يكفي خمسة مليارات سنة أيضاً. ويحاول الإنسان منذ ثلاثين سنة أن يسيطر على الطاقة الاندماجية الكامنة في تحول غاز الهيدروجين إلى غاز الهيليوم كما هي الحال في الشمس، إلّا أنّه لم يصل بعد حتى الآن، وإذا توصل إلى شيء ما في هذا المجال فإنّ كويماً من مياه البحر يكفي لإنارة مدينة نيويورك في يوم إن استطاع الإنسان السيطرة على الطاقة الاندماجية الكامنة في ذرات غاز الهيدروجين الموجودة في كوب الماء.

أمّا ضوء الشمس فيتألف من موجات إشعاعية مرئية هي الأشعة البيضاء المؤلفة من مختلف ألوان قوس قزح (الأحمر - البرتقالي - الأصفر - الأخضر - الأزرق - النيلي - البنفسجي)، وموجات أشعة غير مرئية كالأشعة تحت الحمراء والأشعة فوق البنفسجية والأشعة المجهولة وأشعة غاما وموجات الراديو والموجات الصغيرة. نلاحظ هنا عمق البعد العلمي القرآني الذي فرّق بين أشعة الشمس وقد وصفها بالتنزيل بالضياء، وأشعة القمر وقد وصفها بالنور: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ (سورة يونس، الآية: ٥). من علم الفلك القرآني: ٨٦.

فالنور الذي يأتي من القمر ما هو إلّا انعكاس لأشعة الشمس المرئية المتساقطة على سطحه. أما ضوء الشمس فهو مؤلف من أشعة مرئية وغير مرئية، إلّا أنّ الإنسان استطاع أن يدرس الأشعة غير المرئية ويستعملها بواسطة آلات التصوير بالأشعة المجهولة التي يستخدمها الطب اليوم في تصوير مختلف أعضاء الجسم، وآلات التصوير بالأشعة ما تحت الحمراء وما فوق البنفسجية

الخامس: دوران الفلك (وَلَا فَلَكَآ يَدُورُ)

معنى الفلك لغة: (الفاء واللام والكاف أصلٌ صحيح يدلُّ على استدارةٍ في شيءٍ. من ذلك فَلَكَةُ المِغزَلِ بفتح الفاء^(١)، سُمِّيت لاستدارتها؛ ولذلك قيل: فَلَكٌ تُدِي المرأةُ، إذا استدار. ومن هذا القياس فَلَكُ السماء^(٢)).

(الفَلَكُ: مجرى الكواكب، وتسميته بذلك لكونه كالفلك، قال: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾. وفَلَكَةُ المِغزَلِ^(٣)).

وعليه فإنَّ معنى الفَلَكُ هو المدار الذي تدور فيه الأجرام السماوية كالنجوم والكواكب في خطٍّ منتظمٍ مرسومٍ لها من تقدير العليم الحكيم.

التي يستعملها علماء الفلك والفيزياء والأحياء.

وهكذا، وعلى ضوء هذا الشرح المبسط جداً للشمس وضحاها، والذي هو في مستوى أكثرية المؤمنين، تبين الأبعاد العلمية لقسم المولى بالشمس وضوئها، فيرتفع المؤمن بعيداً في أجواء العظمة الإلهية في الخلق عندما يتلو في صلاته وقرآنه: ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا﴾ بدل أن يردد يومياً هذه الآيات من دون أن يدرك بعدها العلمي. وبعد أن درسنا خلال سنوات وفي أحدث المراجع العلمية ممَّ تتألف الشمس، وكيف تعمل، وممَّ يتأتى ويتألف ضحاها، تفتحت أمامنا آفاق علمية قرآنية لدى تلاوتنا في صلاتنا لأية الشمس والضحى فأحببنا أن نشارك المؤمن فيها، والله وراء القصد، من علم الفلك القرآني: ٨٦-٨١.

(١) ويقال بكسرها أيضاً.

(٢) معجم المقاييس اللغة، ٤: ٤٥٣.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن: ٦٤٥.

دوران الأرض والشمس والقمر

قال تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾^(١).

لقد أثبت القرآن نظرية دوران الأرض ودوران الشمس والقمر والكواكب، كلٌّ في موقعه ومداره بشكل منتظم بلا تقدُّم أو تأخر أو اصطدام واحدة بالأخرى، ممَّا يجعل الليل والنهار متعاقبان بلا تداخل من أحدهما في الآخر، وفي الرواية عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السَّلام في قوله: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾، يقول: «الشمس سلطان النهار والقمر سلطان الليل - لا ينبغي للشمس أن تكون مع ضوء القمر بالليل ولا يسبق الليل النهار - يقول: لا يذهب الليل حتى يدركه النهار ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ يقول: يجيء [يجري] وراء الفلك الاستدارة»^(٢).

(حتى القرن الرابع عشر للميلاد اعتقد أكثر الناس خطأ بأنَّ الأرض ثابتة وأنها مركز الكون، وهو ما قاله -كما أسلفنا- علماء اليونان الأقدمون «تاليس» و«أرسطو» و«بظليموس» وغيرهم، ويستثنى منهم «أريستارك» الذي قال بدوران الأرض إلاَّ أنَّه جعل الشمس ثابتة، إلى أن أتى «محمد بن زكريا القزويني» (١٣٨٦)

(١) سورة يس، الآية: ٤٠.

(٢) تفسير نور الثقلين، ١: ٤١.

و«كوبرنيك» (١٥٥٤) و«غاليله» (١٦٠٩) فقالوا بدوران الأرض.

ولكن العالم «كابلر» (القرن السابع عشر) هو أول من وضع تصوّراً صحيحاً عن النظام الشمسي. أمّا التنزيل فقد وصف حركة الأرض والشمس والقمر والنجوم في أبسط وأعمق وأوجز عبارة: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾^(١). ولقد رأى أكثر الناس في النصف الثاني من القرن العشرين على شاشة التلفاز كيف تسبح الأرض والنجوم والمجرات في الكون. وتدور الأرض حول الشمس في مدار إهليلجي (أي شبه دائري)، فتجري مسافة عشرة آلاف مليون كيلومتر تقريباً (٩٦٠٠) لتتم دورة كاملة واحدة حول الشمس هي مدة السنة الشمسية (تتألف السنة الشمسية من ٣٦٥ يوماً و٦ ساعات و٩ دقائق و٩ ثوان ونصف، أي ٢٥٦٣٦١، ٣٦٥ يوماً)^(٢).

دلالة انتظام الخلق على وحدة الخالق

عن هشام بن الحكم في حديث الزنديق الذي أتى أبا عبد الله عليه السلام، وكان من قول أبي عبد الله عليه السلام: «فلما رأينا الخلق منتظماً والفلك جارياً والتدبير واحداً والليل والنهار والشمس والقمر دلّ صحّة الأمر والتدبير واتتلاف الأمر على أنّ المدبر واحد»^(٣).

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٣٣.

(٢) من علم الفلك القرآني: ١٠٠-١٠١.

(٣) الكافي (طبعة الإسلامية)، ١: ٨١، ح ٥.

سادساً: جريان البحر، (ولا بحراً يجري)

معنى جرى:

(جَرَى الماءُ والدمُ ونحوه جَرِيًّا وَجَرِيَّةً وَجَرِيَانًا، وإنه لَحَسَنُ الْجَرِيَّةِ، وَأَجْرَاهُ هو وَأَجْرِيَّتُهُ أَنَا. يقال: ما أَشَدَّ جَرِيَّةَ هذا الماءِ، بالكسر.

وَجَرَّتِ الشَّمْسُ وسائرُ النجومِ: سارت من المشرق إلى المغرب.

التَهْدِيبُ: والجَارِيَّةُ عينُ الشمسِ في السماءِ، قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالشَّمْسُ

تَجْرِي لِمْسْتَقَرِّهَا﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ الْجَوَارِ الْكُنُوسِ﴾؛ يعني النجوم. وَجَرَّتِ

السفينةُ جَرِيًّا كذلك. والجَارِيَّةُ: السفينةُ، صفةٌ غالبية. وفي التنزيل: ﴿حَمَلْنَاكُمْ

فِي الْجَارِيَةِ﴾، وفيه: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشآتُ فِي الْبَحْرِ﴾، وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿بِسْمِ

اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾؛ هما مصدران من أَجْرَيْتِ السفينةُ وَأُرْسَيْتِ، وَمَجْرَاهَا

وَمُرْسَاهَا، بالفتح، من جَرَّتِ السفينةُ وَرَسَتْ؛ وَجَرِي داحِسٌ كذلك. الليث:

الحَيْلُ تَجْرِي، والرَّيْحُ تَجْرِي، والشمسُ تَجْرِي جَرِيًّا إِلا الماءُ فَإِنَّهُ يَجْرِي جَرِيَّةً، والجَرَاءُ

للخيلِ خاصَّةً، والجَارِيَّةُ من النساءِ: من لم تبلغِ الحلم. (جَرِيَّةُ الماءِ) بالكسر: حالة

الجَرِيَانِ. (الماءُ الجَارِي) هو المتدافع في انحدارٍ واستواءٍ - قاله في المصباح^(١).

(١) لسان العرب، ١٤: ١٤١.

متى خلق الله البحر؟

يعتقد علماء الفلك أن ماء البحار والمحيطات تشكلت قبل (٨ . ٣ مليارات سنة)، عندما برد سطح الكوكب بدرجة كافية ليمسح لبخار الماء أن يتحول إلى سائل، وكذلك الغازات الأخرى من صخور الأرض المنصهرة من الغلاف الجوي المحيط بكوكب الأرض، ثم تكوّن الماء بعد ذلك في باطن الأرض بعد انخفاض حرارتها ولا يزال يتكوّن هناك.

ولما كان الماء يتركب من عنصري الأكسجين والهيدروجين، ففي باطن الأرض يتحد هذان الغازان ويكونان الماء، ثم يصعد هذا الماء في ينابيع ساخنة ومن جبال النار التي نسميها براكين، وهذا الماء ملاً التجاويف العميقة ببطء في القشرة الأرضية ثم أصبحت البحار، وقسم آخر يعتقد أن البحار كانت معلقة في وقت ما في شكل سحب كثيفة كانت تملأ الجو، فلما بردت هطلت منها الأمطار فشكّلت البحار على مرور السنوات.

وهناك فرضيات أخرى تركناها لأهل الاختصاص وإنما استعرضناه لكي نورد ما ذكرته النصوص الشريفة في هذا الموضوع للمقارنة.

تشكل البحار في القرآن والنصوص

كما أشرنا في بداية هذا البحث عند تشكّل الكون قلنا إن الماء هو المادة الأولى للحياة، ومنه تشكّلت الأرض أولاً ثم السماء، وكاننا رتقاً ففتق الله السماء بالأمطار،

ثم فتقت الأرض بعد ذلك بالنبات والوديان لما هطل عليها المطر، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١).

وهو مفاد روايات محمد بن عطية^(٢) ومحمد بن مسلم^(٣)، ورواية الأبرش^(٤)، التي مرّت في بداية البحث.

وعليه فإنّ نظريّة القرآن تقول بأنّ المياه هي الأصل الأوّل لبقية المخلوقات وقبل خلق الأرض والسّماء وما فيها، بخلاف ما يقوله علماء الجيولوجيا والفلك بأنّ البحار تشكّلت من بخار وحرارة الأرض.

ما الذي يجعل البحر يجري؟

هناك عدّة عوامل مؤثّرة في جريان البحر وأمواجه وهي:

١- الرياح.

٢- الزلازل.

٣- اختلاف كثافة المياه.

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٣٠.

(٢) الكافي (طبعة الإسلامية)، ٨: ٩٤، ح ٦٧.

(٣) المصدر نفسه: ٩٥، ح ٦٨.

(٤) تفسير القمي، ٢: ٦٩.

٥- تبخر مياه البحار بفعل الحرارة ثمَّ عودتها في صورة أمطار وما شابه.

٦- عملية المدّ والجزر بسبب جاذبية القمر^(١).

(١) أسباب جريان البحر وتكون أمواجه:

تنقسم الأمواج البحرية إلى عدّة أنواع وأهمها أمواج الرياح وأمواج التسونامي وأمواج المد والجزر: أمواج الرياح أمواج الرياح أو الموجات التي تحدث بسبب الرياح والعواصف، وتؤثر فقط على الطبقة العليا من البحر. ومع ذلك فكلُّ ذرة من ذرات الماء على حدة لا تنتقل مسافة كبيرة وإنما تتحرك حركة دائرية.

ذلك لا يمنع أن الموجات تنتقل مسافات بعيدة، لأنَّ كلَّ ذرة تنقل الطاقة إلى الذرة التالية فتكون الطاقة هي التي تنتقل وليست الكتلة المائية.

لهذه الأسباب تزداد الأمواج قوةً وارتفاعاً كلما زادت المسافة التي ترتفع بها الرياح فوق سطح المساحات المائية، ومن هنا تكون الأمواج فوق المحيطات أعلى من أمواج البحار الصغيرة.

أمواج التسونامي أمواج التسونامي هي الموجات التي تنشأ بسبب بركان أو هزة أرضية في أعماق البحر، وهي أخطر أنواع الأمواج البحرية على الإطلاق.

هذا النوع من الموج عند الموجة نشأتها تملك منذ البداية تماساً مع قاع البحر وتكون سرعتها أزيد من ٧٠٠ كيلو متر في الساعة.

في المياه العميقة لا يزيد ارتفاع الموجة عن بضعة أمتار، ولكن عند الاقتراب من الساحل تنكح السرعة فيزداد ارتفاع الموجة ليصبح ارتفاع الموجة عشرات الأمتار.

أمواج المدّ والجزر: أمواج المدّ والجزر هي الزيادة المؤقتة في ارتفاع البحر في مكان معين وانخفاضه في مكان آخر من جراء دوران الأرض وجاذبية القمر.

نقلا عن:

[types-of-sea-waves-and-their-causes.html/10/2022/https://www.tathwir.com](https://www.tathwir.com/types-of-sea-waves-and-their-causes.html/10/2022/)

ما الغاية من خلق البحر؟

من الواضح أن الله سبحانه وتعالى خلق هذه النعم بعلمه وحكمته وسخرها لخدمة الإنسان ليكون شاكراً لأنعمه مطيعاً لأمر مولاه، كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(١)، إن في خلق السماوات والأرض ولتحلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٢).

سابعا: سريان الفلك، (ولا فلكا يسري)

معنى فلك لغة: الفُلك: السفينة، ويستعمل ذلك للواحد والجمع، وتقديراهما مختلفان، فإن الفُلك إن كان واحداً كان كبناء قفل، وإن كان جمعاً فكبناء حمر.

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ﴾^(٣)، ﴿وَالْفُلُكِ الَّتِي تَجْرِي فِي

(١) سورة الجاثية، الآية: ١٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٦٤.

(٣) سورة يونس، الآية: ٢٢.

الْبَحْرِ ﴿١﴾، ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاجِرَ﴾ ﴿٢﴾، ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ ﴿٣﴾. وَالْفُلْكَ: مجرى الكواكب، وتسميته بذلك لكونه كالفلك، قال: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ﴿٤﴾. وَفَلَكَةُ الْمِعْزَلِ ﴿٥﴾.

قوله تعالى: ﴿فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ الْفُلْكَ بالضم السفينة واحد وجمع، يذكَر ويؤنث. قال تعالى: ﴿فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ فجاء به مذكراً. وقال: ﴿وَالْفُلْكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾ فَأُنْث. وقال: ﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ فجمع ﴿٦﴾.

هل هناك فرق بين الفلك والسفينة والجارية؟

في القرآن الكريم وردت كلمة الفلك (٢٤ مرة)، وكلمة السفينة (٣ مرات)، والجارية (٤ مرات)، فهناك من يفرق بين هذه الكلمات الثلاث، فيقول: إنَّ الفلك والجارية هما أكبر من السفينة، لأنَّ السفينة لحمل الأفراد والصيد والمتاع البسيط،

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦٤.

(٢) سورة فاطر، الآية: ١٢.

(٣) سورة الزخرف، الآية: ١٢.

(٤) سورة يس، الآية: ٤٠.

(٥) مفردات ألفاظ القرآن: ٦٤٥.

(٦) مجمع البحرين، ٥: ٢٨٥.

بعكس الفلك التي هي لحمل المسافرين والمتاع الكثير والثقيل، وأما الجارية فهي أكبر من الفلك كما وصفها القرآن (كالأعلام) أي كالجبل في قوله تعالى، وهناك من يفرّق بلحاظ الإبحار وعدمه، فإنّ القرآن سمّى سفينة المساكين في قصة موسى والخضر بالسفينة مرتين، وهي على الساحل لم تبخر بعد، كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَكِبْنَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾^(١)، ﴿وَأَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾^(٢)، وسمّى القرآن سفينة مرة واحدة بعد ما انتهت مهمتها ولم تبخر مرة أخرى في قوله تعالى: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾^(٣)، وهناك من لا يفرّق بينهم، والحق أنه لا فرق بينهم من ناحية التسمية، إلا بلحاظ وصف كل واحدة، فمن المعروف أن تعدد الكلمات رغم تقاربها وترادفها واستخدامها العرفي في موضع واحد في اللغة العربية وخصوصاً في القرآن الكريم -الذي هو قمة البلاغة العربية- فهو يراعي الفروق وإن كانت بسيطة، والذي يبدو لي أنّ كلمة (الفلك) أصلها (فلك) وهو الدوران المتصل في مسار معين في البحار والمحيطات، كما تدور الكواكب والنجوم والشمس والقمر في حركة منتظمة في مساراتها ومواقعها، وقد شبهها القرآن الكريم بالسباحة في البحار كما في قوله تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ

(١) سورة الكهف، الآية: ٧١.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٧٩.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ١٥.

النَّهَارِ وَكُلُّ فِي فَلَكَ يُسْبِحُونَ ﴿١﴾.

أما كلمة السفينة، فهي مشتقة من السفن، وهو نحت ظاهر الشيء، مثل القشر، يقال: سفنت الريح التراب كأنها قشرته عن ظاهر الأرض، وسميت السفينة بذلك لأنها تسفن الماء بصدرها وكأنها تقشره.

أما كلمة (الجارية): فقد ذكر المولى صفتها وحالتها في الجريان وشبهها بالفتاة الجارية النشطة التي تقوم بالعمل والخدمة، وحمل المسافرين ﴿حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾، ووصفها (كالأعلام) أي كالجبل، فإنَّ الجبل يُرى من بعيد كالأعلام، فأراد من هذا الوصف أنها كبيرة في حجمها كالجبل، ولعلَّ هذا الوصف للسفينة أو الفلك فحذفت في الآيات واكتفي بصفة الجريان.

قال ابن منظور: (والجَارِيَةُ: السفينة، صفة غالبية. وفي التنزيل: ﴿حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾، وفيه: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ﴾^(٢).

وعليه ليس للحجم والسعة دخل في التسمية ولا في كونها في البحر أو خارجه فقد استخدم القرآن (الفلك) في حال كونها صغيرة كما في قضية نبي الله يونس عليه السلام: ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾^(٣)، فإنه يظهر أن تلك

(١) سورة يس، الآية: ٤٠.

(٢) لسان العرب، ١٤: ١٤١.

(٣) سورة الصافات، الآية: ١٤٠.

الفلك كانت صغيرة بحيث لم تتحمل إضافة وزن شخص إضافي وهو سبب إلقاء يونس في البحر.

كذلك فإن القرآن الكريم سَمَّى سفينة نوح عليه السَّلام والتي كانت كبيرة الحجم (بالفلك) في قوله تعالى: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾^(١)، فقد كان طولها (١٢٠٠ ذراع) وعرضها (٤٠٠ ذراع) وعمقها (٨٠ ذراع)، وهي تعتبر بمقياس اليوم كبيرة جداً.

كما أنَّه سَمَّى سفينة نوح عليه السَّلام بالسفينة وهي كبيرة، كذلك سَمَّى سفينة المساكين في قصة موسى عليه السَّلام والخضر (بالسفينة) في قوله تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾^(٢)، وهي صغيرة كما يظهر من قرينة لمساكين يعملون في البحر، كما لا يوجد فرق بكونها في حالة الإبحار أو قبله أو بعده، كما يظهر من فلك نوح، فسماها بالفلك قبل بدء الصناعة، وعند الإبحار وبعد الإبحار، وأمَّا السفينة إنَّما سُميت بذلك لأنَّها تشق الماء وتقرسه بمقدمتها كما يقول اللغويون.

(١) سورة الشعراء، الآية: ١١٩.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٧٩.

هل هناك فرق بين الفلك تسري، أو تجري؟

فإن الحديث الشريف عبّر عنها (وَلَا فُلُكًا يَسْرِي)، والقرآن الكريم بـ ﴿وَالْفُلُكُ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾^(١).

قال في لسان العرب: (وَسَرَيْتُ سُرَى وَمَسَرَيْتُ بِمَعْنَى إِذَا سِرْتَ لَيْلًا، بِالْأَلْفِ لُغَةً أَهْلُ الْحِجَازِ، وَجَاءَ الْقُرْآنُ الْعَزِيزُ بِهَا جَمِيعًا. وَيُقَالُ: سَرَيْنَا سَرِيَّةً وَاحِدَةً. وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾، قَالَ: مَعْنَاهُ سَيَّرَ عَبْدَهُ. يُقَالُ: أَسْرَيْتُ وَسَرَيْتُ إِذَا سِرْتَ لَيْلًا. وَأَسْرَاهُ وَأَسْرَى بِهِ: مَثَلُ أَخَذَ الْخِطَامَ وَأَخَذَ بِالْخِطَامِ، وَإِنَّمَا قَالَ سَبْحَانَهُ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾، وَإِنْ كَانَ السُّرَى لَا يَكُونُ إِلَّا بِاللَّيْلِ لِلتَّأَكِيدِ، كَقَوْلِهِمْ: سِرْتَ أَمْسٍ نَهَارًا وَبِالْبَارِحَةِ لَيْلًا. وَالسَّرَايَةُ: سُرَى اللَّيْلِ، وَهُوَ مُصَدَّرٌ)^(٢).

وفي التحقيق: (الأصل الواحد في هذه المادة: هو سير بلا تظاهر وإعلان وجهه بل بالسر والخفاء، مادياً أو معنوياً. فالماضي كما في ﴿فَأَسْرَى بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾، والمعنوي: ﴿أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾.

وفي هذا المفهوم لا يلاحظ قيد الإقبال ولا الإدبار كما يلاحظ في الذهب

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦٤.

(٢) لسان العرب، ١٤: ٣٨٢.

الفصل الثامن: إضافات في علم الفلك من حديث الحكاء / هل هنالك فرق بين الفلك تسري، أو تجري؟

والمجيء والإتيان. ولا قيد زمان معين كما في الماضي والتقدم. ولا قيد الإطلاق كما في الحركة والجري.

(وأما الفرق بين الجري والسير)

الجري: حركة منظمة دقيقة في طول مكان.

فالتسري: يلاحظ فيه مفهوم السير والتسري^(١).

ولعلَّ العناية في إضافة الليل للسير في القرآن الكريم من باب الغلبة؛ وهو الخروج للسير بالخفاء والهدوء، كما في سفر موسى بأهله، وكذلك تسري رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِاللَّيْلِ.

والسير يكون على الأرض مشياً وركوباً، وفي البحر ركوباً، وفي الفضاء سباحة وإسراءً بالإعجاز، وتحت الأرض كسري عروق الشجر والنبات.

ولعلَّ تعبير الحديث عن (الفلك تسري) من باب السير الهادئ في مقابل هياج البحر وجريانه بسرعة، أو لعلَّ استبدال الجريان بالسراية من باب التنوع البلاغي والفرار من تكرار كلمة الجريان، فجاء العبارة السابقة في جريان البحر، والله العالم.

أمَّا الجري لوحظ فيه النشاط والحركة الشديدة كجري الماء والخيل والرياح وجريان البحر وماء النهر، بعكس السير الذي يصحبه غالباً الهدوء، والله العالم.

(١) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ٥: ١١٦.

والغاية من ذكر جريان الفلك الواقع في جواب القسم من باب التذكير بعظمة مخلوقات الله تعالى ونعمه، حيث سحَّرها كي ينتفع الإنسان منها وبها تتقوم حياته، وقد دأب القرآن على هذه الطريقة من الإرشاد في آياته كما في قوله تعالى:

﴿ وَالْفُلُوكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۗ ﴾^(١)، ﴿ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلُوكِ تُحْمَلُونَ ۗ ﴾^(٢)،

وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا

مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٨) وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ۗ ﴾^(٣)،

﴿ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُوكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۗ ﴾^(٤)، ﴿ أَلَمْ

تَرَ أَنَّ الْفُلُوكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ لِيُبْرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ

لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۗ ﴾^(٥)، ﴿ وَتَرَى الْفُلُوكَ فِيهِ مَوَاجِرَ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ

تَشْكُرُونَ ۗ ﴾^(٦)، ﴿ وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِكِ الْمَشْحُونِ (٤١) وَخَلَقْنَا لَهُمْ

(١) سورة الحج، الآية: ٦٥.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٢٢.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٢٨.

(٤) سورة الروم، الآية: ٤٦.

(٥) سورة لقمان، الآية: ٣١-٣٢.

(٦) سورة فاطر، الآية: ١٢.

مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿١﴾، ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ (٢)، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَغْلَامِ (٣٢)﴾ إِنَّ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣﴾، ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ (١٣)﴾ لِيَتَسَوَّأَ عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرْنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (١٣) وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿٤﴾، ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾ (٥)، ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَغْلَامِ﴾ (٦).

أما الغاية الكبرى والأهم من هذه المخلوقات والنعم بعد طاعة الله عز وجل هي محبة محمد وآل محمد، وهي ترجمة عملية لعبادته وطاعته، وهذا واضح من طريقة الباري عز وجل كما في قصة سجود الملائكة لآدم عليه السلام، وإنما أعطى الله تعالى هذه المنزلة لهم لكونهم السابقين إلى طاعته وإجابة دعوته، فجعلهم مصدر الخير على عباده، ولذلك فإن المولى تعالى قسم بهذه النعم المهمة الظاهرة مذكراً بها ليكون الإنسان شاكراً لها ومطيعاً ومحباً متواضعاً منقاداً لمحمد وآل محمد صلوات

(١) سورة يس، الآية: ٤١-٤٤.

(٢) سورة المؤمن، الآية: ٨٠.

(٣) سورة الشورى، الآية: ٣٢.

(٤) سورة الزخرف، الآيتان: ١٢-١٣.

(٥) سورة الذاريات، الآية: ٣.

(٦) سورة الرحمن، الآية: ٢٤.

الله وسلامه عليهم أجمعين.

روى الصدوق قدس الله سره، عن سليمان بن مهران الأعمش عن الإمام الصادق جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عليهم السلام قال: «نحن أئمة المسلمين، وحجج الله على العالمين، وسادة المؤمنين، وقادة الغر المحجلين، وموالي المؤمنين، ونحن أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء، ونحن الذين بنا يمسك الله السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وبنا يمسك الأرض أن تميد بأهلها^(١)، وبنا يُنزل الغيث وتُنشر الرحمة وتُخرج بركات الأرض، ولو لا ما في الأرض منّا لساخت بأهلها»، ثم قال عليه السلام: «ولم تخل الأرض منذ خلق الله آدم من حجة الله فيها ظاهر مشهور أو غائب مستور^(٢)، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجة الله فيها، ولو لا ذلك لم يُعبد الله»، قال سليمان: فقلت للصادق عليه السلام: فكيف يتفجع الناس بالحجة الغائب المستور؟ قال: «كما يتفجعون بالشمس إذا سترها السحاب»^(٣).

(١) في بعض النسخ «أن تمور بأهلها».

(٢) في بعض النسخ «خائف مغمور».

(٣) كمال الدين وتمام النعمة، ١: ٢٠٧، ح ٢٢.

الفصل التاسع: من قصص وكرامات حديث الكساء

روايات في فضل أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم

أولاً: أهل البيت عليهم السلام سبب البركة والحفظ والرزق للناس.

فَعَنِ الْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) ذَاتَ يَوْمٍ وَيَدُهُ فِي يَدِ ابْنِهِ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ يَقُولُ: «خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ذَاتَ يَوْمٍ وَيَدِي فِي يَدِهِ هَكَذَا.. فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَدَهُ عَلَى رَأْسِي فَقَالَ: أَوْلَهُمْ هَذَا وَآخِرُهُمُ الْمُهْدِيُّ، مَنْ وَالَاهُمْ فَقَدْ وَالَانِي وَمَنْ عَادَاهُمْ فَقَدْ عَادَانِي، وَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَقَدْ أَبْغَضَنِي، وَمَنْ أَنْكَرَهُمْ فَقَدْ أَنْكَرَنِي، وَمَنْ عَرَفَهُمْ فَقَدْ عَرَفَنِي، بِهِمْ يُحْفَظُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ دِينَهُ، وَبِهِمْ يَعْمرُ بِلَادُهُ، وَبِهِمْ يَرْزُقُ عِبَادُهُ، وَبِهِمْ نَزَلَ الْقَطْرُ مِنَ السَّمَاءِ، وَبِهِمْ يُخْرَجُ بَرَكَاتُ الْأَرْضِ، هَؤُلَاءِ أَصْفِيَائِي وَخُلَفَائِي وَأَيْمَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَمَوَالِي الْمُؤْمِنِينَ»^(١).

ثانياً: صفة الشيعة الثابتين المنتظرين إمام زمانهم.

فَعَنِ جَابِرِ (الجعفي) عَنْ أَبِي جَعْفَرِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَغِيبُ عَنْهُمْ إِمَامُهُمْ، فَيَأْتِي طُوبَى لِلثَّابِتِينَ عَلَى أَمْرِنَا فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ، إِنَّ أَدْنَى مَا يَكُونُ لَهُمْ مِنَ الثَّوَابِ أَنْ يُنَادِيَهُمُ الْبَارِيُّ جَلَّ جَلَالُهُ فَيَقُولُ: عِبَادِي وَإِمَائِي آمَنْتُمْ

(١) كمال الدين وقام النعمة، ١: ٢٦٠.

بِسْرِي وَصَدَقْتُمْ بَغِيْبِي فَأَبَشِّرُوا بِحُسْنِ الثَّوَابِ مِنِّي، فَأَنْتُمْ عِبَادِي وَإِمَائِي حَقًّا،
مِنْكُمْ أَتَقَبَّلُ وَعَنْكُمْ أَعْفُو وَلَكُمْ أَعْفِرُ، وَبِكُمْ أَسْقِي عِبَادِي الْغَيْثَ وَأَذْفَعُ عَنْهُمْ
الْبَلَاءَ، وَلَوْلَاكُمْ لَأَنْزَلْتُ عَلَيْهِمْ عَذَابِي»^(١).

ثالثا: زوار الإمام الحسين عليه السلام قوام الأرض وبهم ينزل الغيث.

ففي حديث جميل وحوار طويل بين فاطمة الزهراء عليها السلام وأبيها رسول
الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنْ الإِمَامِ الحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ فِيهِ: «يَأْتِيهِ قَوْمٌ مِنْ
مُحِبِّينَا لَيْسَ فِي الأَرْضِ أَعْلَمَ بِاللهِ وَلَا أَقْوَمَ بِحَقِّنَا [لِحَقِّنَا] مِنْهُمْ، وَلَيْسَ عَلَى ظَهْرِ
الأَرْضِ أَحَدٌ يَلْتَمِثُ إِلَيْهِ غَيْرُهُمْ، أَوْلَيْكَ مَصَابِيحُ فِي ظُلُمَاتِ الجُورِ، وَهُمْ الشَّفَعَاءُ
وَهُمْ وَارِدُونَ حَوْضِي غَدًا أَعْرِفُهُمْ إِذَا وَرَدُوا عَلَيَّ بِسَيِّئَاتِهِمْ، وَكُلُّ أَهْلِ دِينٍ [يَطْلُبُونَ
أَيْمَتَهُمْ وَهُمْ] يَطْلُبُونَا وَلَا يَطْلُبُونَ غَيْرَنَا، وَهُمْ قَوَامُ الأَرْضِ وَبِهِمْ يَنْزِلُ الْغَيْثُ»^(٢).

رابعا: من بركات مجالس ذكر أهل البيت عليهم السلام أن ذكرهم ذكر الله تعالى.

فَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: «شِيعَتُنَا
الرُّحَمَاءُ بَيْنَهُمُ الدِّينُ إِذَا خَلَوْا ذَكَرُوا اللهُ، إِنَّا إِذَا ذُكِرْنَا ذُكِرَ اللهُ وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ
ذُكِرَ الشَّيْطَانُ»^(٣).

(١) كمال الدين، ١: ٣٣٠، وبحار الأنوار، ٥٢: ١٤٥.

(٢) تفسير فرات، ١: ١٧١، وبحار الأنوار، ٤٤: ٢٦٤.

(٣) الكافي الشيخ الكليني، ٢: ١٨٦.

خامسا: مجالس ذكر المؤمنين روضة من رياض الجنة سبب للمغفرة وهبوط الملائكة.

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ عَنِ الثَّمَالِيِّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَةِ الَّتِي لَمْ تُغَيَّرْ: أَنَّ مُوسَى سَأَلَ رَبَّهُ فَقَالَ: يَا رَبُّ أَقَرِيبٌ أَنْتَ مِنِّي فَأَنَاجِيكَ، أَمْ بَعِيدٌ فَأَنَادِيكَ؟ فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ: يَا مُوسَى أَنَا جَلِيسٌ مَنْ ذَكَرَنِي، فَقَالَ: مُوسَى فَمَنْ فِي سِرِّكَ يَوْمَ لَا سِرَّ إِلَّا سِرُّكَ؟ قَالَ: الَّذِينَ يَذْكُرُونَنِي فَأَذْكُرُهُمْ وَيَتَحَابُّونَ فِي فَأُحِبُّهُمْ، فَأَوْلِيكَ الَّذِينَ إِذَا أَرَدْتُ أَنْ أُصِيبَ أَهْلَ الْأَرْضِ بِسُوءٍ ذَكَرْتُهُمْ فَدَفَعْتُ عَنْهُمْ بِهِمْ»^(١).

وَعَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا نَادَاهُمْ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: قَوْمُوا فَقَدْ بَدَلْتُ سَيِّئَاتِكُمْ حَسَنَاتٍ وَغَفَرْتُ لَكُمْ جَمِيعًا، وَمَا قَعَدَ عِدَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَعَدَ مَعَهُمْ عِدَّةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ»^(٢).

وَرُوِيَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ خَرَجَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: «ارْتَعُوا فِي رِيَاضِ الْجَنَّةِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: «مَجَالِسُ الذِّكْرِ، اغْدُوا وَرُوحُوا وَاذْكُرُوا، وَمَنْ كَانَ يُحِبُّ أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَتَهُ عِنْدَ اللَّهِ فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ مَنْزِلَةُ اللَّهِ عِنْدَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُنْزِلُ الْعَبْدَ حَيْثُ أَنْزَلَ الْعَبْدُ اللَّهَ مِنْ نَفْسِهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمْ عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَزْكَاهَا وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرُ مَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ

(١) المصدر نفسه: ٤٩٦-٤٩٧.

(٢) عِدَّة الداعي: ١٨٦.

ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى فَإِنَّهُ تَعَالَى أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ فَقَالَ: أَنَا جَلِيسٌ مَن ذَكَرَنِي، وَقَالَ سُبْحَانَهُ:
﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكَرُكُمْ﴾ يَعْنِي اذْكُرُونِي بِالطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ أَذْكَرُكُمْ بِالنِّعَمِ
وَالْإِحْسَانِ وَالرَّحْمَةِ وَالرِّضْوَانِ^(١).

ولا شك أن من أبرز مصاديق ذكر الله هي مجالس ذكر أهل البيت عليهم السلام
التي يُذكر فيها فضائلهم وعلومهم وظلاماتهم كما أشار إليه الإمام الصادق عليه
السلام في الحديث السابق.

سادسا: إن مجالس ذكر المؤمنين المحبين سبب لرفع البلاء عن أهل الأرض.

فَعَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَةِ النَّبِيُّ لَمْ تُغَيَّرْ أَنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ
سَأَلَ رَبَّهُ فَقَالَ: يَا رَبُّ أَقْرَبُ أَنْتَ مِنِّي فَأَنَا جِئِكَ أَمْ بَعِيدٌ فَأَنَا دَيْكَ؟ فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ:
يَا مُوسَى أَنَا جَلِيسٌ مَن ذَكَرَنِي، فَقَالَ: مُوسَى فَمَنْ فِي سِرِّكَ يَوْمَ لَا سِرَّ إِلَّا سِرُّكَ؟
فَقَالَ: الَّذِينَ يَذْكُرُونِي فَأَذْكَرُهُمْ، وَيَتَحَابُّونَ فِي فَأُجِبُهُمْ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ إِذَا أَرَدْتُ أَنْ
أُصِيبَ أَهْلَ الْأَرْضِ بِسُوءٍ ذَكَرْتُهُمْ فَدَفَعْتُ عَنْهُمْ بِهِمْ»^(٢).

سابعا: ذكر محمد وآل محمد عليهم السلام إغضاب الشيطان وجنوده.

فَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَحْفُوظٍ عَنْ أَبِي الْمُغْرَاءِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ

(١) مستطرفات السرائر: ٦٣٦، وبحار الأنوار، ٩٠: ١٦٣.

(٢) أصول الكافي، ٢: ٤٩٦-٤٩٧.

عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: «لَيْسَ شَيْءٌ أَنْكَى^(١) لِإِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ مِنْ زِيَارَةِ الْإِخْوَانِ فِي اللَّهِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، قَالَ: وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَلْتَقِيَانِ فَيَذْكُرَانِ اللَّهَ ثُمَّ يَذْكُرَانِ فَضْلَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ، فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ إِبْلِيسَ مُضْغَةٌ لَحْمٍ إِلَّا تَحَدَّدُ^(٢)، حَتَّى إِنْ رُوحَهُ لَسْتَنْغِيثُ مِنْ شِدَّةٍ مَا يَجِدُ مِنَ الْأَلَمِ، فَتَحْسُ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ وَخَزَانُ الْجِنَانِ فَيُلْعَنُونَهُ، حَتَّى لَا يَبْقَى مَلَكٌ مُقَرَّبٌ إِلَّا لَعَنَهُ فَيَبْقَعُ خَاسِئًا^(٣) حَسِيرًا مَذْخُورًا^(٤)».

القصة الأولى: نجاة حجاج من الموت في الصحراء

روى لي ساحة الحجّة الخطيب السيد محمّد رضا جبرائيل -المقيم في مدينة قم المقدسة والذي يتردد إلى الكويت لقراءة المجالس الحسينيّة - عن والده حجّة الإسلام السيّد أحمد جبرائيل الخطيب الحسيني المتميز بأحاديثه في التربية الروحيّة قال: كان والدي في أوّل أيام سفره إلى النجف الأشرف للدراسة الدينيّة التحق بحملة للذهاب لحج بيت الله الحرام قبل ستين عاماً تقريباً.

يقول: تحرك سائق الباص الخشبي بالحجاج ليلاً نحو الحدود البريّة باتجاه معبر عرعر، رغم معارضة صاحب الحملة، ألا يتحرك ليلاً إلا أن السائق لم يمتثل قوله،

(١) في القاموس نكى العدو وفيه نكايه: قتل وجرح.

(٢) خدد لحمه وتحدد هزل ونقص.

(٣) خسأت الكلب كمنعت: طرده. وحسر حسراً تعب وأعيا. والدحر: الطرد.

(٤) الكافي (ط - الإسلامية)، ٢: ١٨٨، ح ٧.

فتحرك في الليل وسرعان ما توقف الباص الذي يقلهم بسبب دخوله في التراب لعدم وضوح الرؤية ليلاً، حيث لم يتمكن السائق من إخراج السيارة، مما سبب انكسار (الشاسي) وانتهاء البنزين، فأصيب الحجاج بحالة من الخوف والحيرة بسبب انقطاعهم في الصحراء في ذلك الليل ونقص الماء والطعام، وسلموا أمرهم لله وتذكروا أنه من مات في طريق الحج فقد وقع أجره على الله.

يقول السيد جبرائيل: بدأنا بالتوسل بصاحب الزمان وبقراءة حديث الكساء، فلما انتهينا من قراءة التوسل قلت لهم: هيثوا أنفسكم لاستقبال الموت الذي لا بُدَّ منه.

وفجأة وإذا برجل يطلع علينا من الصحراء بيده عصا فتقدم للسائق وناداه باسمه وقال له: شغل السيارة وبمجرد أن وضع هذا الرجل رجله على عتبة صعود السيارة فإذا بالسيارة قد صعدت فوق التراب وتحركت وصعدنا السيارة، وما هي إلا لحظات وإذا بنا نرى أنفسنا عند قرية مأهولة وأخذنا نفتش عن الرجل فلم نره، فعلمنا بعد ذلك أنه الإمام صاحب الزمان لأننا توصلنا به، ومما يزيد في الاطمئنان أنه الإمام، ذكره اسم سائق السيارة، كما أن السيارة كانت مكسورة والبنزين نافداً منها.. فقد نجونا بحمد الله وذهبنا للحج ببركة التوسل بالإمام أرواحنا فداء وقرأة حديث الكساء.

القصة الثانية: شفاء بنت من سرطان الدم

سمعتُ من الخطيب حجّة الإسلام الشيخ حبيب الله فرحزاد من (صوتيّة له)، ينقل هذه الكرامة عن ابن المرحوم آية الله السيد محمد علوي الگرگاني (رحمة الله عليه)، أنّه قال: كنتُ أصلي مكان أبي إماماً في جامع گرگان، وكنتُ أرقى المنبر في كلّ ليلة للموعظة بعد صلاتي المغرب والعشاء، وفي إحدى الليالي أعلنتُ للمصلين عن قراءة حديث الكساء بعد المجلس فمَن لديه الاستعداد بالمشاركة فليتنظر بعد الصّلاة.

وقد تشرّفنا بقراءة المجلس تلك الليلة مع حديث الكساء وحصل تفاعل وبكاء بشكل لافت للنظر، ممّا يظهر أنّه كان تحت نظر أهل البيت عليهم السّلام، وفي الليلة التي بعدها عندما هممت بالدخول إلى الجامع اعترضتني امرأة كان حجابها غير ملائم، وقد وقفت في طريقي وقالت لي: عندي معك مسألة ضروريّة وواجبة جئتُ لأخبرك بها - وهي في حالة من البكاء الشديد - ثمّ قالت: أنا لستُ من أهل الحجاب والصّلاة والمسجد، وفي ليلة البارحة كنتُ قاصدة إلى السوق فشعرت بالتعب فوق نظري على هذا الجامع فقلت في نفسي: أدخل إلى ساحته لأستريح قليلاً، فوجدتُ كرسيّاً فجلستُ عليه، وكان صوت أذان المغرب يقرع مسامعي - وقد رأيتُ قاعة المسجد التي تصليّ فيها لها جاذبيّة - فقلت في نفسي: أتوضأ وأصلي حيث إنّ قلبي مكسور بسبب معاناة ابنتي الشابة من مرض سرطان الدم، حيث إنّ

الأطباء أخبروني بأن لا علاج لها.

وقد سمعتك تُعلن عن قراءة المجلس وحديث الكساء بعد الصلاة، وأنا بدوري اشتركتُ في المجلس وتأثرتُ وبكيتُ كثيراً حيث كان قلبي مكسوراً وتوسلتُ بسيدة نساء العالمين لشفاء ابنتي.

وبعد انتهاء المجلس عدتُ إلى البيت، وابنتي لا تزال بتلك الحالة المرضية، حيث أقوم بالعناية بها بحسب رأي الأطباء، وكنتُ أضع عند رأسها إبريقاً من الماء في كل ليلة قبل النوم لحاجتها لشرب الماء طوال الليل، من أجل أن يساعدها على توليد الدم في بدنها، ولكن في تلك الليلة لم أجدها تقوم لشرب الماء، وفي منتصف الليل استيقظتُ على ندائها وهي تقول: أماء قومي (شيعيهم)!

قلت: مَنْ تقصدين يا ابنتي؟

قالت: ألا ترين السيدة الزهراء، وأبوها رسول الله، وأمير المؤمنين، والحسن والحسين (صلوات الله عليهم).

ثم قالت لي: دخلت عليّ هذه المرأة وقالت لي: أنا فاطمة الزهراء، ثم دخل أبوها رسول الله، وأمير المؤمنين، وابناها الحسن والحسين (عليهم صلوات الله).

فقلت لي: إن أمك هذه الليلة توسلت بي لشفائك وقرأت حديث الكساء، والآن جئتُ لأدعوك، فقومي فقد شفيت وصرت بخيراً!

ثمَّ قالت لي ابنتي: إنَّ العجيب أنَّ السيدة الزهراء جلست أمام نافذة الغرفة، ثمَّ مدَّت يدها خارج الغرفة، ثمَّ أعطتني قدح ماء، وقالت لي: هذا بقيَّة سور ابني الإمام المهدي فاشربه تبركاً، فشربتُ منه، فقالت لي: قد صرتِ جيدةً وقد شافاكِ اللهُ!

ثمَّ قالت لي: قولي لأُمِّك تصلح حجابها وتصلِّي في أوَّل الوقت، ثمَّ ودَّعتني فاستيقظتُ من النوم فناديتكِ قومي شيعيهم!

ثمَّ قالت لي هذه المرأة وهي تجهش بالبكاء: انقلبت حالتي رأساً على عقب. وفي اليوم الثاني كان في نفسي شكٌّ وتساؤل: هل حديث الكساء له هذا الأثر؟ فذهبت للطبيب وشرحتُ له التغيرات التي حدثت لابنتي وقلت: إنَّ العطش زال عنها واستردَّت عافيتها فهي لا تعاني من الضعف، فلمَّا سمع منِّي الطبيب هذا الكلام أمر بإجراء الفحوصات التحليلات، فتبيَّن له أنَّ التحليلات تنفي المرض، فتعجَّب الطبيب وسألني: أليست هذه ابنتك المصابة؟!!

فقلت: نعم!

فقال: ماذا حدث؟!!

فقلت له: بقصَّة توسلي بحديث الكساء وبصاحبته الزهراء عليها السَّلام، والحال أنَّ الطبيب لا يعتقد بحديث الكساء، فلمَّا سمع ذلك ظلَّ يجهش بالبكاء

خلف طاولته بصوت عالٍ!

فلما سمعه سكرتيره الذي يجلس في غرفة أخرى جاء وقال: ماذا حدث يا
دكتور؟!

فقال: هذه المريضة بالسرطان الذي ليس لها علاج سُفيت ببركة حديث الكساء
وصارت سالمة وليس فيها أيُّ أثرٍ من المرض.

القصة الثالث: تضريح هم أم قلقة على أولادها

نقلت لي ابنة أختي عن صديقة لها طبيبة بحرانية مهاجرة إلى أمريكا، ذكرت
قصتها مع حديث الكساء، فنقول: أسكن في مدينة صغيرة في ولاية في الوسط
الغربي من أمريكا، وأعمل كطبيبة عناية مركزة، ويتطلب الأمر أحياناً أثناء المناوبة
أن أعود للمستشفى بعد ساعات العمل في ساعات متأخرة من الليل، وزوجي
لاعب تنس يسافر كثيراً للمشاركة في بطولات في ولايات مختلفة ومدن بعيدة.

نحاول عادة أن نرتب الأوقات بحيث لا تصادف أوقات سفره أيام مناويتي،
وإذا كان ولا بُدَّ من سفره في هذه الأيام أبقى جليسة في البيت للاهتمام بأطفالي
(بنت في التاسعة وولد في السادسة)، وفي إحدى المرات سافر زوجي ليومين،
صادف فيها مناويتي في المستشفى دون أن أنتبه لتاريخ مناويتي.

وكنت مكلفة بالعناية بمريض مسن في نهاية عقده التاسع في ذلك الأسبوع،

حيث توقفت أهم أعضائه الحبوية عن العمل، وكانت الأجهزة بالكاد تبقى حياً، وتكلمت مع ابنه الوحيد عن وضعه، وشرحت له بأنه لا يمكننا فعل المزيد والاستمرار في عمليات الإنعاش في حال توقّف القلب، وسيضيف المزيد من كسر الأضلاع والألم دون جدوى حقيقية، لكنّه رفض أن نوقف عمليات الإنعاش وأصرّ على المتابعة.

وفي الحادية عشرة ليلاً وبعد أن نام أطفالي وبقيت وحيدة، جاء الاتصال الذي كنت أخشاه: دكتورة نحتاجك في المستشفى الآن؛ المريض على وشك توقف قلبه من جديد.

شعرت بالحيرة الشديدة، كيف سأترك أطفالي في هذا الليل؟!؟

يسكن أصدقاءنا بعيداً جداً، وخيار أخذ أطفالي لهم أولاً ثمّ التوجه للمستشفى يعني ألا أصل في الوقت المناسب إطلاقاً، وما زلت أذكر حيرتي تماماً والأطفال نيام وطاقم المستشفى يعاود الاتصال لتأكيد حاجتهم لي.

جلست القرفصاء وتذكرت حديث الكساء، فقرأته بيقين تام وأن الله سيتكفل بأطفالي وسلامتهم في هذه المدينة غير الآمنة، قبلتهم وهم نيام وغادرت متوجهة للمستشفى، وفي الطريق كنتُ أرتجف انفعالاً وخوفاً، فاتصلت بالمستشفى لأطمئن على المريض وتفاجأت بالدكتور «ساور» يجيبني!

أولاً لم يك ثمة أطباء هناك هذه الليلة سوى المدرّبين والدكتور ساور بالذات

استشاري طب تخفيف المعاناة لا يعمل بعد الخامسة عصرًا ولا في أيام نهاية الأسبوع.
وإذا افترضنا وجوده هناك لسبب ما فهو آخر مَنْ سيقوم بالرد على هاتف جناح
المستشفى، فدونه العشرات من المرضى والعاملين ممن ستوكل لهم مهمة كهذه.

- دكتور ساور! ما الذي تفعله في المستشفى في هذا الوقت؟

- أهلاً دكتور، كيف أستطيع أن أساعدك؟

- أريد الاطمئنان على المريض الفلاني أنا في طريقه إليه.

- حقاً؟ أقترح أن تعودى أدراجك للبيت يا عزيزتي لقد تكفلتُ بالأمر، مررتُ
بغرفته والطاقم ينعشه فتكلمتُ مع ابنه مطولاً وشرحتُ له أن ما فعلناه يكفي، وأنه
حان الوقت ليرحل بسلام دون المزيد من الألم فوافق، وتوقفنا عن الإنعاش فرحل
بهدهوء.. وقدّمتُ تعازي ومواساتي لابنه نيابة عنك أيضاً وقد شكركِ جداً!

- يا إلهي! بالله عليك أخبرني ما الذي دفعك للذهاب للمستشفى في هذه

الساعة؟ هل اتصلوا بك؟

- لا إطلاقاً! كنتُ مستعداً للنوم وسأوي إلى فراشي، ثم فجأة خطرت لي فكرة
أحسّ عليّ كثيراً، ماذا لو اشتريت عشاءً للمرضى المناوبين هذه الليلة تعبيراً عن
امتناني، ووجدت نفسي هكذا ودون مناسبة أنهض من فراشي وأعود أدراجي
للمستشفى، فقررت أن أختار رقم غرفة بشكل عشوائي لأختار أن أهدي الطاقم

القائم عليها هذا العشاء، ومن بين مائتي سرير اخترت هذه الغرفة بالذات.
ولكن عندما وصلت، وجدت الطاقم يباشر الإنعاش لهذا الرجل المسكين الذي
أرهقناه بكثرة الإجراءات الطبية، وتحدثت مع ابنه فكان ما كان، وسأتكفل بجميع
الأوراق، أمّا الآن فعودي أدراجك للمنزل، ونامي نوماً هنيئاً!
أقول: تفريج هم هذه الأمّ وعودتها إلى جانب أولادها هو مصداق جلي وتنفيذ
للوعد الذي أعطاه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ الْمُبَارَكِ: «مَا ذُكِرَ
خَبَرْنَا هَذَا... وَفِيهِمْ مَهْمُومٌ إِلَّا وَفَّرَ اللهُ هَمَّهُ».

القصة الرابعة : نجاة أم وجنيها من الموت

روى لي الحاج المهندس (صادق الحسن أبو عادل) في الكويت والذي كان يشغل
منصب رئيس الأجهزة الدقيقة في شركة النفط الكويتية، هذه الكرامة والذي كان
في تفاصيلها، وقد سمعتها أيضاً من صوتيات المرحوم السيد محمد رضا الشيرازي
(رحمه الله تعالى) أيام تواجده في الكويت، وكذلك الخطيب السيد محمد باقر الفالي
(رحمه الله تعالى).

يقول الحاج المهندس: جاءني في أحد الأيام أحد العاملين تحت إدارتي في القسم
وهو (المهندس بدر أبو محمد) وهو مهموم فقلت له: ما الذي أهمك يا أبا محمد؟
فقال: تمرضت زوجتي فأخذتها للمستشفى، وبعد المعاينة والأشعة تبين أن غدة

كبيرة خطيرة نبتت إلى جانب رحمها وهي حامل فأخبر الطبيب بأنه لا بُدَّ من إجراء عملية جراحية لاستئصالها مع العلم أنَّ الجنين لا أمل له بالحياة، وأمَّا الأمُّ فاحتمال موتها ٥٠٪، وهذا سبب همي من هذا الخبر الصادم.

يقول الحاج صادق: فقلت له: لا عليك لا تهتم، عندي قند قد قُرئ عليه حديث الكساء من قبل الخطيب الذي جمع أتعابه لمدة أشهر في هذا الحديث، فخذ وأعطه لزوجتك لعلها تنجو (طبعاً الكلام عن نجاة الأمِّ لأنَّ الطبيب أخبر بحتمية موت الجنين).

ثمَّ قال: وفي اليوم الثاني أخذها للمستشفى على موعد إجراء العملية في الساعة التاسعة، ولما حان الوقت تذكَّر الزوج قضية القند فأعطاه لزوجته قبل ذهابها لغرفة العمليات، فتناولتها على الفور وهي تتوسل بالصديقة الطاهرة فاطمة عليها السلام، فلما وصلت غرفة العمليات أحسَّت بتحسن في صحتها والآلام بدأت في الانخفاض، فتوجَّهت للطبيب وقالت له: أشعر بذهاب الآلام فلو أُجِّلت العملية (طبعاً من طبيعة المريض إذا رأى غرفة العمليات ورأى مبضع الجراحة تأخذه الرهبة)، فنزل الطبيب عند رغبتها فأجلَّ موعد العملية لليوم الثاني، وقبل أن تؤخذ للعملية أُجريت لها الأشعة فإذا بالمفاجئة المفرحة أنَّ الأطباء لم يجدوا أثراً للورم، وقد سُفِّيت بشكل تام ببركة سكر حديث الكساء والتوسل بالزهراء عليها السلام.

ثمَّ ذكر الحاج أبو عادل: أنَّ الأمَّ نجت وشفيت وأنجبت وليدها سالماً وعاش

وأصبح مهندساً في العلوم الكيميائية واسمه (محمد).

وقال المرحوم السيد محمد رضا الشيرازي (رحمه الله): وقد رأيتُ الأب في هذا المسجد - يعني مسجد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله - الذي كان إمام الجماعة آنذاك فيه.

وهذه الكرامة ينقلها الخطيب السيد محمد باقر الفالي بنوع من التفاصيل، وقد كان هو الخطيب الذي قرأ حديث الكساء وأنه تقريباً في سنة ١٤٠٩ هجرية في حسينية السيد محمد في منطقة سلوى في الكويت في الليلة الأخيرة من شهر رمضان، كان في البرنامج هو قراءة حديث الكساء والتوسل بالسيدة الزهراء عليها السلام، وكان أحد الإخوان وهو مهندس في شركة النفط أحضر مجموعة من مكعبات السكر عند المنبر حتى تبرك هذه الحبات بالقراءة وتُعطى للناس للشفاء وطلب الحاجة، وبعد عدة أيام حدثت معجزة عجيبة ببركة هذا الحديث، يقول هذا المهندس: إنَّ عندي صديقاً معي في العمل، وكانت زوجة هذا الصديق في الأشهر الأولى من الحمل، ولكنها أحسَّت بألم شديد في البطن، وبعد أيام تبَيَّن أنَّ هذا الألم بسبب وجود غدة كبيرة صارت إلى جنب الرحم وتحتاج إلى عملية جراحية لإخراج الغدة التي كانت تقدَّر بوزن كيلوغرامين.. وأخبره الطبيب أنَّ العملية تستغرق أربع ساعات.

يقول الزوج: إنَّه بعد أن رجعت إلى البيت اتصلت زوجتي من المستشفى وقالت له: إنني سالمة وتعالَّ خذني إلى البيت، ففوجئت بذلك الخبر وكنتُ

أظنُّ أن زوجتي الآن في غرفة العمليات يجري لها عملية جراحية، وذهبت بسرعة للمستشفى ورأيتُ زوجتي جالسة وتنتظرنِي، ومن شدَّة الفرح نزلت الدموع من عيني وسألتها ماذا حدث؟

قالت لي: إنَّه عندما أعطيتني قطعة السكر أحسست أنَّ الألم قد قلَّ في بطني إلى درجة أنني لم أشعر بعدها بالألم وأدخلوني غرفة العمليات ولكنِّي طلبت من الطبيب أن يجري لي فحصاً (السونار) آخر.

فقال لي الطبيب: لماذا؟

قلت له: لأنني لا أحس بالألم.

قال لي الطبيب: إنَّ حال جميع المرضى هكذا، فعندما يرى المريض غرفة العمليات يقول إنني لا أشعر بالألم، ولكنِّي أصررت عليه فقبل الطبيب، وأجرى لي فحص السونار، وبعد ذلك رأى أنَّ الغدة قد اختفت نهائياً، فتعجَّب الطبيب وقال: حتماً حدثت معجزة.

وبالتالي لا تحتاجين للعملية وأنتِ سالمة، اللهمَّ صلِّ على محمَّد وآل محمَّد، وفعلاً رجعت المرأة إلى البيت وولدت ذكراً سالماً رأيته بعيني بعد مدَّة من الزمن ببركة السيدة الزهراء عليها السَّلام، اللهمَّ صلِّ على محمَّد وآل محمَّد وعجِّل فرجهم وأهلك أعداءهم يا الله.

القصة الخامسة: بعد ٢٤ سنة ترزق بولد

قال الخطيب السيد محمد باقر الفالي (رحمه الله تعالى) في إحدى الصوتيات له: كان عندي مجلس تعزية في جنوب لبنان، ففاجأني يوماً امرأة علوية اسمها (بيامة الموسوي) وزوجها اسمه (إبراهيم فنيش) يسكنون في قرية (عروب)، قالت: صار لي أربعة وعشرون عاماً متزوجة ولم يرزقني الله بذرية وزوجي عاقر، فهل يمكن أن الحسين (عليه السلام) يساعدي؟

فقلت لها: والحسين (عليه السلام) لا يرد أحداً.

ثم قلت لها: أختي سوف نقرأ حديث الكساء ويوزع فيه سكر أو زبيب، فخذني منه حبتين واحدة لك وأخرى لزوجك.

وبالفعل سمعت كلامي وأخذت الحبتين، ثم قامت بنحر جمل ووزعت لحمه على مواكب الحسين (عليه السلام) بإخلاص.

وفي العام التالي ذهبْتُ للبنان، فجاءتني تلك المرأة بولد كفلقة القمر عمره شهرين، فقالت: تذكرني؟ العام الماضي جئت لك وذكرت لك قصتي، فقد رزقني الله هذا الولد، وأريدك الآن أن تؤذّن في أذنه اليمنى وتقيم في اليسرى.

ثم يضيف السيد قائلاً والحديث في نهايته يقول: «ولا طالب حاجة إلا وقضى الله حاجته»، وعلماء النحو يقولون: الاستثناء بعد النفي يفيد العموم.

القصة السادسة: سرقت سيارته وتوسل بحديث الكساء فأرجعها السارق.

حدثني فضيلة السيد أحمد حسين الرضوي المقيم في مشهد المقدسة أنه كان في عام ١٤٢٤ هجرية، ذهبت لزيارة سيد الشهداء (عليه السلام) في أيام الزيارة الأربعينية، والتقيت أنا وأخي فضيلة السيد علي الرضوي مع آية الله السيد مرتضى الشيرازي في مدينة النجف الأشرف، فكان من توصياته أن حث على أهمية التوسل بحديث الكساء للحوائج المستعصية صباحاً ومساءً ويهدىها لأم البنين، فإنَّ أبا الفضل العباس عليه السلام يتدخل سريعاً لقضاء الحاجة، وقد ذكر قصة حدثت معه في كربلاء المقدسة.

يقول: التقيت برجل في صحن أبي الفضل العباس عليه السلام من الخدام، وقال: عندي حاجة فأريد أن تعلمني دعاءً لقضاء حاجتي، فهل أذكرها لكم فقلت له: لا داعي لذكرها - وأنا كنت على عجلة من أمري - وبعد عدة أشهر التقيت معه فقال لي: وينك؟ هل أذكر لك حاجتي الآن أم لا؟ قلت له: الآن نعم.

فقال: أنا خادم بالحرم وراتبي قليل وعندي أطفال لا بُدَّ أن أوصلهم للمدرسة، ولكن ليس عندي سيارة، فطلبت من الإدارة أن يزيدوا راتبي ولكن رُفض طلبي، فاتفقت مع زوجتي أن ندخر جزءاً من الراتب ونجمعه لشراء سيارة ونضغط على أنفسنا وأولادنا، وبعد سنتين أو ثلاث اشترينا السيارة وكنت فرحاً بها، ولكنَّ الفرحة لم تدم أكثر من أسبوع حيث سُرقت السيارة من باب البيت، وعند التقائي

بك كانت هذه حاجتي، وقد عملت بوصيتك لي فداومت على قراءة حديث الكساء صباحاً ومساءً لمدة... فلم تظل المدة حتى جاء شخص في يوم وطرق الباب وقدم لي مفاتيح سيارتي المسروقة فلما رأيت السيارة فرحت (وانخبت) إلى درجة أنني ما سألته من أنت؟!!

ثم استدرك السيد أحمد الرضوي وقال: كانت عندي حاجة متوقفة في تلك الأيام نفسها وأنا في العراق، فواظبت على قراءة الحديث المبارك في الأيام التي كنت في حرم أبي الفضل وقرأت الحديث وأهديته لأم البنين (عليها السلام) وقُضيت حاجتي والحمد لله، بفضل الحديث وأم البنين وأبي الفضل العباس عليهما السلام.

القصة السابعة: شفاء شاب مسيحي (نصراني) من سرطان الدم

ينقل أحد رجال الدين الأفاضل الذي يقوم بالتبليغ في أمريكا، حيث يعمل بحسنية الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في ولاية واشنطن الأمريكية، التي تم تأسيسها بتوجيه من قبل المرجع الراحل آية الله العظمى الحاج السيد محمد الشيرازي (رحمة الله عليه)، وكان من عادة الحسينية إقامة مجالس العزاء على الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) في العشرة الفاطمية، وكذا إقامة مجالس الدعاء والتوسل وقراءة حديث الكساء.

ينقل رجل الدين هذا - الذي كان يعمل من قبل كريمة المرجع الشيرازي (رحمة

الله عليه) - قائلاً: (ذات يوم كنت في أحد شوارع واشنطن أنتظر الإشارة الضوئية للمرور، وإذا بي بامرأة - بلا حجاب - تبكي بشدة جاءت إلى جهة سيارتي وقالت: أيها الشيخ! هل أنت إيراني؟

فأجبتها: نعم.

فقلت: أطلب منك الدعاء لابني الشاب ذي التسع عشرة سنة يرقد في المستشفى وهو مبتلى بسرطان الدم، وحالته الصحية حرجة جداً.

فتوجهت للمرأة قائلاً: تفضلي ليلة الجمعة بالاشتراك في مجلس حديث الكساء في حسينية الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله لتقضى حاجتك ببركة التوسل بالصديقة الكبرى فاطمة الزهراء (سلام الله عليها).

فما كان من تلك المرأة إلا أن جاءت ليلة الجمعة إلى الحسينية ودعت، ثم أعطيتها مقداراً من السكر (القند) الذي جرت العادة أن يقسم على الحاضرين للتبرك، وكذا أعطيتها مقداراً من حلوى الزردة وقلت لها: أعطي مقداراً منها إلى ابنك المصاب بالسرطان.

فأجابتنني: ابني لا يستطيع أن يأكل أي شيء.. فطلبت منها بأن تضع مقداراً لو بسيطاً جداً في فمه.. وبعد يومين رأيت المرأة -الباكية- قد أتت ثانية في الحسينية، فظننت للوهلة الأولى بأن ابنها الشاب قد توفي، فأردت تعزيتها وتسليتها.. ولكنها توجهت إليّ وسلّمت ثم قالت: أيها الشيخ، بعد أن وضعت مقداراً من حلوى

الزردة في فم ابني فتح عينيه وبدأت حالته بالتحسن رويداً رويداً.. فلماً لاحظ الأطباء تحسُّن حالته اجتمعوا لتحليل وتقييم حالته الصحيَّة، ثمَّ قرروا أنَّ نبيَّ الله المسيح عليه السَّلام قد شافاه، وأخبروني بذلك، لكنِّي أجبتهم بأنني على يقين بأنَّ شفاؤه من الإمام الحسين عليه السَّلام والصديقة الكبرى فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) وبركات حديث الكساء.

وبعد ذلك، كانت تلك المرأة تحضر وتشارك في مجالس حديث الكساء بالحجاب الإسلامي الكامل، وتخبّر الحاضرين بقصة حياتها وشفاء ابنها وتقول: كنت قبل عشرين عاماً مسيحية (نصرانية)، وكنت في إيران أثناء حملي، وهناك توفي زوجي، وبعد ذلك جئت إلى أمريكا، ولما كنتُ في إيران لم أتأثر بأية دعوة، أو تبليغ من علماء الدِّين الكبار حتى أصبح مسلمةً، ولكن اليوم ببركة الإمام الحسين عليه السَّلام وأمه الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) وحديث الكساء أصبحت مسلمة.

وكانت دائماً تُكرر هذه الجملة: إنَّ حديث الكساء، والصديقة الكبرى (سلام الله عليها) هما اللذان هدياني إلى الإسلام^(١).

(١) حديث كساء وآثار شگفت (حديث الكساء والآثار العجيبة): ٧١-٧٢.

القصة الثامنة: حديث الكساء وشفاء مريض مصاب بالسرطان

ينقل أحد الخطباء المعروفين المشتغلين بتبليغ الدين الإسلامي الحنيف في أمريكا، وبريطانيا، والكويت، والبحرين، وغيرها من البلدان، وكذا بين المدن المختلفة في إيران، قائلاً: لما كنتُ أرتقي المنبر الحسيني في الكويت، جاءني أحد الأصدقاء لتوديعي وقالي: (إنَّ لي أحياناً يعيش في بريطانيا وتمَّ إخباري بأنَّه أصيب بالسرطان، وأنَّه يرقد في المستشفى في حالة سيئة).

وكان لديه عزم على السفر إلى هناك لعيادته ورؤيته، فقلتُ له: انتظر قليلاً حتى ينتهي المجلس، وبعد المجلس أعطيتُه مقداراً من السكر (القند) الذي يوزع في مجلس حديث الكساء وتربة الإمام الحسين عليه السلام، وقلتُ له: أعطها إلى أخيك ليتناولها، ثمَّ ودَّعني وذهب.

وبعد مدَّة من الزمان عاد هذا الصديق من بريطانيا، ومباشرةً جاء لي وقال: بمجرد أن أعطيتُ السكر (القند) وتربة الإمام الحسين عليه السلام لأخي تحسَّنت حالته، وبعدها طلبتُ من الأطباء أن يأخذوا له فحصاً آخر مجدداً، لكنَّهم رفضوا قائلين: وضعه الصحي لا يساعد على أخذ فحص آخر له، ولكنَّهم وتحت إصراري على ذلك، أجروا لأخي فحصاً جديداً، وكانت النتيجة التي أثارَت دهشتهم، أنَّ مرض السرطان قد شُفي تماماً.

والخلاصة: إنَّ أخي قد شُفي من مرض السرطان ببركة قراءة حديث الكساء،

وتناول تربة الإمام الحسين عليه السلام^(١).

القصة التاسعة: شفاء حفيد السيد إبراهيم الميلاني

أصيب السيد أحمد - وهو حفيد السيد إبراهيم الميلاني - بمرض عضال في تبريز، وفي هذه المدة رأت كريمة أحد مراجع التقليد أباهما في المنام قائلاً لها: إن السيد أحمد مريض، وغداً ليلاً (الثالث من جمادى الثانية)، ليلة شهادة الصديقة الكبرى فاطمة (صلوات الله عليها) وليلة قراءة حديث الكساء، فاجتمعوا غداً في غرفتي الخاصة بشكل حلقة وقرأوا حديث الكساء لشفائه.

وامثلت العائلة تلك الليلة، واجتمعوا في حجرته الخاصة حسب ما طلب منهم وقرأوا حديث الكساء.. فما كان إلا أن تحسنت حالة السيد أحمد ببركة التوسل بالصديقة الكبرى فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) وقراءة حديث الكساء^(٢).

القصة العاشرة: شفاء فتاة أرمنية ببركة حديث الكساء

يروى آية الله الحاج الشيخ محمد حسن البهاري ابن المرحوم آية الله الحاج الشيخ محمد باقر البهاري الهمداني: أنه أثناء عبوري شارع الخيام في طهران لاحظ إقامة مجلس عزاء في حسينية مدرسة سيد ناصر الدين، فدخلت للمشاركة فيه،

(١) حديث كساء وآثار شگفت (حديث الكساء والآثار العجيبة): ٧٣-٧٤.

(٢) حديث كساء وآثار شگفت: ٧٥.

فشاهدت الواعظ منهمكاً في الوعظ من على المنبر وبيده كتاب وبدأ يسرد هذه القصة للمستمعين: أنه في أحد أيام شهر محرم الحرام كنتُ أسير في شارع إسماعيل البزار حيث منزلنا ممتطياً جوادِي، فشاهدتُ امرأةً محجبةً تظل من شباك من أعلى أحد المنازل وتناديني، فتوقفتُ لأعرف ماذا تريد، فقالت: يا سيدي إنَّ أهل هذا المنزل من الديانة المسيحية وأنا مسلمة، وأعمل خادمة عندهم، ولكن لا أتناول طعامهم، وابنة العائلة مريضة جداً ورغم المحاولات الكثيرة من الأطباء لعلاجها إلا أن جميع محاولاتهم باءت بالفشل حتى دبَّ اليأس في نفوس أبويها، وشارفت الطفلة على الموت، فقلت لوالدي الطفلة: إنكما بذلتما كلَّ جهدكما لعلاج ابنتكما دون فائدة، وإننا نحن المسلمين عندنا أدعية مجربة ومنها دعاء حديث الكساء الذي إذا قرئ على أي مريض يُشفى بإذن الله تعالى.

فقالوا: إذا تفضَّل أحد بقراءة ذلك الدعاء على ابنتنا وشُفيت فإننا سوف لن نتردد في إعلان إسلامنا، لذلك كنتُ أنظر من النافذة لعلِّي أشاهد مَنْ يقوم بهذه المهمة حتى رأيتك؛ لذا أطلب منك المساعدة.

فقلتُ لها: يا سيدي أخشى ألا يمهلها القدر لتعيش أكثر من ذلك، إضافة إلى ذلك أنني غير مطمئن من تأثير أنفاسي عليها.

حزنت السيدة وقالت: أيها الشيخ إذا لم تلبَّ لي طلبي فإنني سوف أشكوك عند جدتي (فاطمة الزهراء) عليها السَّلام يوم القيامة.. وما إن سمعتُ منها تلك

الكلمات حتى انتابنتي قشعريرة وخوف شديد، فقلت لها: ليس لدي مانع من تلبية طلبك، ولكن أحضري بعض الجيران المسلمين ليشاركونا تلك المراسم، وذهبت السيدة، ودعت بعض الجيران، وبدأت بقراءة حديث الكساء بحضورهم وفي النهاية دعوت الله عزَّ وجلَّ أن يمنَّ على تلك الطفلة بالشفاء.

ثمَّ غادرتُ المنزل لأداء أعمالي الكثيرة التي استغرقت وقتاً وجهداً كبيرين، وعدت إلى المنزل في ساعة متأخرة من الليل، وأنا في حالة شديدة من الإعياء فاستسلمت للنوم، وفي صباح اليوم التالي خرجتُ من المنزل، وسلكتُ الطريق نفسها دون أن يكون في خاطري ما جرى بالأمس، وفجأة وقع ناظري على الشباك نفسه والسيدة نفسها تطلُّ، فانتابنتي حالة غريبة كدتُ أن أفقد وعيي وتسمَّرت في مكاني وأنا في تلك الحالة، وإذا بالسيدة أقدمت عليَّ مهرولة وهي تبكي والدموع تنهمر من عينيها، فقالت: تفضل يا سيدي الشيخ لترى بأُمَّ عينك كيف استجاب الله دعاءنا وحفظ ماء وجهنا، فمنَّ على تلك الطفلة بالعافية، وإنَّها من ساعة ما فرغت من قراءة حديث الكساء عليها، ودعوت لها بالعافية، غادرت الفراش، وتردد باستمرار اسم (فاطمة) - (فاطمة).

فأسرعتُ الخطى صاعداً السلام، ودخلتُ المنزل، فشاهدتُ تلك الطفلة المحتضرة بالأمس جالسة وتردد (فاطمة، فاطمة)، وبعض الكلمات باللغة الأرمنية التي لم أفهم معناها، وهي في صحة جيدة والناس يترددون على منزلها جماعات،

جماعات مذهولين من تلك الواقعة، سألت والدي الطفلة عما تقوله باللغة الأرمنية، فقالا: إنَّها تقول: بالأمس بينما كنتُ راقدة دون حراك وأعاني من الآلام المبرحة في أطرافي، وإذ بسيدة جلييلة محجبة يشعُّ النور من محياها دخلت حجرتي وسألني عن أحوالي فقلتُ لها: يا سيدي إنني أعاني من آلام مبرحة في جميع أنحاء جسدي حتى أنني عاجزة عن الحركة، فقالت لي: انهضي من السرير، قلت لها: إنني عاجزة عن ذلك رغم أنني راجعت الكثير من الأطباء والأخصائيين، فأمعنت النظر إليَّ فلاحظت أنني لم أعد أحس بالآلام في جسدي، سألتها عن اسمها، فقالت: (فاطمة)، ولكي لا أنسى اسمها قمت بتكرار الاسم المبارك.

وأصبحت هذه القضية حديث الساعة في المجتمع فتناقلتها الألسن، وبفضل الزهراء عليها السلام وببركاتهما دخل عدد كبير من الأرمن ومن جملتهم أفراد أسرة تلك الطفلة إلى دين الإسلام الحنيف^(١).

أقول: هذه الكرامة مصداق لما جاء في الحديث المبارك «ما ذكر خبرنا في محفل من محافل أهل الأرض وفيه جمع من شيعتنا ومحبينا.. إلا وقضى الله حاجته». حيث يُشعر الحديث أنه يمكن لغير الشيعي أن يستفيد من بركات حديث الكساء بشرط تواجد الشيعة في ذلك المجلس.

(١) حديث كساء وآثار شگفت (حديث الكساء والآثار العجيبة): ٧٥-٧٨.

القصة الحادية عشرة: رزقوا أبناء ذكوراً ببركة قراءة الحديث المبارك

نقلت إحدى المؤمنات العلويات إلى المؤلف^(١) قائلة: إنَّ إحدى العوائل المتدينة والثرية في أصفهان المعروفة باسم (...) لم يرزقوا بابن ذكر رغم محاولاتهم العديدة عبر مراجعة الأطباء والمختصين واستعمال العلاجات المختلفة.

وعند ذلك عزموا على إقامة مجالس قراءة حديث الكساء في منزلهم لمدة خمسة أيام تبركاً بأسماء الخمسة الطيبة أصحاب الكساء متوسلين بالصديقة الكبرى فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) لعلَّ الله يرزقهم بابن ذكر.

وقد حصلت للعائلة على وعد من المرحوم آية الله السيد مرتضى الموحد الأبطحي أن يقرأ لهم حديث الكساء بتلك الحالات المعنوية وأنفاسه الطيبة.

والحمد لله ببركة التوسل بالصديقة الكبرى فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) وقراءة حديث الكساء وعناية أهل البيت عليهم السَّلام رزقهم الله أولاداً ذكوراً قد بلغوا درجات من الكمال^(٢).

(١) حديث كساء وآثار شگفت (حديث الكساء والآثار العجيبة): ٧٩، مؤلف هذا الكتاب المقول منه هذه الكرامات سيد علي الموحد الأبطحي.

(٢) حديث كساء وآثار شگفت (حديث الكساء والآثار العجيبة): ٧٩.

القصة الثانية عشرة: أصبح من أهل المسجد والصلاة ببركة قراءة

حديث الكساء

المؤلف يروي هذه القصة: في يوم من الأيام كنتُ في طرف الشارع أنتظر سيارة أجرة وإذا بي بسيد طهراني محترم أصرَّ عليَّ إصراراً شديداً وبكلِّ محبة أن أركب سيارته ليوصلني إلى مقصدي.. وبينما نحن في الطريق أخبرني أنهم يقيمون مجلس حديث الكساء أسبوعياً ليالي الجمع، وقد دعاني للمشاركة عندهم.

في أحد الأسابيع وفَّقتُ للحضور في مجلسهم، وكان المجلس موفقاً، فقلتُ للسيد صاحب المجلس: أنتم تقيمون مجلساً بهذه الروحية وهذه الأجواء كلَّ أسبوع، فهل تروي لي حدثاً أو قصة عجيبة وقعت من بركات قراءة حديث الكساء، حيث إنِّي مشتغل بتأليف كتاب عن روائع قصص حديث الكساء، وبعد إصرارٍ شديدٍ مني، طلب صاحب المجلس من أحد الحاضرين أن يروي لي قصته، فجاء الرجل إلى جانبي وقال لي: كنتُ سائقاً وسيماً وكان أصدقائي من مدمني المخدرات والأعمال السيئة، وكانوا كلِّما رأوني دعوني إلى أوساطهم بإصرارٍ كبير، وفي ذلك الوقت لم أكن بأيِّ وجه من الوجوه من أهل الصلاة ولا من أهل المساجد ولا الأعمال الخيرية.. حتى حدثت بعض الأمور التي بسببها توفَّقت للحضور في هذا المجلس المبارك، وبعدها حدثت لي حالات عجيبة بسببها تركت كلَّ الأمور المخالفة وصرت من أهل المسجد والصلاة والصيام.

وكانت الحكاية: أنَّ تلك الليلة - أعني الليلة الأولى لمجلس حديث الكساء - رأت زوجتي في عالم الرؤيا أنني كنتُ في مجلس كان أصحاب الكساء الخمسة (سلام الله عليهم) حاضرين وقد نادوني إلى جانبهم ووضعوا طرفاً من كسائهم على رأسي.. وبعد هذه الرؤية المشتملة على عناية أهل البيت (سلام الله عليهم) بي قررت أن أترك جميع أصدقائي السابقين وأن أصبح مسلماً حقيقياً.. والآن كلُّما ألتُّ بي أيُّ مشكلة، أو ضيق أحضر في مجلس حديث الكساء فيرتفع عني كلُّ همٍّ وضيق.

وتأييداً لكلام هذا الرجل قال السيد صاحب المجلس: إنَّ زوجة هذا الرجل وأمه اتصلوا بي ذات مرَّة هاتفياً وقالوا: إنَّ فلاناً تغيَّر مرَّة واحدة وأصبح يعطي للصلاة والمسجد أهمية بالغة^(١).

القصة الثالثة عشرة: رزقوا بالذرية ببركة قراءة حديث الكساء

يقيم أحدٌ وجهاء أصفهان مجلساً كبيراً سنوياً في العشرة الفاطمية الأولى في داره، وفي أحد الأعوام كان الخطيب من خارج أصفهان.. وكان يدعو ويحثُّ الحاضرين بكلِّ تأكيد بأن يحضروا الليلة الأخيرة والمشاركة في قراءة حديث الكساء والتوسل بالصديقة الكبرى فاطمة الزهراء (سلام الله عليها).

(١) حديث كساء وآثار شگفت (حديث الكساء والآثار العجيبة): ٧٩-٨١.

وفي تلك الليلة التي يقدم فيها السكر (القند) المقروء عليه حديث الكساء للحاضرين للتبرك.

كان هناك رجل وزوجته ممن كانوا يخدمون في ذلك المجلس لم يكونوا قد رزقوا بطفل رغم مرور أعوام.. وبنية الحصول على الذرية تناولوا السكر (القند).

وفي تلك الليلة رأى الرجل في عالم الرؤية أن طفلاً وُضع في أحضانه.. وبركة التوسل بالصديقة الكبرى فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) وقراءة حديث الكساء رزقهم الله ابناً ذكراً حيث يبلغ من العمر (عام ٢٠١١) حدوداً ٢١ سنة^(١).

القصة الرابعة عشرة: العودة إلى الحياة ثانية بواسطة التوسل بحديث الكساء

يروي السيد أمير حسين البانكي وهو أستاذ في قسم المعارف (الاعتقادات) في جامعة أصفهان قائلاً: (في عام ١٩٩٢ كنتُ وبمعية مجموعة من الأصدقاء وطلاب الجامعات نقوم بفعاليات ثقافية وقرآنية في مركز (عترت) الثقافي الواقع في مسجد يزدآباد في أصفهان.. في تلك الفترة كان المجاورون للمسجد مخالفين لإقامة مثل هذه الفعاليات، بل وكانوا يظهرون ذلك لطلاب الجامعات القائمين عليها.

وفي أحد أيام الجمعة عند الساعة الواحدة ظهراً كان لدينا اجتماع في المسجد،

(١) حديث كساء وآثار شگفت (حديث الكساء والآثار العجيبة): ٨٢-٨٣.

وفجأة سمعنا أصواتاً عالية من البكاء والعيول من أحد البيوت المجاورة للمسجد، فخرجنا جميعاً إلى الشارع ورأينا تلك العائلة في حالة اضطراب شديد، ورأينا الناس يتحدثون أن شابة للتو قد تزوجت قد فارقت الحياة.

وكان من ضمننا الدكتور السيد ناصر الدين المصطفوي وهو أخ لشهيدين، وكان في حينها طالباً في السنة الأخيرة في الطب (وهو حين كتبت هذه القصة - أي عام ٢٠٠٥م - كان يدرس دراسات عليا في تخصص طب الأطفال في جامعة شيراز)، فما كان منه إلا أن بادر لفحص الشابة ومعاينتها وأمر بالاتصال مباشرة بالإسعاف. ويبدو أن هذه الفتاة كان عليها أن تتناول دواءها في وقت معين ولكنها بسبب تأخرها تعرضت إلى هذه الحالة، وأمّا العائلة المصدومة فما كانت تستطيع أن تفعل شيئاً، فقام بعض الأصدقاء بالاتصال بالإسعاف.

فلما جاءت سيارة الإسعاف ذهب الدكتور السيد ناصر الدين المصطفوي برفقة المريضة وأحد أقربائها إلى المستشفى، وكنّت - أمير حسين البانكي - متأثراً كثيراً بهذه الحادثة، فما كان منّي إلا أن تذكرت ما سمعته من الشيخ معمار منتظرين حول آثار قراءة حديث الكساء، فطلبتُ من عائلة هذه الفتاة أن يأتوا إلى المسجد لنقرأ حديث الكساء لشفائها مع الشبان الحاضرين هناك.

فدخلنا المسجد وقرأنا جميعاً حديث الكساء، وكان بكاء تلك العائلة له تأثير بالغ علينا جميعاً، بحيث يمكنني أن أقول وبلا مبالغة: إنّه أعظم مجلس حديث

كساء حضرته.

بعد دقائق معدودة من قراءة حديث الكساء والتوسل بالصديقة الكبرى فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) وصلنا اتصال من المستشفى يخبرنا بتحسُّن حالة تلك الفتاة، وفي اليوم التالي تحسَّن وضع الفتاة وأخرجت من قسم الطوارئ إلى القسم العام، وبعد عدَّة أيام تمَّ ترخيصها من المستشفى.

أمَّا الدكتور السيد ناصر الدين المصطفوي فيُحدِّثنا عن حالة المريضة منذ أن عاينها إلى أن تحسَّنت أحوالها قائلاً: لما عاينت المريضة وجدتُ تنفسها وكذا ضربات قلبها مضطرباً، ولهذا السبب طلبت سيارة الإسعاف، وطوال الطريق كان نبضها متوقفاً ولا تتنفس، فلما وصلنا المستشفى رفض قسم الطوارئ إدخال المريضة لكونها ميتة.

فقمْتُ بتعريف نفسي للأطباء والمرضى: أنا دكتور ومسؤولة هذه المريضة على عهدتي، فسمحوا لنا بالدخول إلى قسم الطوارئ وبدأنا بالإسعاف والتنفس الاصطناعي وإحياء القلب، والله الحمد كان ذلك مؤثراً وعاد نبض الفتاة وتنفسها. وجدير بالذكر أنه بعد هذه الحادثة من تأثير قراءة حديث الكساء والتوسل بالصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) ودور أعضاء ذلك المركز الثقافي في هذه القضية، تغيَّر رأي أهل المحلة بالنسبة إلى الأمور الدنيَّة والثقافيَّة وفعاليات الطلاب الجامعيين في المسجد، كما أنَّ حجاب تلك العائلة تحسَّن كثيراً،

وكذا أمورهم الظاهرية الأخرى^(١).

القصة الخامسة عشرة: عناية أهل البيت عليهم السلام بمجلس حديث الكساء

يذكر الدكتور نوري المطلق بخصوص آثار وبركات حديث الكساء في حياته: (منذ أربعة أعوام (الحديث كان عام ٢٠٠٥م) بدأنا مجلساً لقراءة حديث الكساء في منزلنا ليلة المنتصف من كل شهر، وكان سبب اختيارنا ليلية النصف أن الدنيا (رحمة الله عليه) وهو أحد فضلاء الحوزة العلمية، كانت له عناية خاصة بإحياء مناسبات أهل البيت (صلوات الله وسلامه عليهم) لا سيما الذكرى المباركة لولادة بقیة الله الأعظم الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) في ليلة النصف من شعبان، حيث كان يقيم حفلاً كبيراً بتلك المناسبة.. ونحن وبعد رحيله عن هذه الدنيا واصلنا إقامة ذلك البرنامج وقراءة حديث الكساء في ليالي النصف من كل شهر.. ومنذ ذلك الحين حتى الآن لم نتوقف عن إقامة المجلس حتى مع الظروف المختلفة، مع ما كانت تمر علينا في بعض الأحيان أوضاع مالية صعبة كنا نضطر للاستدانة لإقامة المجلس، ولكننا لم نجد أي صعوبة في أداء ذلك الدين، بل ببركة هذا المجلس كان أداؤها سهلاً يسيراً، وجدير بالذكر أننا كنا نسعى أن نقدم وجبة عشاء مختصرة على الحاضرين المشاركين في هذا المجلس.

(١) حديث كساء وآثار شگفت (حديث الكساء والآثار العجيبة): ٩٥-٩٧.

وخلال هذه الأعوام الأربعة مررنا مرات بمشكلات كبيرة لا يمكن أن نُحلَّ بالطرق العادية لنا وللحاضرين في هذا المجلس.. وما إن يقترب موعد إقامة المجلس إلّا ونُحلُّ تلك المشكلات.. ونحن نعتقد في قرارة أنفسنا أن ذلك راجع إلى عناية أهل البيت (صلوات الله وسلامه عليهم) بمجلس حديث الكساء.

أمّا بشكل خاص ففي مجال آثار وبركات حديث الكساء الشريف فقبل عامين (عام ٢٠٠٣م) لما أردنا إقامة المجلس لشهر ذي القعدة، دعونا مجموعة من الأصدقاء والجيران والأقارب، ولكنّ الجميع تعذر لسبب من الأسباب، فأقيم المجلس بشكل غريب وموحش بعدد قليل جداً من الحاضرين.. هذا الأمر ألمني كثيراً وأثر في قلبي، فطلبتُ من الله عزَّ وجلَّ، ومن أهل بيت العصمة والطهارة (صلوات الله عليهم) وخاصة سيدتنا ومولانا فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) أن تكون لهم عناية خاصّة بهذا المجلس، بحيث تسعد بذلك قلوبنا، في ذلك المجلس طلب الجميع من الله جلَّ جلاله التوفيق لزيارة كربلاء المقدّسة.

فما إن انقضى ذلك الشهر ودخلنا الشهر التالي (ذي الحجة عام ٢٠٠٣م) كان جميع الذين شاركوا في مجلس الشهر المنقضي من كبار السن والشبان والأطفال من الذكور والإناث في كربلاء دون أيّ تنسيق مسبق مع بعضهم البعض.. رغم تلك الأوضاع الحرجة في العراق في ذلك الوقت، وأنّ هذا لا يكون إلّا عبر عناية أهل بيت العصمة والطهارة (صلوات الله عليهم أجمعين).

ويجدر بالذكر أيضاً أنه في تلك الأيام كانت الأوضاع الأمنية في سامراء سيئة جداً ولا يُسمح لأحد بزيارة الإمامين الهادي والعسكري (صلوات الله عليهما)، حتى أننا وصلنا في مرّة من المرات إلى مسافة قريبة تعدُّ بالكيلومترات البسيطة لكنهم أرجعونا ولم نصل إلى المرقد الشريف.

كنّا ما زلنا في كربلاء، وفي ليلة النصف من شهر ذي الحجة تلك الليلة التي تصادف ذكرى ميلاد الإمام الهادي (صلوات الله عليه)، قمنا بقراءة حديث الكساء مع أولئك الجمع بين حرمي الإمام الحسين وأخيه أبي الفضل العباس عليهما السّلام، رغم تلك الأوضاع والفوضى المانعة لإقامة مثل هذا العمل، وطلبنا من الإمام الهادي (صلوات الله عليه) التوفيق لزيارته.

فلما أصبح صباح اليوم التالي يوم الخامس عشر من ذي الحجة يوم ولادة الإمام الهادي (صلوات الله عليه) وتحركنا بحمد الله مع أولئك الجمع إلى سامراء على ظهر قافلة، وتوقفنا لزيارة الإمام الهادي والإمام العسكري عليهما السّلام، وكنّا مساءً في كربلاء.

بعد هذا الأمر رجع الجميع إلى إيران، لكنّي وعائلتي بقينا في العراق وحظينا بتوفيق الكون في عيد الغدير الأغر في النجف الأشرف، وبعد ذلك عدنا إلى إيران. بعد هذه العناية الخاصة أصبح للأصدقاء والأقرباء والجيران توجه خاص للمشاركة في هذا المجلس، وكلُّ أملي أن تصبح مجالس أهل البيت عليهم السّلام

يوماً بعد يوم أجل وأعظم، وأن نوفق جميعاً لاتباع طريق أولئك العظماء^(١).

القصة السادسة عشر: حل مشكلة مائية بواسطة قراءة حديث الكساء

قال المؤلف أعطيتُ النسخة الأولى من كتابي (حديث الكساء وآثاره العجيبة) إلى أحد فضلاء الحوزة العلمية في قم المقدسة لكي يعطيني رأيه فيما يرتبط بالكتاب، فتقبل ذلك، بعد مرور أسبوعين لما اجتمعت معه نقل لي حادثة حدثت له خلال هذه المدة قائلاً: (أنا وبالالتفات إلى رأي بعض الأساتذة فيما يرتبط بسند ومتن حديث الكساء لم يكن لي اعتقاد به، وكذلك فيما يرتبط بآثار حديث الكساء لم أكن قد رأيت شيئاً، هذا كله مع اعتقادي بأصل الواقعة وذلك من خلال الأحاديث المرتبطة بآية التطهير.

وسابقاً حضرت عدّة مرات مجالس لقراءة حديث الكساء، ولكن لم يكن لي اعتقاد كثير بها.

خلال هذه المدة التي كنت منشغلاً بقراءة كتاب (حديث الكساء وآثاره العجيبة) وكنت أسجل ملاحظاتي حول محتوى الكتاب، وخاصة لما وصلتُ إلى القسم المرتبط بالآثار العجيبة لحديث الكساء، فتأثرت كثيراً وتذكرت مشكلة قد ألمت بي لعدّة أشهر، فقررت أن أقرأ حديث الكساء بأمل أن ترتفع هذه المشكلة.

(١) حديث كساء وآثار شگفت (حديث الكساء والآثار العجيبة): ١٠١-١٠٣.

أمّا تفاصيل هذه المشكلة أنّني قد اقترضت قرضاً كبيراً ذا مدّة قصيرة، وقد واجهت مشكلة كبيرة في أداء الأقساط الأربعة الأخيرة (والمبلغ كان في حدود ستة ملايين تومان)، حتى أنّي قررت أن أرهن بيتي الذي أسكنه كي أستطيع أن أسدد الأقساط المتأخّرة، ولا تشملني غرامة التأخير في التسديد، وكنت في الشهر السادس (شهر يور) لعام ٢٠٠٥ م أمل وصول مبلغ لي، لكنّ شيئاً من ذلك لم يحدث، وكنت خلال تلك المدّة قد وضعت منزلي للإيجار عند عدّة محلات عقارات، ومن ذلك الحين إلى الآن مضى ثلاثة إلى أربعة أشهر ولم أجد أيّ مستأجر.

ولمّا بدأت بقراءة كتاب (حديث الكساء وآثاره العجيبة) قررتُ أن أتوسل بالصدّيقة الكبرى فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) عبر قراءة حديث الكساء، ومن هنا كنت أقرأ حديث الكساء كلّ ليلة، ومن جهة أخرى طلب مني أحد الأصدقاء أنّه في حين مراجعتي لمكاتب العقارات أن أعطي المكاتب بيانات بيته كذلك لعلّهم يجدون له مسترياً، وقد فعلت ذلك.

وحقيقة الأمر أنّني قد وضعت منزلي للإيجار عند عدّة مكاتب عقاريّة فما كنت أتابع الأمر.

في ليلة ميلاد الإمام الرضا (صلوات الله عليه) وقع نظري على مكتب للعقارات بالقرب من منزلي للتوّ قد افتتح، فقلّتُ في نفسي: دعني أذهب وأعطي صاحب هذا المكتب بيانات بيت صاحبي، وفعلاً دخلت المكتب وأعطيت صاحب المكتب

بيانات منزل صاحبي، ولم يكن في حسابي أن أعطي بيانات منزلي إلى هذا المكتب.. وفي هذه الأثناء دخل شخص إلى المحل وكان يبحث عن منزل للإيجار..

فأجابه صاحب المكتب - الذي كان للتو قد بدأ عمله - قائلاً لدي بيت للبيع أمّا للإيجار فحالياً لا يوجد عندي شيء.. عند ذلك تذكرت أنني أبحث عن مستأجر لبيتي، فقلت للرجل: أنا عندي منزل للإيجار.. فسأل عن القيمة.. فقلت: ٦ إلى ٧ ملايين مبلغ بعنوان قرض حسن ومبلغ بعنوان الإيجار، فطلب مني عنوان المنزل، فأشرت إليه لمنزل قريب من المكان، فسألني: متى أستطيع أن أرى المنزل؟ فقلت: في أي وقت تشاء، فقال لي: هل يمكنني الآن فأجبت، وذهبنا معنا إلى البيت، واطلع عليه، وسألني: هل أستطيع أن أذهب وأرجع بالعائلة ليروا البيت؟ فقلت: لا مشكلة لدي.

ذهب في لحظتها وجاء مع عائلته بعد نصف ساعة، وشاهدوا المنزل وأعجبهم وقرروا أن يستأجروا المنزل.

وجدير بالذكر أن هذا المستأجر الذي كان ينوي الزواج في أيام عيد النوزور عام ٢٠٠٦م، كان قد بحث كثيراً عن مكان للإيجار وواجه مشكلات كثيرة، فطلب مني أن نسجل عقد الإيجار في تلك اللحظة، فقلت له: حسناً دعه للغد حتى أعدّ وثيقة الإيجار، فقال لي: أنا أفضل الآن أن تُجري عقد الإيجار، لأنّه حدث لي سابقاً أن العقد أُجل إلى اليوم التالي وتعثر الاتفاق ولم يتم، اضطرت للبحث ثانية،

وعلى أيّ حال بعد إصرار الرجل تمّ عقد الإيجار تلك الليلة.. كنت في حالة كتابة العقد وإذا بالمستأجر قد وضع أمامي شيكاً ببلغ ستة ملايين تومان وأمضى العقد، فلما ذهب قلت لزوجتي: هذه عيدية من الإمام الرضا عليه السّلام وأهل البيت (صلوات الله عليهم)، في اليوم التالي ذهبت بالأموال إلى البنك وسوّيت المسألة.

وأنا أعتقد باتفاق حدوث هذه الواقعة في ليلة ميلاد الإمام الرضا (صلوات الله عليه) بأنّ أحصل على مستأجر لبيتي بعد ثلاثة إلى أربعة أشهر وإتمام عقد الإيجار خلال نصف ساعة، إنّ ذلك علامة على قضاء الحوائج من قراءة حديث الكساء.

وملاحظة أخرى هي أنّني خلال هذه الأيام كنت أراجع ديوان شعر باسم (كنز النور)، والديوان حول مدح ومناقب ومراثي أصحاب الكساء الخمسة، وكنت قد أتممت القسم المرتبط بالصديقة الكبرى فاطمة الزهراء (صلوات الله عليها)، كلّ هذه الشواهد والقرائن تشير إلى العناية التي لا أستطيع أن أنسبها إلا إلى التوسل بأهل البيت عليهم السّلام وقراءة حديث الكساء).

هذه القصة تذكر المؤلف بإحدى القصص من كتاب زيارة عاشوراء وآثارها العجيبة، لما كان المحرر يطالع الكتاب وقع تحت تأثيره وكانت لديه مشكلة في البصر فتوسل بزيارة عاشوراء وحلّت بذلك مشكلته^(١).

(١) حديث كساء وآثار شگفت (حديث الكساء والآثار العجيبة): ١٠٣-١٠٧.

القصة السابعة عشرة: إسلام أحد الأرمن ببركة حديث الكساء على يادي آية الله العظمى السيد أحمد الخانساري

ينقل السيد جلال الدين الموسوي الیونسي الأردبيلي: (سمعتُ من العالم الكبير آية الله السيد فضل الله فريد الخانساري (رحمة الله عليه) وكان صهراً لآية الله العظمى السيد أحمد الخانساري (رحمة الله عليه)، قال: أصيب شخص من أرمن طهران بابتلاء ومشكلة كبيرة، وكلَّمها سعی في حلِّها لم يوفق، بل كانت تكبر وتتعد، وفي نهاية الأمر راجع أحد أئمة الجماعة في طهران وطلب منه حلاً لمشكلته، فقال له ذلك العالم الكبير: اذهب إلى بيتك واقرا حديث الكساء بالترتيب والتسلسل نفسه الذي أنا أقوله لك به، وفعلاً قام هذا الأرمني طبق طلب ذلك العالم بإقامة مجلس لحديث الكساء في بيته وحُلَّت مشكلته، فقرر أن يُسلم شكراً على ما حدث.

وفي نهاية الأمر تشرف هذا الرجل في محضر المرجع الديني الكبير آية الله العظمى السيد أحمد الخانساري وأسلم على يديه الكريمتين، وفي ذلك المكان قال المرجع (قدس سره): (إنَّ كلَّ هذا من بركات حديث الكساء)^(١).

القصة الثامنة عشرة: شفاء حفيد الشيخ عباس القمي عبر التوسل بحديث الكساء

هكذا يُخبر الشيخ محمد زاده - وهو ابن المحدث الشهير الشيخ عباس القمي -

(١) حديث كساء وآثار شگفت (حديث الكساء والآثار العجيبة): ١١٠-١١١.

عن شفاء ولده: (قبل عدة أعوام أصيب ابني محمد هادي بغدّة في نخاعه ممّا أثر على رجليه فلم يستطيع الحركة على أثرها، بعد ذلك أُجريت له عملية جراحية على أثرها حُلّت المشكلة وعاد ابني إلى حياته الطبيعية، إلّا أنّه بعد عامين عاد له المرض ثانية وتوقفت رجلاه عن الحركة مجدداً، وأوصى الطبيب أن تُجرى له عملية جراحية مجدداً، ولهذا السبب أعطانا موعداً لذلك، وفي الوقت المعين راجعنا المستشفى، وبعد أن قمنا بإجراءات المقدمات للعملية، كان وقت الظهر قد اقترب فخرجت من المستشفى للذهاب للمسجد وإقامة صلاة الجماعة.

فوقع في قلبي أن أذهب إلى مسجد بقرب بيت أحد العلماء الذين كانت لهم مكانة خاصة في قلبي وأطلب منه الدعاء، ولما حضرت عند ذلك العالم أخبرته بالمجريات، فقال لي: حان وقت الصلاة وأحتاج أن أتوضأ وأتّهب للمسجد، ولهذا الأمر ليس لدي وقت لأن أكون في خدمتكم.. أمّا وظيفتك الآن أن تجلس وتتوسل بحديث الكساء وتقرأه.

فامتثلت أمره وقرأت حديث الكساء، ثمّ ذهبت إلى المسجد في خدمة هذا العالم الكبير، وبعد الصلاة مررت على المستشفى، وعندما وصلت وجدت ابني جالساً في الغرفة يأكل الغداء! فسألت متعجباً: لماذا لم تُجرَ إلى الآن العملية له؟! فأجاب الممرضون: لقد قام الطبيب بالفحص النهائي ما قبل العملية وقال بتعجب: إنّه حالياً لا يحتاج إلى عملية جراحية.. بعد ذلك ذهبت إلى إجراءات الترخيص من

المستشفى، وعندما وصلنا إلى البيت ذهب محمد هادي وركب على دراجته في حين كان صباحاً بوضع سيي جداً جعلني أحمله وأضعه في السيارة.

على الله في كل الأمور توكلني وبالخمسة أصحاب الكساء توسلي
محمد المبعوث وابنيه بعده وفاطمة الزهراء والمرضى علي^(١)

القصة التاسعة عشرة: نجاة من الموت، لمصاب بارتجاج في المخ ببركة حديث الكساء

المهندس علي رضا الهاشميان، معلم تجويد القرآن، وهو ممن أدرك بركات حديث الكساء، واعتاد على نقل بركات هذا الحديث من كتاب (حديث الكساء وآثاره العجيبة) في مجالس درس القرآن الكريم، هكذا ينقل هذه الحادثة: (في أحد الأيام كنت في البيت، فرنَّ الهاتف، وإذا به أحد الأقارب يُعلمني أنَّ خاله ذا الأربعين عاماً وبسبب حادث مروري في ٢٨ صفر لعام ١٤٣٢ أصيب بضربة في رأسه، وهو غائب عن الوعي منذ عشرين يوماً في قسم الإنعاش في مستشفى الشهيد بهشتي في شيراز، وأنَّ الأطباء قد أجروا له عملية في رأسه ولكنهم لا أمل لهم بشفائه.

يقول المهندس: إنِّي وبحسب ما أدركته فيما جاء في باب فضائل وبركات مجالس حديث الكساء اقترحت أن يعقد مجلس لحديث الكساء لشفائه في منزله، ويدعى لذلك المجلس المؤمنون والأقارب، ثمَّ بعد ذلك يتم إطعام الحاضرين.

(١) حديث كساء وآثار شگفت (حديث الكساء والآثار العجيبة): ١٢٨-١٢٩.

وفعالاً حسب الوقت المقرر أقيم المجلس كما أني تشرفت بأن أكون الخادم في هذا المجلس.

في ابتداء المجلس تحدثت حول فضيلة حديث الكساء وسنده، ومن ضمنها كون الصديقة الكبرى السيدة فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) هي المحور في هذا الحديث، وأن العالم وبقية العوالم هي، وأهل البيت الأطهار عليهم السلام، وأن الهدف والغاية من هذه الحياة هو معرفة ومحبة هذه الذوات المقدسة.. وأكملت حديثي وتحدثت عن بركات حديث الكساء القدسي، وذكرت شرح عدة معاني واردة في الحديث ومنها: أن المجلس الذي يقرأ فيه حديث الكساء وفيه جمع من شيعة أهل البيت عليهم السلام ومحبيهم من ابتدائه إلى أن يتفرقوا فإن الملائكة تشملهم بالبركات الإلهية والرحمة، وأن الله تعالى يقضي حاجاتهم ويكشف غمهم. بعد ذلك شرعت في قراءة الحديث، ثم قرأت دعاء (يا من تحل به عقد المكاره..)، وفي تلك الليلة، وبعد المجلس تواصل أهل ذلك الرجل بالمستشفى لمعرفة أحواله، فإذا بالمرضى المناوب في قسم الإنعاش يخبرهم بتعجب أن الرجل في هذه اللحظة عاد له وعيه وخرج من حالة الإغماء والغيوبة الحمد لله، وقد تحسنت أحوال الرجل خلال الأيام التالية، وكان الأطباء في حالة تعجب شديد من وضعه قائلين هذه شبيهة بالمعجزة، ولا أحد قادر على مثل هذا إلا الله^(١)!

(١) حديث كساء وآثار شگفت (حديث الكساء والآثار العجيبة): ١٣٢-١٣٤.

القصة العشرون: قضاء حاجة بإقامة أربعين مجلساً لحديث الكساء

تقول السيدة الموسوي وهي معلمة قرآن: مرّت مدّة طويلة كنت أرغب بأن يكون لدينا طفل، ولكن لم يكن ذلك من نصيبنا، وكان هذا الأمر باعثاً للقلق عندنا، في أحد الأيام من عام ١٤٣١ هـ علمت أنّ أحد جيراننا يقيم مجلساً أسبوعياً لحديث الكساء، وقراءة القرآن، فأخذني الشوق وذهبت لذلك المجلس واستمعت إلى قراءة حديث الكساء، وبعض من كراماته التي أقيمت هناك، وحيث إنني كنت أرغب بأن يرزقنا الله طفلاً يكون قرّة عين لي ولزوجي، فنذرت في ذلك المجلس أن أقيم أربعين مجلساً لقراءة حديث الكساء في منزلنا. وأعلمت صاحب المجلس على ما عزمته عليه، وبعد إلحاح منّي قبل أن ينتقل هذا المجلس الأسبوعي لحديث الكساء، ودرس القرآن إلى بيتنا لمدة أربعين أسبوعاً، فما مرّت خمسة أسابيع إلا وكنت حملتُ بركة وشفاعة الأنوار الخمسة من أهل الكساء عليهم السّلام، وهذا من بركات إقامة المجلس النوراني لقراءة حديث الكساء في منزلنا.

ملاحظة ختامية في هذا المقام الجليل والجميل لأثار وبركات حديث الكساء التي هي أكثر وأعظم من أن تُحصى فعلاً، ويكفيك أنّ كبار العلماء الأعلام والمراجع الكرام كانوا يحلون مشكلاتهم العويصة بمجالس حديث الكساء البيهقي والتوسل بالصديقة الطاهرة وأهل البيت الأطهار عليهم السّلام، فمثل آية الله العظمى السيد الكلبيكاني الذي ينقل عن أحواله السيد رضا الموحد الأبطحي فيقول: (كان من عادة وديدن آية الله العظمى السيد الكلبيكاني (رحمه الله عليه) في المشكلات

أنه كان يقرأ حديث الكساء بجانب الدعاء والتوسل لحل تلك المشكلات، ومنها مثلاً: أنه خلال الفترة التي كانت بعض الأمور غير المناسبة تترى على بيت المرجع الكلييكاني، طلب أن يقام مجلس حديث الكساء من قبل أحد السادة من أهل المنبر والدعاء، وفعلاً أقيم ذلك المجلس بحضور المرجع الكلييكاني، وبأنفاس ذلك السيد الخطيب، وببركة التوسل وقراءة حديث الكساء، وذكر فضائل الخمسة الطيبة من أهل الكساء ارتفعت تلك المشكلات^(١).

تمّ الكتاب بعون الله عزّ وجلّ
غرة شهر رمضان المبارك عام ١٤٤٤ هـ

(١) حديث كساء وآثار شگفت (حديث الكساء والآثار العجيبة): ١٣٥-١٣٦.



قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر

المصادر والمراجع

١. إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، محمد بن الحسن بن علي بن الحسين الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ)، تقديم السيد شهاب الدين المرعشي النجفي، تخريج علاء الدين الاعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي، الطبعة الأولى المحققة، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، بيروت، لبنان.
٢. الاحتجاج على أهل اللجاج، أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (من اعلام القرن السادس)، تعليق السيد محمد باقر الموسوي الخراساني، الاعلمي، مؤسسة أهل البيت عليهم السلام، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، بيروت، لبنان.
٣. احقاق الحق وازهاق الباطل، القاضي نور الله الحسيني المرعشي التستري (ت ١٠٩٩)، تعليق السيد شهاب الدين الحسيني النجفي، باهتمام السيد محمود المرعشي، منشورات مكتبة السيد المرعشي، قم المقدسة.
٤. الاختصاص، الشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت ٤١٣هـ)، تحقيق علي أكبر الغفاري والسيد محمود الزرندي منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة، ايران، (١٤١٤هـ / ١٩٩٣).
٥. إرشاد القلوب المنجي من عمل به من أليم العذاب، الحسن بن أبي الحسن محمد الديلمي (من اعلام القرن الثامن)، تحقيق السيد هاشم الميلاني، نشر وطبع دار وطبعة الأسوة للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ، قم المقدسة، إيران.

٦. الارشاد في معرفة حجج الله علي العباد، أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م، بيروت، لبنان.

٧. اسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين ابن الاثير ابي الحسن علي بن محمد الجزري (ت ٦٣٠هـ)، جمع وترتيب خالد عب الفتاح شبل، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤١٧هـ / ١٩٩٦م)، لبنان.

٨. الاصطلاحات الفقهية في الرسائل العملية، الشيخ ياسين عيسى العاملي، نشر دار البلاغة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، بيروت، لبنان.

٩. أصول الحديث، الشيخ عبد الهادي الفضلي، نشر مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م، بيروت، لبنان.

١٠. الأصول الستة عشر، عدة محدثين، نشر دار الشبستري للمطبوعات، الطبعة الثانية، مطبعة المهديّة، ١٤٠٥هـ، قم المقدسة، ايران.

١١. الاعتقادات، الشيخ الصدوق، تحقيق عصام عبد السيد، نشر المؤتمر العالمي لالفية الشيخ العالمي المفيد، الطبعة الاولى، ١٤١٣هـ، قم المقدسة، ايران.

١٢. إعلام الوري بأعلام الهدى، ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي من اعلام القرن السادس الهجري، تقديم السيد محمد مهدي السيد حسن الخراسان، نشر المكتبة الحيدرية، الطبعة الثالثة، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م، النجف الاشرف، العراق.

١٣. ألفية ابن مالك، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجبالي، أبو عبد الله، جمال الدين (ت ٦٧٢هـ)، نشر دار التعاون.

١٤. أمالي المرتضى، السيد المرتضى، تصحيح وتعليق: السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، الطبعة الأولى، ١٩٠٧م، قم المقدسة، إيران.

١٥. الامالي، أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تحقيق قسم الدراسات الاسلامية مؤسسة البعثة، ١٤١٧هـ، قم المقدسة، إيران.

١٦. الامالي، ابي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق قسم الدراسات الاسلامية مؤسسة البعثة، نشر دار الثقافة، الطبعة الاولى، ١٤١٤هـ، قم المقدسة، إيران.

١٧. الامامة والسياسة، ابي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق علي شيري، دار الاضواء للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

١٨. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، منشورات مدرسة الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام، الطبعة الأولى منقحة مع اضافات، ١٤٢١هـ، مطبعة أمير المؤمنين، قم المقدسة، شارع الشهداء، إيران.

١٩. الأنوار في مولد النبي صلى الله عليه وآله، ابو الحسن بن عبدالله البكري، ضبط وتحقيق نضال محمد علي، منشورات مؤسسة الأعلمي، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، بيروت، لبنان.

٢٠. الآيات الباهرة في العترة الطاهرة أو (تفسير آيات القرآن في المهدي صاحب الزمان عليه السلام)، السيد داود المير صابري، منشورات مؤسسة البعثة قسم الدراسات الاسلامية، طهران، شارع سمية، إيران.

٢١. آية التطهير في الخمسة أهل الكساء، للسيد محيي الدين الموسوي الغريفي،
طبع في النجف الأشرف، ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م.

٢٢. آيت بصيرت (آية البصيرة)، سعيد رحيميان، نشر وطبع منشورات
بهشت بينش، الطبعة الثالثة، ٢٠١٢م، إيران.

٢٣. ايضاح دفاثن النواصب = الفضائل = مائه منقبه من مناقب اميرالمومنين
علي عليه السلام = المناقب المائة، محمد بن احمد بن شاذان (من علماء القرن الخامس
الهجري)، من مخطوطات مكتب المجلس الشورى الإسلامي في إيران، رقم الطلب
(١٨٢٣٢ ض).

٢٤. بحار الانوار، الشيخ محمد باقر المجلسي، تحقيق وتصحيح لجنة من العلماء
والمحققين الاخصائيين، نشر مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م،
بيروت، لبنان.

٢٥. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف
بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق صدقي محمد جميل، نشر دار
الفكر، ١٤٢٠هـ، بيروت، لبنان.

٢٦. البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني، تحقيق وتعليق لجنة
من العلماء والمحققين الاخصائيين، منشورات مؤسسة الأعلمي، الطبعة الثانية،
١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م، بيروت، لبنان.

٢٧. بشارة المصطفى صلى الله عليه وآله لشيعته المرتضى عليه السلام، عماد
الدين أبي جعفر محمد بن أبي القاسم الطبري، تحقيق جواد القيومي الاصفهاني،

نشر وطبع مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ، قم المقدسة، إيران.

٢٨. بصائر الدرجات في فضائل آل محمد صلوات الله عليهم اجمعين، ابو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار (ت ٢٩٠هـ)، تحقيق السيد محمد السيد حسين المعلم، نشر المكتبة الحيدرية، الطبعة الاولى، المطبعة شريعة، ١٤٢٦هـ، قم المقدسة، ايران.

٢٩. بلاغات النساء، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر ابن طيفور (ت ٢٨٠هـ)، تصحيح وشرح احمد الألفي، نشر مطبعة مدرسة والده عباس الأول، ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م، القاهرة.

٣٠. تاج العروس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، تحقيق مجموع من المحققين، نشر دار الهداية، الطبعة الاولى، مطبعة حكومة الكويت، ٢٠٠٠، الكويت.

٣١. تاريخ الإسلام، شمس الدين ابي عبد الله محمد بن احمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق وضبط وتعليق الدكتور بشار عواد معروف، الطبعة الاولى، دار الغرب الاسلامي، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، بيروت، لبنان

٣٢. تاريخ بغداد، ابي بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٣٣. تاريخ مدينة دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، دراسة وتحقيق محب الدين ابو سعيد عمر بن غرامة العمروي، نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥م، سوريا.

٣٤. تأويل الآيات الظاهرة، السيد شرف الدين علي الحسيني الاستربادي النجفي من اعلام القرن العاشر، تحقيق ونشر دار الامام المهدي عليه السلام، طبع بأهتمام الحاج السيد مصدفي المهدي الاصفهاني، الطبعة الاولى، قم المقدسة، ايران.

٣٥. التحرير الطاووسي، الشيخ حسن صاحب المعالم (ت ١٠١١هـ)، تحقيق فاضل الجواهري، نشر مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، مطبعة سيد الشهداء عليه السلام قم المقدسة، إيران.

٣٦. التحصين لأسرار ما زاد من أخبار كتاب اليقين، الورع التقي السيد رضي الدين علي بن الطاووس الحلي، نشر مؤسسة دار الكتاب الجزائري.

٣٧. تحف العقول، ابن شعبة الحراني (من اعلام القرن الرابع الهجري)، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ، قم المقدسة، إيران.

٣٨. التحقيق في كلمات القرآن الكريم، العلامة المصطفوي، مركز نشر آثار العلامة المصطفوي، الطبعة الأولى، مطبعة اعتماد، ٢٠٠٧م، طهران، إيران.

٣٩. تذكرة الحفاظ، محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز الذهبي شمس الدين ابو عبد الله، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، نشر دار الكتب العلمي، الطبعة الاولى، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، بيروت، لبنان.

٤٠. تفسير البيان في الموافقة بين الحديث والقرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، تحقيق اصغر ارادتي، نشر مكتب تنظيم ونشر آثار العلامة الطباطبائي، الطبعة الأولى، دار التعارف للمطبوعات، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م، بيروت، لبنان.

٤١. التفسير الصافي، الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١هـ)، نشر مكتبة الصدر في طهران، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ، مطبعة مؤسسة الهادي، قم المقدسة، إيران.
٤٢. تفسير العياشي، ابي النصر محمد بن مسعود ابن عيشا السلمي السمرقندي العياشي، تصحيح وتعليق السيد هاشم الرسولي المحلاتي، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، بيروت، لبنان.
٤٣. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٧٤هـ)، تحقيق سامي بن محمد السلامة، نشر وطبع منشورات دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م، الرياض، المملكة العربية السعودية.
٤٤. تفسير القمي، ابي الحسن علي بن ابراهيم القمي من اعلام القرن الثالث الهجري، تحقيق ونشر مؤسسة الامام المهدي عجل الله فرجه الشريف، الطبعة الاولى، ١٤٣٥هـ، قم المقدسة، ايران.
٤٥. التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري، اشراف السيد محمد باقر مرتضى الموحد الابطحي الاصفهاني، تحقيق مؤسسة الامام المهدي عجل الله فرجه، نشر عطرت، مطبة الاعتماد، ١٤٣٣هـ، قم المقدسة، ايران.
٤٦. تفسير فرات الكوفي، الشيخ أبو القاسم فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي، تحقيق محمد الكاظم، الطبعة الاولى، ١٤١٠هـ، مؤسسة الطباعة والنشر، طهران، ايران.
٤٧. تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، الشيخ محمد بن محمدرضا القمي

المشهدى (من أعلام القرن الثاني عشر)، تحقيق حسين دركاهي، منشورات مؤسسة شمس الضحى، مطبعة نكارش، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ، قم المقدسة، إيران.

٤٨. تفسير مجمع البيان، الشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، تصحيح وتعليق السيد هاشم الرسولي المحلاتي، نشر مكتبة العلمية الإسلامية، طهران، إيران.

٤٩. تفسير نور الثقلين، عبد علي ابن جمعة العروسي الحويزي، تحقيق السيد علي عاشور، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان.

٥٠. تفضيل الأئمة، حسن بن سليمان الحلي، من مخطوطات المكتبة المركزية في جامعة طهران، إيران.

٥١. تقريب القرآن إلى الأذهان، السيد محمد الحسيني الشيرازي، نشر وطبع دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، بيروت، لبنان.

٥٢. التكامل في الإسلام، أحمد أمين، نشر وطبع دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٥٣. تنقيح المقال في علم الرجال، العلامة الثاني والرجالي الكبير الشيخ عبد الله المامقاني (ت ١٣٥١هـ)، تحقيق الشيخ محمد رضا المامقاني، نشر مؤسسة البيت عليهم السلام لآحياء التراث، الطبعة الأولى، مطبعة ستارة، ١٤٣١هـ، قم المقدسة، إيران.

٥٤. تهذيب التهذيب أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، نشر مطبعة دائرة المعارف النظامية، الطبعة الأولى،

١٣٢٦هـ، الهند.

٥٥. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الحافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي (ت ٧٤٢هـ)، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، نشر مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، بيروت، لبنان.

٥٦. توحيد الإمامية، الشيخ محمد باقر الملكي، تنظيم: محمد البياباني الاسكوئي، باهتمام علي الملكي الميانجي، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، نشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، مؤسسة الطباعة والنشر.

٥٧. التوحيد، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق (ت ٣٨١)، تصحيح وتعليق باسم الحسيني الطهراني، مكتبة الصدوق، ١٣٨٧هـ، طهران، إيران.

٥٨. جامع الأخبار (للشعيري)، محمد بن محمد الشعيري (من أعلام القرن السادس الهجري)، نشر وطبع المطبعة الحيدرية، (د.ت)، الطبعة الأولى، النجف الأشرف، العراق.

٥٩. جامع الأصول في أحاديث الرسول، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، التتمة تحقيق بشير عيون، نشر مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، الطبعة الأولى، مكتبة دار البيان، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م.

٦٠. جامع البيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، و عصام فراس الحرساني، نشر

مؤسسة الرسالة، الطبعة الاولى، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م، بيروت، لبنان.

٦١. جامع الرواة، محمد علي الأردبيلي (ت ١١٠١هـ)، نشر مكتبة المحمدي.

٦٢. الخصال، ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق (ت ٣٨١)، تقديم العلامة السيد محمد مهدي السيد حسن الخراسان، مطبعة الحيدرية، ١٩٧١م، النجف الاشرف، العراق.

٦٣. خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت ٣٠٣هـ)، تحقيق أحمد ميرين البلوشي، نشر مكتبة المعلا، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، الكويت.

٦٤. الدر المنثور في التفسير الماثور، عبد الرحمن بن كمال جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، الناشر: مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية.

٦٥. الذريعة الى تصانيف الشيعة، محمد محسن آغا بزرك الطهراني (ت ١٩٧٠م) نشر أ، ب، طهراني، الطبعة الاولى، النجف، العراق.

٦٦. ربيع الأبرار في نصوص الاخبار، ابي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق عبدالامير مهنا، منشورات مؤسسة الاعلمي، الطبعة الاولى، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، بيروت، لبنان.

٦٧. رجال الطوسي، الشيخ ابي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٣٨٥هـ) تحقيق جواد القيومي الاصفهاني، نشر مؤسسة النشر الاسلامي، الطبعة الخامسة، ١٤٣٠هـ، قم المقدسة، ايران.

٦٨. رجال العلامة الخلي، علامه حلي، حسن بن يوسف (ت ٧٢٦هـ)،

تصحیح محمد صادق بحر العلوم، منشورات الشریف الرضی، الطبعة الثانية، ۱۴۰۲هـ، قم المقدسة، ایران.

۶۹. رجال الكشي، ابو عمرو بن محمد بن عمر الكشي، تقديم السيد احمد الحسيني، نشر مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.

۷۰. روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، محمد تقي المجلسي (ت ۱۰۷۰هـ)، نشر بنياد فرهنگ اسلامي حاج محمد حسين كوشانبور، الطبعة الثانية، قم المقدسة، ايران.

۷۱. روضة الواعظين وبصيرة المتعظين، الشيخ العلامة زين المحدثين محمد بن الفتال النيسابوري (ت ۵۰۸هـ)، تقديم السيد محمد مهدي السيد حسن الخراسان، نشر وطبع المكتبة الحيدرية، ۱۹۶۶م، النجف الاشرف العراق.

۷۲. الروضة في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، ابن شاذان سديد الدين بن جبرئيل القمي (ت ۶۶۰هـ)، تحقيق علي الشكرجي، نشر المطبعة الحيدرية، ۱۳۸۱هـ / ۱۹۶۲م، النجف الاشرف، العراق.

۷۳. رياض الجنان، فضل بن محمود الفارسي، من مخطوطات مكتبة مجلس الشورى الإسلامية، طهران، ایران.

۷۴. الرياض النضرة في مناقب العشرة، الشيخ ابي جعفر احمد المحب الطبري، دار الكتب العلمية، الطبعة الاولى، ۱۴۰۵هـ / ۱۹۸۴م، بيروت لبنان.

۷۵. زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ۵۹۷هـ)، تحقيق عبد الرزاق المهدي، نشر دار الكتاب العربي،

الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، بيروت، لبنان.

٧٦. سنن ابن ماجة، الحافظ ابي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار الكتب العربية، سوريا.

٧٧. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (٢٧٩هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٧٨. السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق محمد عبد القادر عطا، نشر دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، بيروت، لبنان.

٧٩. سنن النسائي، ابي عبد الرحمن احمد بن شعيب النسائي (٣٠٣هـ)، نشر مؤسسة الرسالة ناشرون، الطبعة الاولى، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م، بيروت، لبنان.

٨٠. شرح الأخبار في فضائل الائمة، القاضي ابو حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي (ت ٣٦٣هـ)، تحقيق السيد محمد الحسيني الجلاي، نشر مؤسسة النشر الاسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٣١هـ، قم المقدسة، ايران.

٨١. شرح نهج البلاغة لأبن أبي الحديد، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٦هـ) مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.

٨٢. شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، الحافظ الكبير عبيد الله بن عبد الله بن احمد المعروف بالحاكم الحسكاني من اعلام القرن الخامس الهجري، تحقيق وتعليق الشيخ محمد باقر المحمودي، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.

٨٣. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ابو نصر اسماعيل بن حماد

الجوهري (ت ٣٩٨هـ)، تحقيق احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، طبع ونشر دار الحديث، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م، القاهرة، مصر.

٨٤. صحيح البخاري، الامام الحافظ ابي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ).

٨٥. صحيح مسلم، ابو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن وُزْدِ بن كوشاذ القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، دار الخیر - دمشق، سوريا.

٨٦. الصحيفة السجادية، تقديم السيد محمد باقر الصدر رحمه، نشر مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.

٨٧. الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠هـ)، تحقيق الدكتور علي محمد عمير، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

٨٨. الطوائف في معرفة مذاهب الطوائف، رضي الدين ابي القاسم علي بن موسى ابن طاووس الحسيني الحسيني (ت ٦٦٤هـ)، منشورات مطبعة خيام، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ، قم المقدسة، إيران.

٨٩. عبقات الأنوار في إمامة الأئمة الأطهار، السيد حامد حسين اللكهنوي (ت ١٣٠٦هـ)، ١٤٠٥هـ، قم المقدسة، إيران.

٩٠. عدة الداعي، احمد بن فهد الخلي (ت ٨٤١هـ)، تصحيح وتعليق احمد الموحد القمي، نشر دارالكتب الاسلامي، قم المقدسة، ايران.

٩١. علل الشرائع، أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق السيد فضل الله الطباطبائي اليزدي،

الطبعة الثانية، المطبعة العلمية، قم المقدسة، إيران.

٩٢. العمدة، ابن البطريق (ت ٦٠٠هـ)، نشر وطبع مؤسسة النشر الإسلامي

التابعة لجامعة المدرسين بقم المقدسة، ١٤٠٧هـ، قم المقدسة، إيران.

٩٣. عوالم العلوم والمعارف، المحدث الكبير الشيخ عبد الله بن نور الله

البحراني الاصفهاني، تحقيق مؤسسة الامام المهدي عليه السلام، الطبعة الاولى،

قم المقدسة، إيران.

٩٤. عوالي اللثالي العزيزية في الاحاديث الدينية، الشيخ المحقق المتتبع محمد

علي بن ابراهيم الاحساني المعروف بابن جمهور، تحقيق الباحثة المتتبع الحاج آقا

مجتبي العراقي، الطبعة الاولى، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

٩٥. عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه

القمي الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تقديم السيد محمد مهدي السيد حسين الخراسان،

منشورات المطبعة الحيدرية، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م، النجف الاشرف، العراق.

٩٦. عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي (من أعلام القرن

السادس الهجري)، تحقيق الشيخ حسين الحسيني البيرجندي، نشر مؤسسة دار

الحديث، الطبعة الأولى، مطبعة دار الحديث، قم المقدسة، إيران.

٩٧. الغارات، ابراهيم بن محمد الثقفي (ت ٢٨٣هـ)، تحقيق السيد عبد الزهراء

الحسيني الخطيب، در الاضواء للطباعة والنشر الطبعة الاولى، ١٩٨٧م، بيروت، لبنان.

٩٨. الغدير في الكتاب والسنة والادب، الشيخ عبد الحسين احمد الاميني

النجفي، نشر مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، الطبعة الاولى، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م،

بيروت، لبنان.

٩٩. فاطمة الزهراء عليها السلام من المهد إلى اللحد، السيد محمد كاظم القزويني، منشورات مكتبة بصيرتي، قم المقدسة، شارع إرم، طبع في المطبعة العلمية على نفقة المؤلف، ١٤١٤هـ، قم المقدسة، إيران.

١٠٠. فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين والائمة من ذريتهم عليهم السلام، ابراهيم بن محمد بن المؤيد بن عبدالله ابن علي بن محمد الجويني الخراساني (ت ٧٣٠هـ)، تحقيق وتعليق ونشر الشيخ محمد باقر المحمودي، نشر وطباعة مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، بيروت، لبنان.

١٠١. الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري الحسن بن عبد الله بن سهيل بن سعيد (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق جمال عبد الغني مدغمش، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

١٠٢. الفصول المختارة، الشيخ محمد بن محمد المفيد (ت ٤١٣هـ)، تصحيح علي مير شريفني، منشورات مؤتمر الشيخ المفيد (ره)، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، قم المقدسة، إيران.

١٠٣. الفصول المهمة في اصول الائمة (تكملة الوسائل)، الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، تحقيق واشراف محمد بن محمد الحسين القائيني، منشورات مؤسسة الامام الرضا عليه السلام للمعارف الإسلامية، الطبعة الأولى، مطبعة نكين، ١٤١٨هـ، قم المقدسة، إيران.

١٠٤. فضائل الخمسة في الصحاح الستة، السيد مرتضى الفيروز ابادي، نشر دار الكتب الاسلامية، مطبعة النجف، ١٣٨٣هـ، النجف الاشرف، العراق.

١٠٥. فضائل الشيعة، ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق (ت ٣٨١)، نشر كانون انتشارات عابدي، قم المقدسة، ايران.

١٠٦. الفوائد الرجالية، السيد محمد المهدي بحر العلوم الطباطبائي (١٢١٢هـ)، تحقيق وتعليق محمد صدق بحر العلوم، حسين بحر العلوم، نشر مكتبة الصادق، الطبعة الاولى، ١٣٦٣هـ، طهران، ايران.

١٠٧. الفوائد الرضوية في احوال علماء المذهب الجعفرية، الشيخ عباس القمي، تحقيق باصر باقري بيدهندي الناشر: انتشارات مؤسسة بوستان كتاب، الطبعة: الاولى ١٣٨٥هـ قم المقدسة، ايران.

١٠٨. قرب الإسناد، ابي العباس عبد الله بن جعفر الحميري من رجال القرن الثالث والرابع الهجري، نشر المطبعة الحيدرية، ١٩٥٠، النجف الاشرف، العراق.

١٠٩. الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، تحقيق الشيخ علي أكبر غفاري، والشيخ محمد آخوندي، نشر دار الكتب الإسلامية، الطبعة الرابعة، مطبعة حيدري، ١٤٨٥ق، قم المقدسة، ايران.

١١٠. كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه (ت ٣٦٧هـ)، تحقيق الشيخ جواد القيومي، نشر مؤسسة نشر الفقاهة، الطبعة الاولى، مطبعة مؤسسة النشر الاسلامي، بيروت، لبنان.

١١١. الكبريت الاحمر في شرائط منبر، محمد باقر القائني البيرجندي،

منشورات دار الخوراء للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م، لبنان.

١١٢. كتاب التمهيد، محمد بن همام الإسكافي (ت ٣٣٦هـ)، تحقيق مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، نشر وطبع مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدسة، إيران.

١١٣. كتاب الرجال، تقي الدين الحسن بن علي بن داود الحلبي، منشورات الشريف الرضي، قم المقدسة، إيران.

١١٤. كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٥هـ)، دمهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان.

١١٥. كتاب الغيبة، محمد بن إبراهيم النعماني (ت ٣٨٠هـ)، تحقيق فارس حسون كريم، منشورات أنوار الهدى، الطبعة الأولى، مطبعة مهر، ١٤٢٢هـ، قم المقدسة، إيران.

١١٦. كتاب سليم، سليم بن قيس الهلالي الكوفي (ت ٧٦هـ)، تحقيق محمد باقر الانصاري الزنجاني الخوئيني، نشر وطبع منشورات الهادي، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، قم المقدسة، إيران.

١١٧. الكتاب: المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، دراسة وتحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، نشر دار الفكر، بيروت، لبنان.

١١٨. كراس سؤال وجواب (فارسي)، فقه الشيعة (فتاوى المراجع)، تأليف

السيد كاظم اليزدي، تحقيق السيد محمد المدني البجستاني، والسيد حسن وحدقي الشيرازي، اعداد السيد مصطفى محقق الداماد، نشر مركز نشر العلوم الإسلامية، طبع في مطبعة سياوش، ٢٠٠٤م، طهران، إيران.

١١٩. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، ضبط وتصحيح وترتيب مصطفى حسين أحمد، نشر دار الريان للتراث بالقاهرة، الطبعة الثالثة، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، بيروت، لبنان.

١٢٠. كشف الغمة في معرفة الأئمة (الطبعة القديمة)، علي بن عيسى الاربلي (ت ٦٩٢هـ)، تصحيح السيد هاشم الرسولي المحلاتي، منشورات بني هاشمي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م، تبريز، إيران.

١٢١. كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، العلامة حسن بن يوسف بن المطهر الحلي (ت ٧٢٦هـ)، تصحيح الشيخ حسين دركاهي، نشر وطبع منشورات وزارة الارشاد، الطبعة الأولى، مطبعة طهران، ١٤١١هـ، إيران.

١٢٢. الكشف والبيان في تفسير القرآن، ابو اسحاق احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي (ت ١٠٣٥هـ)، من مخطوطات المكتبة الأزهرية، القاهرة، مصر.

١٢٣. كفاية الأثر في النصّ على الأئمة الإثني عشر، الشيخ الأجل الأقدم أبو القاسم علي بن محمد بن علي الخزاز الرازي القمي (ت ٤٠٠هـ) تحقيق السيد عبد اللطيف الحسيني الكوهكمري الخوئي، نشر انتشارات بيدار، مطبعة الخيام، ١٤٠١هـ، قم المقدسة، إيران.

١٢٤. كفاية الطالب في مناقب علي بن ابي طالب عليها السلام، ابي عبدالله محمد بن يوسف بن محمد القرشي الكنجي الشافعي (ت ٦٥٨هـ)، نشر وطبع مطبعة الغري، ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م، النجف الأشرف، العراق.

١٢٥. كمال الدين و تمام النعمة، أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تحقيق وتعليق علي اكبر الغفاري، نشر مؤسسة النشر الاسلامي، مطبعة مهر، ١٤٠٥هـ، قم المقدسة، ايران.

١٢٦. كنز الفوائد، الشيخ محمد بن علي بن عثمان الكراجكي الطرابلسي (ت ٤٤٩هـ)، تحقيق وتعليق العلامة الشيخ عبدالله نعمة، نشر وطبع دار الاضواء، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، بيروت، لبنان.

١٢٧. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري الرويفعي الأفريقي (ت ٧١١هـ)، اعداد عبدالله علي كبير وآخرون، نشر دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة، مصر.

١٢٨. مائة منقبة من مناقب أمير المؤمنين علي بن ابي طالب والأئمة من ولده عليهم السلام من طريق العامة، الشيخ ابي الحسن محمد بن احمد بن علي بن الحسن القمي المعروف بـ(ابن شاذان) من مفاخر اعلام القرنين الرابع والخامس، تحقيق ونشر مؤسسة الامام المهدي عليه السلام، اشرف السيد محمد باقر بن المرتضى الموحد الابطحي، الطبعة الثانية، مطبعة انصار المهدي، ٢٠٠٩م، قم المقدسة، ايران.

١٢٩. متشابه القرآن ومختلفه، محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني (ت ٥٨٨هـ)، نشر وطبع منشورات بيدار، ايران.

١٣٠. مجمع البحرين، الشيخ الطريحي (ت ١٠٨٥هـ)، تحقيق السيد احمد الحسيني، نشر وطبع مكتب الثقافة الاسلامية للنشر، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ، إيران.
١٣١. مجمع النورين وملتقى البحرين، الشيخ ابو الحسن بن محمد النجفي الرازي، تحقيق وتعليق السيد حسين الجعفري الزنجاني، نشر انتشارات آل عبا عليه السلام، الطبعة الأولى، مطبعة الهادي، ٢٠٠٣م، قم المقدسة، إيران.
١٣٢. المحاسن، ابي جعفر احمد بن محمد بن خالد البرقي المحدث (٢٨٠هـ)، تحقيق جلال الدين المحدث، نشر دار الكتب الاسلامية، قم المقدسة، ايران.
١٣٣. المحتضر، الشيخ عز الدين ابو محمد الحسن بن سلمان بن محمد الخلي من اعلام القرن الثامن، تحقيق سيد علي اشرف، نشر المكتبة الحيدرية، مطبعة شريعت، ١٤٢٨هـ، قم المقدسة، ايران.
١٣٤. مختصر بصائر الدرجات، الشيخ حسن بن سليمان الخلي (من علماء القرن التاسع الهجري)، منشورات المطبعة الحيدرية، الطبعة الأولى، ١٣٧٠هـ / ١٩٥٠م، النجف الاشرف، العراق.
١٣٥. مدينة المعاجز، السيد هاشم البحراني (ت ١١٠٧)، تحقيق الشيخ عزة الله المولائي الهمداني، نشر مؤسسة المعارف الاسلامية، الطبعة الاولى، مطبعة بهمن، ١٤١٣هـ، قم المقدسة، ايران.
١٣٦. مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول عليهم السلام، شيخ الاسلام محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، نشر دار الكتب الاسلامية، قم المقدسة، ايران.
١٣٧. المزار الكبير، الشيخ ابو عبدالله محمد بن جعفر المشهدي، تحقيق الشيخ

جواد القيومي الاصفهاني، نشر وطبع مؤسسة النشر الاسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ، طهران، ايران.

١٣٨. مستدرک سفینه البحار، الشيخ علي نمازي شاهرودي (ت ١٤٠٥ هـ)، تحقيق الشيخ حسن بن علي النمازي، نشر مؤسسة النشر الاسلامي، ١٤١٨ هـ، قم المقدسة، ايران.

١٣٩. مستدرک عوالم العلوم والمعارف والاحوال من الايات والابخار والاقوال، الشيخ عبدالله بن نورالله البحراني، تحقيق السيد محمد باقر بن المرتضى الموسوي الموحد الابطحي الاصفهاني، نشر مؤسسة الامام المهدي عليه السلام، الطبعة الاولى، مطبعة امير، ١٤١٣ هـ، قم المقدسة، ايران.

١٤٠. المسترشد في إمامة عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ابن جرير الطبري (ت ٣٢٦ هـ)، تصحيح احمد محمودي، نشر وطبع منشورات كوشانبور، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ، قم المقدسة، ايران.

١٤١. مسند أحمد بن حنبل، احمد بن محمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ)، شرح احمد محمد شاكر، دار الحديث للطبع والنشر، الطبعة الاولى، ١٩٩٥ م، مصر.

١٤٢. مصابيح الأنوار في حل مشكلات الاخبار، السيد عبدالله شبر (١٢٤٢ هـ)، تحقيق مجتبي المحمودي، نشر وطبع دار الحديث، الطبعة الاولى، ١٤٣٢ هـ، قم المقدسة، ايران.

١٤٣. مصابيح السنة، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت ٥١٦ هـ)، تحقيق الدكتور يوسف عبد الرحمن

المرعشلي، محمد سليم إبراهيم سمارة، جمال حمدي الذهبي، نشر دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الاولى، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، بيروت، لبنان.

١٤٤. مصباح الأنوار في فضائل إمام الأبرار، هاشم بن محمد، من مخطوطات مكتبة مؤسسة كاشف الغطاء، النجف الاشرف، العراق.

١٤٥. المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي العبسي (ت ٢٣٥هـ)، تقديم وضبط كمال يوسف الحوت، نشر وطبع دار التاج، الطبعة الاولى، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، بيروت، لبنان.

١٤٦. معاني الأخبار، أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي الصدوق (ت ٣٨١هـ) تحقيق علي أكبر الغفاري، شر مكتبة الصدوق، مطبعة الحيدري، طهران، ايران.

١٤٧. معجم رجال الحديث، السيد ابو القاسم الخوئي (ت ١٤١١هـ)، الطبعة الخامسة، مطبعة الاداب، ١٩٩٢م، النجف الاشرف، العراق.

١٤٨. معجم مقاييس اللغة، احمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي ابو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، نشر دار الفكر، بيروت، لبنان

١٤٩. المغني في الضعفاء، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، شمس الدين، أبو عبد الله الذهبي، تحقيق نور الدين عتر، نشر إدارة إحياء التراث، قطر.

١٥٠. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، نشر وطبع دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ، بيروت، لبنان.

١٥١. مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، صفوان عدنان داوودي، نشر دار القلم، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م، طبع دار الشامية.
١٥٢. مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي، أبي المؤيد الموفق بن أحمد المكي أخطب خوارزم (٥٦٨هـ)، تحقيق الشيخ محمد السماوي، نشر دار انوار الهدى، الطبعة الاولى، ١٤١٨هـ، مطبعة مهر، قم المقدسة، ايران.
١٥٣. مكارم الأخلاق، الشيخ رضي الدين ابي نصر الحسن بن الفضل الطبرسي (من اعلام القرن السادس الهجري)، تصحيح وتعليق السيد علاء الدين العلوي الطالقاني، نشر دار الكتب الاسلامية، ١٩٩٨م، طهران، ايران.
١٥٤. ملحقات إحقاق الحق، السيد شهاب الدين المرعشي النجفي، باهتمام نجله السيد محمود المرعشي، نشر مكتبة المرعشي النجفي، الطبعة الاولى مطبعة حافظ، ١٤١٥هـ قم المقدسة، ايران.
١٥٥. من علم الفلك القرآني، الدكتور عدنان الشريف، نشر وطبع دار العلم للملايين، الطبعة الثانية، بيروت، لينا.
١٥٦. من فقه الزهراء عليها السلام (موسوعة استدلالية في الفقه الاسلامي)، السيد محمد الحسيني الشيرازي، باهتمام الحسينية الكربلائية في اصفهان، الناشر رشيد، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ مطبعة الشريعة، إصفهان، إيران.
١٥٧. من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، الطبعة الثانية، قم المقدسة، ايران.
١٥٨. مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، ابن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ)،

تصحيح وشرح ومقابلة لجنة من أساتذة النجف الأشرف، ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م،
المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف.

١٥٩. مناقب الامام امير المؤمنين عليه السلام، محمد بن سليمان
الكوفي(ت٣٠٠هـ) تحقيق محمد باقر المحمودي، الطبعة الاولى، ١٤١٢هـ، قم
المقدسة، ايران.

١٦٠. مناقب أمير المؤمنين عليه السلام، ابي الحسن علي بن محمد الواسطي
المعروف بأبن المغازلي(ت٤٨٣هـ)، تحقيق ابي عبد الرحمن تركي بن عبد الله
الوادعي، نشر دار الآثار، الطبعة الاولى، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، صنعاء، اليمن.

١٦١. المناقب، الموفق بن احمد البكري المكي الحنفي الخوارزمي، تحقيق الشيخ
مالك المحمودي، نشر وطبع مؤسسة النشر الاسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ،
قم المقدسة، ايران.

١٦٢. المنتخب من ذيل المذيل محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي،
أبو جعفر الطبري (ت٣١٠هـ)، طبعة مصر.

١٦٣. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ميرزا حبيب الله الهاشمي خوئي،
تصحيح وتهذيب السيد ابراهيم الميانجي، نشر المكتبة الاسلامية بطهران، الطبعة
الرابعة، طهران، ايران.

١٦٤. الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء عليها السلام، اسماعيل الانصاري
الزنجاني الخوئني، منشورات دليل ما، الطبعة الثانية، مطبعة نكارش، ١٤٢٩هـ،
قم المقدسة، ايران.

١٦٥. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق علي محمد الجاوي نشر دار المعرفة للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٣ م، بيروت، لبنان
١٦٦. الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، نشر وطبع الشيخ محمد الاخوند، دار الكتب الاسلامية، طبع في المطبعة الحيدرية، طهران، ايران.
١٦٧. النبي وآله كلهم نور واحد، محاضرات الشيخ محمد باقر علم الهدى (ره)، اعداد وتقرير السيد علي بن حسين الرضوي، نشر منشورات بيام طوس، الطبعة الاولى، مطابع القرآن الكريم الكبرى، ٢٠١١، مشهد المقدسة، ايران.
١٦٨. نقد الرجال، السيد مصطفى بن الحسين الحسيني التفرشي (من اعلام القرن الحادي عشر)، تحقيق ونشر مؤسسة ال البيت عليهم السلام لإحياء التراث، مطبعة ستارة، الطبعة الاولى، ١٤١٨هـ، قم المقدسة، ايران.
١٦٩. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق طاهر احمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، نشر المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩ م، بيروت، لبنان.
١٧٠. نهج البلاغة، خطب ورسائل ومواعظ أمير المؤمنين عليه السلام، جمع محمد حسين الشريف الرضي، تحقيق صبحي صالح، نشر وطبع مؤسسة دار الهجرة.
١٧١. نهج الحق وكشف الصدق، الحسن بن يوسف المطهر الحلي العلامة الحلي، نشر مؤسسة دار الهجرة، الطبعة الاولى، مطبعة الصدر، ١٤٠٧هـ، قم

المقدسة، ايران.

١٧٢. نهج الحق وكشف الصدق، الحسن بن يوسف المطهر الحلي العلامة الحلي، نشر مؤسسة دار الهجرة، الطبعة الاولى، مطبعة الصدر، ١٤٠٧هـ، قم المقدسة، ايران.

١٧٣. النوادر مستطرفات السرائر، الشيخ ابي عبدالله محمد بن احمد بن ادريس الحلي (ت ٥٩٨هـ)، تحقيق ونشر مدرسة الامام المهدي عليه السلام، الطبعة الأولى، مطبعة امير، ١٤٠٨هـ، قم المقدسة، ايران.

١٧٤. نور الأبصار، الشيخ مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجي من علماء القرن الثالث عشر الهجري، تقديم عبد العزيز سالم، الطبعة الاخيرة، ١٩٤٨م، شركو ومطبعة مصطفى الثاني الحلبي واولاده.

١٧٥. الهداية الكبرى، الحسين بن حمدان الخنصيبي (ت ٣٣٤هـ)، نشر مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١١هـ / ١٩٩١، بيروت لبنان.

١٧٦. هدي الساري مقدمة فتح الباري، احمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) تصحيح محب الدين الخطيب، نشر المكتبة السلفية، الطبعة الأولى، ١٣٨٠هـ، مصر.

١٧٧. الوافي بالوفيات، (الصفدي) (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق احمد الارناؤوط وتركي مصطفى، نشر وطبع دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م، بيروت، لبنان.

١٧٨. وسائل الشيعة، العلامة الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، تحقيق

- ونشر مؤسسة ال البيت عليهم السلام لاحياء التراث، قم المقدسة، ايران.
١٧٩. وفاة الصديقة الزهراء عليها السلام، السيد عبد الرزاق المقرم، نشر العتبة الحسينية المقدسة قسم الشؤون الفكرية والثقافية، الطبعة الأولى، مطبعة الأعلمي، ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥، بيروت، لبنان.
١٨٠. ينابيع المودة لذو القربى، سليمان بن ابراهيم القندوزي، نشر وبع دار الاسوة للطباعة والنشر، قم المقدسة، ايران.
١٨١. حديث كساء وآثار شگفت (حديث الكساء والآثار العجيبة)، تأليف السيد علي الموحد الأبطحي، طبع مؤسسة الحبل المتين، قم المقدسة، ١٤٣٨هـ.
١٨٢. سند حديث الكساء، تأليف علي أصغر بور، مطبعة ارم، نشر عصر جوان، ١٣٨٦ش.
١٨٣. في رحاب حديث الكساء، تأليف الخطيب الشيخ علي المؤيد، نشر دار جلال الدين، طبعة مطبعة باقري، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
١٨٤. النبي صلى الله عليه وآله وآله كلهم نور واحد، محاضرات الشيخ محمد باقر علم الهدى، تأليف السيد علي الرضوي، منشورات بيام طوس، مطبعة القرآن الكريم الكبيرة.

المواقع الالكترونية

185. <https://al3nan.net/>

186. <https://www.tathwir.com/10/2022/types-of-sea-waves-and-their-causes.html>

١٨٧. الموقع الإلكتروني لمكتب آية الله السيد الروحاني:

<https://www.alrohani.org/>

١٨٨. موقع الإلكتروني للسيد علي الميلاني:

<https://al-milani.com/>

١٨٩. موقع الكفيل الإلكتروني (شبكة الكفيل العالمية):

<https://alkafeel.net/>

المجلات والدوريات

١٩٠. مجلة العلم والحياة الفرنسية، عدد حزيران سنة ١٩٨٦.



فهرس المحتويات

المحتويات

الإهداء	١٣
شكر وتقدير	١٥
مقدمة المؤلف	١٧
مقدمة المؤلف	١٩

الفصل الأول : أهمية حديث الكساء وامتته، وسنده

أهمية حديث الكساء، وامتته، وسنده	٢٥
١ . أهمية حديث الكساء	٢٥
٢ . متن حديث الكساء البيهقي	٣٠
٣ . الإشكالات الواردة على سند الحديث	٣٤
٤ . طرق سند الحديث	٣٥
الطريق الأول: ما رواه الشيخ عبد الله البحراني صاحب كتاب العوالم (القرن الحادي عشر)	٣٥
الطريق الثاني: كما رواه الميرزا مهدي الشيرازي (القرن الرابع عشر)	٣٦
الطريق الثالث: كما نقله الشيخ الديلمي (القرن الثامن)	٣٧
الطريق الرابع: كما نقله السيد المرعشي النجفي عن حسين العلويّ الدمشقيّ (القرن العاشر)	٣٩
الطريق الخامس: نسخة خطيّة (من القرن الحادي عشر)	٤٠
الطريق السادس: الشيخ الطريحي في المنتخب: (القرن الحادي عشر)	٤١

- الطريق السابع: الشيخ علي النقي الأحساني (القرن الثاني عشر) ٤١
٥. تصحيح السند وردُّ الإشكالات ٤٢
- أولاً: الأعلام الذين صححوا سنده ووثقوا رواته ٤٢
- ثانياً: المصنّفون والعلماء الذين نقلوا الحديث ٤٣
- ثالثاً: العلماء الذين اعتنوا وعملوا به ٤٧
- ١- آية الله الكلبيكاني ٤٧
- ٢- الشيخ بهاء الديني ٤٨
- ٢- آية الله السيد مهدي الحسيني الشيرازي ٤٩
- ٣- آية الله طيب زاده ٥٠
- ٤- العلامة الطهراني صاحب كتاب الذريعة ٥٠
- ٥- الشيخ فاضل القفقاзи ٥٠
- ٦- آية الله الأبطحي ٥١
- ٧- سماحة السيد محمد كاظم القزويني ٥١
- ٨- آية الله الحسيني الكاشاني ٥٢
- ٩- آية الله البرجندي ٥٢
- ١٠- آية الله السيد كاظم اليزدي صاحب كتاب العروة الوثقى ٥٣
- ١١- آية الله المرعشي النجفي ٥٥
- ١٢- آية الله السيد محمد الروحاني ٥٥

- ٥٦ خامساً: فتاوى المراجع العظام في صحّة حديث الكساء
- ٥٦ الأوّل: آية الله العظمى الشيخ محمّد تقي بهجت
- ٥٧ الثاني: آية الله العظمى السيّد محمّد علي الحسيني العلوي الكركاني
- ٥٨ الثالث: آية الله العظمى السيّد صادق الشيرازي:
- ٥٨ الرابع: آية الله العظمى الميرزا جواد التبريزي
- ٥٩ الخامس: آية الله العظمى السيّد صادق الروحاني
- ٦٢ السادس: آية الله العظمى السيّد محمّد الشيرازي
- ٦٢ السابع: آية الله العظمى السيّد محمّد الشاهرودي
- ٦٣ الثامن: آية الله العظمى الشيخ لطف الله الصافي الكليكاني
- ٦٤ التاسع: آية الله العظمى الشيخ حسين الوحيد الخراساني
- ٦٥ العاشر: آية الله العظمى الشيخ محمّد السندي
- ٦٩ ٦- صحّة مضامينه
- ٦٩ ٧- دلالة حديث الكساء
- ٧٢ ٨- تعدد الواقعة ونزول آية التطهير
- ٨٤ ٩- الآثار والبركات من هذا الحديث
- ٨٥ ١٠- زمان الوقوع

الفصل الثاني: شرح عبارات ومفردات الحديث المبارك

- ٩١ شرح عبارات ومفردات الحديث المبارك
- ٩١ متن الحديث.
- ٩٥ شرح الحديث المبارك
- ٩٥ ١- معنى الحديث.
- ٩٨ ٢- معنى الكساء:
- ٩٩ ٣- معنى البياني:
- ١٠٠ ٤- مركزية الكساء البياني.
- ١٠٢ شرح عبارات الحديث:
- ١٠٢ الأولى: (قال جابر: سمعتُ فاطمةَ أمَّها قالت):
- ١٠٢ ١- جابر بن عبد الله الأنصاري رضوان الله تعالى عليه:
- ١٠٢ اسمه ونسبه
- ١٠٥ ٢- جوانب من حياة جابر الأنصاري الشريفة
- ١٠٦ ٣- من أقوال الأئمة (عليهم السَّلام) فيه:
- ١٠٦ ٤- من أقوال العلماء فيه:
- ١٠٧ ٥- حبه لأهل البيت (عليهم السَّلام):
- ١٠٧ ٦- لقاءه بالإمام الباقر (عليه السَّلام):
- ١٠٨ ٧- روايته للحديث:

- ٨- وفاته ١٠٨
- ٩- جلاله جابر ووثاقته ١٠٩
- خصوصية جابر ١١٢
- الثانية: قال جابر: (سمعت فاطمة أنها قالت...) ١١٣
- الثالثة: (فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا فَاطِمَةُ، فَقُلْتُ: عَلَيْكَ السَّلَامُ) ١١٦
- أ- معنى (السلام): ١١٦
- الخلاصة ١١٨
- ب- استحباب السَّلَام: ١١٨
- ج- السَّلَام على فاطمة: ١١٩
- الرابعة: «قَالَ: إِنِّي أَجِدُ فِي بَدَنِي ضَعْفًا، فَقُلْتُ لَهُ: أَعَيْدُكَ بِاللَّهِ يَا أَبْنَاهُ مِنَ الضَّعْفِ»: ١٢٠
- أ- معنى الضعف لغة: ١٢٠
- ب- هل يحسن أن يشكو المؤمن حالته للغير؟ ١٢١
- ج- ما معنى الاستعاذة بالله؟ ١٢١
- الخامسة: التغطية بالكساء البيان ١٢٣
- أ- لماذا يطلب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْعَوْنُ مِنْ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ؟ ١٢٣
- ب- لماذا يلجأ المريض وصاحب الضعف للتغطية؟ ١٢٤
- ج- استحباب النظر لوجه الأب: ١٢٥
- د- وجه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كالبدر في تمامه وكماله: ١٢٥

- ١٢٩..... ما هي صفة البدر؟
- ١٣٠..... الفرق بين التمام والكمال:
- ١٣١..... السادسة: (فَمَا كَانَتْ إِلَّا سَاعَةً وَإِذَا يَوْلَدِي الْحَسَنَ قَدْ أَقْبَلَ):
- ١٣١..... ١- معنى الساعة (فَمَا كَانَتْ إِلَّا سَاعَةً).
- ١٣٢..... ٢- الفرق بين الولد والابن (وَإِذَا يَوْلَدِي):
- ١٣٢..... ٣- معنى (قَدْ أَقْبَلَ):
- ١٣٣..... ٤- ترتيب مجيء أهل البيت إلى المنزل ودخولهم تحت الكساء:
- ١٣٣..... السابعة: دخول الإمام الحسن عليه السلام:
- ١٣٣..... أ- السَّلَامُ قَبْلَ الْكَلَامِ، (السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أُمَّةً):
- ١٣٤..... ب- مخاطبة الأم (يا أُمَّةً):
- ١٣٤..... ج- استقبال فاطمة لولدها الحسن عليهم السَّلَام.
- ١٣٥..... ما معنى قرّة العين وثمرة الفؤاد؟
- ١٣٦..... ٣- (وَتَمْرَةَ فُؤَادِي).
- ١٣٧..... ضرورة جلب القلوب بإظهار المحبة.
- ١٣٨..... الثامنة: محاورة الإمام الحسن مع الزهراء عليهما السلام.
- ١٣٨..... سؤال الحسن عن جدّه رسول الله وجواب فاطمة صلوات الله وسلمه عليهم أجمعين:
- ١٣٨..... أ- ما هي الرائحة الخاصة برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؟
- ١٣٩..... ب- مصدر رائحته الزكيّة ونوعه:

- ج- الطيب والعطر من أخلاقه صلى الله عليه وآله ومن سنن الأنبياء: ١٤١
- التاسعة: انضمام الحسن مع جدّه عليها السلام ١٤٣
- العاشرة: (السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَنْ اخْتَارَهُ اللهُ). ١٤٦
- الحادية عشرة: (وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا وَلَدِي وَيَا شَافِعَ أُمَّتِي). ١٤٧
- شفاعه الحسين عليه السلام ١٤٩
- الثانية عشرة: (فَأَقْبَلَ عِنْدَ ذَلِكَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيٌّ بِنَ أَبِي طَالِبٍ). ١٥١
- أهميّة التكنية وغاياتها وآثارها ١٥١
- معنى اسم (عليّ) ١٥٢
- الخلاصة ١٥٥
- معنى (أمير المؤمنين) ١٥٥
- المقام الأوّل: المعلّم للمؤمنين ١٥٦
- المقام الثاني: الرئاسة والسيادة للمؤمنين ١٥٦
- المقام الثالث: أمير الشيعة في الجنة ١٥٧
- المقام الرابع: حول العرش ١٥٩
- المقام الخامس: ولايته وإمامته ووصايته على الناس من بعد رسول الله ١٥٩
- المقام السادس: عند الصراط ١٦٠
- المقام السابع: الولاية له في عالم الميثاق ١٦١
- المقام الثامن: يوم أخذ الله ميثاق الأنبياء والخلق أجمعين لنصرته عند كثرته ١٦١

- ١٦٣..... استحباب السّلام على الزوجة
- ١٦٣..... احترام الزوج
- ١٦٤..... منزلة أمير المؤمنين من رسول الله صلوات الله عليها
- ١٦٤..... الثالثة عشرة: «قَالَ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا أُخِيَّ وَوَصِيَّيَّ وَخَلِيفَتِيَّ وَصَاحِبَ لِيَوَائِي»
- ١٦٥..... ١- (يا أُخِيَّ).
- ١٦٥..... الرابعة عشرة: «كَانَتْهَا رَائِحَةُ أُخِيَّ وَابْنِ عَمِّي رَسُولِ اللَّهِ»
- ١٦٩..... ٢- (وَوَصِيَّيَّ).
- ١٧٠..... ٣- (وَخَلِيفَتِيَّ).
- ١٧٢..... ٤- (وَصَاحِبَ لِيَوَائِي).
- ١٧٥..... منزلة فاطمة عليها السّلام من رسول الله صلّى الله عليه وآله
- ١٧٥..... الخامسة عشرة: «وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا بِنْتِي وَيَا بَضْعَتِي»
- ١٧٥..... لماذا قال النبي صلّى الله عليه وآله «يا بِنْتِي وَيَا بَضْعَتِي»؟
- ١٧٩..... ما هو أهمية اجتماع الخمسة تحت الكساء والغاية منه؟
- ١٧٩..... السادسة عشرة: اكتتال العدد تحت الكساء
- ١٨٠..... ما هي طلبات النبي صلّى الله عليه وآله من هذا الاجتماع وهل تحققت؟
- ١٨٠..... السابعة عشرة: دعاء النبي صلى الله عليه وآله
- ١٨١..... أ- الأخذ بظرفي الكساء واليهاء باليد
- ١٨٦..... ب- مفردات طلبات النبي صلّى الله عليه وآله:

- علة خلق الموجودات..... ١٩٣
- الثامنة عشرة: «فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا مَلَائِكَتِي وَيَا سُكَّانَ سَمَاوَاتِي..... ١٩٣
- (فَقَالَ اللهُ)..... ١٩٤
- ما معنى قول الله؟ ١٩٤
- من أخبر الزهراء عليها السلام عن قول الله عز وجل؟ ١٩٥
- ما هو الفرق بين الملائكة وسكان السماء؟ ١٩٩
- سكان السماء..... ٢٠٠

الفصل الثالث: رسالة رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الأمة

«أهل بيتي كننضي ومنزلتي»

- رسالة رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الأمة..... ٢٠٥
- توطئة ٢٠٥
- الشواهد المؤيدة لمضمون «إنهم مني وأنا منهم» ٢٠٧
- الأول: القرآن الكريم ٢٠٧
- ألف - آية المباهلة أكبر شاهد على النفس الواحدة ٢٠٧
- باء - قوله تعالى: «أَقْمِنُ كَأَن عَلَى بَيْتِهِ مِن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ» ٢١١
- ثانياً: الأخبار الشريفة ٢١٩
- كلنا واحد عند الله عز وجل ٢٢٥

- الأول: الاشتراك في الانتهاء النسبي المقدس (أهل البيت)..... ٢٣٢
- ١- هؤلاء أهل بيتي..... ٢٣٢
- ٢- (وخاصتي)..... ٢٣٣
- ٣- (حاشتي)..... ٢٣٥
- الثاني: الاشتراك في الحلقة المادية..... ٢٣٦
- ١- (لحمهم لحمي)..... ٢٣٦
- ٢- (ودمهم دمي)..... ٢٣٧
- الثالث: التلاحم في القلب والمشاعر..... ٢٣٨
- الرابع: اشتراكهم في العدو والمحَبِّ والسَّلْم والحرب..... ٢٣٨
- الخامس: الاتحاد في اصطفائهم في نشأة الخلق: (النور + الروح + الطينة)..... ٢٤٠
- أ- اتحادهم في سنخ الخلق وبدوها..... ٢٤٠
- ب- اتحادهم في مقام العرش يسبحون الله ويهللون له..... ٢٤٨
- ج- اتحادهم في السبق للإيمان بالله عزَّ وجلَّ في الميثاق..... ٢٥١
- ١- أخذ الميثاق من جميع الخلق للإقرار بالتوحيد والنبوة والولاية..... ٢٥١
- ٢- امتحان الملائكة وإيليس بالسجود لآدم عليه السَّلَام..... ٢٥٦
- د- اتحادهم في السَّبْق لعبادة الله تعالى..... ٢٥٧
- هـ- اتحاد أنوارهم في صلب آدم وأصلاب الأنبياء..... ٢٦٠
- و- اتحادهم في الاصطفاء بروح القدس في بطون أمهاتهم ولحظة ولادتهم و..... ٢٦١

- السادس: أمَّادهم في الاصطفاء على الخلق في عالم الدنيا بالإمامة والخلافة..... ٢٦٥
- فما هي المقامات الاصطفائية في هذه النشأة؟ ٢٦٧
- دور رسول الله صلَّى الله عليه وآله في تثبيت هذه المقامات في وجدان الأمة..... ٢٦٩
- نماذج من الروايات التي بينت وحدة مقامهم مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله و..... ٢٧٠
- ١- حُجَّتُهُمْ وَاجِدَةٌ وَطَاعَتُهُمْ وَاجِدَةٌ..... ٢٧٠
- ٢- كُتِبَ لَكُمْ فِي الْفَضْلِ وَالْمَنْزِلَةِ عِنْدَ اللَّهِ سِوَاءٌ..... ٢٧١
- ٣- جَرَى لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْأَئِمَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِنَ الْفَضْلِ مَا جَرَى لِرَسُولِ اللَّهِ..... ٢٧١
- ٤- تَخَلَّقْنَا وَاجِدًا وَعِلْمُنَا وَاجِدٌ وَفَضْلُنَا وَاجِدٌ وَكُلُّنَا وَاجِدٌ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ..... ٢٧٢
- السابع: اشتراكهم في مقام الملك في الآخرة..... ٢٧٣

الفصل الرابع: رسالة الله عز وجل إلى ملائكته

غاية خلق الوجود (محبَّة لمحمَّد وآل محمَّد صلوات الله عليهم)

- رسالة الله إلى ملائكته..... ٢٨٩
- لماذا جعل الله غاية الخلق محبة محمَّد وآله؟..... ٢٨٩
- وما العلة والسبب في ذلك؟..... ٢٨٩
- الروايات المؤيدة على أهمِّ حبِّ الخلق إلى الله سبحانه وتعالى:..... ٢٩٢
- كيف عرف الله عز وجل الحمسة من أهل الكساء لجبرائيل عليه السلام؟..... ٣٠٨
- ١- (هؤلاء الحمسة):..... ٣٠٨

- ٢- (الذين هم تحت الكساء): ٣٠٨
- ٣- (هم أهل بيت النبوة): ٣١٠
- ٤- (ومعدن الرسالة): ٣١٠
- ٥- (هم فاطمة وأبوها ويعلمها وبنوها): ٣١٠
- ولكن لماذا عرّف الله أهل الكساء بعنوان فاطمة عليها السّلام؟ ٣١١

الفصل الخامس: رسالة من رب العزة

إلى رسول الله صلى الله عليه وآله

(بإجابة طلبه في أهل بيته ونزول آية التطهير في حقهم)

- رسالة من رب العزة ٣١٥
- هل دعاء النبي صلى الله عليه وآله هي العلة في نزول آية التطهير؟ ٣١٥
- المقدمة الأولى: ٣١٥
- المقدمة الثانية: ٣١٧
- الوجه الأول: ٣١٨
- الوجه الثاني: ٣١٨
- الوجه الثالث: ٣١٩
- الوجه الرابع: ٣١٩
- بحث في آية التطهير ٣٢٠

- الأول: ماذا تعني كلمة (إنها)؟..... ٣٢٠
- ١- (إرادة الله):..... ٣٢١
- ٢- الحصر الآخر:..... ٣٢١
- الثاني: (يُرِيدُ اللهُ):..... ٣٢٢
- الثالث: (لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ):..... ٣٢٣
- الرابع: ما هو المراد من الرجس؟..... ٣٢٣
- الخامس: ما معنى (وطَّهَرَهُمْ تَطْهِيراً)؟..... ٣٢٤
- السادس: الإرادة التكوينية والجبر..... ٣٢٦
- السابع: ما المراد من أهل البيت؟..... ٣٢٨
- مفاد روايات الفريقين في آية التطهير..... ٣٣٠
- نماذج من روايات الشيعة:..... ٣٣١
- نماذج من روايات أهل السنة..... ٣٣٤
- وهنا نسجل مجموعة من الملاحظات المهمة:..... ٣٣٦
- الملاحظة الأولى:..... ٣٣٦
- الملاحظة الثانية:..... ٣٣٧
- الملاحظة الثالثة:..... ٣٣٨
- الملاحظة الرابعة:..... ٣٣٩
- الملاحظة الخامسة:..... ٣٤٥

- آية التطهير وأزواج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ٣٤٧
- وقفة مع عكرمة والضحاك ٣٥٠
- بطلان القول ٣٥٠
- الخلاصة ٣٥٧

الفصل السادس : رسالة من رسول الله

وأُمير المؤمنين (صلوات الله عليهما) إلى أهل العالم

(أهل البيت وشيعتهم هم الفائزون في الدنيا والآخرة)

- رسالة من رسول الله وأُمير المؤمنين عليهما السلام ٣٦١
- أهل البيت وشيعتهم هم الفائزون في الدنيا والآخرة ٣٦١
- فضل هذه الجلسة القدسية ٣٦٢
- ما هو فضل هذه الجلسة القدسيَّة لأهل البيت عليهم السَّلام عند الله وأثرها و ٣٦٢
- فوائد ذكرها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ٣٦٤
- الفائدة الأولى: «إِلَّا وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ الرَّحْمَةُ»، فما المراد من نزول الرحمة؟ ٣٦٤
- ما طبيعة الرَّحمة التي تنزل لأهل محافل حديث الكساء؟ ٣٦٨
- الفائدة الثانية: «وَحَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ»، وماذا تعني حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ؟ ٣٦٨
- ولكنَّ الملائكة لماذا سَمُّوا بالملائكة؟ ٣٦٩
- منزلة الملائكة عند الله ومهاتهم ٣٦٩

- أقسام الملائكة ومهامهم ٣٧٣
- الفائدة الثالثة: (واستغفرت لهم إلى أن يتفرقوا) ٣٧٧
- الفائدتان الرابعة والخامسة: «وفيهم مهموم إلا وفرج همته، ولا مغموم...» ٣٨٠
- باب المخرج من الهم والغم ٣٨٢
- الفائدة السادسة: «ولا طالب حاجة إلا وقضى الله حاجته» ٣٨٤
- تسمية الحاجة ٣٨٥
- علة تأخر إجابة الدعاء وقضاء الخوائج ٣٨٥
- الفائدة السابعة: الفوز والسعادة في الدنيا والآخرة ٣٨٧
- ما هو المراد من الفوز والسعادة في الدنيا والآخرة؟ ٣٨٧
- محمد وآله ضماناة النجاة من النار والفوز بالجنة ٣٩١
- الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُوَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَشِيعَتُهُ ٣٩٣
- مسكنه في الآخرة ٣٩٤
- كيفية دخول المؤمنين الجنة مع رسول الله صلى الله عليه وآله ٣٩٦
- الحسين عليه السلام أقرب الطرق وأسرعها وأضمنها للفوز والسعادة ٣٩٧
- تلاوة حديث الكساء من مفاتيح الفوز والسعادة ٣٩٧
- خلاصة الرسالة: أهل البيت وشيعتهم هم الفائزون السعداء في الدنيا ٣٩٩

الفصل السابع: رسالة اجتماعية أُسرية معاصرة من أهل الكساء إلى الأسرة المسلمة

- رسالة من أهل الكساء إلى الأسرة المسلمة ٤٠٥
- رسالة اجتماعية أُسرية معاصرة ٤٠٥
- ما الدروس والآداب الاجتماعية في حديث الكساء؟ ٤٠٥
- الأول: أهمية الترابط والتلاقي الأسري. ٤٠٥
- الثاني: فوائد صلة الرَّحِم في الدنيا والآخرة ٤٠٨
- خطوات عملية لتطبيق مبدأ التراحم والتكافل والتواصل ٤١٢
- ١- تواصل الزيارة بين الأرحام والدعوة على الولائم. ٤١٢
- ٢- تأسيس المجالس والاجتماعات العائلية الدورية. ٤١٣
- ٣- الاجتماع على أمور الخير. ٤١٣
- ٤- تفقد أحوال الأقرباء لقضاء حاجاتهم. ٤١٣
- الثالث: أخلاقيات التعامل الأسري الناجحة. ٤١٥
- الرابع: مسؤولية الوالدين في البرِّ بالأولاد. ٤١٥
- الطرق السليمة في برِّ الأولاد. ٤١٧
- ١- محبتهم. ٤١٧
- ٢- والرحمة بهم والعطف عليهم. ٤١٨
- ٣- تقبلهم. ٤١٩

- ٤- اللَّعِبُ مَعَهُمْ..... ٤٢٠
- ٥- الوفاء بالوعد لهم. ٤٢٠
- ٦- أن يوفر لهم المناخ الملائم ليكونوا بررة بوالديهم. ٤٢٠
- حقوقُ الأَوْلَادِ. ٤٢٢
- الخامس: وجوبُ البرِّ والإحسانِ بالأولِادِ وفضلُه. ٤٢٣
- برُّ الوالدين من أفضل الأعمال. ٤٢٤
- برُّ الوالدين أفضل من الجهاد عند الله. ٤٢٤
- لا رخصة في برِّ الوالدين وإن كانا على غير دين الحق. ٤٢٥
- مكانة البار بالوالدين عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ٤٢٧
- برُّ الوالدين يكفران الذنوب ٤٢٩
- الخطوات العمليَّة لأداء حقِّ الوالدين: ٤٢٩
- ١- حسن الصحبة معها. ٤٣٠
- ٢- المبادرة لخدمتها. ٤٣١
- ٣- لا يسمعا منك إلا قولاً كريماً. ٤٣١
- ٤- التواضع لها والرحمة بها. ٤٣٢
- ٥- البر بها بعد مماتها عبر الدعاء والاستغفار والصَّلَاةَ لها وقضاء ديونها. ٤٣٢
- ٦- رعاية حقوقها. ٤٣٣
- السادس: آداب السَّلَامِ والتَّحِيَّةِ. ٤٣٤

- ٤٣٦..... ١- استِحْبَابُ الْإِبْتِدَاءِ بِالسَّلَامِ وَتَقْدِيمِهِ عَلَى الْكَلَامِ.
- ٤٣٧..... ٢- وَجُوبُ رَدِّ السَّلَامِ.
- ٤٣٧..... ٣- اسْتِحْبَابُ إِفْشَاءِ السَّلَامِ وَإِطَابَةِ الْكَلَامِ.
- ٤٣٨..... ٤- اسْتِحْبَابُ التَّسْلِيمِ عَلَى الصَّبْيَانِ.
- ٤٣٩..... ٥- الْمَسَاوَاةُ فِي التَّسْلِيمِ عَلَى الْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ.
- ٤٣٩..... ٦- الْجَهْرُ بِالسَّلَامِ وَبِالرَّدِّ بِحَيْثُ يُسْمَعُ الْمُخَاطَبَ.
- ٤٣٩..... ٧- يُسْتَحَبُّ التَّسْلِيمُ بِالصَّبِغَةِ الْأَكْمَلِ.
- ٤٤٠..... ٨- اسْتِحْبَابُ إِعَادَةِ السَّلَامِ ثَلَاثًا مَعَ عَدَمِ الرَّدِّ.
- ٤٤١..... ٩- اسْتِحْبَابُ التَّسْلِيمِ عَلَى الْمُؤْمِنِ الْوَاحِدِ بِصُورِ الْجَمَاعَةِ.
- ٤٤١..... ١٠- اسْتِحْبَابُ تَسْلِيمِ الصَّغِيرِ عَلَى الْكَبِيرِ وَالْقَلِيلِ عَلَى الْكَثِيرِ وَالْمَاءُ عَلَى...
- ٤٤٢..... ١١- عَدَمُ جَوَازِ دُخُولِ بَيْتِ الْغَيْرِ مِنْ غَيْرِ إِذْنٍ وَلَا تَسْلِيمٍ.
- ٤٤٣..... ١٢- صِيغِ التَّسْلِيمِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ.
- ٤٤٥..... السَّابِعُ: أَمِّيَّةُ التَّرَاوُرِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ.
- ٤٤٥..... فَضْلُ زِيَارَةِ الْإِخْوَانِ فِي اللَّهِ.
- ٤٤٦..... ١- زِيَارَةُ الْمُؤْمِنِ زِيَارَةُ اللَّهِ.
- ٤٤٨..... ٢- وَكَلَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ.
- ٤٤٩..... ٣- أَلَا طَيْبَتْ وَطَابَتْ لَكَ الْجَنَّةُ.
- ٤٥٠..... ٤- خَيْرٌ مِنْ عَشْرِي عَشْرَ رِقَابٍ مُؤْمِنَاتٍ.

- ٤٥٠..... ٥- إِنَّ دَعْوَا اللَّهِ أَجَابُهُمْ.
- ٤٥٠..... ٦- حَقٌّ عَلَيَّ أَلَّا أُعَذِّبَهَا بِالنَّارِ.
- ٤٥١..... الثامن: أهمية التواصل واللقاء بين المؤمنين وأهدافه.
- ٤٥٢..... الأهداف المرجوة من اللقاء بين المؤمنين.
- ٤٥٢..... ١- ليعطف أغنياء وأقرباء الشيعة على ضعفائهم.
- ٤٥٣..... ٢- فِي زِيَارَتِكُمْ إِحْيَاءٌ لِقُلُوبِكُمْ.
- ٤٥٣..... ٣- ذَكَرَ اللَّهُ وَالِدَعَاءِ.
- ٤٥٤..... ٤- إِغْضَابَ إِبْلِيسَ.
- ٤٥٤..... ٥- فَإِنَّ لِقِيَاءَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا حَيَاةٌ لِأَمْرِنَا.

الفصل الثامن: إضاءات في علم الفلك من حديث الكساء

- ٤٦١..... إضاءات في علم الفلك من حديث الكساء
- ٤٦١..... تمهيد
- ٤٦٣..... الأول: بناء السماء (إني ما خلقتُ سماءً مبنيةً)
- ٤٦٣..... ما هي أسس ومواصفات هذا البناء؟
- ٤٦٣..... جولة في عالم المجرات
- ٤٦٧..... ١. كيفية النشأة
- ٤٦٧..... أ- نشأة الكون في علم الفلك الجديد (نظرية الانفجار العظيم)

- ب- نظريّة الفلك القرآنيّة ٤٧٠
- ٢- الرتق والفتق ٤٧٣
- ٣- المدّة التي استغرقت لخلق السّماء والأرض ٤٧٦
- ٤- رفع سمك بنائها ٤٧٧
- ما هو المراد من رفع السّمك والتسوية؟ ٤٧٧
- ٥- أحكم الله سقف بنائها بشبكة هندسيّة متقنة غير مرئيّة ٤٨٠
- أ- والسؤال الذي يرد في الآية: هل هناك عمد غير مرئي أو لا عمد أصلاً؟ ٤٨٠
- ب- هل يوجد شبكة هندسيّة تمسك الأرض؟ ٤٨٢
- ج- إن الله يمسك السّماء أن تقع على الأرض ٤٨٣
- ٦- جعل لها سقفاً يحفظ خلقه من الأخطار ورجم الشياطين ٤٨٥
- راجحات الشياطين ٤٨٦
- ٧- جعلها في حالة توشع دائم كالبالون ٤٨٦
- توشع الكون في نظر العلم الحديث ٤٨٨
- ٨- جعل فيها مسارات وأبراجاً وكواكب ومنظومة شمسيّة لانتفاع الخلق بها ٤٩١
- ٩- جعلها مزينة جميلة للناظرين ٤٩١
- ١٠- جعل السّماء طبقات وكلّ سماء لها نظامها ووظائفها ٤٩١
- ١١- جعل لها أنظمة لحفظ توازنها واستمرار ما فيها مخلوقات ٤٩٢
- ١٢- طي السّماء (نهاية الكون) ٤٩٤

- ٤٩٨..... ثانياً: دحو الأرض (وَلَا أَرْضاً مَدْحِيَّةً)
- ٤٩٨..... ماذا يعني دحو الأرض؟
- ٥٠٢..... متى كان دحو الأرض؟
- ٥٠٢..... والسؤال كيف جعل الله الأرض ملائمة للحياة؟
- ٥٠٩..... ثالثاً: إنارة القمر (وَلَا قَمَراً مُنِيراً)
- ٥٠٩..... ما معنى القمر؟
- ٥١٠..... ولماذا يوصف القمر (منيراً) والشمس (مضيئة)؟
- ٥١٣..... رابعاً: إضاءة الشمس، (وَلَا شَمْساً مُضِيئَةً)
- ٥١٤..... معنى الشمس لغة:
- ٥١٨..... معنى الضياء لغة:
- ٥٢٦..... الخامس: دوران الفلك (وَلَا فَلَكَاً يَدُورُ)
- ٥٢٧..... دوران الأرض والشمس والقمر
- ٥٢٨..... دلالة انتظام الخلق على وحدة الخالق
- ٥٢٩..... سادساً: جريان البحر، (وَلَا بَحْراً يَجْرِي)
- ٥٢٩..... معنى جرى:
- ٥٣٠..... متى خلق الله البحر؟
- ٥٣٠..... تشكُّل البحار في القرآن والنصوص
- ٥٣١..... ما الذي يجعل البحر يجري؟

- ٥٣٣..... ما الغاية من خلق البحر؟
- ٥٣٣..... سابعاً: سريان الفلك، (وَلَا فُلُكاً يَسْرِي).
- ٥٣٤..... هل هناك فرق بين الفلك والسفينة والجارية؟
- ٥٣٨..... هل هناك فرق بين الفلك تسري، أو تجري؟
- ٥٣٩..... (وأما الفرق بين الجري والسير)

الفصل التاسع: من قصص وكرامات حديث الكساء

- ٥٤٥ من قصص وكرامات حديث الكساء
- ٥٤٥ روايات في فضل أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم
- ٥٤٩ القصة الأولى: نجاة حجاج من الموت في الصحراء
- ٥٥١ القصة الثانية: شفاء بنت من سرطان الدَّم
- ٥٥٤ القصة الثالث: تفريج هم أمّ قلقة على أولادها
- ٥٥٧ القصة الرابعة: نجاة أمّ وجنينها من الموت
- ٥٦١ القصة الخامسة: بعد ٢٤ سنة ترزق بولد
- ٥٦٢ القصة السادسة: سرقت سيارته وتوسّل بحديث الكساء فأرجعها السارق.
- ٥٦٣ القصة السابعة: شفاء شاب مسيحي (نصراني) من سرطان الدَّم
- ٥٦٦ القصة الثامنة: حديث الكساء وشفاء مريض مصاب بالسرطان
- ٥٦٧ القصة التاسعة: شفاء حفيد السيد إبراهيم الميلاني

- القصة العاشرة: شفاء فتاة أرمنيَّة ببركة حديث الكساء ٥٦٧
- القصة الحادية عشرة: رزقوا أبناء ذكوراً ببركة قراءة الحديث المبارك ٥٧١
- القصة الثانية عشرة: أصبح من أهل المسجد والصَّلَاة ببركة قراءة حديث الكساء ٥٧٢
- القصة الثالثة عشرة: رزقوا بالذرية ببركة قراءة حديث الكساء ٥٧٣
- القصة الرابعة عشرة: العودة إلى الحياة ثانية بواسطة التوسل بحديث الكساء ٥٧٤
- القصة الخامسة عشرة: عناية أهل البيت عليهم السَّلَام بمجلس حديث الكساء ٥٧٧
- القصة السادسة عشر: حلُّ مشكلة ماليَّة بواسطة قراءة حديث الكساء ٥٨٠
- القصة السابعة عشرة: إسلام أحد الأرمن ببركة حديث الكساء على يدي ٥٨٤
- القصة الثامنة عشرة: شفاء حفيد الشيخ عباس القمِّي عبر التوسل ٥٨٤
- القصة التاسعة عشرة: نجاة من الموت، لمصاب بارنجاج في المنخ ٥٨٦
- القصة العشرون: قضاء حاجة بإقامة أربعين مجلساً لحديث الكساء ٥٨٨
- ٥٩١ **قائمة المصادر والمراجع**
- ٥٩٣ المصادر والمراجع
- ٦١٩ المواقع الالكترونية
- ٦٢٠ المجلات والدوريات
- ٦٢١ **فهرس المحتويات**
- ٦٤٦ إصدارات مركز البصيرة للبحوث والتحقيق والترجمة

إصدارات مركز البصيرة للبحوث والتحقيق والترجمة

ت	عنوان الكتاب
١	المرأة الكاملة في الوجود السيدة فاطمة بنت محمد عليهما السلام د. أنور راجي هيفا
٢	الأعياد والمناسبات الإسلامية الشيخ شوقي الحداد
٣	الثورة الحسينية.. واقع وهوامش محمد الرصافي المقداد
٤	مأساة فدك رؤية تحليلية جديدة من داخل البيت السني فالح عبدالرضا الموسوي
٥	إمامة اهل البيت عليهم السلام في القرآن الكريم فالح عبدالرضا الموسوي
٦	ولاية الامر بعد الرسول صلى الله عليه وآله فالح عبدالرضا الموسوي
٧	الغدِير في الإسلام يوم كمال الدين وتمام النعمة ورضا الرب محمد الرصافي المقداد
٨	قراءة في مقام الامام علي عليه السلام محمد الرصافي المقداد
٩	الوصية والاستخلاف بين الاعتراف والجهود محمد الرصافي المقداد
١٠	قراءة في مقام فاطمة الزهراء عليها السلام محمد الرصافي المقداد
١١	قراءة في حديثي المنزلة والغدير محمد الرصافي المقداد
١٢	هل خسرت الإنسانية بمنع تدوين الاحاديث النبوية؟ عبدالرحمن ابو سنينة
١٣	قراءة في حديث الاثني عشر خليفة محمد الرصافي المقداد
١٤	بصائر ودلالات الى ولاية الهداة محمد الرصافي المقداد
١٥	الجوهر الثمين في تفضيل الزهراء عليها السلام على نساء العالمين فالح عبدالرضا الموسوي
١٦	حكومة الاسلام بعد النبي صلى الله عليه وآله محمد الرصافي المقداد
١٧	فاطمة الزهراء عليها السلام فتدبيل العرش السيد هادي الموسوي

السيد حسين فياض	بداية ونهاية الاكوان	١٨
الشيخ وسام البلداوي	حكم البكاء على الامام الحسين عليه السلام	١٩
الدكتور علي البيضاوي	فلسفة التعامل مع الشبهات العقائدية عند الامام الهادي عليه السلام	٢٠
احمد داخل الخلاطي	القوة الناعمة في فكر الامام الحسين عليه السلام	٢١
السيد هادي الموسوي	حديث السماء تحت الكساء	٢٢
الدكتور مروان خليفات	معجم رواة الشيعة النقات	٢٣

